ألف قصة وقصة

مِن قصَصِ الصَّالِحين والصَّالحاتِ وَنوادِرِ الزّاهِدين وَالزّاهِدَات



هاني الحاج

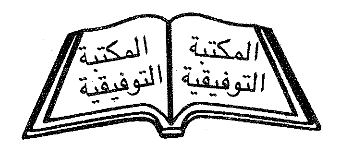
المكتبة التوفيقية

ألف قصة وقصة

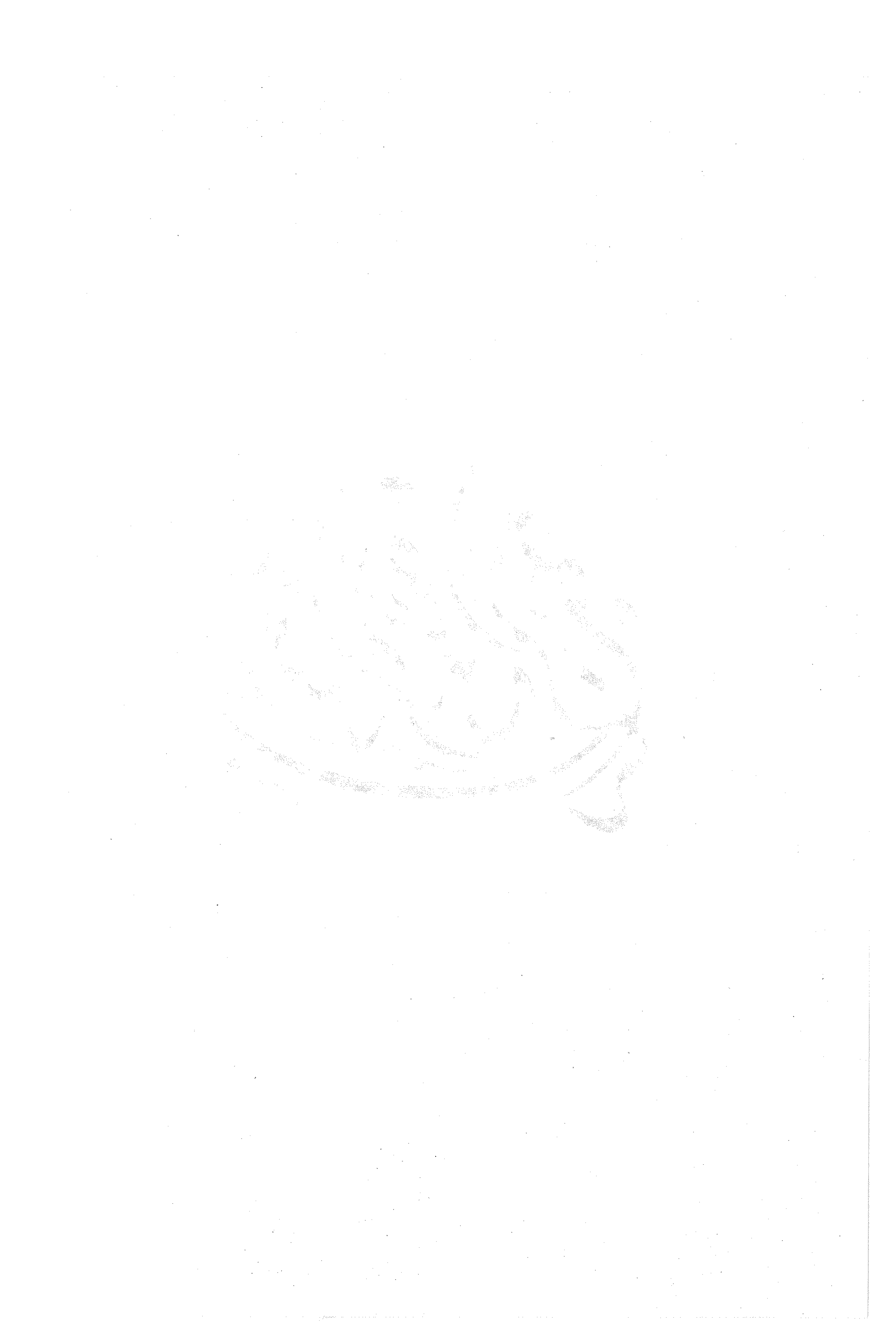
مِن قصَصِ الصَّالِحين وَالصَّالحاتِ وَنوادِرِ الزّاهِدين وَالزّاهِدَات

تأليف

هَانى الحاج




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المصنف

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها النـاس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجـها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾.

﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً* يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا﴾.

أما بعد ..

فإن أصـدق الحديث كتـاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشـر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا كتاب «**ألف قصة وقصة**» انتخبته وانتقيته وألفته من كتب عديدة.

وقد جمـعت فيه حكايات الصالحين التي تؤدي إلى نُبل المقاصـد، وتهذيب الطباع، وترقيق القلوب، وتدفع الناس إلى المثل العليا، والتضحية والكرم ، والشرف والإيثار.

وقد جـمعت فيه أيضًـا بعض الحكايات التي تدل على فطنة وذكاء العـرب، وحسن تصرفهم، أقصد من ذلك أن هذا الصنف من الحكايات يؤدي إلى سعة الأفق والمدارك.

وقد جمعت فيه أيضًـا شيئًا من الطرائف والنوادر التي تؤدي إلى الترويح عن النفس من الكد والجد والتعب.

فهي في النهـاية -أي: هذه القصص- مرشدة لكريم الأخـلاق، زاجرة عن الدناءة، ناهية عن القبيح، باعثة على صواب التدبير .

ولم أر صوابًا أن يكون كتابي هذا قاصراً على نوع معين من الحكايات يختص به خواص الناس دون عوامهم، بل وفيت كل فريق منهم قسمه، فلا يخلو الكتاب من نادرة طريفة، وفطنة لطيفة، وكلمة مُعجبة، وأخرى مضحكة، فهو بمثابة المائدة تختلف فيها مذاقات الأطعمة؛ لاختلاف شهوات الآكلين .

فإذا مر بك حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه ، أو تضحك له ، فاعرف المذهب فيه ، وما أردنا به.

وكتبه

هاني الحاج

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - «الخوف من الرياء»

قال عـليٌّ بن الفُضَـيل : اتَّفَق أبي وابنُ المبارك على باب «بـني شيـبة»، فقـال ابنُ المبارك: يا أبا علي ادخل بـنا المسجد حـتى نتذاكرَ، فـقال الفضيـلُ لابن المبارك: إذا دخلنا المسجدَ أليس تريدُ أنْ تحـدِّثني بغريبِ ما عندك وأحدِّثُكَ بغريبِ مـا عندي من العلم؟ فقال «ابنُ المبارك»: بلى، فانصرفا ولم يدخلا المسجد.

قـال أبو سليمـان الخطابي : كَـرِه من هذا التـصنُّعَ وخاف الـرياء، ونحو هذا قـولُ الفُضَيل : لأن يلقى الشيطانَ خيرٌ للقاريء من أن يرى قارئًا مثله.

٢ - «اعرف من تصاحب»

قال علقمة بن لبيد لابنه: يا بني إن نازعتْكَ نفـسك يومًا إلى صحبة الرجال لحاجتك إليهم فاصحب من إن صحبـته زانك، وإن تخففت له صانك، وإذا نزلَتْ بك نازلة مانك، وإن قلت صدّق قـولك ، وإن صُلت به شدّد صولك، اصحبْ من إذا مـددت يدك لفضلٍ مدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن بدت منك ثلمة[١] سدّها، إصحب من لا تأتيك منه البوائق، ولا تَختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.



(١) الثلم: العيب.

٣ - «ليس لي مال أوصي به»

خلّف عمر بن عبد العزيز -رحمه الله - أحد عشر ابنًا ، فأصاب كلٌّ ابن نصف وربع دينار، وقال لهم عند وفاته: يا بني، ليس لي مال فأُوصي فيه. وخلّف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنًا، فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار، فأما أولاد عمر بن عبد العزيز فما رُئي أحد منهم إلا وهو غنيّ، ومنهم واحد جهَّز من ماله مئة ألف فارس على مئة ألف فرس في سبيل الله تعالى، وما رُئي أحد من أولاد هاشم بن عبد الملك إلا وهو فقير.

٤ - «لم تطعم الإيمان حتى تؤمن بالقدر»

عن الوليد بن عبادة ، قال: دخلت على عبادة - رضي الله عنه - ، وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لم تطعم الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له : اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**». إن متّ ولست على ذلك دخلت النار.

٥ - «الله أولى بالجميل»

جاء رجل إلى جعفر بن محمد ، فشكا إليه الإضاقة[1] ، فأنشده جعفر بن محمد:

(١) أي: الفقر.

فلا تجزعْ إذا أعسرتَ يومًا فكم أرضاكَ باليسر الطويلِ
ولا تيأسْ فإنّ اليأسَ كفرٌ لعل الله يغني عن قليلِ
ولا تظنُّنْ بربكَ غيرَ خيرٍ فإن الله أولى بالجميلِ

قال الرجل: فذهب عني ما كنت أجد.

٦ - «جوامع الصحبة»

مِنْ جوامع الصحبة قولُ ابن الحَسَنِ الوَرَّاق ، وقد سَأَلَ أبا عُثمانَ عن الصُّحبةِ، قال: هي مع اللهِ بالأدبِ، ومع الرسولِ عليه السلامُ بملازَمَةِ العلمِ واتِّباع السُّنَّةِ، ومع الأولياء بالاحترام والخِدْمةِ، ومع الإخوان بالبشرِ والانبساط وترك وجوه الإنكارِ عليهم، ما لم يكن خَرْقَ شريعةٍ أو هَتْكَ حُرمةٍ، قال الله تعالى: ﴿خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، والصُّحبةُ مع الجُهَّالِ بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤيةِ نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم ، والدعاءِ لله أن يُعافيك من بلاءِ الجهلِ.

٧ - «تلك أختي تحيي الليل كله»

حدَّثَ أحدهم قال: بينما أنا أسير في طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق يمجد ربه بأبيات من شعر، فسمعته يقول:

مليك في السماء به افتخاري عزيز القدر ليس به خفاءُ

فدنوت منه، وسلمتُ عليه، فقال: ما أنا برادٍّ عليك سلامك حتى تؤدي من حقي الذي يجب عليك، قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل، ولا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلَيْن في طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك، فرحَّب بي وسار بي حتى قربنا خيمة شعر، فلما قربنا صاح: يا أختاه ، فأجابته جارية من الخيمة يا لبَّيْكاه، قال: قومي إلى ضيفنا هذا، فقالت: اصبر حتى أشكر المولى الذي سبَّب

لنا هذا الضيف، فـقامت وصلّت ركعـتين شكرًا لله، فأدخلني الخيـمة، فأجلسني، فـأخذ الغلام الشفـرة وأخذ عناقًا[١] له ليـذبحهـا، فلما جلـستُ نظرت إلى جارية أحـسن الناس وجهًا، فكنت أسارقها النظر، فـفطنت لبعض لحظاتي، فقالت لي: مه[٢]، أما علمتَ أنه قد نُقل إلينا عن صـاحب يثرب[٣] أنَّ «**زنى العـينين النظر**»، أما إني مـا أردت أن أوبّخك ولكني أردت أن أؤدِّبك لكيلا تعـود لمثل هذا، فلما كان وقت النوم بتُّ أنا والغـلام خارج الخيمة، وباتت الجارية في الخيـمة، فكنت أسمع دوي القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقَّهُ، فلما أن أصبحت قلت للغلام: صـوتَ من كان ذلك؟ فقال: تلك أختي تحيي الليل كله حتى الصـباح، فقلتُ: يا غـلام، أنت أحق بهذا العـمل من أختك، أنت رجل وهي امرأة، فتبسم ثم قال: ويحك يا فتى! أما علمت، أنه موفَّق ومخذول.

٨ - «أين تذهبون؟»

لما تأخر رجـال من فرسان الجيش الإسـلامي في معركة اليـرموك وفيهم أبو سـفيان وجاؤوا إلى نسـاء المسلمين وهنّ وراء الصفـوف - وفيهن زوجـة أبي سفـيان - وعَلِمْنَ أن هؤلاء الرجال هربوا من صف القتال، فقُلْنَ بصوت جهوري:

أيها الرجال: أين تذهبون وأنتم تهربون؟ وإلى أي جهة من جند الله تنزوون، إن الله مطلع على أحوالكم فاتقوه.

ثم إن هند زوجـة أبي سفـيان أخـذت عمـود خـيمـة وضربت به على رأس فـرس زوجها، وقالت: يا ابن صخر؟ ! ارجع إلى محـاربة العدو، واجعل نفسك فداء في سبيل الحصول على رضاء الله تعالى حتى يغـفر لك ذنوبك التي سبقت منك، واذكر تلك الأيام التي كنت فيـها تحرِّضُ الـناس على خلاف رسول الله صلوات الله عـليه، وتساعـد الكفار والمشركين على محاربته، عندها رجع وحارب وأبلى بلاءً حسنًا في المعركة.

---

(١) **العناق**: الأنثى من ولد الماعز.

(٢) مه: بمعنى كُفْ.

(٣) أي: رسول الله ﷺ.

٩ - «إن عفوت فلا نظير لك»

قال المأمون لإبراهيم بن المهدي: إني شاورت في أمرك ، فأشاروا عليّ بقتلك، إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم حُرْمتك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المشير أشار بما جرت به العادة في السياسة، إلا أنك أبيت أن تطلب إلا من حيث ما عُوِّدْتَه من العفو، فإن عاقبت فلك نظير، وإنْ عفوت فلا نظير لك، وأنشأ يقول:

البرّ بي منك وطّا العذرَ عندك لي ... فيما فعلتُ فلم تعذُل ولم تلُمِ

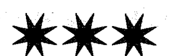
وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي ... مقام شاهد عدلٍ غير متهمِ

لئن جحدتُك معروفًا مننتَ به ... إني لفي اللؤم أحظَى منك بالكرمِ

تعفو بعدل وتسطو إن سطوتَ به ... فلا عدمتكَ من عافٍ ومنتقمِ

١٠ - «بادروا بقضاء الحوائج»

لَمَّا حضرت سعيد بن العاص الوفاة، قال: يا بني لا تفقدوا إخواني مني عندكم عين وجهي أجْروا عليهم ما كنتُ أُجْري، واصنعوا بهم ما كنت أصنع، ولا تُلجئوهم للطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانُهُ، وارتعدت فرائصه، وكلَّ لسانُهُ، وبدا الكلامُ في وجهه، اكفوهم مؤنة الطلب بالعطية قبل المسألة فإني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشه ذاكرًا موضعًا لحاجته، فعدا بها عليكم، لا أرى قضى حاجته عوضًا من بذل وجهه، فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة.



١١ - «لا شيء أحسن من الإنسان»

رويَ أن عيسى بن موسى ، كان يحب زوجته حبّاً شديداً ، فقال لها يومًا: أنتِ طالق، إن لم تكوني أحسن من القمر.

فنهضت ، واحتجبت عنه، وقالت: قد طلقتني، فبات بليلة عظيمة فلما أصبح غدا إلى المنصور، وأخبره الخبر، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تمَّ طلاقها، تلفت نفسي غمّاً، وكان الموتُ أحبَّ إليَّ من الحياة ، وظهر للمنصور منه جزع شديد، فأحضر الفقهاء، واستفتاهم ، فقال جميع من حضر، قد طلقت، إلا رجلاً من أصحاب أبي حنيفة، فإنه سكت، فقال له المنصور: مالك لا تتكلم؟ .

فقال: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم* والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين* لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ فلا شيء أحسن من الإنسان، فقال المنصور لعيسى بن موسى: قد فرّج الله تعالى عنك، والأمر كما قال، وأقم على زوجتك.

وراسلها أن أطيعي زوجك فما طلقك.

١٢ - «كرامة لسعد بن أبي وقاص»

عن جابر بن سمرة - رضي الله عنهما - قال: شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- ، فعزله واستعمل عليهم عمار ابن ياسر.

فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يُصلي! ، فأرسل إليه.

فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي.

فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم[١] عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد[٢] في الأولين، وأخف في الأخريين، قال: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً - أو رجالاً- إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفًا، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقال رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يُكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا نشدتنا[٣] فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية[٤] ولا يعدل في القضية! . قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك بن عمير - راوي الحديث عن جابر بن سمرة -: فأنا رأيته بعد قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن[٥].

١٣ - «كرامة لخبيب بن عدي وصحبه»

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بعث رسول الله، عشرة رهط[٦] عينًا سرية، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة[٧] بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رامٍ، فاقتصوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم

(١) لا أنقص.
(٢) أقوم طويلاً.
(٣) طلبت منا القول.
(٤) قطعة من الجيش.
(٥) رواه البخاري ومسلم.
(٦) جمع من الرحال من عشرة إلى أربعين.
(٧) موضع.

فربطوهم بها .

قال الرجل الثالث : هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إني لي بهؤلاء أسوة -يريد القتلى- فجروه، فأبى أن يصحبهم فقتلوه.

وانطلقوا بـخبيب وزيد بن الدثنـة، حتى باعوهمـا بمكة بعد وقـعة بدر، فابـتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبًا، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها[١] فأعارته، فدرج بُنيٌّ لهـا وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجْلسَـهُ على فخذه والموسي بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك!.

قالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خـبيب، فوالله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد ومـا بمكة من ثمرة ، وكانت تقـول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا .

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ ، قال لهم خبيب: دعوني أصلِّي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن بي جزع لزدت، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا ولا تُبْقِ منهم أحدًا. وقال:

فلسـتُ أبالي حين أُقـتلَ مُـسلمًـا … على أي جنب كـان في الله مـصـرعي

وذلـك في ذات الإلـه وإن يـشـأ … يبارك على أوصال[٢] شلو[٣] مُمَزَّع[٤]

وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة وأخبر النبي ﷺ أصحابه يوم أصيبـوا خبرهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابـت حين حُدِّثوا أنه قُتل أن يؤتوا بشيء منه يُعـرف، وكان قـتل رجلاً من عظمـائهم، فبـعث الله لعاصم مـثل الظُّلَّة[٥] من الدبر[٦] فَحَمَتْهُ من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا[٧] .

(١) **الاستحداد:** حلق شعر العانة.

(٢) **أوصال:** أعضاء.

(٣) **شلو:** جسد.

(٤) **ممزع:** مقطع.

(٥) **الظلة:** السحاب

(٦) **الدبر:** النحل.

(٧) رواه البخاري.

١٤ - «من يشتري هذا السَّنّوْرَ؟(١)»

قال أبو بكر ابنُ عيَّاش: كانَ بالكوفةِ رجل قد ضـاقَ معاشُهُ، فسافرَ، وكسبَ ثلاث مئـة درهمٍ، فاشتـرى بها ناقةً فـارهَة، وكانت زَعِرةً، فـأضجرتـه، واغتاظ منهـا، فحلف بالطلاق ليبيـعنها يوم يدخلُ الكوفةَ بدرهم، ثم ندم، فأَخْـبَرَ زوجتَهُ بالْحَالِ، فـعمدت إلى سنورٍ، فعلَّقَـتْهَا في عنق الناقـة، وقالت: نادِ عليها: مَـنْ يشتري هذا السنّور بثلاث مـئة درهم، والناقة بدرهم!، ولا أُفرِّقُ بينهما، ففعل، فجاء أعرابي، فقال: ما أَحْسَنَكِ! لولا هَذَا البتيارك الذي في عُنُقِكِ.

١٥ - «جارية محمود الوراق»

قال الجاحظ: طَلَبَ المعتصِمُ جاريةً كانت لمحمود الورَّاق، وكان نَخَّاسًا، بسبعةِ آلاف دينار، فامتنع محمودٌ من بيـعها، فلما مات محمودُ اشتُرِيَتْ للمُعْتَـصِمِ من ميراثِه بسبعِ مئةِ دينارٍ، فلما دخلت إليه، قال لها: كيف رأيتِ؟ تركْتُك حتى اشتَرَيْتُكِ من سعةِ آلافِ بسبع مئةٍ!، قـالت: أجل! إذا كان الخليفة ينتظرُ لشـهواته المواريثَ، فإن سبعين دينارًا كـثيرة في ثمني فضلاً عن سبعِ مئةٍ، فأخْجَلَتْهُ.

١٦ - «احتفظ به حتى يجيء صاحبه»

قال أبو حنيفـة: خدعتني امرأةٌ أشارتْ إلى كيس مـطروح في الطريق، فتوهَّمْتُ أنه لها، فحملتُهُ إليها، فقالتْ: احتفِظْ به حتى يجيء صاحبه.

(١) السنّوْر: القط. وقد حرم الشرع بيعه كما في مسلم.

١٧ - «إن لم تقولي ما قلتما فضحتك»

خَرَجَ رجل ، فقعد يتفرج على الجِسرِ، فأقبلَت امرأة من جانب الرُّصَافَةِ متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شـابٌّ، فقال لها: رحم اللهُ عليَّ بن الجَهْمِ، فقالتِ المرأَةُ: رحمَ الله أبا العلاءِ المَعَرِّي، ومرَّا.

قال: فتَـبِعْتُ المرأَةَ، وَقُلتُ لها: إن لم تقولي لي ما قلتـما فضَحْتُكِ. فـقالت: قال لي: رحِمَ الله علي بن الجهمِ يريدُ قوله:

عُـيـونُ المَهَـا بينَ الرُّصـافَـةِ والجِـسْرِ   جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أَدْرِي

وأردتُ بترحمي على أبي العلاءِ قوله:

فـيــا دَارَهَا بالحـــزْنِ إن مَـــزَارَهَا   قـــــريبٌ ولـكـن دونَ ذلك أهـوالُ

١٨ - «يا موسى!»

غَضِبَ المأمونُ على طاهرِ بن عـبد الله، فأرادَ طاهرٌ أن يقصِدَهُ، فـوردَ كتابٌ له من صديق له ، ليس فيه إلا السـلامُ، وفي حاشيته: يا مُوسَى! فجـعل يتأمَّلُهُ، ولا يعلمُ معنى ذلك.

وكانت له جارية فَطِنَةٌ، فقالتْ: إنه يقولُ: ﴿يَا موسَى إن المَلأَ يأتَمِرُونَ بكَ ليَقْتُلُوكَ﴾ [سورة القصص: الآية ٢٠] فَتَثَبَّطَ عَنْ قَصْدِ المَأْمُونِ.



١٩ - «ضاع الدرهم»

أَعْطَتْ امرأةٌ جاريتَها درهمًا، وقالت: اشتري به هَرِيسَةً؛ فرجعتْ، وقالت: يا سيدتي! ضاعَ الدرهمُ، فقالت: يا فَاعِلَةَ! أتكلِّميني بفمكِ كُلِّه وتقولين ضاعَ الدِّرْهَم! فأمسكَتِ الجاريَةُ بيدها نصف فمها، وقالت بالنصف الآخرِ: وانكَسَرَتِ الغَضَارَةُ[١].

٢٠ - «الغيرة من الكتب»

قال الزُّبَير بنُ بكَّار: قالت بنتُ أُختي لأهلي: خالي خيرُ رجل لأهله، لا يتخذُ ضرةً، ولا يشتهي جاريةً، قالت: تقولُ المرأةُ: واللهِ لهذهِ الكُتُبُ أشدُّ علي من ثلاثِ ضرائِرَ.

٢١ - «امرأة ذو فهم ثاقب»

أراد شُعيب بن حرب أن يتزوج امرأة، فقال لها: إني سيءُ الخُلُقِ، فقالت: أسوأُ خُلُقًا منك من يُحْوِجُكَ إلى أن تكون سَيِّءَ الخُلُقِ.

٢٢ - «ما بيني وبينها إلا يوم»

عُرِضَ على رجلٍ جاريتانِ: بكرٌ وثيِّبٌ، فاختارَ البكرَ، فقالت الثَّيِّب: ما بيني وبينها إلا يومٌ، فقالتِ البكر: ﴿وَإِنَّ يومًا عند ربكِ كألفِ سنةٍ مِّمَّا تعُدُّون﴾ [سورة الحج: الآية ٤٧]. فاشتراها.

---

(١) الغضارة: قصعة من طين.

٢٣ - «يقيم الفأر في بيتك لحب الوطن»

خاصَمَت امرأةٌ زوجها في تضييقه عليها، فقالت: والله ما يُقِيمُ الفأرُ في بيتك إلا لحبِّ الوطن، وإلا فهُنَّ يسترْزِقْنَ من بيوتِ الجيرانِ.

٢٤ - «أفيكَ خيرٌ؟»

رأى المعتصمُ أسدًا، فقال لرجلٍ قد أعجبه قوامه وسلاحه: أفيكَ خيرٌ؟ فعلمَ أنه يريدُ أن يُقدِّمَهُ إلى الأسَدِ، فقال: لا يا أميرَ المؤمنين؛ فضحِكَ.

٢٥ - «للقميص أشد عليّ من قتل عبد الله»

قال ابنُ أبي الزِّنَادِ: كان عند أسماءَ بنت أبي بكر قميصٌ من قُمُصِ رسول الله ﷺ، فلما قُتِلَ عبد الله بن الزبير ذهب القميصُ فيما ذهب مما انتُهِبَ، فقالت أسماء: للْقَميصُ أشدُّ عليَّ من قتل عبد الله، فوجد القميصُ عندَ رجلٍ من أهل الشام، فقال: لا أردُّهُ أو تستغفرُ لي أسماءُ؛ فقيل لها.

فقالت: كيف أَسْتَغْفِرُ لقاتِل عبدِ الله؟ قالوا: فليسَ يرُدُّ القميصَ! فقالت: قولوا له فليجِيءْ. فجاء بالقميصِ ومعه عبد الله بن عُرْوَةَ، فقالتْ: ادفعِ القميصَ إلى عبدِ الله، فدَفَعَهُ، فقالت: قبضتَ القميصَ يا عبد الله؟ قال: نعمْ؛ قالت: غفرَ اللهُ لك يا عبدَ اللهِ، وإنما عَنَتْ عبدَ اللهِ بن عُرْوَةَ.



٢٦ - «امرأة أصابت ورجل أخطأ»

قال عبدُ الله بن مصعَبٍ: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مُهور النساء على أربعين أُوقية، وإن كانت بِنْتَ ذي الغُصَّة، يعني: يزيدَ بنَ الحُصَين الحارثي، فمن زادَ أَلْقَيْتُ الزيادة في بيت المال، فقالتْ امرأةٌ: ما ذَاكَ لَكَ! ، قالَ: ولِمَ؟ قَالَتْ: لأَنَّ اللهَ - عز وجلَّ- قالَ: ﴿وءَاتيتُمْ إحداهُنَّ قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا﴾ [سورة النساء: الآية ٢٠] فقال عمرُ: امرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ(١) .

٢٧ - «ماذا كنا نفعل من الغداة؟»

قدَّمَ قومٌ غريمًا لهم إلى الحاكمِ، فادَّعوا عليه، فقال: صدَقُوا ! إلا أني سألْتُهُمْ أن يُؤَخِّرُوني حتى أبيعَ عقَاري وأدفع إليهم، فإن لي مالاً وعقَارًا ورقيقًا وإبلاً، فقالوا: كذَبَ، ما يملكُ شيئًا، إنما يُريدُ دفعنا عن نفسه، فقال: أيُّهَا القاضي! اشهدْ لي عليهم. فعدَمَهُ ، ثم قال لخصومه: قد عَدَمْتُهُ، فأُرْكِبَ حِمَارًا، ونُودي عليه: هذا مُعْدَمٌ، فلا يُعَامِلُهُ أحد إلا بالنَّقْد، فلما كان العشاءُ تُرِكَ عن الحمارِ، فقالَ له المكَارِيُّ: هاتِ أُجرةَ الحمارِ، قال: ففيمَ كُنَّا مُذِ الغدَاة؟! .

٢٨ - «أخشى أن تدركه رقة فيسجد»

استأجَرَ رجلٌ دارًا، فجعل خشَبُ السُّقُوفِ يتفرْقَعُ، فَقَال لمالك الدَّار: أصْلِحْ هذا السقف؛ فإنَّ خشَبَهُ يتفرقع. قال: لا بأس عليك؛ فإنه يُسَبِّحُ، قال: أخشى أن تُدْرِكَهُ الرِّقَّةُ فَيَسْجُدَ.

---

(١) انظر للأهمية: «قصص لا تثبت» (١/ ص٢٧) ط الصميعي. الرياض.

٢٩ - «تحتاج القِدْرُ إلى لحم»

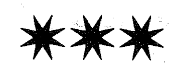
وقفَ قَوْمٌ على مُزَبِّد، وهُو يَطْبُخُ قِـدرًا، فأخذ أحدُهم قطعة لحم، فـأكلها، وقال: تحتاج القِدْرُ إلى خَلّ، وأخذ آخرُ قطعة لحم فـأكلها، وقال : تحتاج القِدْر إلى أبزار، وأخذ آخر قطعةَ لحم فأكلها، وقال: تحتاج القِدْر إلى مِلْح، فأخذ مُزَبِّدُ قِطْعَةَ لحم، فأكلها، وقال: تحتاج القِدْر إلى لحم.

٣٠ - «اكتفينا من هذا العدل»

تَظَلَّم أهل الكوفة من عـاملها إلى المأمون ، فقال: ما عَلِمْتُ فـي عُمَّالي أعدل منه، فقال رجل من القـوم: يا أمير المؤمنين، فقـد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيـبًا من عدله حتى تكون قـد ساويت بين رعاياك في حُسن النظر، فـأما نحن فلا يخُصُّنا أكـثر من ثلاث سنين، فضحك وصرفه.

٣١ - «ما أدري لمن أشكر؟»

دعا بعض الظرفاء قومًا، فـتبعهم طفيلي ، ففـطن به الرجل، فأراد أن يُعْلِمَـهم أنه قدفطن به، فقال : ما أدري لِمَن أشكر؟ لكم إذ أجبتم دعوتي، أو لهذا الذي تجشم من غير أن أدعوَه؟.



٣٢ - «ذاك بدرهم!!»

قال عبد الرحمن بن مخلد : دَفَعَت امرأة إلى رجل يقرأ عند القبور رغيفًا، وقالت له : اقرأ عند قبر ابني، فقرأ ﴿يومَ يُسْحَبُون في النار على وجوهِهم ذوقوا مس سقر﴾ [سورة القمر: ٤٨].

قال : فقالت له : هكذا يُقرأ عند القبور؟! فقال لها : فإيش أرَدْتِ برغيف ﴿متَّكِئين على فُرُشٍ بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان﴾ [سورة الرحمن : ٥٤] ؟ ذاك بدرهم.

٣٣ - «من عجائب الضرائر»

قال الجبرتي:

تزوج والدي الشيخ حسن الجبرتي بنتَ رمضان جلبي. وكانت به بارة ، وله مطيعة. ومن جملة برِّها له وطاعتها ، أنها كانت تشتري له من السراري الحسان من مالها. وتنظمهن بالحلي والملابس. وتقدمهن إليه ، وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك، وكان يتزوج عليها كثيرًا من الحرائر، ويشتري الجواري، فلا تتأثر من ذلك، ولا يحصل عندها ما يحصل في النساء من الغيرة.

ومن الوقائع الغريبة أنه لما حج في سنة (١١٥٦هـ) . واجتمع به الشيخ عمر الحلبي بمكة، أوصاه الحلبي بأن يشتري له جارية بيضاء تكون بكرًا دون البلوغ، وصِفتها كذا وكذا. فلما عاد من الحج طلب اليسرجية الجواري لينتقي منهن المطلوب. فلم يزل حتى وقع على الغرض فاشتراها، وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه بإرسالها صحبته.

فلما حضر وقت السفر أخبرها بذلك، فقالت :

إني أحببت هذه الوصيفة حبّاً شديداً، ولا أقدر على فراقها، وليس لي أولاد . و جعلتها مثل ابنتي.

وبكت الجارية أيضًا، وقالت :

لا أفارق سيدتي، ولا أذهب من عندها أبداً.

فقال: وكيف يكون العمل؟.

قالت: أدفع ثمنها من عندي ، واشتر أنت غيرها.

ففعل.

ثم إنها أعتقتها، وعقدت لزوجها عليها، وجهزتها وفرشت لها مكانًا على حدته وبنى بها والدي في سنة (١١٦٥) . وكانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صار ضرّتها ، وولدت له أولاداً.

فلما كان في سنة (١١٨٢) ، مرضت الجارية ، فمرضت لمرضها، وثقل عليه المرض، فقامت الجارية في ضحوة النهار، فنظرت إلى مولاتها وكانت في حالة الإغماء، فبكت وقالت :

إلهي إن كنت قدَّرْت موت سيدتي، اجعل يومي قبل يومها.

ثم رقدت، وماتت لتلك الليلة . فأضجعوها بجانبها. فاستيقظت مولاتها آ الليل، وجسّتها بيدها. وصارت تقول:

زليخا ! زليخا !

فقالوا لها : إنها نائمة.

فقالت: إن قلبي يحدّثني أنها ماتت، ورأيت في منامي ما يدلّ على ذلك.

فقالوا لها : حياتك الباقية. فقامت وهي تقول: لا حياة لي بعدها.

وصارت تبكي وتنتحب حتى طلع النهار، وغسلوها بين يديها وشالوا جنازتها.

ورجعت هي إلى فراشها ، وماتت آخر النهار، وخرجوا بجنازتها في اليوم التالي.

وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيته ووعيته. وكان سني إذ ذاك أربع عشرة سنة.

٣٤ - «حكايات ابن الهيثم»

لما صنّف ابن الهيثم كتابه الذي بيّن فيه حيلة إجراء نيل مصر عند نُقصانه في المزارع، صد القاهرة حاملاً كتابه، فنزل في خان. فلما ألقى عصاه قيل له : إن صاحب مصر لقب بالحاكم بأمر الله على الباب يطلبك . فخرج ابن الهيثم ومعه كتابه. وكان ابن الهيثم صير القامة، فصعد على دكّة عند باب الخان ودفع الكتاب إلى الحاكم، والحاكم راكب ماراً مصرياً. فلما نظر في الكتاب قال له :

أخطأت ! إن مؤنة هذه الحيلة أكثر من منافع الزرع ! ومضى .

ورحل ابن الهيثم إلى الشام ، وأقام عند أمير من أمرائها . وإذ أجرى ذلك الأمير ليه أموالاً كثيرة، قال له ابن الهيثم :

يكفيني قوتُ يومي، فما زاد على قوت يومي إنْ أمسكتُه كنتُ خازنَك، وإن أنفقتُه نتُ وكيلَك، وإذا اشتغلت بهذين الأمرين فمن ذا الذي يشتغل بعلمي؟!.

وقد قصده أمير من أمراء سِمنان يطلب عنده العلم. فقال له ابن الهيثم :

أطلب منك للتعليم أجرة، وهي مائة دينار في كل شهر.

فقبل الأمير ، وأقام عنده ثلاث سنين. فلما عزم الأمير على الانصراف قال ابن هيثم :

خُذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي فيها. وإنما قد جرّبْتُك بهذه الأجرة، فلما رأيتك ابلاً لبذل الأموال الجمّة في طلب العلم ، بذلتُ مجهودي في تعليمك وإرشادك.

٣٥ - «عيون أحمد بن طولون»

حدّث أحمد بن محمد الكاتب، وكان من عقلاء الناس وفهمائهم. وكان فيه دين

وخير كثير، قال :أتاني رسول أحـمد بن طولون وقد مضى من الليل أكثره ، وأنا نائم
فراشي ، فقرع الباب قرعًا عنيفًا. فأشرفْت عليهم عيالي ، فإذا جماعة من الغلمان بالش
والمشاعل، فـراعهم ذلك . وعـرّفوني . فعلمت أنه لم يسـتدع حـضوري في ذلك الوق
لخيـر، وأيست من الحياة ، فـدخلت المستراح وتطهّـرت وتطيّبت طيب من يفـارق الدن
ولبست ثيابًا نظافًا وودّعت أهلي، وقـد كثر بكاؤهم وضجيجهم، ونزلت فـركبت معهم
فمضوا بي حتى دخلت إلى أحمد بن طولون.

ورأيت قاعة الدار كلها شـمعًا يتّقد. حتى خِلتّ أنه نهار. وسِرت فـيها حتى بلغ
المجلس الذي هو فيه، وبين يديه شمعتان عظيمتان، في كل واحدة منها قنطار.

فسلَّمْت وأنا أُرْعَدُ خوفًا، فـردّ عليّ السلام. فسكن بذلك بعض رَوْعي. واستدنا
فدنوت، فقال لي:

أنت غدًا في دعوة فلان . ومعك في الدعوة فلان وفلان. . .

إلى أن أسمى لي جميع من كان وقع الاتفاق على حضوره.

فقلت : نعم، أيّد الله الأمير.

فقال لي:امض، واحذر أن يفوتَك شيء مما يجري حتى تنصرف به إليّ تُعَرِّفنيه.

فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير.

وانصرفتُ وقد حِرْتُ في أمري، وقلت:

أبَعْدَ هذه السن أركب الآثام، وأسعى بقوم بيني وبينهم مودة وعِشرة وأُخوّة ، وأك
السبب في قتلهم ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

وتأملت الحـال. فإذا بي إن خالفت أمـره قتلني، وأيْتَـمْتُ ولدي وأرْملت زوجي
ويعلم الله أني صابر على ضـيق الحال تجنُّبًا للدخول فـيما فيه المأثم، ثـم فكّرت في وقو
على الدعوة ومـعرفة من يحـضرها . فازداد خـوفي منه، وحيرتي في أمـري، وعدتُ إ
منزلي وقد يئس أهلي مني، فلمـا رأوني حمدوا الله ، وتباشـروا ، ورأوني وكأنما رجع
إليهم من الآخرة.

فلما أصبحت وتعـالى النهار، حضرت الجماعة التي أسـماها لي أحمد بن طولو

وكنت قد أخذت معي قلمًا أكتب فيه كل ما يجري . وأظهرتُ أن بي عسر البول، فكنت كلما سمعت شيئًا يجب أن أثبته، أريهم أني أقوم إلى المستراح، فإذا حصلتُ فيه كتبت كل ما جرى . ولم يكن للقوم منذ وقت حضورهم إلى وقت انصرافهم حديث إلا ذكر ابن طولون بكل قبيحة، والدعاء عليه . كل ذلك لأمن بعضهم من بعض ، والثقة بهم، ولما في قلب كل واحد منهم من ابن طولون. فلم أزل أكتب كل ما يقوله واحد واحد، وفي قلبي من ذلك ما قد علمه الله، إلى بعد العتَمة.

وانصرفت الجماعة ، وكنت أنا آخر من انصرف. فجئت من توِّي إلى أحمد بن طولون كما أمرني. فأُدخلت إليه فأصبتُه على تلك الحال ، وهو كالمنتظر لي. قال لي:

الساعة انصرفت؟

قلت: نعم أيها الأمير، أنا آخر من انصرف.

قال: أحسنت . هات ما معك.

فدفعتُ الأوراق إليه ، فقرأها. فلما استوفى قراءتها قال لي:

بارك الله عليك. خذ ما تحت الْمُصلَّى.

فمددتُ يدي ، وأنا أُرْعَد وأُقَدِّر أنها أفعى قد أعدها لي تضرب يدي ، فتأتي على نفسي، فأصبت رقعة، فقال لي: اقرأها.

فقرأتها، فإذا فيها جميع ما كتبته ، وإذا به قد استظهر عليَّ بأن جعل معي واحدًا من القوم الذين كانوا معنا في الدعوة لا أعرفه ، ليعرف أيّنا أصدق فيما يرويه، فكانت نسختنا واحدة . فحمدت الله جل اسمه إذ لم أدَعْ شيئًا قلَّ ولا جلّ حتى كتبته ، ولو تركتُ شيئًا لاستحل قتلي.

فلما قرأتها قال : دعها وامض مُصاحبًا.

وأمر لي بألف دينار، فأخذتها وانصرفت، وليس لي فكر إلا في أصدقائي وما أتخوّفه عليهم.

فلما كان من غد ركبت إلى صديقي صاحب الدعوة لأعرف خبره. فلما صرت إلى السكة التي يسكن فيها، لم أر للدار التي كان فيها أثرًا، ورأيت موضعها رَحْبة مكنوسة

واسعة لم أرها قط.

فتحيّرت ، ووقفت أتأمل الموضع ، فرآني بعض شيوخ الناحية ، فقال لي:

أراك متحيّرًا.

قلت له : نعم، أعزّك الله، أنا أطلب دار صديق ، وما أراها.

فقدّمني ناحية وخلا بي، وقال:

امض يا حبيبي في حفظ الله. فرحم الله صديقك ، كان حسن المجاور وقاضيًا لحوائجنا وحقوقنا.

فقلت له : عرّفني ما وقفتَ عليه.

قال: سُعي به إلى أحمد بن طولون وبجماعة كانوا عنده البارحة في دعوة. فله في أول الليل وافى إلى ها هنا أكثر من خمسمائة رجل ، فهدموا الدار بأسرها ، وأ صاحبها والجماعة الذين كانوا عنده، وصادروا أموالهم، فاذهب في حفظ الله .

فزاد غمي وعظمت مصيبتي ، وما انتفعت بنفسي بعدهم.

٣٦ - «امرأة حديثها القرآن»

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة مسج عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد، فتميّزت ذاك فإذا هي عليها خمار من صوف.

فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فقالت : ﴿**سلامٌ قولاً من رب رحيم**﴾ [سورة يس: ٥٨].

فقلت لها : يرحمك الله ، ماذا تصنعين في هذا المكان؟.

قالت: ﴿**من يضلل الله فلا هادي له**﴾ [سورة الأعراف : ١٨٦]. فعلمت أنه عن الطريق فقلت لها : أين تريدين ؟

قالت : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [سورة الإسراء: ١] ، فعلمت أنها قضت حجتها وهي تريد بيت المقدس.

فقلت لها : أنت منذ كم في هذا الموضع؟.

قالت : ﴿ثلاث ليال سويّاً﴾ [سورة مريم : ١٠].

فقلت : ما أرى معك طعامًا، تأكلين؟.

قالت : ﴿هو يطعمني ويسقين﴾ [سورة الشعراء: ٧٩].

فقلت لها : ليس هذا شهر رمضان.

قالت : ﴿ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾ [سورة البقرة : ١٥٨].

فقلت : قد أبيح لنا الإفطار في السفر.

قالت : ﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [سورة البقرة : ١٨٤].

فقلت لها : وأين ماء الوضوء؟.

فقالت : ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبًا﴾ [سورة النساء: ٤٣].

فقلت : لم لا تكلمينني مثل ما أكلمك؟.

فقالت : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [سورة ق: ١٨].

فقلت : فمن أيّ الناس أنت؟.

قالت : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

فقلت : قد أخطأت فاجعليني في حلّ.

قالت : ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾ [سورة يوسف: ٩٢].

فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة ؟.

قالت : ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ [سورة البقرة : ١٩٧].

قال : فأنخت الناقة.

قالت : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [سورة النور: ٣٠]، فغضض بصري عنها.

وقلت لها : اركبي، فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها.

فقالت : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

فقلت لها : اصبري حتى أعقلها.

قالت : ﴿ففهمناها سليمان﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩] ، فعقلت الناقة.

قلت لها: اركبي ، فلما ركبت.

قالت : ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [سورة الزخرف: ١٣ - ١٤].

قال : فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح.

فقالت : ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾ [سورة لقمان : ١٩] فجعلت أمشي رويدًا رويدًا وأترنم بالشعر.

فقالت : ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ [سورة المزمل: ٢٠].

فقلت لها : لقد أوتيت خيرًا كثيرًا.

فقالت : ﴿وما يذّكر إلا أولوا الألباب﴾ [سورة البقرة : ٢٦٩]، فلما مشيت قليلاً.

قلت : ألك زوج؟.

قالت : ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم﴾ [سورة المائدة: ١٠١]، فسكتّ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة .

فقلت لها : هذه القافلة ، فمن لك فيها ؟.

فقالت : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [سورة الكهف: ٤٦]، فعلمت أن لها أولادًا.

فقلت : وما شأنهم في الحج؟

قالت : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ [سورة النحل: ١٦] ، فعلمت أنهم أدلاء الركب، فقصدت بها القباب والعمارات.

فقلت : هذه القباب ، فمن لك فيها ؟

قالت : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [سورة النساء: ١٢٥]، ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٤] ، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ [سورة مريم : ١٢] ، فناديت : يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى، فإذا أنا بشبان قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس.

قالت : ﴿فابعثوا أحدكم بورِقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعامًا فليأتكم برزق منه ﴾ [سورة الكهف: ١٩] ، فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدموه بين يدي.

وقالت : ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [سورة الحاقة: ٢٤].

فقلت : أرجو أن تخبروني بأمر أمكم، فقالوا : إنها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزلّ، فسبحان القادر على ما يشاء.

فقلت: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [سورة المائدة : ٥٤].

٣٧ - « نساء ... وطلاق»

قال رجل للرشيد يومًا: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلّق في يوم خمس نسوة.

قال: إنما يجوز مِلك الرجل على أربع نسوة، فكيف طلّق خمسًا؟!

قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يومًا فوجدهن مُتلاحيات متنازعات، وكان سيء الخلق.

فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك، يقول ذلك لامرأة منهن، اذهبي فأنت طالق.

فقالت له صاحبتها: عجَّلت عليها بالطلاق، ولو أدّبتها بغير ذلك لكنت حقيقًا.

فقال لها : وأنت أيضًا طالق.

فقالت له الثالثة : قَبَّحك الله، فوالله لقد كانتا إليك مُحسنتين، وعليك مُفضلتين.

فقال: وأنت أيتها الْمُعدِّدة أياديهما طالق أيضًا.

فقالت له الرابعة -وكانت هلالية وفيها أناة شديدة-: ضاق صدرك عن أن تؤدِّب نساءك إلا بالطلاق.

فقال لها : وأنت طالق أيضًا.

وكان ذلك بِمَسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه.

فقالت : والله ما شهدت العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلَوْه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نساءك في ساعة واحدة .

قال: وأنت أيضًا أيتها الْمُؤنبة المتكلّفة طالق إن أجاز زوجك.

فأجابه من داخل بيته: هيه، قد أجزتُ ، قد أجزتُ.

٣٨ - «ملك كندة يريد أن يتزوج»

كان عمرو بن حجر ملك كندة وهو جد امرئ القيس، أراد أن يتزوج ابنة عوف بن محلم الشيباني الذي قيل فيه : «لا حُر بوادي عوف» لإفراط عزه.

وكانت ابنته ذات جمال وكمال. فوجه إليها امرأة يقال لها : عصام ، لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها، فدخلت على أمها أمامة بنت الحارث فأعلمتها ما قدمت له، فأرسلت إلى ابنتها.

فقالت : أي بنيتي ، هذه خالتك، أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تستري عنها شيئًا أرادت النظر إليه من وجه وخُلُق، وناطقيها فيما استنطقتك فيه.

فدخلت عصام عليها، فنظرت إلى ما لم تر عيناها مثله قط، بهجة وحسنًا وجمالاً،

وإذا هي أكمل الناس عقلاً، وأفصحهم لسانًا.

فخرجت من عندها وهي تقول: «ترك الخداع . . . من كشف القناع». فصارت مثلاً.

ثم أقبلت على الحارث. فقال لها : «ما وراءك يا عصام» فأرسها مثلاً.

قالت : «صرح المخض على الزبد» . . فذهبت مثلاً أيضًا.

قال : أخبريني.

قالت : أخبرك صدقًا وحقّاً. . رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة المجلوة، يزينها شعر حالك، كأذناب الخيل المضفورة، إن أرسلته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد عنب جلاها وابل - أي: مطر-.

ومع ذلك حاجباها كأنما خطا بقلم، أو سودّا بفحم، قد تقوسا على مثل عين الظبية العبهرة -أي: التي جمعت الحسن- التي لم يرعها قانص، ولم يذعرها قسورة -أي: أسد-.

بينهما أنف كحد السيف المصقول . . لم يخنس به قصر . . ولم يمض به طول . . حفت به وجنتان كالأرجوان - شجر له نور أحمر - في بياض محض كالجمان -اللؤلؤ- يشق فم كالخاتم . . لذيذ المبتسم. . فيه ثنايا غر . . ذوات أشر - أسنان- ، وأسنان تبدو كالدر، وريق حلو له نشر الروضين بالسحر.

يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان. يبين عقل وافر، وجواب حاضر .

تلتقي دونه شفتان حمروان كالورد . . يجلبان ريقًا كالشهد .

تحت ذاك عنق كإبريق الفضة. ركب في صدر كصدر تمثال دمية. تتصل به عضدان ممتلئان لحمًا، مكتنزان شحمًا. وذراعان ليس فيهما عظم يجس. . ولا عرق يحس. ركبت فيهما كفان لين قصبهما، رقيق عصبهما. وقد تربع في صدرها حقان. . كأنهما رمانتان يخرقان عليها ثيابها.

من تحت ذلك بطن طوي . . كطي القباطي المدمجة . . كسى عنكًا - ما تثنى من لحم البطن-. تحيط تلك العنكة سرة. . كمدهن العاج المجلوة.

خلف ذلك زهر كالجدول . . ينتهي إلى خصر . . لولا رحمة الله لتحول.

تحت كفل يقعـدها إذا نهضت. . وينهضهـا إذا قعدت . . تحمله فـخذان لفاوان . . كأنهمـا نضيد الجمان. . تحمـلهما ساقان خدلجـتان كالبردى - نبات - يحـمل ذلك قدمان كحدو اللسان . . تبارك الله مع صـغرهما. كيف تطيقان حمل ما فوقهـما . فأما ما سوى ذلك. فقد تركت أن أصـفه غير أنه أحسن ما وصفـه واصف . بنظم . . أو نثر. فأرْسَلَ إلى أبيها ، يخطبها وتزوجها.

٣٩ - «بين الجارية والحجاج»

كتب عـبد الملك بن مروان إلى الحـجاج: أن ابعث إليّ أسلم بن عـبـد البكري، لما بلغني عنه، فـأحضـره الحجـاج، فقـال الرجل : أيها الأمـير أنت الشـاهد وأميـر المؤمنين الغائب، وقال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصـبحوا على ما فعلتم نادمين﴾** [سورة الحـجرات : ٦] ، وما بلـغه باطل، وإني أعول أربعًا وعشرين امرأة ما لهن اكسب غيري، وهنّ بالباب.

فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلمـا حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه: أنا عمـته، وهذه: أنا أختـه، وهذه: أنا زوجته، وهذه : أنا بنتـه، وتقدمت إليه جـارية فوق الثمان ودون العشر، فقال لهـا الحجاج : من أنت ؟ أنا ابنته، ثم قالت : أصلح الله الأمير - وجثت على ركبتيها- وقالت:

أحجاج لم تشهد مقـامَ بناته ... وعمـاته يندبـنه الليل أجـمعا

أحجاج كم تقتل به إن قتلته ... ثمـانًا وعـشرًا واثنتين وأربعًا

أحجاج من هذا يقوم مقامه ... علينا فمهلاً إن تزدنا تضعضعاً

أحجاج إما أن تجود بنعمة ... عـلينا وإمـا أن تقتـلنا .. معًا

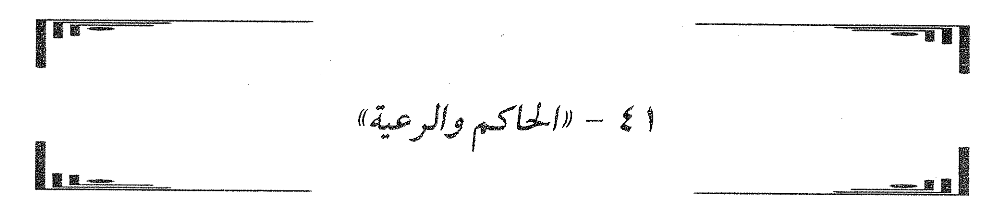
فبكى الحجاج، وقال: والله لا أعنت عليكن ولا زدتكن تضعـضعًا ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الـرجل، وبما قالت ابنته هذه، فـكتب عبد الملك إلى الحـجاج يأمـره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقدها في كل وقت!! .

٤٠ - «ادفعوهن إلى الطباخ»

كتب أسد بن جهور، وكان ممن تصرّف في الأعمال الجليلة ، إلى بعض العمال ، أن احمل لنا مائتي جوانبيرة (وهي كلمة فارسية المراد بها النَّصَف من النساء التي بين الشابة والمسنة) . فقال العامل: ما يصنع بهؤلاء العجائز ! !

ثم حصَّل منهن ما أمكن، وأنفذهن طوعًا أو كرهًا. فلما وصلن إلى بابه، وقرأ كتاب العامل بإنفاذهن ، قال: ادفعوهن إلى الطباخ، وتقدَّموا إليه بأن يذبح لنا في كل يوم ما نحتاج إليه . فقيل له : إنهن نساء.

فقال: إنا لله ، إنما أردت الجوامركات -وهو نوع من الدجاج طيب اللحم- فغلطت.



٤١ - «الحاكم والرعية»

قال الوزير في بعض الليالي: قد والله ضاق صدري بالغيظ لما يَبْلُغُني عن العامة من خَوضها في حديثنا، وذِكْرِها أمورنا، وتَتَبُّعِها لأسرارنا، وما أدري ما أصنع بها. وإني لأَهُمُّ في الوقت بعد الوقت بقطع ألسنةٍ وأيْدٍ وأرجلٍ وتنكيل شديد، لعل ذلك يَطْرَحُ الهيبة، ويقطع هذه العادة. لحاهم الله، ما لهم لا يُقْبلون على شؤونهم ومعايشهم؟ ولم يُنَقِّبون عما ليس لهم، ويُرْجِفون بما لا يُجْدي عليهم؟ وإني لأعجب من شغفهم بهذا الخُلُق حتى كأنه من الفرائض المحتومة، وقد تكرر منا الزَّجْرُ حتى تعايى عليّ الأمر وأُغلِق دوني بابُه.

فقلت: أيها الوزير، عندي في هذا جوابان: أحدهما ما سمعت من شيخنا أبي سليمان، والآخر مما سمعته من شيخ صوفي، وفي الجوابين فائدتان عظيمتان، ولكن الجملة خشناء، وفيها بعض الغلظة، والحق مُرٌّ، ومَن توخّى الحق احتمل مرارته.

قال: فاذكر الجوابين ، وإن كانا غليظين، فليس يُنتَفَعُ بالدواء إلا بالصبر على بَشَاعته.

قلت: أما أبو سليمان ، فإنه قال: ليس ينبغي لمن كان الله عز وجل جعله سائس الناس : عامَّتِهم وخاصَّتهم، وعالِمهم وجاهلهم، وضعيفهم وقويِّهم، أن يَضْجَرَ مما يبلغه عنهم لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولهم، وصبره أتمُّ من صبرهم، ومنها أنهم إنما جُعلوا تحت قدرته، ونيطوا بتدبيره، ليقومَ بحق الله فيهم، ويصبر على جهل جاهلهم. ويكون عمادُ حاله معهم الرِّفق بهم، والقيام بمصالحهم، والمَلِكُ والدٌ كبير، كما أن الوالد ملك صغير، وما يجب على الوالد في سياسة ولده من الرفق به، أكثر مما يجب على الولد في طاعة والده، وذلك أن الولد غِرٌّ ، وقريب العهد بالكون، وعارٍ من التجربة، وما لهِجَت العامة بتعرُّف حال سائسها حتى تكون على بيان من رفاهة عيشها، وطيب حياتها، بالأمن الفاشي بينها، والعدل الفائض عليها، والخير المجلوب إليها، وهذا أمر جارٍ على نظام الطبيعة ، ومندوب إليه أيضًا في أحكام الشريعة.

ولو قالت الرعية لسلطانها : لِمَ لا نخوض في حديثك، ولا نبحث عن غيب أمرك، ولِمَ لا نسأل عن دينك وعادتك وسيرتك ، ولم لا نَقِفُ على حقيقة حالك في ليلك ونهارك، ومصالحُنا متعلِّقة بك، وخيراتنا متوقعة من جهتك؟ أما كان عليه أن يعلم أن الرعية مصيبة في دعواها؟.

ولو قالت الرعية أيضًا: ولِمَ لا نبحث عن أمرك؟ ولم لا تسمع كل غَثٍّ وسمين منا، وقد ملكت نواصينا، وسكنتَ ديارنا، وصادَدْتنا على أموالنا ، وقاسَمْتنا مواريثنا، وأنسَيْتنا رفاغة العيش، وطيبَ الحياة، وطمأنينة القلب؟ فطُرُقُنا مَخُوفةٌ، ونعَمنا مسلوبة، وحريمنا مُسْتباح، ونَقْدُنا زائف، ومعاملتنا سيئة، وجُنْدُنا متغطرس، وشُرْطِيّنا منحرف، ومساجدنا خَرِبة، وأعداؤنا مُسْتَكْلبة، وعيوننا سخينة، وصدورنا مغيظة ، وبليّتنا متّصلة ، وفرحُنا معدوم، ما كان الجواب أيضًا عما قالت وعما لم تقُل، هيبةً لك، وخوفًا على أنفسها من سطوتك وصولتِك؟.

وقد حُكي أنه رُفع إلى الخليفة المعتضد أن طائفة من الناس يجتمعون بباب الطاق ويجلسون في دُكان شيخ تبّان، ويخوضون في الفُضُول والأراجيف، وفيهم قوم سراة وأهل

بيوتات، سوى من يسترق السمع منهم من خاصة الناس.

فلما عرف الخليفة ذلك ضاق ذرعًا وامتلأ غيظًا، ودعا بعبيد الله بن سليمان وسأله: ما الدواء؟

فقال عبيد الله : تتقدم بأخذهم وصلب بعضهم وإحراق بعضهم وتغريق بعضهم، فإن العقوبة إذا اختلفت كان الهول أشد والهيبة أفْشَى.

فقال المعتضد - وكان أعقل من الوزير-: والله لقد بَرَّدْت لهيب غضبي بفَوْرتك هذه، ونَقَلْتَني إلى اللين بعد الغلظة. وما علمت أنك تستجيز هذا في دينك ومروءتك. ولو أمرتُك ببعض ما رأيتَ بعقلك لكان من حُسن المؤازرة والنظر للرعية أن تسألني الكف عن الجهل، وتبعثني على الحلم. وتُحَبِّب إليّ الصَّفح، وتُرَغِّبَني في فضل الإغضاء على هذه الأشياء. أمَا تعلم أن الرعية وديعة الله عند سلطانها؟ وأن الله يسائله عنها كيف سُسْتَها؟ ألا تدري أن أحدًا من الرعية لا يقول ما يقول إلا لظُلم لَحِقَه أو لَحِقَ جاره؟ وكيف نقول لهم: كونوا صالحين مُقبلين على معايشكم، غير خائضين في حديثنا ، والعرب تقول في كلامها: غَلَبَنَا السُّلطانُ فَلَبِس فَرْوَتَنا، وأكل خُضْرَتَنا، وإنما يُحْتَمَل السيد إذا كان العيشُ في كَنَفِه رافغًا، والأمل فيه قوياً ، والصدر عليه باردًا؟ لا والله ما الرأي ما رأيتَ. وجِّه صاحبَك وليكن ذا خبرة ورفق، ومعروفًا بخير وصدق ، حتى يعرفَ حال هذه الطائفة . ويقف على شأن كل واحد منها في معايشه، فمن كان منهم يصلح للعمل فعلِّقْه به، ومن كان سيء الحال فصِلْه من بيت المال بما يُعيد نُضْرة حاله. ومن لم يكن من هذا الرَّهط، وهو غنيّ مكْفيّ، وإنما يُخرجه إلى دكان هذا التبّان البَطَرُ والزَّهْو ، فادْعُ به، وانصحه ولاطِفْه، وقل له : إن لفظك مسموع، وكلامَك مرفوع، ومتى وقف أمير المؤمنين على كُنه ذلك منك لم تَجِدْك إلا في عَرْصة المقابر، فاستأنِف لنفسك سيرةً تَسلمُ بها من سلطانك.

وفارق الوزير حضرة الخليفة، وعمل بما أمر به، وتقدّم إلى الشيخ التبّان برفع حال من يقعد عنده، حتى يوسَى إن كان محتاجًا، ويُصَرَّف إن كان متعطِّلاً ، ويُنْصَح إن كان متعقِّلاً.

وقد حدَّثني شيخ من الصوفية في هذه الأيام، قال: كنت بنيسابور سنة سبعين وثلاثمائة ، وقد اشتعلت خراسان بالفتنة، وتبلبلت دولة آل سامان بالجور وطول المدة،

وغلا السِّعر ، وأخيفت السُّبل، وكَثُر الإرجاف، وساءت الظنون، وضجت العامة.

وكنا جماعة من الغرباء قد ضاقت صدورنا بهذه الأحوال. وقلنا : كأنا والله أرباب ضياع وأصحاب نعم نخاف عليها الغارة والنهب وما علينا من ولاية زيد، وعزل عمرو ، وهلاك بكر ، ونجاة بشر؟ نحن قوم قد رضينا في هذه الدنيا بكسرة يابسة ، وخِرقة بالية، مع العافية من بلايا طلاّب الدنيا، فما هذا الذي يعترينا من هذه الأحاديث التي ليس لنا فيها ناقة ولا جمل، ولا حظ ولا أمل؟ قوموا بنا غداً حتى نزور أبا زكرياء الزاهد، ونظلّ نهارنا عنده لاهين عما نحن فيه.

فغدونا وصرنا إلى أبي زكرياء ، فلما دخلنا رحّب بنا، وفرح بزيارتنا، وقال: ما أشوقني إليكم، حدّثوني ما الذي سمعتم، وماذا بلغكم من حديث الناس وأمر هؤلاء السلاطين ، فما لي والله مَرْعًى في هذه الأيام إلا ما اتصل بحديثهم.

فلما ورد علينا من هذا الزاهد العابد ما ورد، دُهشنا واستوحشنا، وقلنا في أنفسنا: انظروا من أي شيء هربنا، وبأي شيء عَلِقْنا.

فخفَّفنا الحديث وانسللنا ، فلما خرجنا قلنا : ميلوا بنا إلى أبي عمرو الزاهد، فله فضل وعبادة وعلم وتَفَرُّد في صومعته.

ووصلنا إليه فسُر بحضورنا وقال: يا أصحابنا، ما عندكم من حديث الناس؟ فقد والله طال عطشي إلى شيء أسمعه، ولم يدخل عليَّ اليوم أحد أستخبره، وإن أُذُني لدى الباب لأسمع قرعة أو أعرف حادثة، فهاتوا ما عندكم.

فعجبنا منه، وخاطفناه الحديث، وودعناه وخرجنا.

وأقبل بعضنا على بعض يقول: أرأيتم أظرف من أمرنا، انطلقوا إلى أبي الحسن الضرير ، فإنا لا نجد سكوننا إلا معه، لقلة فكره في الدنيا وأهلها.

ودخلنا عليه، فأقبل على كل واحد منا يلمسه بيده، ويرحب به، وقال:

أمِنَ السماء نزلتم عليّ؟ ما عندكم من أحاديث الناس؟ وما الشائع من الأخبار؟ وما الذي يتهامس به الناس؟. فودعناه ومضينا . وطفقنا نتلاوم على زيارتنا لهؤلاء القوم.

ولقينا في الطريق شيخًا من الحكماء يقال له : أبو الحسن العامري. فقصصنا عليه

قصتنا من أولها إلى آخرها . فقال لنا : إنما غرَّكم ظنُّكم بالزهّاد، وقلتم لا ينبغي أن يكون الخبر عنهم كالخبر عن العامة، لأنهم الخاصة، ومن الخاصة خاصة الخاصة.

قلنا له : فإن رأيتَ يا مُعَلِّمَ الخير أن تكشِف لنا عن الغطاء.

فقال: نعم، أما العامة فإنها تلهج بحديث كبرائها وساستها لما ترجو من رخاء العيش ونفاق السوق، وأما هذه الطائفة العارفة بالله، فإنها أيضًا مولعة بحديث الأمراء والجبابرة العظماء ، لتقف على تصاريف قدرة الله فيهم، وجريان أحكامه عليهم، ألا ترونه جل ثناؤه قال: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ .

وبهذا الاعتبار يستنبطون خوافي حكمته . ويطّلعون على تتابع نعمته وغرائب نِقْمته. وها هنا يعلمون أن كل مُلك سوى ملك الله زائل ، وكلٌّ نعيم غير نعيم الجنة حائل، ويصير هذا كله سببًا قويًا لهم في الضَّرَع إلى الله واللياذ بالله، وبين الخاصة والعامة في هذه الحال وفي غيرها فرق، وقد يتشابه الرجلان في فعل وأحدهما مذموم والآخر محمود، وقد رأينا مُصلّيًا إلى القِبلة وقلبه معلّق بإخلاص العبادة، وآخر إلى جانبه يصلي وقلبُه في استلال ما في كُمّ الآخر، فلا تنظروا من كل شيء إلى ظاهره ، إلا بعد أن تصلوا بنظركم إلى باطنه.

فلما سمع الوزير هذا عجب ، وقال :

لا أدري : أكلام أبي سليمان في ذلك الاحتجاج أبلغ، أم الحكاية عن المعتضد أشفى، أم رواية الشيخ الصوفيّ أطرف، وما علمت أن في البحث عن سرِّ الإرجاف هذه اللطيفة الخفية.

٤٢ - «نوادر ابن الجصاص»

كان ابن الجصاص الْجَوهري من أعيان التجار ذوي الثروة الواسعة واليسار، وكان يُنْسَب إلى الحُمْق والبَلَه. مما يُحكى عنه، أنه قال في دعائه يومًا: اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم.

ودخل يومًا على ابن الفرات الوزير، فقـال : يا سيدي، عندنا في الحُوَيْرة كلاب لا يتركوننا ننام من الصياح والقتال، فقال الوزير: أحسبهم جراء. فقال : لا تظن أيها الوزير، لا تظن ذلك، كل كلب مثلي ومثلُك!.

وتردد إلى بعض النحـويين ليُصْلِحَ لسـانه . فقـال له بعد مدة : الفـرس بالسين أو بالصين؟.

وقال يومًا: اللهم امسَخْني واجعلني جويرية وزوِّجني بعمـر بن الخطاب. فقالت له زوجته : سلِ الله أن يزوجك من النبي إن كان لابد لك من أن تبقى جويرية.

فقال : ما أحب أن أصير ضَرَّة لعائشة - رضي الله عنها-.

وأتاه يومًا غلامه بفرخ وقال : انظر هذا الفرخ ، ما أشبهه بأمه، فقال : أمه ذكر أو أنثى.

ورؤي وهو يبكي وينتحب ، فـقيل له : ما لك ؟ فقال : أكـلت اليوم مع الجواري المخيض بالبصل فآذاني ، فلما قرأت في المصحف «ويسألونك عن المخيض : قل هو أذًى، فاعتزلوا النساء في المخيض» . فقلت : ما أعظم قدرة الله، قد بيّن الله كل شيء حتى أكْل اللبن مع الجواري.

وكان يكسر يومًا لَوْزًا ، فطَفِرت لوزة وأبعدَتْ، فقال : لا إله إلا الله ، كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللَّوْز!.

ونظر يومًا في المرآة ، فقـال لرجل آخر: انظر ذقني هل كَبُرَت أو صَغُـرَت، فقال : إن المرآة بيدك . فقال : صدقت، ولكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

وأراد مرة أن يَدْنُوَ من بعض جواريه ، فامتنعـت عليه وتشاحَّت، فقال : أُعطي الله عهدًا لا قَرَبْتُك إلى سنة، لا أنا ولا أحد من جهتي.

وماتت أم أبي إسحاق الزَّجَّـاج، فاجتمع الناس عنده للعزاء . فـأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول: يا أبا إسحاق، والله سرني هذا، فدُهِش الزجاج والناس .

فقال بعضهم : يا هذا، كيف سَرَّك ما غَمَّنا وغَمَّنا له؟ .

قال : ويحك ، بلغني أنه هو الذي مات، فلمـا صح عندي أنها أمه، سرني ذلك.

فضحك الناس.

٤٣ - «الحسن والجار النصراني»

كان للحسن البصري جار نصرانيّ، وكان له كنيف على السطح وقد نقب ذلك في بيته، فكان يتحلَّبُ منه البَوْل في بيت الحسن، وكان الحسن أمر بإناء فوُضع تحته، فكان يُخْرِجُ ما يجتمع منه ليلاً. ومضى على ذلك عشرون سنة.

ثم مرض الحسن ذات يوم فعاده النصراني، فرأى ذلك.

فقال: مُذ كم تحملون منِّي هذا الأذى؟.

فقال الحسن: منذ عشرين سنة. فقطع النصرانيّ زُنَّارَه(١) وأسلم.

٤٤ - «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين»

قال أبو الحسن المدائني: قال بعض أهل العلم: كان لنا صديق من أهل البصرة، وكان ظريفًا أديبًا، فوعدنا أن يدعونا إلى منزله.

فكان يمر بنا، فكُلَّما رأيناه قلنا له: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ [سورة الأنبياء: ٣٨].

فيَسْكُتُ إلى أن اجتمع ما نريد، فمر بنا، فأعدْنا عليه، فقال: ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تُكَذِّبون﴾ [سورة المرسلات: ٢٩].



(١) الزُّنَّار: حزام يشده النصراني على وسطه.

٤٥ - «في الشتاء لا يبرد الماء»

قال أبو محمد عبدُ الله بن عليّ المقرئ: كان حاجب الباب ابن النَسَوي ذكيّاً ، فسمع في بعض ليالي الشتاء بصوت بَرَّادة ، فأمر بكَبْس الدار، فأخرجوا رجلاً وامرأة ، فقيل له: من أين علمت؟.

فقال : في الشتاء لا يُبَرِّدُ الماء، وإنما هذه علامة بين هذين.

٤٦ - «سيد الفقهاء»

دخل حُمَيْدُ الطَّوْسيُّ على المأمون وعنده بِشر المرِيسيُّ.

فقال المأمون لحميد : أتدري من هذا؟ قال : لا، قال : هذا بِشْرٌ المريسي.

فقال حميد: يا أمير المؤمنين، هذا سَيِّد الفقهاء، هذا قد رفع عذاب القبر ومسألة منكر ونكير، والميزان، والصِّراط، انظر هل يَقْدِرُ أن يرفع الموت فيكون سيد الفقهاء حقّاً؟.

٤٧ - «صراحة بشر الحافي»

قال محمد بن حفص جار بشر : دخلنا على بشر بنِ الحارث وهو مريض ، فقال له رجل : أوصِني.

فقال : إذا دخلت إلى مريض فلا تُطِلِ القُعُود عنده.



٤٨ - «لم أدفعه إليك لتعلمه السباحة»

دفع أبو الطَّيِّب الطَّبَرِيُّ خُفًا إلى خَفَّاف لِيُصْلِحَهُ، فكان كُلَّما مر عليه يتقاضاه، وكان الخَفَّاف كلما رأى القاضي أخذ الخُفَّ وغمسه في الماء، وقال : الساعة الساعة، فلما طال عليه، قال له :

إنما دفعته إليك لِتُصْلِحَه، ولم أدفعه إليك لِتُعَلِّمَه السباحة .

٤٩ - «ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا»

قال عبد الله بنُ البوَّاب: كان المأمون يَحْلُمُ حتى يُغيظَنَا في بعض الأوقات جلس يستاك على دِجْلة من وراء سِتْرٍ ونحن قيام بين يديه، فمرَّ ملاَّح وهو يقول: أتظنُّون أن هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه؟ قال : فوالله ما زاد على أن تبسم، وقال لنا : ما الحيلة عندكم حتى أنبُلَ في عين هذا الرجل الجليل ؟ .

٥٠ - «اللص الفقيه»

قال أحمد بن المعدل : كنت جالسًا عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجُشُون، فجاءه بعض جلسائه، فقال : أُعجوبة ! قال : ما هي؟ قال: خرَجْتُ إلى حائطي بالغابة[١] فلما أصْحَرْت[٢] وبَعُدْتُ عن البيوت ، تَعَرَّض لي رجل، فقال : اخلع ثيابك، قلتُ: وما يدعوني إلى خلع ثيابي ؟ قال : أنا أولى بها منك، قلتُ : ومن أين؟ قال : لأني أخوك وأنا عُريان ، وأنت مُكْتَس، قلت : فالمواساة ! قال: كلا، قد لَبِسْتَها بُرْهة، وأنَّا أُريد أن

(١) أي: بستاني.
(٢) أي: دخلت في الصحراء.

ألبسها كما لَبِستها، قلت : فتُعَرِّيني، وتُبدي عورتي؟ .

قال : لا بأس بذلك، فقد رُوِّينا عن مالك أنه قال : لا بأس للرجل أن يغتسل عُريانًا.

قلت : فَيَلْقَاني الناس فيَرَوْن عورتي؟ ! قال : لو كان الناس يرَوْنك في هذه الطريق ما عَرَضْتُ لك فيها.

فقلتُ : إنِّي أراك ظريفًا، فدَعْني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، وأوَجِّه بها إليك، قال : كلا، أردت أن تُوَجِّه إليَّ أربعة من عبيدك ، فيَحْمِلوني إلى السُّلطان، فيَحْبِسَني، ويُمزِّق جِلْدي، ويَطْرَحَ في رجلي القيد.

قلتُ : كلا، أحْلِفُ لك أيمانًا أنِّي أفِي لك بما وعدتُك ولا أسُوءك، قال : كلا ، إنا رُوِّينا عن مالك أنه قال : لا تُلْزِمُ الأيمان التي يُحْلَفُ بها للصوص.

قلت : فأحلفُ لك أني لا أحتال في أيماني هذه، قال : هذه يمين مُرَكَّبة على أيمان اللصوص، قُلْتُ : فَدَعِ المناظرة بيننا، فوالله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق.

ثم رفع رأسه، وقال : تَدْري فيم فكَّرتُ؟ قلتُ : لا . قال : تَصَفَّحْتُ أمر اللصوص من عهد رسول الله ﷺ وإلى وقتنا هذا فلم أجد لصّاً أخذ نسيئة، وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليّ وزرها ووِزرُ مَن عمِل بها بعدي إلى يوم القيامة، اخْلَع ثيابك، فخَلَعتُها ودفَعتها إليه.

٥١ - «إن لي ذنبًا عظيمًا»

قال يوسف الكوفي -وكان قد روَى الأشعار والأحاديث-: حججت ذات سنة، فإذا أنا برجل عند البيت، وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل؟ فقلت : يا هذا، ما أعجب يأسك من عفو الله، قال : إن لي ذنبًا عظيمًا ، فقلت : أخبرني، قال : كنت مع يحيى بن محمد، بالموصل ، فأمرنا يوم جمعة، فاعترضنا المسجد، فقتلنا ثلاثين ألفًا، ثم

نادى مناديه : من علق سَوْطه على دار، فالدار وما فيها له، فعلقت سوطي على دار ودخلتها، فإذا فيها رجل وامرأة وابنان لهما، فقدَّمت الرجل فقتلته ، ثم قلت للمرأة: هاتي ما عندك، وإلا ألحقت ابنيك به، فجاءتني بسبعة دنانير، فقلت : هاتي ما عندك ؟ فقالت: ما عندي غيرها .

فقدمت أحد ابنيها فقتلته ، ثم قلت : هاتي ما عندك وإلا ألحقت الآخر به، فلما رأت الجد مني قالت : ارفق ، فإن عندي شيئًا كان أودعنيه أبوهما، فجاءتني بدرع مذهبة لم أر مثلها في حسنها، فجعلت أقلبها فإذا عليها مكتوب بالذهب:

إذا جار الأميرُ وحاجباه — وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل — لقاضي الأرض من قاضي السماء

فسقط السيف من يدي وارتعدتُّ، وخرجت من وجهي إلى حيث ترى.

٥٢ - «أيحسن بمثلي طلب الأدب؟»

قال المنصور بن المهدي للمأمون: أيحسن بمثلي طلب الأدب؟ قال : لأن تموت طالبًا للأدب خير من أن تعيش قانعًا بالجهل، قال : فإلى متى يحسن بي ذلك ؟ قال : ما حَسُنت بك الحياة.

٥٣ - «بادر بي إلى حرم ربي»

قال الفضيل بن الربيع : كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه ، فنزل منزلاً من المنازل، فبعث إليّ وهو في قُبَّةٍ ووجهه إلى الحائط ، قال لي : ألم أنْهَكَ أن تدع العامة يدخلون هذه المنازل، فيكتبوا ما لا خير فيه ؟ قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أما ترى على الحائط مكتوبًا:

أبا جعفر حانت وفاتُك وانقضتْ سنوك وأمرُ الله لابد نازلُ

أبا جعفر هل كاهنٌ أو منجمٌ يردُّ قضاءَ الله أم أنت جاهلُ

فقلت : والله ما أرى على الحائط شيئًا، وإنه لنقيٌّ أبيض، قال : إنها والله إذن نفسي نُعيَتْ إليّ، الرحيل! بادر بي إلى حرم ربي وأمنه لأهرب من ذنوبي وإسرافي على نفسي ، فرحلنا وقد ثقل ، حتى إذا بلغنا بئر ميمون توفي بها.

«ما لي أراك متغيِّرًا»

استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب - عليه السلام- عمرَ بن الخطاب -رضي الله عنهما- وعليّ جالس ، فالتفت إليه ، فقال : قُم يا أبا الحسن فاجلس مع خَصْمِك، فقام فجلس معه وتناظرا ، ثم انصرف الرجل ورجع عليّ إلى محلّه ، فتبيّن عمر التغيُّر في وجهه فقال : يا أبا الحسن ما لي أراك متغيّرًا أكرهتَ ما كان ؟ قال : نعم . قال : وما ذاك؟ قال : كنَيتني بحضرة خصمي، هلاّ قلتَ: قُم يا علي ، فاجلس مع خصمك، فاعتنق عمر علياً وجعل يقبّل وجهه، وقال : بأبي أنتم، بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.

٥٥ - «ذهبت اللذات وبقيت التبعات»

قال وهيب بن الورد : بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يا رب، ذهبت اللذات وبقيت التبعات، يا رب : سبحانك وعزتك ، إنك لأرحم الراحمين، يا رب : مالك عقوبة إلا النار، فقالت صاحبة لها كانت معها : يا أخية دخلت بيت ربك اليوم، قالت : والله ما أرى هاتين القدمين - وأشارت إلى قدميها - أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي ؟ وقد علمت حيث مشتَا ، وإلى أين مشتا؟.

٥٦ - «وامعتصماه !»

وقف رجل على الخليفة المعتصم فقال : يا أمير المؤمنين، كنت بعمُّورية[١] وجارية من أحسن النساء سيرة، قد لطمها عِلْجٌ[٢] في وجهها، فنادت : وامعتصماه، فقال العِلج: وما يقدر عليه المعتصم ! يجيء على أبْلَق وينصرك، وزاد ضربها، فقال المعتصم: وفي أي جهة عمورية؟ فقال له الرجل وأشار إلى جهتها : ها هي ذي، فردّ المعتصم وجهه إليها، وقال : لبيك أيتها الجارية، لبيك هذا المعتصم بالله أجابك، ثم تجهَّز إليها في اثني عشر ألف فرس أبْلق، وحاصرها ولما طال مُقامه عليها جمع المنجمين، فقالوا له : إنا نرى أنك ما تفتحها إلا في زمان نضُج العنب والتين، فشقَّ عليه ذلك واغتمّ، وخرج ليلة مع بعض حَشَمِه متجسسًا في العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرَّ بخيمة حدَّاد يضرب نعال الخيل، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة ، وهو يضرب على السّندان ويقول : في رأس المعتصم فقال له معلمه : اتركنا من هذا، مالك وللمعتصم؟ فقال : ما عنده تدبير ،له كذا وكذا يومًا على هذه المدينة مع قوّته ولا يفتحها ، لو أعطاني الأمر ما بات غدًا إلا فيها.

فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكَّلاً به، وانصرف إلى خبائه فلما أصبح جاؤوا به، فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك؟ .

فقال الرجل : الذي بلغك حق، ولو ولَّيْتَني الحرب فإني أرجو أن يفتح الله عليك، فقال : قد ولَّيتك، وخلع عليه وقدَّمه على الحرب، ففتح الله عليه، ودخل المعتصم المدينة ولم يثبت قول المنجِّمين.

ثم دعا بالرجل الذي بلّغه حديث الجارية، فقال له : سِر بي إلى الموضع الذي رأيتها فيه، فسار به، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك المعتصم ؟ ثم ملّكها العِلج الذي لطمها، والسَّيد الذي كان يملكها وجميع ماله.



---

(١) كانت بلدة ببلاد الروم.

(٢) **العلج**: الواحد من كفار العجم.

٥٧ - «وما الأحرى أن يسمعا كلامها»

خرج عمر بن الخطاب من المسجد والجارود العبدي معه، فبينما هما خارجان إذ بامرأة على ظهر الطريق، فسلّم عليها فردت عليه السلام، ثم قالت : رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة ، قال لها : قولي، قالت : يا عمر، عهدي بك وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ ، تصارع الفتيان، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمرًا ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود : هيه ، قد اجترأتِ على أمير المؤمنين ، فقال عمر : دعها، أما تعرف هذه يا جارود ؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه ، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها.

وأراد بذلك قوله تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**﴾ [سورة المجادلة : ١].

٥٨ - «وفاء السمؤال[١]»

لما أراد امرؤ القيس المضيّ إلى قيصر ملك الروم ، أودع عند السَّمَوْءَل دروعًا وسلاحًا وأمتعة تساوي جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة ، يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءال ، فقال السموءال: لا أدفعها إلا إلى مستحقيها، وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده، فأبى وقال : لا أغدر بذمتي ، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء الواجب عليّ.

فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره، فدخل السموءال في حصنه وامتنع به،

---

(١) السموأل: شاعر جاهلي حكيم.

فحاصره ذلك الملك، وكان ولد السموءال خارج الحصن، فظفر به الملك وأخذه أسيرًا، ثم طاف حول الحصن، وصاح بالسموءال فأشرف عليه من أعلى الحصن، فلما رآه قال له : إن ولدك قد أسرته ، وهو ذا معي، فإن سلّمت إليّ الدروع والسلاح رحلت عنك، وسلّمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر ، فاختر أيهما شئت.

فقال له السموءال : ما كنت لأخفر ذمامي[1] وأُبطل وفائي، فاصنع ما شئت، فذبح ولده -وهو ينظر- ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبًا، واحتسب السموءال ذبح ولده، وصبر محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس ، سلَّم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه، ورعاية وفائه، أحب إليه من حياة ولده وبقائه، وقال في ذلك :

وفيتُ بأدرعِ الكنديّ إني ... إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ

٥٩ - «أفيه بركة؟»

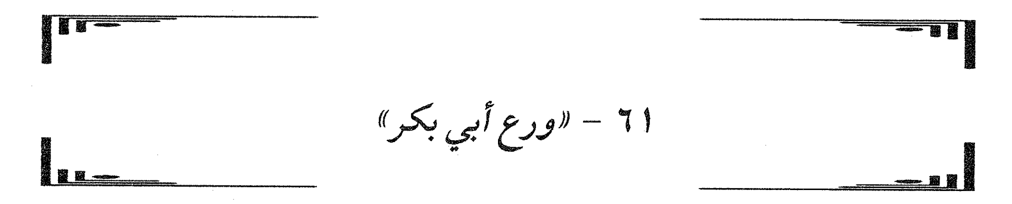
روى طاووس قال : كان رجل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم : إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء، فقالوا : مرِّضْه وليس لك من ميراثه شيء، فمرّضه حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا، فأتى إليه في النوم، فقال له : ائتِ مكان كذا وكذا، فخذ منه مائة دينار، فقال في نومه: أفيها بركة؟ فقال : فأصبح فذكر ذلك لامرأته ، فقالت : خذها، فإن من بركتها أن تكتسي منها وتعيش، فأبى، فلما أمسى أتى له في النوم، فقال له : لا ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الأولى، فأبى أن يأخذها، فأتى له في الليلة الثالثة ، فقال له : ائتِ مكان كذا وكذا فخذ منه دينارًا، قال : أفيه بركة؟ قال : نعم. فذهب فأخذ الدينار ، ثم خرج إلى السوق ، فإذا هو برجل يحمل حوتين[2] فقال له : بكم هما ؟ فقال : بدينار ، فأخذهما منه بالدينار ، وانطلق بهما إلى منزله ، فشق بطونهما، فوجد فيهما دُرَّتين لم ير الناس مثلهما، قال : فبعث الملك يطلب درّة ليشتريها، فلم توجد إلا عنده، فباعها بوِقْر[3]

(١) أي: ما كنت لأخون عهدي. (٢) سمكتين. (٣) الوقر: الحمل الثقيل.

ثلاثين بغلاً ذهبًا، فلما رآها الملك ، قال : ما تصلح هذه إلا بأخت لها، اطلبوا أختها وإن أضعفتم ثمنها، فجاؤوا إليه، فـقالوا له : أعندك أختها ونحن نعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال : وتفعلون؟ قالوا : نعم، فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا به الأولى.

٦٠ - «ولكني أخاف الله»

روي عن بكر بن عبد الله الْمُـزني : أن قصابًا ولِع بجارية لبعض جيرانه، فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها، فقالت : لا تفعل، لأنا أشد حبّاً لك منك لي ولكني أخاف الله، قال : فأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟ فرجع تائبًا ، فأصابه العطش حتى كـاد ينقطع عنقه، فإذا هو برسول لبعض أنبيـاء بني إسرائيل، فسأله، قال : ما لك ؟ قال : العطش، قال : تعال حـتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية، قال : ما لي من عمل، قال : فـأنا أدعو وأمِّن أنت، قال : فدعا الرسول ، وأمَّن هو، فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القـرية، فأخذ القصاب إلى مكانه، ومالت السحابة ، فمالت عليه، فرجع الرسول، فقال : زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوت، وأنت الذي أمَّنت، فأظلتنا سحابة، ثم تبعتْك، لَتُخْبرَنِّي ما أمرك؟ فأخبره، فقال الرسول: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.



٦١ - «ورع أبي بكر»

روي عن أبي سعيد الخـدري أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلوا رفقًا، رفقة مع فلان، ورفـقة مع فلان، قال : فنزلت في رفقـة أبي بكر ، فكان معنا أعرابي من أهل البادية ، فنزلنا بأهل بيت من الأعراب وفيهم امرأة حامل، فقال لها الأعرابي : أيسرُّك أن تلدي غلامًا؟ إن أعطيتني شاة ولدت غلامًا ، فـأعطته شاة وسجع لها أساجيع ، قال : فذبح الشاة، فلما جلس القوم يأكلون قال : أتدرون من أين هذه الشاة ؟ فأخبرهم، فرأيت

أبا بكر يتقيأ.

٦٢ - «أهل بغداد يمتحنون البخاري»

قدم محمد بن إسماعيل البخاري بغداد فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا إليه وعمدوا إلى أحاديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس، إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء أهل خراسان، وغيرها، من البغداديين، فلما اطمأن المجلس بأهله انتُدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث.

فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر: فقال: لا أعرفه. فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فَهْمٌ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب إليه الثالث والرابع حتى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه، فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والحديث الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، وردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.



٦٣ - «ارجع إلى عملك»

وقف أحمد بن عروة بين يدي المأمون لما عزله عن الأهواز، فقال له : أخربت البلاد، وقتلت العباد، لأفعلن بك وأصنعن.

فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تحب أن يفعله الله بك إذا وقفت بين يديه وقد قرّعك بذنوبك؟. قال : العفو والصفح. قال : فافعل بعبدك ، ما تحب أن يفعله الله بك.

قال : قد فعلت، ارجع إلى عملك، فوالٍ مستعطف خير من والٍ مستأنف.

٦٤ - «أم الشهداء»

عفراء بنت عبيد بن ثعلبة أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ورزقها الله سبعة بنين كلهم شهدوا بدرًا مسلمين، وذلك أنها تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له معاذًا ومعوّذًا ثم طلقها ، فقدمت مكة، فتزوجت بكير بن عبد ياليل، فولدت له خالدًا وإياسًا وعاقلاً وعامرًا ثم رجعت إلى المدينة فراجعها الحارث بن رفاعة فولدت له عوفًا فشهدوا كلهم بدرًا مسلمين، فاستشهد معاذ ومعوّذ وعاقل ببدر، وخالد يوم الرجيع، وعامر يوم بئر معونة وإياس يوم اليمامة.

٦٥ - «عفونا عنهما بصدقك»

قال الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي ، ربعيُّ بن خراش، تابعي ثقة، لم يكذب قط، كان له ابنان عاصيان زمن الحجاج فقيل للحجاج : إن أباهما لم يكذب قط، لو أرسلتَ إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال : أين ابناك؟ فقال : هما في البيت، فقال :

قد عفونا عنهما بصدقك.

٦٦ - «إنك من أعداء الله في الأرض»

جيء بحُطَيط الزيات إلى الحجاج بن يوسف، فلما دخل عليه قال : أنت حُطيط، قال : نعم، سل عما بدا لك ، فإني عاهدت الله - عند المقام- على ثلاث خصال : إن سُئلت لأصدقن، وإن بُليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن.

قال الحجاج : فما تقول فيّ؟.

قال حطيط: أقول : إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنة.

قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟.

قال حطيط: أقول : إنه أعظم جرمًا منك، وإنما أنت خطية من خطاياه.

فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب، فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ، جعلوه على لحمه، وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة، حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئًا.

قال الراوي: فقيل للحجاج : إنه في آخر رمق، فقال : أخرجوه فارموا به في السوق، قال جعفر : فأتيته أنا وصاحب له، فقلنا له : حطيط ألك حاجة ؟ قال : شربة ماء. فأتوه بشربة ثم مات، وكان ابن ثمان عشرة سنة -رحمة الله عليه-.

٦٧ - «من مواعظ وهب بن منبه»

أقبل وهب بن منبه على عطاء الخراساني فقال : ويحك يا عطاء ، ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا؟ ويحك يا عطاء ! تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه، ويقول :

﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [سورة غافر : ٦٠] ؟ !! ويحك يا عطاء ! ارض بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا. ويحك يا عطاء ! إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك، ويحك يا عطاء ! إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية فليس يملؤه إلا التراب.

٦٨ - «قتلتني دعوة سعيد، كلما أردت النوم أخذ برجلي»

لما أُدخل سعيد بن جبير - رضي الله عنه- على الحجاج بن يوسف الثقفي قال له الحجاج : ما اسمك؟.

فقال سعيد : سعيد بن جبير.

فقال الحجاج: بل أنت الشقي بن كُسَير.

قال سعيد : بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

قال الحجاج : شقيت أنت، وشقيت أمك.

قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك.

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى.

قال سعيد : لو أني أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا.

فقال : فما قولك في محمد؟.

قال سعيد : نبي الرحمة، إمام الهدى، عليه الصلاة والسلام، ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة.

فقال الحجاج: فما قولك في علي بن أبي طالب في الجنة هو؟ أو في النار؟.

فقال سعيد : لو دخلتها فرأيت أهلها عـرفت من فيها، فما سؤالك عن غيب حفظ بالحجاب ؟.

قال : فما قولك في الخلفاء؟.

قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل امرئ بما كسب رهين.

قال الحجاج : أشتمهم أم أمدحهم؟.

قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم، إنما استحفظتُ أمر نفسي.

قال الحجاج : فأيهم أعجب إليك؟.

قال سعيد : أرضاهم لخالقي.

قال الحجاج : فأيهم أرضى للخالق ؟.

قال سعيد : عِلمُ ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

قال الحجاج : فأيُّ رجل أنا يوم القيامة؟.

قال سعيد : أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب.

قال الحجاج : أبيت أن تصدقني؟.

قال سعيد : بل لم أرد أن أكذبك.

قال الحجاج: دع عنك هذا كله. أخبرني ما لك لم تضحك قط؟!.

قال : لم أر شـيئًـا يضحكني، وكـيـف يضحكك مـخلوق خُلق من الطين، والطين تأكله النار.

قال الحجاج : فما بالنا نضحك؟.

قال سعيد : لم تستو القلوب ، كذلك خلقنا الله أطوارًا.

قال الحجاج: هل رأيت شيئًا من اللهو؟.

قال سعيـد : لا أعلمه. فدعا الحجاج بالعود والناي، فلـما ضُرب بالعود ونُفخ في الناي بكى سعيد ، فقال الحجاج: ما يبكيك؟.

قال : يا حجاج ، ذكرتني أمرًا عظيمًـا، والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسبت ولا زلت حزينًا لما رأيت.

قال الحجاج: وما كنت رأيت هذا اللهو ؟.

فقال سعيد : بل هذا والله الحزن يا حجاج، أمـا هذه النفخة فذكرتني يومًا عظيمًا، يوم يُنفخ في الصور ، وأمـا العود فشـجرة قطعت في غيـر حق، وأما الأوتار فإنها أمـعاء الشاء يُبعث بها معك يوم القيامة.

قال الحجاج: أنا أحبُّ إلى الله منك.

قال سعيد : لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم.

قال الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا ، وأنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة؟.

قال سعيد : ما أنا بخارج عن الجماعة، ولا أنا براضٍ عن الفتنة، ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له.

قال الحجاج: كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين؟.

قال : لم أر. فدعا الحجاج بالذهب والفضة واللـؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يدي سعيد بن جبير.

فقال سعيد بن جبير : هذا حسن إن قمت بشرطه.

قال الحجاج : وما شرطه ؟.

قال سعيـد : أن تشتري بما تجمع الأمن من الفزع الأكبر يوم القيـامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة ﴿**تذهل كل مرضعـة عما أرضعت وتضع كل ذات حـمل حملها**﴾ ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا.

قال الحجاج: فترى جمعنا طيبًا؟.

قال: برأيك جمعته، وأنت أعلم بطيبه.

قال الحجاج: أتحب أن لك شيئًا منه؟.

قال سعيد : لا أحب ما لا يحب الله.

قال الحجاج: ويلك.

قال سعيد : الويل لمن زُحزح عن الجنة وأدخل النار.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك .

قال سعيد : اختر لنفسك يا حجـاج ، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال : أفتريد أن أعفو عنك؟.

قال سعيد : إن كان العفوْ فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ، ولا عُذْر.

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج سعيد من الباب ضحِك، فأخبر الحجاج بذلك فأمر بردِّه، فقال: ما يضحكك يا سعيد ؟!.

قال سعيد : عجبتُ من جرأتك على الله، وحلم الله عليك.

فأمر الحجاج بالنطع[1] فبُسط، ثم قال: اقتلوه.

فقال سعيد : حتى أُصلِّي ركعـتين. فاستقبل القبلة ، وهو يقول: ﴿**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين**﴾ [سورة الأنعام : ٧٩].

قال الحجاج: اصرفوه عن القبلة. فصرفوه عنها.

فقال سعيد : ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ [سورة البقرة: ١١٥].

قال الحجاج: كُبُّوه لوجه.

فقال سعيد: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ [سورة طه: ٥٥].

فقال الحجاج: اذبحوه.

---

(١) بساط من الجلد يُفرش تحت من يتم قتله لئلا يتناثر دمه.

قال سعيد : إني أُشهدك يا حـجاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أستحفظكهن يا حجاج حتى تلقـاني يوم القيامة، ثم دعا سعيد الله فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. . فذُبح -رحمه الله تعالى-.

قالوا : وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمسة عشر ليلة، وأنه كان ينادي بقية حياته : ما لي ولسعيد بن جبير؟ كلما أردت النوم أخذ برجلي.

وقـيل: لم يلبث الحجـاج بعـده إلا أربعين يومًا، وكـان إذا نام يراه في المنام يأخـذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو الله ، فيم قتلتني ؟ فيقول الحـجاج: ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير؟.

وقالوا أيضًا: إن الحجاج عاش بعده أيامًا قلائل فسلط الله على الحجاج البرودة حتى كان والنار حوله يضع يده على الكانون فيـحترق الجلد ولا يحس بالحرارة ، ووقعت الأكلة في داخله والدود، فـبعث إلى الحـسن البصـري ، فقال له : أمـا قلت لك : لا تتـعرض للعلماء ؟ قتلت سعـيدًا !! . قال الحجاج: أما إني ما طلبـتك لتدعو لي ؛ ولكن ليريحني الله مما أنا فيه، فهلك. وكان ينادي بقـية حياته : ما لي ولسعيد بن جبيـر ؟ ما لي ولسعيد ابن جبير ؟.

٦٩ - «من كرامات الحسن البصري»

وتغيب الحسن البصري عن الحـجاج بن يوسف الثقفي ، فدخلوا عليه ست مرات، فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتًا.

٧٠ - «من كرامات صلة بن أشيم»

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو فقـال : اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منَّة،

ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال : يا بُني خُذ سرج الفرس ؛ فإنه عارية[1] ، فأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه، فوقعت خلفه دوخلة[2] رطب في ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زمانًا. وجاء الأسد وهو يصلي بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولّى الأسد وله زئير.

٧١ - «الإنسان ضيف»

عن أبي سليمان الداراني قال : حدثني سعيد الأفريقي ، قال : كنت ببيت المقدس مع أصحاب لي في المسجد، فإذا أنا بجارية عليها درع من شعر وخمار من صوف ، فإذا هي تقول : إلهي وسيدي ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحش خلوة من لم تكن أنيسه.

فقلت : يا جارية ما قطع الخلق عن الله عز وجل ؟ !.

قالت : حب الدنيا، إلا إن لله عز وجل عبادًا أسقاهم من حبه شربة فولهت قلوبهم فلم يحبوا مع الله عز وجل غيره. ثم قالت تنشد:

تزود قرينًا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحلُ

٧٢ - «كرامة لأسيد بن حضير»

كان أسيد بن حضير يقرأ سورة [البقرة] فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج

---

(١) العارية: ما تعطيه لغيرك ينتفع به ثم تسترده منه.

(٢) طبق من خوص.

وهي الملائكة نزلت لقراءته.

٧٣ - «كرامة لمولى رسول الله ﷺ»

وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده.

٧٤ - «من كرامات البراء بن مالك»

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء ، أقسم على ربك، فيقول : يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيُهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد فمُنحوا أكتافهم، وقُتل البراء شهيداً.

٧٥ - «كرامة لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-»

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشًا أمر عليهم رجلاً يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية الجبل، يا سارية الجبل.

فقدم رسول الجيش فسأل فقال: يا أمير المؤمنين لقينا عدواً فهزمونا فإذا بصائح : يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.



٧٦ - «كرامة لخالد بن الوليد»

وخالد بن الوليد حاصر حصنًا منيعًا، فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

٧٧ - «كرامة للزنيرة»

ولما عُذِّبت الزنيرة على الإسلام في الله فأبت إلا الإسلام ، وذهب بصرها قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى، قالت : كلا والله فرد الله عليها بصرها.

٧٨ - «رجل آخر يمشي بفرسه على الماء»

وروى الأعمش عن بعض أصحابه قال : انتهينا إلى دجلة وهي مادة[١] والأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله، ثم اقتحم بفرسه فارتفع على الماء، فقال الناس : بسم الله، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء، فنظر إليهم الأعاجم وقالوا : ديوان ديوان[٢] ثم ذهبوا على وجوههم، قال : فما فقد الناس إلا قدحًا معلقة بعذبة[٣] سرج ، ثم قتل المسلمون الأعاجم وغنموا مغانم كثيرة.

وذكر الحافظ ابن كثير الدمشقي في تاريخه أن أول من اقتحم دجلة يومئذ هو أبو عبيدة النفيعي أمير الجيوش في أيام عمر بن الخطاب، وأنه نظر إلى دجلة فتلا قوله تعالى: ﴿**وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً**﴾ [سورة آل عمران : ١٤٥] ثم سمى

---

(١) مرتفعة المياه. (٢) أي: مجانين بلغة الفرس. (٣) **عذبة السرج**: طرفه.

الله تعالى، واقتحم الماء بفرسه، واقتحم الجيش وراءه.

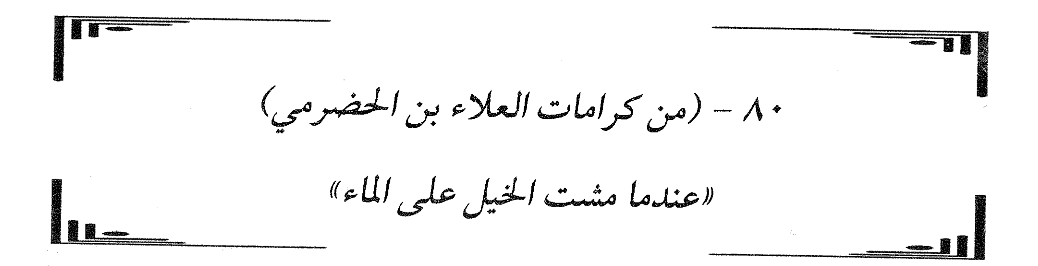
٧٩ - «كرامات لأبي مسلم الخولاني»

وروى البيهقي أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه، وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئًا فندعو الله تعالى؟.

هذا وقد روى أن الأسود العنسي الكذاب ادعى النبوة باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني، فأتى به، فلما جاء به قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، فردد عليه ذلك مرارًا، ثم أمر بنار عظيمة فأججت فألقي فيها فلم تضره.

وفي رواية: لم يحترق منه إلا أنملة لم يكن فيما مضى يصبها الوضوء.

وقد نزل أبو مسلم بغربي دمشق، وكان لا يسبقه أحد إلى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح، وكان يغازي ببلاد الروم، وله أحوال وكرامات كثيرة جدًا.



٨٠ - (من كرامات العلاء بن الحضرمي)

«عندما مشت الخيل على الماء»

عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي «دارين» قال: فدعا بثلاث دعوات، فاستجاب الله له فيهن كلهن، قال: سرنا معه، قال: فنزلنا منزلاً وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه، فقام فصلى ركعتين ثم دعا الله فقال: اللهم يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاسقنا غيثًا نشرب منه، ونتوضأ من الأحداث، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيبًا غيرنا، قال: فما جاوزنا غير بعيد، فإذا

نحن بنهر من ماء سماء يتدفق، قال : فنزلنا فتَروَّيْنا، وملأت إداوتي[1] ثم تركتها، وقلت : لأنظرن هل استُجيب له ؟ قال : فسرنا ميلاً أو نحوه، فقلت لأصحابي : إني نسيت إداوتي ، فذهبتُ إلى ذلك المكان فكأنما لم يكن فيه ماء قط ، فأخذت إدواتي فجئت بها، فلما أتينا دارين وبيننا وبينهم البحر فدعا الله أيضًا فقال : اللهم، يا عليم، يا حليم، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاجعل لنا سبيلاً إلى عدوك، ثم اقتحم بنا في البحر، فوالله ما ابتلت سروجنا، حتى خرجنا إليهم، فلما رجعنا اشتكى البطن، فمات فلم نجد ما نغسله به، فكفناه في ثيابه فدفناه، فلما سرنا غير بعيد إذ نحن بماء كثير، فقال بعضنا لبعض: ارجعوا لنستخرجه فنغسله، فرجعنا وطلبنا قبره، فخفي علينا قبره، فلم نقدر عليه ، فقال رجل من القوم : إني سمعته يدعو الله يقول: اللهم يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم، اخف جثماني، ولا تطلع على عورتي أحدًا، فرجعنا وتركناه.

٨١ - «مع أبي ريحانة»

ويروى عن أبي ريحانة صاحب النبي ﷺ أنه ركب البحر فكان يخيط في السفينة فسقطت إبرته، فقال : أعزم عليك يا ربي ألا رددت عليّ إبرتي، فظهرت له حتى أخذها بيده. قال : واشتد عليهم البحر فقال له : اسكن إنما أنت عبد حبشي، فسكن حتى صار مثل الزيت.

٨٢ - «كرامة لتميم الداري»

خرجت نار بالحرة فجاء عمر بن الخطاب إلى تميم الداري ، فقال : قم إلى هذه النار، قال : يا أمير المؤمنين ، ومن أنا ؟ وما أنا؟ قال: فلم يزل به حتى قام معه، قال الراوي : وتبعتهما، فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحشوها بيديه حتى دخلت الشعب

---

(١) إناء من الجلد.

ودخل تميم خلفها، قال : فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير - قالها ثلاثًا-[١] .

٨٣ - «كرامة لأسيد بن حضير وعبّاد بن بشر»

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منها واحد حتى أتى أهله.

هذا الحديث في صحيح البخاري، وفي بعض طرقه أن الرجلين أسيد بن حضير وعباد بن بشر[٢] .

٨٤ - «كرامة للطفيل بن عمرو»

ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي قبل الهجرة أضاء لَهُ سوطه حتى رآه الناس كالقنديل المعلق.

٨٥ - «كرامة لسعيد بن زيد»

وعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل -رضي الله عنه- خاصمته أروى بن أوس بن الحكم، وادَّعت أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقال سعيد : أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : ماذا سمعت من رسول الله

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي.

(٢) رواه البخاري.

ﷺ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين**». فقال له مروان: لا أسألك بيِّنة بعد هذا، فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة، فأعمِ بصرها، واقتلها في أرضها قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت[1] .

٨٦ - «كرامة لعبد الله الأنصاري -رضي الله عنه-»

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال : لما حضرت أُحُدًا دعاني أبي من الليل فقال : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن عليّ دينًا فاقضِ، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا، فكان أول قتيل، ودفنتُ معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه، فجعلته في قبر على حدة[2] .

٨٧ - «كرامة لعمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاري»

وروى الإمام مالك أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السيل، وكانا في قبر واحد، وهما ممن استُشْهِد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوُجد لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه ثم أُرْسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أُحُد وبين يوم حُفر عنهما ست وأربعون سنة[3] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.   (٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مالك في الموطأ.

٨٨ - «وصية أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-»

لما حضرت الوفاة أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- أرسل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال : إني أوصيك بوصية - إن أنت قبلت عني-:

«إن لله عز وجل حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله عز وجل حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة، ألم تر أنما ثقلت من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حقاً أن يثقل، ألم تر أنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخف ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطلاً أن يخف، ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء، لكي يكون العبد راغبًا راهبًا، لا يُلقي بيده إلى التهلكة، لا يتمنى على الله عز وجل غير الحق، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولابد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت».

٨٩ - «عجبت لأربع»

قال جعفر بن محمد -رضي الله عنه-: عجبتُ لمن بُلِي بأربع كيف يغفل عن أربع؟!.

عجبت لمن ابتُلي بالغم ، كيف لا يقول : **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾** [سورة الأنبياء: ٨٧]، والله يقول : **﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾** [سورة الأنبياء: ٨٨].

وعجبتُ لمن ابتُلي بالخوف كيف لا يقول: **﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** [سورة آل عمران: ١٧٣]، والله تعالى يقول: **﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾**

[سورة آل عمران : ١٧٤].

وعجبتُ لمن مُكِـرَ به ، كيف لا يقول : ﴿وأُفَوِّضُ أمـري إلى الله﴾ [سورة غافر : ٤٤] ، والله عز وجل يقول: ﴿فوقاه الله سيئاتِ ما مكروا﴾ [سورة غافر: ٤٥].

وعجبتُ لمن رغب في شيء ، كيف لا يقول: ﴿ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ والله عز وجل يـقول: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت مـا شـاء الله لا قـوة إلا بالله﴾ [سورة الكهف: ٣٩].

٩٠ - «يا خير من وفد الأنام إليه»

عن محمد بن صـالح قال : بينما أنا في الطواف إذا نظرتُ إلى أعرابي بدوي متعلق بأستار الكعـبة، وقد شخص بصره نحـو السماء وهو يقول : يا خيـر من وفد الأنام إليه، ذهبت أيامي، وضَعُفَت قـوتي، وقد رددتُ إلى بيتك المعظم المكرم بذنوب كثيـرة لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار، مستجـيراً بعفوك منها، وحططت رحلي بفنائك، وأنفقت مالي في رضاك فماذا الذي يكون من جزائك يا مولاي؟.

ثم أقبل على الناس بوجهه فقال :

يا معشر الناس ادعوا لمن وكزته الخطايا[١] وغمرته البلايا، ارحموا أسير ضُرٍّ وغريب فاقة[٢] سألتكم بالذي عمتكم الرغبة إليـه إلا سألتم الله تعالى أن يهب لي جُرْمي ويغفر لي ذنوبي. ثم عاود فتعلق بأستار الكعـبة وقال : إلهي وسيدي، عظيم الذنب مكروب، وعن صالح الأعمال مردود، وقد أصبحت ذا فاقة إلى رحمتك يا مولاي.

قال مـحمـد بن صالح : ثم رأيته بعـرفات وقـد وضع يساره على أمِّ رأسـه يصرخ ويبكي ويشهق ويقـول: إلهي وسيدي ومولاي أضحكت الأرض بالزهـر، وأمطرت السماء بالرحـمة، والذي أعطيت الموحـدين، إن نفسي لواثقـة لي ولهم منك بالرضـا، وكيف لا

(١) أي: ضربته ودفعته.
(٢) **الفاقة**: الفقر والحاجة.

يكون ذلك وأنت حبيب مَن تحَبَّب إليك، وقرة عين مَن لاذ بك وانقطع إليك؟ يا مولاي حقاً حقاً أقول ، لقد أمرت بمكارم الأخلاق فاجعل وفودي إليك عتق رقبتي من النار.

٩١ - «أفي الجنة أم في النار؟»

عن أبي عياش القطان قال : بلغنا أنه كان ملك كثير المال، وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبها حباً شديدًا، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكث ذلك زمانًا ، وكان إلى جانب الملك عابد، فبينما هو يقرأ ذات ليلة إذ رفع صوته وهو يقول: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة**﴾ [سورة التحريم : ٦] . فسمعت الجارية قراءته فقالت لجواريها : كفوا. فلم يكفوا، وجعل العابد يتردد الآية والجارية تقول لهم : كفوا فلم يكفوا. فوضعت يدها في جيبها فشقت ثيابها، فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة، فأقبل إليها فقال : يا حبيبتي ! ما حالك منذ الليلة ؟ ما يبكيك؟ وضمها إليه ، فقالت : أسألك بالله يا أبت لله عز وجل دار فيها نار وقودها الناس والحجارة؟ قال : نعم، قالت : وما يمنعك يا أبت أن تخبرني؟ والله لا أكلت طيبًا ولا نمت على لين حتى أعلم منزلي في الجنة أو النار؟!.

٩٢ - «هكذا صفة الخائفين»

قال منصور بن عمار: خرجت ذات ليلة فظننت أني قد أصبحت فإذا عليّ ليل، فقعدت عند باب صغير فإذا بصوت شاب يبكي ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك مُتَعرِّض، ولا بنظرك مُستخف، ولكن سولت لي نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخي عليّ، عصيتك بجهلي ، وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك من ينقذني ؟ ! وبحبل من أتصل إن قطعت حبلك عني ؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامي في معصية

ربي، يا ويلي كم أتوب وكم أعود، قد حان لي أن أستحي من ربي عز وجل.

قال منصور: فلما سمعت كلامه قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم: **﴿يا أيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد﴾** [سورة التحريم : ٦] الآية . . . ، فسمعت صوتًا وإضرابًا شديدًا، فمضيتُ لحاجتي. فلما أصبحت رجعتُ وأنا بجنازة على الباب ، وعجوز تذهب وتجيء ، فقلت لها : مَن الميت؟ فقالت : إليك عني لا تجدد عليّ أحزاني، فقلت : إني رجل غريب . فقالت : هذا ولدي ، مر بنا البارحة رجل -لا جزاه الله خيرًا- فقرأ آية فيها ذكر النار، فلم يزل ولدي يضطرب ويبكي حتى مات.

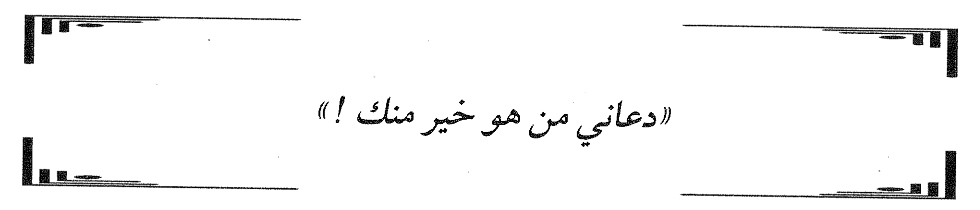
قال منصور : هكذا والله صفة الخائفين.

٩٣ - «من مواعظ الحسن البصري»

قال حبيب العابد : دخلت البصرة ، فإذا أسواقها مغلقة، وسككها خالية ، قلت : يا أهل البصرة أعندكم عيد لا أعرفه ؟ قالوا : لا، ولكن الحسن بن أبي الحسن البصري في الجامع يعظ الناس. قال : فبادرتُ إلى مجلسه، فوجدته جالسًا على مرتفع من الأرض ، وهو يقول: أيها الناس ، استعدوا للرحيل فلم يبق من الدنيا إلا القليل ، وخذوا أهبة التحويل، فليس إلى البقاء من سبيل، أما علمتم أنكم على أسرة المنايا تُحملون، وإلى البلاء في دار البلاء عن قريب تُسلمون، وبأعمالكم التي عملتموها تفردون، وعلى ديّان يوم الدين تعرضون، أمركم بالطاعة فما أطعتم، ونهاكم عن المعصية فما انتهيتم، وخوفكم بالنار فما خفتم ولا ارعويتم، وشوّقكم إلى الجنة فما اشتقتم ولا اشتهيتم، فيا ذا الشيبة المؤذنة باقتراب الأجل ما انتظارك، ويا ذا الشبيبة القادرة على اكتساب العمل ما اعتذارك، ويا أيها المطيع لفيه وهواه، المضيع في حظه دنياه من أخراه، المقيم على ذنوبه وخطاياه، ليت شعري ما عُذركم إذا وقفتم بين يده؟ وما حجتكم إذا قدمتم عليه ؟ لقد ضل سعيكم وخاب قصدكم ، فاستغفروا الله العظيم لي ولكم.

«موعظة»

كان بالبصرة عابد قد أجهده الخوف والوله[1] وأسقمه البكاء وأنحله، فلما حضرته الوفاة جلس أهله يبكون حوله، فقال لهم : أجلسوني، فأجلسوه، فأقبل عليهم ، وقال لأبيه : يا أبت ما الذي أبكاك؟ قال : يا بني ذكرت فقدك وانفرادي بعدك، فالتفت إلى أمه، وقال : يا أماه ، ما الذي أبكاكِ؟ ، قالت : لتجرعي مرارة ثكلك، فالتفت إلى الزوجة ، وقال : ما الذي أبكاكِ؟ قالت : لفقد برك وحاجتي لغيرك، فالتفت إلى أولاده ، وقال : ما الذي أبكاكم ؟ قالوا: لذُل اليُتم والهوان بعدك ، فعند ذلك نظر إليهم وبكى. فقالوا له : ما يبكيك أنت ؟ قال : أبكي لأني رأيت كلاً منكم يبكي لنفسه لا لي، أما فيكم من بكى لطول سفري؟ أما فيكم من بكى لقلة زادي؟ أما فيكم من بكى لمضجعي في التراب ؟ أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء الحساب ؟ أما فيكم من بكى لموقفي بين يدي رب الأرباب ؟ ثم سقط على وجهه فحركوه ، فإذا هو ميت.



«دعاني من هو خير منك !»

قال سعيد بن أبي عروبة : حج الحجاج بن يوسف مرة، فمر بين مكة والمدينة فأتى بغدائه، فقال لحاجبه: ائتني بمن يأكل معي، فذهب فإذا أعرابي نائم، فضربه برجله، وقال: أجب الأمير ، فقام ، فلما دخل على الحجاج قال له :اغسل يديك ثم تغد معي.

فقال الأعرابي : إنه دعاني من هو خير منك !.

قال الحجاج : ومن؟!.

قال : الله دعاني إلى الصوم فأجبته.

قال الحجاج: في هذا الحر الشديد ؟!.

---

(١) الوله: الخوف والحزن.

قال : نعم، صُمْتُ ليوم هو أشد حراً منه.

قال الحجاج: فأفطر اليوم وصم غدًا.

قال الأعرابي : إن ضمنت لي البقاء غدًا.

قال الحجاج : ليس ذلك لي.

فقال الأعرابي : فكيف تسألني عاجلاً بآجال لا تقدر عليه؟.

قال الحجاج: إن طعامنا طيب.

فقال الأعرابي : لم تطيبه أنت ولا الطباخ، إنما طيبته العافية.

«ما عندنا سكر»

قيل للمأمون : إن بني عليّ بن صالح صاحب الْمُصلّى فُجار سفهاء، فقال المأمون لعليّ: أحْضِرْني أولادك.

فلما دخلوا وسلّموا، قال المأمون: قبحكم الله، تركتم الأدب، وآثرتم المجون والسفه، هذا وأبوكم أحد العلماء والفقهاء الذين يُرتَضى برأيهم، ويُسْتضاء بهديهم!.

ثم أقبل على الوالد فقال له : ما الذنب إلا لك؛ لأنك أهملتهم حتى تتابعوا في غيّهم ، وتركوا ما كان أولى بهم وبك.

قال : ما لي عليهم قدرة ولا طاعة، ولا سيما هذا الكبير؛ فإنه أفسدهم ، وزيّن لهم سوء أعمالهم.

فأطرق الكبير وأمسك. فقال له المأمون: تكلّم!.

فقال : يا أمير المؤمنين ، أتكلّم بلساني كلّه، أم كما يتكلم العبد الذليل بين يدي مولاه، تاركًا لحجته، وهائبًا لسيّده؟.

قال : تكلم بما عندك.

قال : هل أحمدتَ رأي أبينا كما أحمدتَ فهمه وعلمه؟.

قال : نعم.

قال: أعتق ما أملك. وعليّ ثلاثون حِجَّة إن لم يكن أبي هذا قد طلب يومًا سُكَّرًا

فلم يوجد في خـزانته منه شيء، ولم يكن الوقت وقتًـا يوجد فيه بائع ولا سكّر، فـقال له خازنه: ما عندنا سكر.

قال : ادْعُ لي الوكيل.

فدعاه، فقال : ما منعك إذ فني السكر أن تبتاع لنا سكّرًا؟

قال : ما أعلمني الخازن.

فقال أبي للخازن: لِمَ لَمْ تُعْلِمْه؟.

قال : كنتُ على ذلك.

فقـال : ما ها هنا مـا هو أبلغ في عقـوبتكما من أن أقوم علـى إحدى رِجْلَيّ ثم لا أضع الأخرى على الأرض ولا أراوح بينهما حتى تُحضِراني ألفَ مَنٍّ سكّرًا من الجنس الذي أفضله. ليس بوسخ ولا مُضَرَّس ولا ليِّن المكسر ولا مُعْوَج القالب.

ثم وثب وقال : والله ثم والله، لا أزال قائمًا حتى أوفِّي بنذري.

فتبادر غلمانه ومواليه وبعض ولده وعجـائزه نحو السوق، فواحدٌ يُنَبِّه حارسًا، وآخر يفتح دَرْبًا، وآخر يوقظ نائمًا ، والغلمان والخُزّان والجـواري والحراس في مثل يوم القيامة، ثم قال: يا قوم، أمـا لي من أهلي مساعد؟ أين البنات اللواتي كنت أغْـذُوهن لَيِّن الطعام؟ أين أمهات الأولاد اللواتي ملكن الرغائب بعد الحـال الخسيسة؟. أين الأولاد الذكور الذين لهم نسعى ونغدو ونروح؟.

فتبادر إليه بناته وأمهات أولاده، فقامت كل واحدة منهن على ساق. فقال : أحسنتُنَّ والله. أحسن الله جزاءكن عن بِرِّكن لمثل هذا كنتُ أُعِدُّكن.

ولاحظ الكبرى من بناته وآخر من بنيه وهما يُراوحان بين أقدامهما. فقال لهما : تُراوحـان ولا أُراوح ، صـدق الـله العظيم وبلّغ رسـولـه الكريم قـال : **﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾**.

ثم قال : علي بـن صالح ليس في خزانتـه سكّر وجائزته من أمـير المؤمنين ثلثـمائة ألف. وضَيعته تغلُّ مائة ألف؟ أجل والله ! إذا كان وكـيلي مشغولاً بزوجته وبناته ومصالح أمره، فمتى يفرُغُ للنظر في مصالح خزانتي ؟.

والله لقـد حُدِّثْتُ أن حُليّ بـناته بألوف الدنانير، وأنـه قال لزوجـته: اخـرجي إلى الأعيـاد، وادخلي الأعراس، واسـألي عن الرجال المذكـورين، واطلبي المواضع المعـروفة،

والأنساب المرضية، والأخلاق الكريمة لبناتك. وأخرِجيهن في الجُمُعات يتصفَّحن محاسن العُزَّاب، ويخترن أولي الأنساب .

ثم قال : يا قوم، ما الذي حركنا هكذا في جوف الليل؟

فقالوا : السُّكَّر!.

قال : أجل ، وما أحضرتموني السكر إلى هذه الغاية ! تَبَادَروني فقد تعبتُ من طول القيام، ويلكم ، أدركوني فإني أريد نومة ولا بد من البكور نحو الدار.

فبادر بقية الخدم يستحثّون الأوَل، وأخذوا السكر فجاءوا به من غير وزن ثمنه ولا تقرير سعره طلبًا للسرعة.

فقال : ما هذا؟.

قالوا : ما أمرتَ به.

قال : فهل أخذتموه من الجنس الذي طلبت؟.

قالوا: نعم.

قال : فهل وزنتموه؟.

قالوا: لا .

قال : يا أعداء الله، أردتم أن تُوقعوا أذيّتي؟ والله لا أزال على حالي حتى تأخذوه بيعًا صحيحًا لا شرط فيه ولا خيار . هيهات ، يأبى الله ذلك وعليّ بن صالح.

فرجعوا وقطعوا ثمنه مع التجار، ووزنوا لهم ثمنه، وعادوا إليه فأخبروه بذلك. فقال: يوزن بحضرتي .

فجاءوا بالقبّان ليزنوا السكّر، وهو يقول: ويلكم ، عجِّلوا قد دنا الصبح، أوه، جاءت والله نفسي أو كادت ، فلما استوفى الوزن خر مغشيّاً عليه، وكذلك كانت حال من كان معه في مثل حاله ، فما انتبه واحد منهم لفريضة ولا نافلة إلا بِحرِّ الشمس.

فهذه يا أمير المؤمنين حالُ من أحْمدْتَ علمَه وعقلَه وفهمه ورأيه وفقهه.

فقال له المأمون: والله لئن كنتَ وَلَّدْتَ هذا على أبيك في مقامك هذا فما لك في الأرض نظير، وإن كنتَ حكيتَ عنه حقّاً فما في الدنيا لأبيك شبيه.

وأراد عليّ بن صالح أن يتكلم، فقال لـه المأمون: إيّاك أن تنبس بحرف! . ثم أمرهم بالانصراف.

٩٧ - «خير زوجة»

قال الشعبي : قـال لي شريح : يا شعبي، عليك بنساء بنـي تميم؛ فإني رأيت لهن عقولاً.

قال : وما رأيت من عقولهن؟.

قال : أَقْبَلْتُ من جنازة ظهرًا فمررت بدُورِهم، فإذا أنا بعجوز على باب دار ، وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري، فعدلت، فاستسقيت وما بي عطش.

فقالت : أي الشراب أحبُّ إليك؟

فقلت: ما تيسر.

قالت: ويحك يا جارية ! ائتيه بلبن؛ فإني أظن الرجل غريبًا.

قلت: من هذه الجارية؟.

قالت: هذه زينب ابنة جرير، إحدى نساء حنظلة.

قلت: فارغة أم مشغولة؟.

قالت: بل فارغة.

قلت: زوِّجينيها.

قالت: إن كنـت لها كفـئًا، ولم تقل: كـفوًا -وهي لغـة تميم- فمضـيت إلى المنزل فذهبت لأقيل، فامتنعت مني القائلة ، فـلما صليت الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الأشراف : علقـمة ، والأسـود ، والمسيب، وموسى بـن عرفطة، ومضـيت أريد عمـها، فاستقبل.

فقال : يا أبا أمية، حاجتك؟.

قلت: زينب بنت أخيك.

قال : ما بها رغبة عنك، فأنكَحَنيها ، فلما صارت في حبالي ندمتُ.

وقلت: أطلقها ! ثم قلت : لا، ولكن أضمها إلي، فإن رأيت ما أحب ، وإلا كان كذلك، فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت عليّ.

فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين، فيسأل الله من خيرها، ويعوذ من شرها، فصليت وسلمت، فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها، فأخذن ثيابي، وألبسنني ملحفة قد صبغت في عكر العصفر.

فلما خلا البيت دنوت منها، فمددت يدي إلى ناحيتها.

فقالت : على رِسْلِك أبا أمية ! كما أنت!.

ثم قالت : الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأزدَجِر عنه.

وقالت: إنه قد كان لك في قومك مَنْكَحٌ، وفي قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩]. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع.

فقلت: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلي على النبي وآله وأُسَلِّم، وبعد، فإنك قد قلت كلامًا إن تثبتي عليه يكن ذلك حَظَّكِ، وإن تدعيه يكن حجةً عليك، أحب كذا، وأكره كذا، ونحن جميع فلا تفرقي، وما رأيتِ من حسنة فانشريها، وما رأيتِ من سيئة فاستريها.

وقالت شيئًا لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل؟.

قلت: ما أُحِبُّ أن يَمَلَّني أصهاري.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن لهم، ومن تكرهه أكرهه؟.

قلت: بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء.

قال: فبت يا شعبي بأنعم ليلة، ومكثت معي حولاً لا أرى إلا ما أحب. فلما كان رأسُ الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار.

فقلت: من هذه؟.

قالوا: فلانة ختنك -أم الزوجة- فسري عني ما كنت أجد، فلما جلست ، أقبلت العجوز.

فقالت: السلام عليك أبا أمية.

قلت: وعَلَيْكِ السلام، من أنت؟.

قالت: أنا فلانة ختنك.

قلت: قربك الله.

قالت: كيف رأيت زوجتك؟.

قلت: خير زوجة.

فقالت لي : أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ منها في حالتين : إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.

قلت: أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، ورُضْت فأحسنت الرياضة.

قالت: تحب أن يزورك ختانُك؟.

قلت: متى شاءوا.

قال: فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية.

فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة، وكنت لها ظالمًا: أخذ المؤذن في الإقامة بعد ما صليت ركعتي الفجر، وكنت إمام الحي، فإذا بعقرب تدب، فأخذت الإناء فأكفأته عليها.

ثم قلت : يا زينب ، لا تتحركي حتى آتي ، فلو شهدتني يا شعبي وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها، فدعوت بالسكت والملح، فجعلت أمغث أصبعها، وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين.

وكان لي جار من كندة يُفَزِّع امرأته ويضربها ، فقلت في ذلك:

كنتم زعمتم أنها ظلمتكم ... كذبتم وبيت الله بل تظلمونها

فإن لا تعدُّوا أمَّها من نسائكم ... فإن أباها والد لن يشينها

وإن لها أعمام صدقٍ وإخوةً ... وشيخًا إذا شئتم تأيم دونها

٩٨ - «امرأة أبي الأسود الدؤلي تشتكي لمعاوية -رضي الله عنه-»

ذات يوم أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي على معاوية ، وعنده وجوه قريش، وأشراف العرب، ومن بينهم أبي الأسود الدؤلي ، وقالت:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إن الله جعلك خليفة في البلاد، ورقيبًا على العباد، ويتوجه لك النداء ، وتؤلف بك الأهواء ، يأمن بك الخائف، ويرجع بك الجائف، فأنت الخليفة والإمام، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير، والعافية من غير تعذير.

فقال لها : ما حاجتك؟.

فقالت: لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق عليّ فيه المنهج، وتفاقم عليّ فيه المخرج، لأمر كرهت عاره، لما خشيت إظهاره، فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم، فإني أعوذ بقوته من العار الوبيل، والأمر الجليل، الذي يشتد على الحرائر، ذوات البعول الأجائر.

فقال لها معاوية: ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر، ومن فعله المشهر؟.

فقالت : هو أبو الأسود الدؤلي. فالتفت معاوية إلى أبي الأسود.

وقال له : ما تقول هذه المرأة؟.

فقال أبو الأسود: هي تقول الحق بعضًا، ولن يستطيع أحد عليها نقضًا، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق، وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق.

فقال معاوية: قل وأخبرنا عن سبب طلاقها.

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما طلقتها عن ريبة ظهرت ، ولا لأي هفوة حضرت، ولكني كرهت شمائلها، فتقطعت عني حبائلها.

فقال معاوية: وأي شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟.

قال : يا أمير المؤمنين ، إنك مهيجًا عليّ بجواب عتيد، ولسان شديد.

فقال معاوية: لابد لك من محاورتها، فاردد عليها قولها عند مراجعتها.

فقال : يا أمير المؤمنين، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب، مهينة للأهل، ومؤذية للبعل، مسيئة إلى الجار، مظهرة للعار، إن رأت خيرًا كتمته، وإن رأت شرًا أذاعته.

فقالت المرأة: والله لولا مكانة أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوافذ أقرع بها كل سهامك، وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلاً، ولا أن تظهر لأحد جهلاً.

فقال معاوية: عزمت عليك لما أجدتيه.

فقالت : يا أمير المؤمنين ما علمته إلا سؤولاً جهولاً، ملحًا بخيلاً، إن قال فشرُّ قائل، وإن سكت فذو دغائل، ليث حين يأمن، وثعلب حينما يخاف، وشحيح حين يضاف، إن ذكر الجود انقمع لما يعرف من قصر رشائه، ولين آبائه ، ضيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحفظ جارًا ، ولا يحمي ديارًا، وأهونهم عليه من أكرمه.

فقال معاوية: سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع.

فقال أبو الأسود: أصلح الله أمير المؤمنين، إنها مطلقة، ومن أكثر كلامًا من المطلقة.

فلما كان من الرواح. جاءت ومعها ابنها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها.

فقال له معاوية: يا أبا الأسود، لا تعجل المرأة من أن تنطق بحجتها.

فقالت المرأة: يا أمير المؤمنين ، هذا ولدي، وفلذة كبدي، كان بطني له وعاء، وحجري له فناء، وثديي له سقاء، ألاحظه إذا قام، وأحفظه إذا نام، فلم أزل كذلك مدة أعوام، فلما كمل فصاله، واشتدت أوصاله، وحسنت خصاله، أراد أبوه الآن أخذه مني،

وإبعاده عني، بالله عليك أنصفني.

فقال معاوية : قد سمعت مقالتها، فما عندك من الجواب؟.

فقال أبو الأسود: صدقت، ولكني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأريد أن أعلمه العلم، وأفهمه الحكم.

فقال معاوية لها: ما تقولين في جواب كلامه أيتها المرأة؟.

فقالت المرأة : صدق فيما قاله، ولكن حمله ضعيفًا، وحملته ثقيلاً، ووضعه شهوة، ووضعته كرهًا.

فتعجب معاوية من فصاحتها وقال لأبي الأسود: ادفع لها ولدها، فهي أحق به منك.

٩٩ - «زواج بدرهمين»

لقد فهم السلف الصالح أن المعوّل في الكفاءة المنشودة على الدين، فضنوا بفتياتهم على الأغنياء المستهترين، وآثروا عليهم الفقراء المتقين، ثقة منهم أن العاقبة للتقوى.

هذا هو سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- كبير علماء التابعين، يخطب إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ابنته إلى ولي عهده الوليد بن عبد الملك، وكانت من أحسن النساء جمالاً وكمالاً ، وأعلمهن بكتاب الله وسنة رسوله، ولكن سعيد بن المسيب لم يتردد في الاعتذار عن ذلك، وأصر عليه - رغم ما أوقعه به عبد الملك من إيذاء، حتى ضربه مائة سوط- لما عرف به الوليد من مجون واستهتار.

وعاد العالم الجليل إلى المدينة ، فزاره عبد الله بن أبي وداعة أحد تلامذته، فسأله عن حاله ، وعلم منه بوفاة زوجه.

فقال له : «هلا استحدثت امرأة»؟.

فقال: يرحمك الله تعالى، ومن يزوجني ، وما أملك سوى درهمين أو ثلاثة ؟.

فقال له سعيد: أنا أزوجك. قال: وتفعل؟.

قال: نعم. فزوجه ابنته على درهمين أو ثلاثة ؟.

وهكذا : آثر سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- الفقير التقي، الذي توفرت له الكفاءة في الدين، على الأمير الغني الذي يفتقر إليها، ولم يكتف بذلك، بل بلغ به الاطمئنان والثقة في دين ذلك الفقير، ما يحدثنا عنه فيقول:

«. . فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ، وممن أستدين؟ فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي، فأسرجت، وكنت صائمًا، فقدمت عشائي لأفطر، وكان خبزًا وزيتًا ، وإذا بابي يقرع.

فقال : من هذا ؟.

قال: سعيد. . ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد ، إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد، فخرجت إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت : يا أبا محمد ، لو أرسلت إلي لآتيك.

فقال : لا ، أنت أحق أن تؤتى.

قلت: فما تأمر؟.

قال: إنك كنت رجلاً عزبًا فتزوجت ، فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك. وإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها ، فدفعها في الباب ورده. فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت السطح ، فرميت الجيران، فجاؤني.

وقالوا: ما شأنك؟.

قلت: ويحكم !! زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها الليلة على غفلة.

فقالوا: أو سعيد زوجك؟ قلت: نعم، قالوا : وهي في الدار؟!.

قلت: نعم، فنزلوا إليها، وبلغ ذلك أمي ، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثًا ، ثم دخلت بها، فإذا هي

من أجمل النساء، وأحفظ لكتاب الله تعالى ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج. فمكث شهرًا لا يأتيني سعيد ، ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي السلام، ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس.

فقال: ما حال ذلك الإنسان؟.

فقلت : بخير يا أبا محمد، على ما يحب الصديق، ويكره العدو.

فقال: إن رابك منه أمر فدونك والعصا. فانصرفت إلى منزلي ، فوجه إلي بعشرين ألف درهم.

فما أعظم اطمئنان ذلك التابعي الجليل إلى مصير ابنته، حتى إنه لم يفكر في استقصاء أحوالها ، لاطمئنانه إلى أنها في كنف رجل تقي، يخشى الله تعالى، ويعرف حقها عليه، ومكانتها منه.

١٠٠ - «وفاء النساء وغدرهن»

قيل: إن امرأة توفي زوجها، فحزنت لفقده حتى خيل لمن رآها أنها خنساء زمانها، وبعد دفنه واظبت القيام إزاء قبره تبكي بكاء الثكلى.

فاتفق أنه قضي بالشنق على أحد أهالي بلدتها، فشنق في مكان مجاور لقبر زوجها ووضعت الحكومة حارسًا على جثة المشنوق لئلا تسرق.

فسمع الحارس صوت المرأة وهي تبكي بكاءً مرّاً ، فقال في نفسه : لا بد من التوجه إلى هذه المرأة لأرى ماذا يحملها على ذلك ، وأعود فورًا.

فمضى إليها، وعند وصوله سألها عن سبب بكائها، فأخبرته عن موت زوجها، وأباحت له بما عندها من الحزن.

فقال لها : لا أبكى الله لكِ عينًا، ألا تدرين أن كل مولود لا بد من أن يموت، وإذا جرى ما جرى ، فأنا متزوج بك.

فسُرَّت المرأة، ونسيت حزنها على زوجها، وارتضته زوجًا لها.

فقال لها : هلمي نسير لإتمام ذلك، فـذهبا إلى أن وصلا إلى المكان الذي شنق فيه، فوجدا أن اللصوص قد سرقوا الجثة وفروا بها.

فارتعد الحارس خوفًا ، وقال : ماذا يا ترى يفعل بي الحاكم بعد هذا العمل؟.

فقـالت له : لا بأس، قم بنا لنخرج زوجي من القـبر ونضع الحبل فـي عنقه مكان المشنوق. فذهبا ، وفعـلا كذلك، وبعد برهة وقف الحاكم على الحقيـقة، فجازى الرجل، والمرأة بما جنته أيديهما.

١٠١ - «بائعة الحليب ودرس رائع»

هذا هو الفاروق عـمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لا يقيم وزنًا عند اختياره لبنت بائعة اللبن، زوجًا لابنه عاصم - للحـسب أو النسب، ولا للمال أو الجاه، وإنما أقام الوزن كله لما أظهرته تلك الفتاة الطيبة، من إيمان بالله، ومـراقبة له في السر والعلانية، ويقين بأنه جل وعلا لا تخفى عليـه خافية، حتى قد بلغت -وهي الفـتاة الرقيقة الحال ، الفـقيرة في الجاه والمال- في عبادتها لربها درجة الإحسـان، فهي تعبد الله كأنها تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراها.

كان الفاروق -رضي الله عنه- يتفقد أحوال الرعية ذات ليلة، فسمع امرأة تقول لابنة لها : قومي إلى ذاك اللبن فامزجيه بالماء، فأجابت الفتاة:

يا أمتاه، وما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين ؟ قالت المرأة : وما كان من عزمه يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب اللبن بالماء، فردت المرأة قائلة:

يا بنية : قـومي إلى اللبن فامـزجيـه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عـمر، ولا منادي عمر. فردت الفتـاة على الفور: يا أمتاه، إن كان عمر لا يعلم، فـإله عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

فلما أصبح عمـر، قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا، فـإن هناك صبية،

فإن لم تكن مشغولة فتزوج بها، لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة.

وصدقت فراسة الفاروق -رضي الله عنه-. فقد تزوج عاصم بتلك البنية، فولدت له «أم عاصم» فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن العزيز الأمير العادل -رحمه الله تعالى- ورضي عنه.

١٠٢ - «سر المرأة»

تحكي كتب الأدب، أن رجلاً كان يحرث في حقله فوجد جرة ملأى ذهبًا، فسر بذلك سرورًا لا مزيد عليه.

ولما ذهب إلى منزله ليخبر امرأته، تذكر في نفسه أن النساء لا يحفظن أي سر مهما كانت خطورته، فلربما أخْبَرتُها بذلك فتقوم وتفشي هذا السر، فيبلغ الملك ويأخذ مني جرة الذهب.

فصمم على أن يختبر امرأته قبل أن يعلمها بذلك، فبات تلك الليلة، وأخفى بيضة بالقرب من سريره، وعند الصباح أيقظ امرأته.

وقال لها: إني عازم على أن أخبرك بسر كبير، وأشترط عليك ألا تخبري أحدًا، فهل تقدرين على كتمان هذا السر؟.

فقالت له: كيف لا أقدر؟.

فقال لها: يصادفني في كل ليلة أمر غريب، وأجد نفسي عند الصباح وقد بضت بيضة، وها هي، ولقد كنت أخفي عنك ذلك خوفًا من أنك تخبرين أحدًا بذلك، ولما عرفت أنك مؤتمنة على أسراري أخبرتك بما كان، فإياك أن تخبري أحدًا.

فقالت له: كن مطمئن البال.

وخرج زوجها من البيت، ولما ابتعد بضع خطوات من البيت، شعرت زوجته بثقل الخبر، وصعدت على السطح فرأت جارتها، فأومأت إليها أن تقترب منها.

فلما اقتربت قالت لها : هل تعدينني يا أختي أن تكتمي السر؟.

فوعدتها جارتها -كما وعدت هي زوجها-.

فقالت لها : إن زوجي يبيض في كل ليلة بيضتين، وقد رأيت ذلك بعيني، فتعجبت كل العجب، وقد أوصاني زوجي أن أكتم هذا السر، فأرجوكِ ألا تخبري أحدًا.

فقالت لها جارتها: لا تخافي؛ لأني سأحفظ السر كما حفظته أنت.

ونزلت الجارة من السطح وذهبت لجـارتها الأخرى وقالت لها : هـل تدرين يا أختاه أن زوج جارتنا يبيض كل يوم عشر بيضات، ولقد أخبرتني زوجته في هذا الصباح، وأكدّت عليّ ألا أخبر أحدًا، وإني أردت أن أخبرك عن هذا بشرط أن تكتمي هذا السر.

فقالت لها الجارة الأخرى: لك علي ذلك.

وما لبثت أن خرجت من عندها فلبست ثيابها ، وذهبت عند جارتها الثانية وأخبرتها ولكن قالت : إنه يبيض عشرين بيضة.

وهكذا، صار ينتقل الخبر من امـرأة لأخرى، ولكن بازدياد عدد البيض، ولم تغرب الشمس حتى بلغ عـدد البيض مائة، وعرف الحاكم بذلك، فـأرسل إلى الرجل ولما أُحضر إليه قال له : أخبرني يا رجل، كيف تبيض كل يوم مائة بيضة؟!.

فقال له : يا مـولاي، هل تصدق أن أحدًا من بني آدم يبيض مـثل الدجاج، ولكن المسألة فيها سر عظيم، إن أعطيتني الأمان أخبرتك عنه.

فقال له الحاكم: عليك الأمان. تكلم.

فأخبره عن جرة الذهب التي وجدها في حقله، وكيف أنه أراد أن يمتحن امرأته، إذا كانت تحفظ السر خوفًا من ضياعها من يده، فأخبرها أنه يبيض كل يوم بيضة، وأوصاها ألا تعلم أحدًا بذلك، وكيف أنها مـا غابت الشمس حتى عرفت البلد كلها، وصـارت البيضة مائة .

فضـحك الحاكم لما سمع كـلامه، وترك له الجرة بما فـيها، وأوصـاه بألا يعطي سراً لامرأته طوال حياته.

١٠٣ - «أنا أحق أن آتيك»

عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم، قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه، وهو قائل[1] فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني. فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني.

١٠٤ - «ترفَّعوا عن دناءة الهمة»

قال المأمون لولده وعنده عمرو بن مسعدة، ويحيى بن أكثم: اعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي، إنهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي إلا بأنفسهم، إنه من تبع منكم صغار الأمور تبعه التصغير والتحقير، وكان قليل ما يفتقد من كبارها أكثر من كثير ما يستدرك من الصغار، فترفعوا عن دناءة الهمة، وتفرّغوا لجلائل الأمور والتدبير، واستكفوا الثقات، وكونوا مثل كرام السباع التي لا تشتغل بصغار الطير والوحش، بل بجليلها وكبارها، واعلموا أن أقدامكم إن لم تتقدم بكم، فإن قائدكم لا يقدّمكم، ولا يغني الولي عنكم شيئًا ما لم تعطوه حقه.



(١) أي: نائم.

١٠٥ - «غلبني رجل واحد»

رُوي عن إياس بن معاوية أنه قال : ما غلبني أحد قطّ سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليّ رجل شـهد عندي أن البستان الفلاني -وذكر حدوده- هو مِلك فـلان، فقلت له : كم عـدد شجـره؟ فسكت ثم قال : مـذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت : مذ كذا، فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له: الحق معك، وأجزت شهادته.

١٠٦ - «الهرب من القضاء»

قال ابن سيرين : كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قُبّة له وبين يديه كانون له فيه نار، فجاءه رجل فجلس معـه على فراشه، فسارّه[١] بشيء لا ندري مـا هو، فقـال له أبو عبيدة : ضع لي إصبعك في هذه النار، فقال له الرجل : سبحان الله، تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار ؟ فـقال له أبو عبيدة : أتبخل عليّ بأصـبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم، قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

١٠٧ - «الناسك والجرّة»

ورد في كتاب للهند أن ناسكًا كان له عسل وسمن في جَرّة، ففكّر يومًا فقال : أبيعُ الجرّة بعشـرة دراهم، وأشتري خمـسة أعنز فأُولدُهُنّ في كل سنة مـرتين، ويبلغ النتاج في سنين مئـتين، وأبتاع بكل أربـع بقرة، وأصيب بذرًا فـأزرع، ويَنْمي المال في يدي، فـأتخذ

(١) أي: تكلم إليه بحديث لا يسمعه غيرهما.

المساكن والعبيد والإماء والأهل ويولد لي ابن فأسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هو عصاني، ضربت بعصاي رأسه، وكانت في يده عصا فرفعها حاكيًا[١] للضرب، فأصابت الجرّة فانكسرت، وانصب العسل والسمن على رأسه.

١٠٨ - «أنت أَبَرُّهم وأخيرُهم»

تضيّف رجل من المسلمين رجلاً من الأنصار، فغدا الأنصاري إلى رسول الله ﷺ وترك ضيفه إلى أهله ورجع عشياً، فقال لأهله: هل أطعمتم ضيفنا؟ قيل له: انتظرناك، قال: والله لا آكله، وقالت المرأة: والله لئن لم تأكله لا آكله، وقال الضيف: والله لئن لم تأكلوه لا آكله، قال: فلما رأيت ذلك ضربت بيدي فأكلت وأكلت المرأة وولدي وضيفي، ثم غدوت إلى رسول الله فقلت: برّوا وحنثت، فقال: «أنت أبرهم وأخيرهم».

١٠٩ - «ما رأيت أكرم منك!»

قال الأصمعي: قصدت في بعض الأيام رجلاً كنت أغشاه[٢] لكرمه فوجدت على بابه بوابًا، فمنعني من الدخول إليه، ثم قال: والله يا أصمعي، ما أوقعني على بابه لأمنع مثلك الدخول إليه إلا رقة حاله، وقصور يده، فكتبت رقعة أقول فيها:

إذا كان الكريم له حجاب ... فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قال له: أوصل رقعتي هذه إليه، ففعل، فعادت الرقعة وقد وقع على ظهرها:

إذا كان الكريم قليلَ مال ... تسَتَّر بالحجاب عن الغريم

وأرسل مع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار، فقلت: والله لأُتحِفَنَّ أمير المؤمنين بهذا

---

(١) مُمثِّلاً.

(٢) أتردد إليه.

الخبر، فجئت إليه، فلما رآني قال لي: من أين يا أصمعي؟ قلت: رجل قراني[1] علمه وماله، ثم دفعت إليه الرقعة والصرَّة، وأعدت إليه الخبر، فلما رأى الصرة أربد وجهه، فقال: هذا ختم بيت مالي، ولا بد لي من الرجل الذي دفعها إليك، فقلت: والله يا أمير المؤمنين إني لأستحي أن أروعه برُسلك، فقال لبعض خواصه: امض مع الأصمعي فإذا أراك الرجل فقل له: أجب أمير المؤمنين بغير إزعاج ولا إظهار شدة، قال: فلما حضر قال له: أما أنت بالأمس الذي وقفت في موكبنا وشكوت لنا رقة حالك فدفعنا لك هذا وقد أناخ عليك الزمان بكلكلة[2]؟ فقصدك الأصمعي ببيت شعر واحد فدفعتها إليه، قال: والله ما كذبتُ فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال وصعوبة الزمان لكني استحيت أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين، فقال له: لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك، ثم أمر له بألف دينار، قال الأصمعي: فقلت: ألحقني يا أمير المؤمنين فتبسم، وأمر أن تكمل لي ألف دينار وأعاد الرجل من جملة ندمائه.

١١٠ - «اللهم إني على دين إبراهيم»

خرج زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالمًا من علماء اليهود فسأله عن دينهم، فقال: لعلي أدين بدينكم فأخبرني به، فقال اليهودي: إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، فقال زيد بن عمرو: لا أفرُّ إلا من غضب الله، وما أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا، وأنا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، فخرج من عنده وتركه.

فأتى عالمًا من علماء النصارى، فقال له نحواً مما قال لليهودي، فقال له النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، فقال: إني لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا، وأنا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له

(١) أي: أضافني وأطعمني. (٢) أي: الفقر.

نحواً مما قال اليهودي، لا أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، فخرج من عندهما وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برز رفع يده، وقال : اللهم إني على دين إبراهيم.

١١١ - «هذا جزاء من استهزأ بكلام النبوة»

قال أبو داود السجستاني : كان في أصحاب الحديث رجل ضليع إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ : «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**» فجعل في عقبيه مسامير حديد، وقال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة، فأصابه أكَلَة[1] في رجليه.

١١٢ - «أنت امرئ مشرك»

لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزْو مكة، فكلّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقام ودخل على ابنته أم حبيبة زوجة رسول الله ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال : يا بُنية ، أرغبْتِ بهذا الفراش عني ، أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٌ مشرك، فقال: يا بنية ، لقد أصابك بعدي شر.

١١٣ - «نحن الآن أضيافك»

أُتي معن بن زائدة بجملة من الأسرى، فعرضهم على السيف، فقال له بعضهم :

---

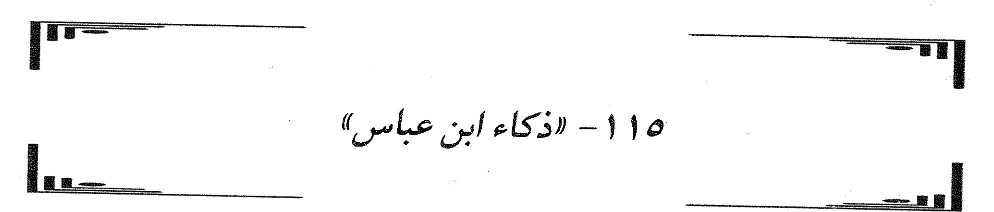
(١) وباء خطير يؤدي إلى قطع الجزء المصاب بهذه الآفة.

أصلح الله الأمـير ، نحن أسْـراك، وبنا جـوع وعطش، فلا تجـمع علينا الجـوع والعطش والقتل، فـأمر لهم بطعـام وشراب، فأكلوا وشـربوا، ومعن ينظر إليـهم، فلما فرغـوا قال الرجل : أصلح الله الأمير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك ، قال : قد عفوت عنكم، فقال الرجل : أيها الأمير، ما ندري أي يوم أشرف؟ يوم ظفرك بنا، أو يوم عفوك عنا، فأمر لهم بمال وكسوة.

١١٤ - «آمالنا مصروفة إليك»

كانت امـرأة بالبادية ، وقد جاء البَـرَدُ فذهب بزرع كان لها، فجـاء الناس يعزّونها، فرفعت طرفها إلى السماء، وقـالت بنا : ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك.

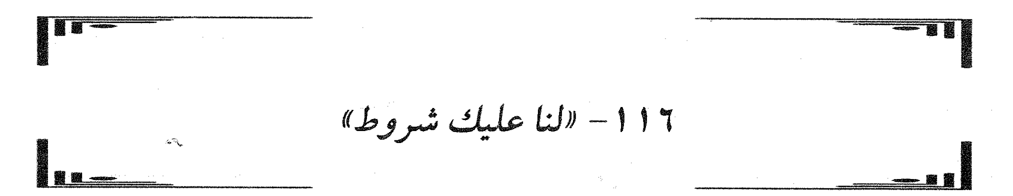
فجاء رجل من الأجلاّء ، فحُدِّث بما كان، فوهب لها خمسمائة دينار.



١١٥ - «ذكاء ابن عباس»

عن ابن عباس قال : كتب قيصر إلى معاوية : سلام عليك، أما بعد فأنبئني بأحب كلمة إلى الله، وثانيـة وثالثة ورابعة وخـامسة، ومَن أكـرم عباده إليه، وأكـرم إمائه؟ وعن أربعة أشياء فيهن الروح لم يَرْتكِضْنَ في رحم، وعن قبر يسير بصاحبه ، ومكان في الأرض لم تصبـه الشمس إلا مرة واحدة، والمجـرّة ما موضعهـا من السماء، وقوس قـزح وما بدء أمره؟ فلما قرأ كـتابه قال: اللهم العنه، ما أدري ما هذا ؟ فأرسل إليّ يـسألني فقلت : أمّا أحب كلمة إلى الـله فلا إله إلا الله ، لا يقبل عـملاً إلا بها ، وهي المـنجية، والثـانية : سبـحان الله ، وهي صلاة الخلـق، والثالثة : الحـمد لله ، كلمة الشكـر، والرابعة : الله أكبر، فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، أما أكرم عباد الله إليه فآدم خلقه بيده وعلّمه الأسـماء كلها، وأكرم إمائه عليه : مريم التي أحصنت

فرجها، والأربعة التي فيهن روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحواء وعصا موسى والكبش والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق لموسى وبني إسرائيل، والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس.

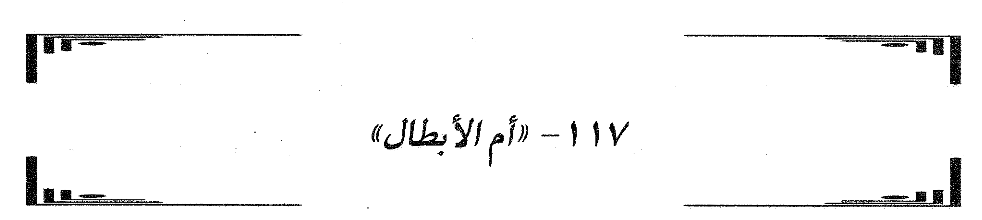


١١٦ - «لنا عليك شروط»

عن جابر -رضي الله عنه- قال: كانت الأنصار إذا جزّوا -قطعوا الثمر- نخلهم، قسم الرجل ثمره قسمين، أحدهما أقل من الآخر، ثم يجعل السعف -جريدة النخل- مع أقلهما، ثم يخيّر المسلمين -أي: المهاجرين- فيأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجْل السعف، حتى فتحت خيبر.

فقال رسول الله ﷺ: **«قد وفيتم لنا بالذي عليكم، فإن شئتم أن تطيب نفوسكم بنصيبكم من خيبر، ويطيب ثماركم فعلتم»**. قالوا: إنه قد كان لك علينا شروط، ولنا عليك شروط بأن لنا الجنة، فقد فعلنا الذي سألتنا بأن لنا شرطنا.

قال: **«فذاكم لكم»**.



١١٧ - «أم الأبطال»

لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة، فقالت: يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم، والله الذي لا إله إلا هو، وإنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا غيّرت نسبكم، ولا أوطأتُ حريمكم، ولا أبحتُ حِمامكم.

فإذا كان غداً إن شاء الله، فاغدوا لقتال عدوكم، مستنصرين الله، مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها، وقد ضربت وراقها فتيمموا وطيسها، وجالدوا خميسها،

تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة ، في دار الخلد والمقامة ، فانصرف الفتية من عندها وهم لأمرها طائعون، وبنصحها عارفون .

فلما لقوا العدو شدّ أولهم وهو يقول:

يا إخوتا إن العجوز الناصحه ... قد أشربتنا إذ دعتنا البارحه
نصيحة ذات بيان واضحه ... فباكروا الحربَ الضروسَ الكالحه
فإنما تلقون عند الصائحه ... من آل ساسان كلابًا نابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحه ... وأنتم بين حياة صالحه
أو ميتة تورث غنمًا رابحه

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا ... قد أمرتنا جدبًا وعطفًا
منها وبراً صادقًا ولطفًا ... فباكروا الحرب الضروس زحفًا
حتى تكفّوا آل كسرى كفّا ... وتكشفوهم عن حِمَاكم كشفا
إنا نرى التقصير عنهم ضعفًا ... والقتلَ فيهم نجدة وعُرْفًا

ثم شدّ الذي يليه وهو يقول:

لست لخنساءَ ولا للأخزم ... ولا لعمرو ذي السَّناء الأقدمِ
إن لم تزر في آل جمع الأعاجم ... جمع أي ساسان جمعِ رستمِ
بكلِّ محمود اللقاء ضيغم ... ماضٍ على الهول خِضمٍّ خضرمِ
إما لقهر عاجل أو مغنمِ ... أو لحياةٍ في السبيل الأكرمِ
نفوز فيها بالنصيب الأعظمِ

ثم شد الذي يليه وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجَلَدْ ... والنظر الأوفق والرأي السَّددْ
قد أمرتنا بالصواب والرشدْ ... نصيحةً منها وبرًا بالولدْ

فـبـاكـروا الحـرب نماءً في العـددْ إمّـا لقـهـر واحـتـياز للبـلدْ
أو مـيـتـة تورث خُـلدًا لـلأبدْ في جنةِ الـفـردوس في عـيش رَغَـدْ

فقاموا جميعًا حتى فتح الله عز وجل للمسلمين وكانوا يعطون ألفين فيجيئون بها، فيصبونها في حجرها، فتقسِّم ذلك بينهم حفنة حفنة، فما يغادر واحد من عطائه درهمًا.

١١٨ - «أركبت حماري بغير إذني؟»

قال ثُمَامة: دخَلْتُ إلى صَدِيق أعُودُهُ، وتَرَكْتُ حماري على الباب، ولم يكن معي غلام يحفظه، ثـم خرجت، وإذا فَوقَه صَبِيٌّ، فـقلت: أرَكِبْتَ حماري بغـير إذني؟ قال: خِفْتُ أن يذهب فحفِظْتُهُ لك، قلتُ: لـو ذهب كان أحبَّ لي من بقائه، قال: إن كان هذا رأيك فيه، فاعمَل على أنه قد ذهب وهبْه لي واربح شكري، فلم أدْرِ ما أقول.

١١٩ - «جمع العربية في ثلاث»

قال الأصمعي: بَينا أنا في بعض البوادي، إذا أنا بصبيٍّ -أو قال: صبية- معه قِرْبة قد غلَبَتْه، فيها ماء، وهو ينادي: يا أبَةِ أدْرِك فـاها، غلَبَني فوها، لا طاقة لي بفيها، قال: فوالله قد جمع العربية في ثلاث.

١٢٠ - «أخاف أن يذهب مالي ويبقى حمقي»

قال الأصمعي: وقُلْتُ لغلام حدَثٍ من أولاد العرب: أيَسُرُّك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق؟ قـال: لا والله. قلتُ: لِمَ؟ قال: أخاف أن يجني علي حُـمْقي جناية تُذْهب مالي وتُبْقي عليّ حمقي.

١٢١ - «احتال على هذا الصبي»

قال أبو عاصم النبيل: رأيت أبا حنيفة في المسجد الحرام يفتي وقد اجتمع الناس عليه، وآذوه، فقال : ما ههنا أحد يأتينا بشرطي؟ فقلت : يا أبا حنيفة ، تريد شرطياً ؟ ، قال: نعم، فقلت : اقرأ عليّ هذه الأحاديث التي معي، فقرأها، فقمتُ عنه، ووقفتُ بحذائه ، فقال لي: أين الشرطي؟ فقلت له : إنما قلت : تريد، لم أقل لك : أجيءُ به، فقال : انظروا ، أنا أحتال للناس منذ كذا وكذا، وقد احتال عليّ هذا الصبي.

١٢٢ - «هذا هو ما صيرنا إلى هذا الحال»

قال الأصمعي : قال رجل من أهل الشام : قدمتُ المدينة، فقصَدْتُ منزل إبراهيم ابن هرْمة، فإذا بنتٌ له صغيرة تلعب بالطين، فقلتُ لها : مما فعل أبوك؟ قالت : وفد إلى بعض الأجواد، فما لنا منه علم منذ مدة، فقلت : انحري لنا ناقة ، فإنا أضيافك ، قالت: والله ما عندنا، قلت : فشاة ، قالت : والله ما عندنا ، قلت : فدجاجة، قالت : والله ما عندنا، قلت: فأعطنا بيضة، قالت: والله ما عندنا ، قلت: فباطل ما قال أبوكِ:

كم ناقة قد وجأتُ منحرها ... بِمُستهَل الشؤبُوبِ أو جَمَل

قالت : فذاك الفعل من أبي هوَ الذي أصارنا إلى ليس عندنا شيء.

١٢٣ - «شجاعة صبي»

ومر عمر بن الخطاب بابن الزبير وهو يلعب مع الصبيان ، فَفَرُّوا ووقف ، فقال له : ما لك لم تفرَّ مع أصحابك؟ قال : يا أمير المؤمنين، لم أُجْرِم فأخاف، ولم يكن الطريق

ضيقة فأوسعُ عليك.

١٢٤ - «هذا الغلام يصلح لصحبة السلاطين»

قال علي بن المديني: خرج سفيان بن عيينة إلى أصحاب الحديث وهو ضجر، فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالَسْتُ ضَمْرة بن سعيد، وجالَس ضمرةُ أبا سعيد الخدري، وجالَسْتُ عمرو بن دينار، وجالَسَ جابر بن عبد الله، وجالَسْتُ عبد الله بن دينار، وجالَس ابن عمر. وجالستُ الزهري، وجالس أنس بن مالك، حتى عدّ جماعة، ثم أنا أجالسكم، فقال له حدث في المجلس: انتصِف يا أبا محمد، قال: إن شاء الله، قال: والله لشقاء من جالس أصحاب رسول الله ﷺ بك أشدُ من شقائك بنا، فأطرق وتمثل بشعر أبي نُواسٍ:

خَلِّ جَنْبَيْك لَرَامِ وامْضِ عنه بسلامِ

مُتْ بداءِ الصَّمْتِ خيرٌ لك من داءِ الكلام

فسأل: مَنِ الحدَث؟ قالوا: يحيى بن أكثم، فقال سفيان: هذا الغلام يَصْلُحُ لصحبة هؤلاء. يعني السلاطين.

١٢٥ - «رقية بُدَيْح»

دخل عبد الله بن جعفر على الخليفة عبد الملك بن مروان وهو يتأوه، فقال: ما علّتك يا أمير المؤمنين؟.

قال: هاج بي عِرق النَّسا في ليلتي هذه، فبلغ مني.

فقال له ابن جعفر: إن لي مولًى يُدعى بُديح، كانت أمه بربرية، وكانت تَرقِي من هذه العِلَّة، وقد أخذ ذلك منها.

قال: فادْعُ به. فلما مضى الرسول، سُقط في يَدَي ابن جعفر، وقال في نفسه: كِذْبة قبيحة عند خليفة!. فما كان بأسرعَ من أن طلع بُديح، فقال له عبد الملك: كيف رُقيتك من عِرق النَّسا؟.

قال: أرقَى الخلق يا أمير المؤمنين.

فسُرِّيَ عن ابن جعفر؛ لأن بُديحًا كان صاحب فكاهة يُعرف بها. وجعل بُديح يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهَمْهِم، ثم قال: قم يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك.

فقام عبد الملك لا يجد وجعًا. فقال: الله أكبر، وجدت والله خَفًّا، يا غلام، ادع فلانة الجارية حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجتها بالليل فلا نَذْعَر بُدَيحًا.

فلما جاءت الجارية، قال بديح: يا أمير المؤمنين، امرأتي طالق، إن كَتَبْتها حتى تُعَجِّل صِلَتي. فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه قال: امرأتي طالق إن كَتَبْتُها أو يصير المال إلى منزلي.

فأمر به فحُمل إلى منزله، ثم شرعت الجارية تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال بُديح: ليس فيها باسم الله الرحمن الرحيم.

قال عبد الملك: كيف تكون، ويلَك رقية ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم؟!.

قال بديح: هو ذاك. امرأتي طالق إن كنتُ قد قرأت على رِجلك إلا بيت نصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت ... على النأي منِّي ذَنْبَ غيري تنقمُ

قال عبد الملك: ويلك، ما تقول؟.

قال: هو ذاك. فطفق عبد الملك ضاحكًا يفحص برجلَيْه.

١٢٦ - «سعر الزيت»

حدّث أبو عبد الله بن أبي عوف التاجر، قال:

ضاق صدري في وقت من الأوقات ضيقًا شديدًا لا أعرف سببه، فتقدّمتُ إلى من

حمل لي طعامًا كثيرًا وفاكهة وعدة من جواريّ إلى بستان لي على نهر عيسى، وأمرت غلماني وأصحابي أن لا يجيئني أحد منهم بخبر يشغل قلبي ، ولو ذهب مالي كله، ولا يكاتبني، وعملت على أن أقيم في البستان بقية أسبوعي أتفرّج مع أولئك الجواري.

فلما قربت من البستان، استقبلني ساعٍ معه رسائل. فقلت له : من أين وردت؟.

فقال : من الرقة.

فأردت أن أقف على كتبه وأخبار الرقة وأسعارها. فقلت: أنت قريب من بستان لي، فتعال معي حتى تستريح الليلة في البستان، وأغيّر حالك، وأطعمك، وتدخل بغداد غدًا.

فقال : نعم.

ومشى معي راجعًا حتى دخلنا البستان، فأمرتُ من فيه أن يدخله حمّامًا، ويغيّر ثيابه ببعض ثياب غلماني ويطعمه، فابتدأوا معه في ذلك. وتقدَّمتُ إلى غلام لي فسرق كتبه، وجاءني بها ففتحتها، وقرأت جميع ما فيها، وعرفت من أسرار التجار الذين يعاملونني شيئًا كثيرًا، وتفرّجت بذلك. ووجدت جميع الكتب تنصح التجار بأن يتمسكوا بما في أيديهم من الزيت . ولا يبيعوا منه شيئًا ، فإنه قد غلا عندهم وعز.

فأنفذْت إلى وكلائي في الحال فاستدعيتهم ، وقلت لهم:

خذوا من فلان الصيرفي وفلان الصيرفي كل ما عندهم من الدنانير والدراهم الساعة، ولا ينقضي اليوم إلا وتبتاعون كل ما تقدرون عليه من الزيت، واكتبوا إليّ عند انقضاء النهار بالصورة.

فمضوا. فلما كان العشاء جاءني خبرهم بأنهم قد ابتاعوا زيتًا بثلاثة آلاف دينار، فكتبت إليهم بقبض ألوف دنانير أخر، وبشراء كل ما يقدرون عليه من الزيت.

وأصبحنا ، فدفعت إلى الساعي ثلاثة دنانير، وقلت له :

إن أقمتَ عندي دفعت إليك ثلاثة دنانير أخرى.

فقال : أفعل.

وجاءتني رقعة أصحابي بأنهم ابتاعوا زيتًا بأربعة آلاف دينار، وأن سعره قد غلا لطلبهم إياه، فكتبت بأن يبتاعوا كل ما يقدرون عليه وإن كان السعر قد زاد.

وشاغلتُ الرسول ليوم الثالث، ودفعتُ إليه في اليومين ستة دنانير، وأقام ثلاثة أيام، وابتاع أصحابي بثلاثة آلاف دينار أخرى. وجاءوني عشياً فقالوا:

كان ما ابتعناه اليوم زائدًا على ما قبله في السعر، في كل عشرة نصف درهم، ولم يبق في السوق شيء يفكَّر فيه.

فصرفت الرسول، وأقمت في بستاني أيامًا، ثم عدت إلى داري، وقد قرأ التجار الكتب، وعرفوا خبر الزيت بالرقة، فجاءوني يهرعون ويبذلون في الزيت زيادة اثنين في العشرة، فلم أبع، فبذلوا زيادة ثلاثة في العشرة، فلم أبع. ومضى على ذلك نحو من شهر، فجاءوني يطلبون زيادة خمسة وستة. فلم أفعل. فجاءوا بعد أيام يعرضون شراء الزيت بعشرين ألف دينار. فبعته.

ونظرت. فلم يكن لضيق صدري وانفرادي في البستان ذلك اليوم سبب إلا ما أحبه الله تعالى، أن يوصل إلي ربح عشرة آلاف دينار.

١٢٧ - «رؤيا الحسن البصري»

كان بين الحسن البصري وبين ابن سيرين هجرة، فكان إذا ذُكر ابن سيرين عند الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة -وكان بعض أهل ابن سيرين حائكًا-.

فرأى الحسن في منامه كأنه عُريان، وهو قائم على مَزبلة يضرب بالعود، فأصبح مهمومًا برؤياه، فقال لبعض أصحابه:

امض إلى ابن سيرين -وكان مشهورًا بتفسير الأحلام- فقصّ عليه رؤياي على أنك أنت رأيتَها.

فدخل على ابن سيرين وذكر له الرؤيا ، فقال ابن سيرين:

قل لمن رأى هذه الرؤيا : لا تسأل الحاكة عن مثل هذا.

فأخبر الرجل الحسن بمقالته ، فعظُم لديه، وقال: قوموا بنا إليه.

فلما رآه ابن سيرين، قام إليه وتصافحا، وسلّم كل واحد منهما على صاحبه، وجلسا يتعاتبان، فقال الحسن: دعنا من هذا، فقد شَغَلَتِ الرؤيا قلبي.

فقال ابن سيرين: لا تشغلْ قلبك، فإن العرْي عُرْي من الدنيا، ليس عليك منها عُلْقة، وأما المزبلة فهي الدنيا، وقد انكشفت لك أحوالها، فأنت تراها كما هي في ذاتها، وأما ضربُك بالعود، فإنه الحكمة التي تتكلم بها وينتفع بها الناس.

فقال له الحسن: فمن أين لك أني أنا رأيت هذه الرؤيا؟.

قال ابن سيرين: لما قَصَّها عليّ فكّرت، فلم أر أحدًا يصلح أن يكون رآها غيرك.

١٢٨ - «كيف مات أبوك؟»

تغدَّى أعرابي مع مُزَبِّد، فقال له مُزَبِّد: كيف مات أبوك؟ فأخذ يُحَدِّثه بحاله وأخذ مزبد يمضي في أكله، فلما فطن الأعرابي قطع الحديث، وقال له: أنت، كيف مات أبوك؟ فقال: فجأة، وأخذ يأكل.

١٢٩ - «دعها لي عندك»

قال محمد بن حرب الهلالي: أُتيتُ بِمُزَبِّد في تُهمة، فضربْتُه سبعين دِرَّة، ثم تبين لي أنه كان مظلومًا، فدعوته، وقلت: أحِلَّني منها، فقال: لا تعجل، ودعها لي عندك، فإني أُجِيءُ إليك كثيرًا، فكلما وجب عليّ شيءٌ قاصصتني عليها. فكنتُ أوتَى به في الشيء الذي يجب عليه فيه التقويم، فأحاسبه على العشرة منها وعلى الخمسة، حتى استوفى.



١٣٠ - «لما غُسلَتْ تَشَمَّرت»

قال أبو العيناء: دفع الجَمَّاز إلى غَسَّال ثيابًا، فدفع إليه أقصر منها، فطالبه، فقال: لما غُسِلَتْ تَشَمَّرَتْ. قال: ففي كم غسلة يصير القميص قلادة.

١٣١ - «ما أعلم قومًا خيرًا منكم»

دخل قوم من بني تيم الله على مجنون من بني أسد، فأكثروا العبث به، فقال لهم: يا بني تيم الله، ما أعلم قومًا خيرًا منكم. قالوا: كيف؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري، قد قيدوني، وأنتم كلكم مجانين، وليس فيكم مقيَّد.

١٣٢ - «فأخرج يدك بيضاء»

قال سعيد بن حفص المديني: قال أبي: أُتِي المأمون بأسود قد ادعى النبوة، وقال: أنا موسى بن عمران، فقال له: إن موسى أخرج يده من جيبه بيضاء، فأخرِج يدك بيضاء حتى أومن بك، فقال الأسود: إنما فعل موسى ذلك لما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى، فقل أنت كما قال حتى أُخرج يدي بيضاء، وإلا لم تبيضّ.

١٣٣ - «كيف رأيت دين الإسلام»

قال الماجُشون: كان بالمدينة عطّاران يهوديان، فأسلم أحدهما وخرج فنزل العراق،

فالتقيا ذات يوم، فقال اليهودي للمسلم: كيف رأيت دين الإسلام؟ قال: خير دين، إلا أنهم لا يدَعونا نفْسُو في الصلاة كما كنا نصنع ونحن يهود، فقال له اليهودي: ويلك، افْسُ وهم لا يعلمون.

١٣٤ - «أظنك إسحاق!»

دخل كلثوم بن عمرو العتابي على المأمون وعنده إسحاق الموصلي، فغمز المأمون إسحاق عليه، فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق، فقال له العتابي: ما اسمك؟ فقال: كل بصل، قال: هذا اسم منكر، قال: أتنكر أن يكون اسمي كل بصل واسمك كل ثوم، والبصل أطيب من الثوم؟ فقال: أظنك إسحاق، فقال: نعم فتوادا.

١٣٥ - «هذا طريق لا يحسُن إخراجه»

خرج الرشيد يومًا في ثياب العوام ومعه يحيى بن خالد وخالد الكاتب وإسحاق بن إبراهيم المَوصلي وأبو نُواسٍ وعليهم ثياب العامة، فنزلوا سميرية[1] مع ملاح غريب اختلاطًا بالعوام، فنزل معهم عامي، فثقل على الرشيد، وهَمّ بإخراجه وعقوبته، فقال أبو نواس: عليّ إخراجه من غير إساءة إليه، فقال أبو نواس للجماعة: عليّ مأكولكم من اليوم وإلى يوم مثله، فقال الرشيد: وعليّ مشروبكم من اليوم وإلى يوم مثله، وقال يحيى: عليّ مشمومكم من اليوم وإلى يوم مثله، وقال خالد: عليّ بَقْلُكم من اليوم إلى يوم مثله، وقال إسحاق: عليّ أن أُغَنِّيكم من اليوم إلى يوم مثله، ثم التفت أبو نواس إلى الرجل: فقال: ما الذي عليك أنت؟ فقال: عليّ أن لا أفارقكم من اليوم إلى يوم مثله، فقال الرشيد: هذا طريف لا يحسن إخراجه، فصحبهم في تفرُّجهم بقية يومهم.

---

(١) زورق يتخذ لنقل المسافرين، أو للعبور من أحد جانبي النهر إلى الآخر.

١٣٦ - «فقه المواريث»

وسُئِل بهلول عـن رجل مات وخلَّف ابنًا وبنتًا وزوجـة، ولم يترك شيئًـا، فقال : للابن اليُتم، وللبنت الثكل، وللزوجة خراب البيت، وما بقي للعصبة.

١٣٧ - «فأنت ما زلت في الطريق»

قال محمد بن يوسف القطان: يُحكى أن أبا الحسين الطرائفي لما رحل إلى عثمان بن سعـيد الدارمي ، فدخل عليـه، قال له عثمـان: متى قدِمْتَ هذا البلد ؟ فـأراد أن يقول: أمْسِ، فقال : قَدِمْت غدًا. فقال له عثمان: فأنت بعدُ في الطريق.

١٣٨ - «رُفِع القلم عن المجنون حتى يفيق»

جاء رجل إلى ابن عقيل، فقال له : إني أغتمس في النهر غمستين وثلاثًا، ولا أتيقن أنه قد عمني الماء ولا أنـي قد تطهرت ، فقال له : لا تُصلِّ، قـيل له : كيف قلتَ هذا ؟ قال : لأن رسول الله ﷺ قال : «رُفِع القلمُ عن المجنون حتى يفيق» ومَن ينغمس في النهر مرتين وثلاثًا ويظن أنه ما اغتسل، فهو مجنون.

١٣٩ - «أنا من جندك»

منع عمرو بن العاص أصحابه ما كان يصل إليهم، فقام إليه رجل ، فقال له : اتخذ

جُندًا من الحجارة لا تأكل ولا تشرب ، فقال له عمرو: اخسأ أيها الكلب، فقال له الرجل: أنا من جندك، فإن كنت كلبًا فأنت أمير الكلاب وقائدها.

١٤٠ - «مطل الغني ظلم»

قال أبو حنيفة السائح: لقيتُ بُهلول المجنون وهو يأكل في السوق، فقلت: يا بُهلول، تجالس جعفر بن محمد، وتأكل في السوق؟ ! فقال : حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مُطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**» . ولقيني الجوع وخبزي في كُمِّي، فما أمكنني أُماطله.

١٤١ - «هاتوا سُلَّمًا»

قال علي بن الحسين الرازي : مر بُهلول بقوم في أصل شجرة، فقالوا : يا بهلول ، تصعد هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم؟ فقال : نعم، فأعطوه عشرة دراهم، فجعلها في كُمِّه، ثم التفت إليهم، فقال : هاتوا سلما، فقالوا : لم يكن هذا في شرطنا ، قال : كان في شرطي.

١٤٢ - «بئس ما صنعت»

قال عبد الله بن سليمان بن الأشعث : سمعت أبي يقول: كان هارون الأعور يهوديًا ، فأسلم وحسن إسلامه، وحفظ القرآن والنحو، فناظره إنسان في مسألة، فغلبه هارون، فلم يدر المغلوب ما يصنع، فقال له : أنت كنت يهوديًا، فأسلمت، فقال هارون: فبئس ما صنعت؟ فغلبه في هذا أيضًا.

١٤٣ - «بل أجلس عندكم شهراً»

قال الْمُبَرِّد: ضـاف رجل قومًا، فكرهوه، فقـال الرجل لامرأته: كيف نعلم مـقدار مُقامه؟ فقالت : ألْقِ بيننا شراً حتى نتحاكم إليه، ففعل، فقالت للضيف : بالذي يبارك لك في غُدُوِّك غـدًا، أيُّنا أظلَم؟ فقال الضـيف: والذي يبارك لي في مـقامي عندكم شهـرًا ما أعلم.

١٤٤ - «ما عندي لا يصلح لك»

لما دخل أبو محمد عبد الله بن أحمد السمرقندي بيت المقدس، قصد أبا عثمان ابن ورقاء، فطلب منه جزءًا، فوعده به، ثم رجع ورجـع مرات ، والشيخ ينسى ، فقال له أبو محمد : أيها الشيخ، لا تنظر إليّ بعين الصـبورة، فإن الله تعالى قد رزقني من هذا الشأن ما لم يرزق أبا زرعـة الرازي. فقال الشـيخ : الحمد لله. ثم رجع إليـه في طلب الجزء ، فقـال الشيخ : أيها الشاب، إني طلبـت البارحة الأجزاء، فلم أر جـزءًا يصلح لأبي زرعة الرازي ، فخجل وقام.

١٤٥ - «دعت عليه فأعطاها»

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه.

فقالت : يا أمـير المؤمنين ، أقر الله عينيك، وفرحك بما أتاك، وأتم سـعدك، لقد حكمت فقسطت ، زادك الله رفعة.

فقال لها : من تكونين أيتها المرأة؟.

فقالت : من آل برمك، ممن قتلت رجلهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال : أمـا الرجال فقد مضى فيـهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأمـا المال فمردود إليك. ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه.

وقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة؟.

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيرًا.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك.

أمـا قولهـا : أقر الله عـينيك،، أي: أسكنهـا من الحركـة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت.

وأما قولها : وفرحك بما أتاك، فـأخذته من قوله تعالى: ﴿**حتى إذا فـرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة**﴾ [سورة الأنعام: ٤٤].

وأما قولها : وأتم الله سعدك ، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تم أمـــر بـدا نقـــصـــه ... تـرقـب زوالاً إذا قـــيـــل: تم

وأما قـولها : لقد حـكمت فقسطت ، فـأخذته من قـوله تعالى: ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا**﴾ [سورة الجن: ١٥].

وأما قولها : زادك الله رفعة . أرادت به قول الشاعر:

مـــا طـار طيـــر وارتـفـع ... إلا كـــمـــا طـار وقـع

فتعـجب الحاضرون من ذلك، وأثنوا على فـصاحته، ثم التفت هـارون الرشيد إلى المرأة.

وقال لها : ما حملك على هذا الكلام؟.

فقالت : إنك قتلت أهلي وقومي.

فقال : ومن أهلك وقومك؟.

قالت : البرامكة.

فأراد أن يجزيها ببعض العطايا، فلم ترض. وذهبت لحال سبيلها.

١٤٦ - «الثعالبي والمرأة»

كان الثعالبي يحب النساء لذا قال في استقبال المولود:

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء. وأم الأبناء . وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار.

ولو كـــان النســـاء كــمـــثل هذي لفـــضلـت النســـاء عـلى الرجـــال

فـمـا الـتأنيث لاسم الشـمس عيب ولا التـــذكـيــر فـــخــر للـهــلال

والله يعرفك البركة في مطلعها. والساعدة بموقعها.

فالدنيا مؤنثة: والناس يخدمونها، وذكور يعمرونها.

والأرض مؤنثة: ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية.

والسماء مؤنثة: وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجوم الثواقب.

والنفس مؤنثة: وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان.

والحياة مؤنثة: ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا تحرك الأنام.

والجنة مؤنثة: وبها وعد المتقون. وفيها تنعَّم المرسلون.

١٤٧ - «صفات مذمومة»

تحكي كتب الأدب أن رجلاً استشار خبيراً بأمور النساء بامرأة أراد أن يتزوجها فقال له ناصحًا ومعلمًا:

* إياك وكل امرأة مذكرة منكرة ، حديدة العرقوب.

* منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد.

* تدفن الحسنات وتفـشي السيئـات، تعين الزمان على بعلها، ولا تـعين بعلها على

الزمان.

* ليس في قلبها له رأفة ، ولا عليها منه مخافة.

* إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت.

* وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت.

* وإن طلقها كانت حرفته، وإن أمسكها كانت مصيبته.

* سفعاء ورهاء، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء.

* تأكل لَمّاً ، وتوسع ذمّاً.

* صخوب غضوب، بذية دنية.

* ليس تطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها.

* ضيقة الباع، مهتوكة القناع.

* صبيها مهزول، وبيتها مزبول.

* إذا حدثت تشير بالأصابع، وتبكي في المجامع.

* بادية من حجابها.

* نباحة على بابها.

* تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة.

* قد دلى لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور.

١٤٨ - «زواج والد عبد الله بن المبارك»

كان رئيس مرو وقاضيها رجل اسمه نوح بن مريم، وكان له نعمة كثيرة وحال موفور، وكانت له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال، خطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوي النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحيّر في أمرها ولم يدر لأيِّهم يزوِّجها، وقال : إن زوجتها بفلان أسخطتُ فلانًا.

وكان له غلام هندي ديّن تقي اسمه مبارك، وكان له بستان عامر غامر الأشجار والفاكهة والثمار فقال للغلام : أريد أن تمضي وتحفظ البستان، فمضى وأقام في البستان شهرين، فجاء سيده في بعض الأيام إلى البستان فقال له : يا مبارك، ناولني عنقود عنب، فناوله عنقودًا فوجده حامضًا فقال له سيده : أعطني غير هذا، فناوله عنقود حامضًا فقال سيده : ما السبب في أنك لا تناولني من هذا البستان الكبير إلا الحامض، فقال : لأني لا أعلم الحامض من الحلو.

فقال سيده : سبحان الله، لك مدة شهرين مقيمًا في البستان ولا تعرف الحلو من الحامض، فقال : وحقك أيها السيد إنني ما ذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو، فقال : لِمَ لم تأكل منه؟ فقال : لأنك أمرني بحفظه ولم تأمرني بأكله، فما كنت أخونك.

فتعجب القاضي منه وقال: حفظ الله عليك أمانتك، وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل فقال له : أيها الغلام قد وقع لي فيك رغبة وينبغي أن تفعل ما آمرك فقال الغلام : أنا طائع لله ولك، فقال القاضي : اعلم أن لي بنتًا جملة، وقد خطبها كثير من الأكابر والمتقدمين ولم أعلم لمن أزوِّجها، فأشر عليّ بما ترى.

فقال الغلام : اعلم أن الناس في زمن الجاهلية كانوا يريدون الأصل والحسب والنسب، واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال، وفي عهد رسول الله ﷺ كان الناس يطلبون الدين والتقى، وفي زمننا هذا يطلبون المال، فاختر الآن من هذه الأشياء الأربعة ما تريد.

فقال له القاضي : يا غلام، قد اخترت الدين والتقى، وأريد أن أزوِّجك بابنتي لأني قد وجدت فيك الدين والصلاح، وجرَّبت منك التقى والأمانة، فقال الغلام : أيها السيد، أنا عبد رقيق هندي، وابتعتني بمالك كيف تزوجني بابنتك وكيف تختارني لابنتك وترضاني؟!.

فقال له القاضي : قم بنا إلى البيت لندبر هذا الأمر، فلما صارا إلى المنزل قال القاضي لزوجته : اعلمي أن هذا الغلام الهندي ديِّن تقي، وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوِّجه بابنتي فما تقولين ؟ قالت : الأمر إليك ، ولكن أمضي وأعلم الصبية وأعيد عليك جوابها، فجاءت الأم إلى الصبية فأدت إليها رسالة أبيها فقالت : مهما أمرتماني به فعلته

وما أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعقّكما بالمخالفة لأمركما.

فزوج القاضي ابنته بمبارك وأعطاهما مـالاً عظيمًا، وكان من ثمرة هذا الزواج المبارك عبـد الله بن المبارك صـاحب العلم والزهد ورواية الحديث ومـا دامت الدنيا فـالحديث عنه يُروى.

١٤٩ - «هكذا أسلم الهرمزان»

لما أُتي بالهرمـزان أسيرًا إلى عـمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قـيل له : يا أميـر المؤمنين ، هذا زعيم العجم، وصاحب رستم، فقال له عمر -رضي الله عنه-:

أَعْرِضُ عليك الإسـلام نُصْحًا لك فـي عاجلك وآجلك، فقـال : إنما أعتقـد ما أنا عليه، ولا أرغب في الإسـلام رهبة، فـدعا عمـر بالسيف، فلما هم بـقتله قال : يا أمـير المؤمنين، شربة من ماء هي أفضل من قتلي على الظمأ، فأمر له بشربة من ماء، فلما أخذها الهرمزان، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا آمن حـتى أشربها ؟ قال : نعم، فرمى بها، وقال : الوفاء - يـا أمير المؤمـنين- نورٌ أبلج، قال : صـدقت ، لك التوقُّف عنك والنظر فـيك، ارفعوا عنـه السيف، فقال : يا أميـر المؤمنين، الآن أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن مـحمدًا عبده ورسوله ، وما جاء به حق من عنده، فقال عـمر : أسلمت خير إسلام، فما أخَّرَك؟ قال : كـرهت أن يُظن بي أني إنما أسلمت خـوفًا من السيف، فـقال عـمر : ألا إن لأهل فارس عقولاً استحقوا بها ما كانوا فيه من الْمُلك ، ثم أمر ببره وإكرامه.

١٥٠ - «إن مع العسر يسرًا»

بعض الصالحين ألحّ عليه الغم، وضيق الصدر، وتعذّر الأمور حتى كاد يقنط، فكان يومًا يمشي ، وهو يقول: فهـتف به هاتف يسمع صـوته ، ولا يرى شخـصه، أو أُرى في النوم، كأن قائلاً يقول:

أرى الموت لمن أمسى على الذل له أصلح

قال: فواصلت قراءتها في صلاتي، فشرح الله صدري، وأزال همي وكربي وسهَّل أمري.

ألا يا أيها المرء الذي الهم به برّح
إذا ضاق بك الأمر ففكِّر في «ألمْ نشرح»

١٥١ - «لتندمن غدًا»

قال عبد الله بن المعلم: خرجنا من المدينة حجاجًا، فإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب، وقد رفض الدنيا، وأقبل على الآخرة، فجمعتني وإياه الطريق، فأنست به، وقلت له: هل لك أن تعادلني، فإن معي فضلاً من راحلتي، فجزاني خيرًا، ثم أنس إليّ، فجعل يحدثني، فقال:

أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة، وكنت ذا كبر شديد، ونعمة طائلة، ومال كثير، وبذخ زائد، فأمرت يومًا خادمًا لي أن يشو لي فراشًا من حرير ومخدة بورد نثير، ففعل.

فإني لنائم إذا بقمع وردة قد نسيه الخادم، فقمت إليه، فأوجعته ضربًا، ثم عدت إلى مضجعي بعد إخراج القمع من المخدة، فأتاني آت في منامي ف صورة فظيعة، فهزَّني، وقال: أفقْ من غشيتك، وانتبه من رقدتك، ثم أنشأ يقول:

يا خلُّ إنك إن تُوسَّدْ ليِّنا وُسِّدْتَ بعد اليوم حُمَّ الجندلِ
فامْهَد لنفسك صالحًا تسعد به فلتندمن غدًا إذا لم تفعلِ

فانتبهت مرعوبًا، وخرجت من ساعتي هاربًا إلى ربي.



١٥٢ - «ما بالكم تنهزمون!»

قَدِمَت مُنهزمة الروم على هرقل وهو بأنطاكية ، فدعا رجالاً من عظمائهم، فقال : ويحكم ، أخبروني ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا : بلى - يعني العرب- قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن، قال: ويلم! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم: أنا أخبرك أيها الملك من أين تُؤتَوْن، قال : أخبرني، قال : إذا حملنا عليهم صبروا، وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحملُ عليهم فنكذب، ويحملون علينا فلا نصبر، قال : ويلكم فما بالكم كما يصفون وهم كما تزعمون ؟ قال الشيخ : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا ؟ قال له : من أين هو ؟ قال : لأن القوم يصومون بالنهار، ويقومون بالليل، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يظلمون أحدًا، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني ونرتكب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم ، ونأمر بما يُسخط الله، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، قال : صدقتني ، والله لأخرجنّ من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأنتم هكذا، قالوا : نشهدك الله أيها الملك ، تدع سورية وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم ؟!.

١٥٣ - «فرقوا بينها وبين زوجها»

عندما عزم أبو سلمة -رضي الله عنه- على الهجرة إلى المدينة ، أعد لزوجته أم سلمة بعيره وحملها عليه وجعل معها ابنها سلمة في حجرها، ثم خرج يقود بها بعيره، فما رأته رجال من بني المغيرة قوم أم سلمة حتى قاموا إليه فقالوا : هذه نفسُك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا - أي: أم سلمة - هذه علام نتركك تسير في البلاد؟.

قالت أم سلمة : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه وغضب عند ذلك بنو

عبـد الأسد رهط أم سلمة وقـالوا : والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعـتموها من صـاحبنا، فتجـاذبوا سلمة الصغير حتى خلعـوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبـسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي إلى المدينة فَـفُرّق بيني وبين زوجي وابني، وكانت أم سلمـة تخرج كل غداة تجلس في الأبطح ، فـما تزال تبكي حتى تمسي، ومـرت على هذا سنة أو يقرب منها، حتى رق لها رجل من بني عمها ورحمها وذهب إلى القوم قائلاً : ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينهـا وبين زوجها وولدها فقالوا لأم سلمـة : الحقي بزوجك إن شئتِ ورد بنو عبد الأسد إليها عند ذلك ابنها.

وهاجرت أم سلمة مع ولدها إلى المدينة ، ولقد كافأها الله بعـد استشهاد زوجها بأن تزوجها رسول الله ﷺ وأصبحت من أمهات المؤمنين.

١٥٤ - «مهر الحور العين»

قال سليمان بن منـصور بن عمار: كنت في مجلس أبي منصـور فوقعت رقـعة في المجلس فإذا فيها : بسم الله الرحـمن الرحيم. يا أبا السري أنا رجل من إخوانك تبْت عل يديك، وأنا اشتريت من الله عز وجل حوراً على صداق ثلاثين ختـمة، فختمْتُ منها تسعًا وعشـرين، وبينما أنا فـي الثلاثين إذ غلبـتني عيناي فـرأيت كأن حوراء خـرجت عليّ من المحراب ، فلما رأتني أنظر إليها، أنشأت تقول برخيم صوتها:

أتـخـطب مـــــثـلي وعـني تـنـام ... ونـوم المحـــبـين عـني حـــرام

لأنـا خـلـقـنـا لـكـل امـــــرئٍ ... كـثـيـر الصـلاة بَرَاه الصـيـام

فانتبهت وأنا مذعور.

١٥٥ - «أعرابية ترثي أباها»

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن في الله تبارك وتعـالى من فقدك

عوضًا، وفي رسول الله ﷺ من مصيبتك أسوة.

ثم قالت: اللهم نزل بك عبدك مقفرًا من الزاد مُخْشَوْشِن المهاد، غنيّاً عما في أيدي العباد، فقيرًا إلى ما في يديك يا جواد، وأنت أيْ ربِّ خير من نزل به المؤملون، واستغنى بفضله المقلون، وولج في سعة رحمته المذنبون.

اللهم فليكن قِرى عبدك منك رحمتك، ومهاده جنتك. ثم انصرفت.

١٥٦ - «المرأة المتكلمة... والمأمون»

جلس المأمون يومًا للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه، وقد هم بالقيام، امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم.

فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك، فقالت:

يا خير مُنْتَصِفٍ يُهدى له الرشد ... ويا إمامًا به قد أشرق البلدُ

تشكو إليك عميد القوم أرملة ... عدا عليها فلم يترك لها سَبَدٌ

وابتز مني ضياعي مَنْعتِها ... ظلمًا وفرّق مني الأهل والولدُ

فأطرق المأمون حينًا ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلتِ زال الصبر والجلَد ... عني وأقرح مني القلب والكبد

هذا أوان صلاة العصر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت إن يُقضَ الجلوس ... لنا نُنْصِفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد جلس فان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟.

فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلى العباس ابنه.

فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامُها يعلو كلام العباس.

فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلّمين الأمير فاخفضي من صوتك.

فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها وأخرسه، ثم قضى لها بردّ ضيعتها إليها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوفِّر لها ضيعتها، ويُحسن معونتها وأمر لها بنفقة.

١٥٧ - «وصية الزوج لزوجته»

قال أبو الدرداء لامرأته:

إذا رأيتني غضبت فرضني وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا نصطحب:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سوْري حين أغضب

ولا تنقُريني نقرَك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المُغيَّب

ولا تكثري الشكوى فتُذهب بالقـ ... ـوى ويأباك قلبي والقلوب تُقلَّب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب

١٥٨ - «حيلة ناجحة»

حكي أن رجلاً نظر إلى امرأته وهي تصعد سلم البيت.

فقال لها : أنت طالق إذا صعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فما كان من المرأة إلا أن قفزت من فوق السلم إلى الأرض في الحال.

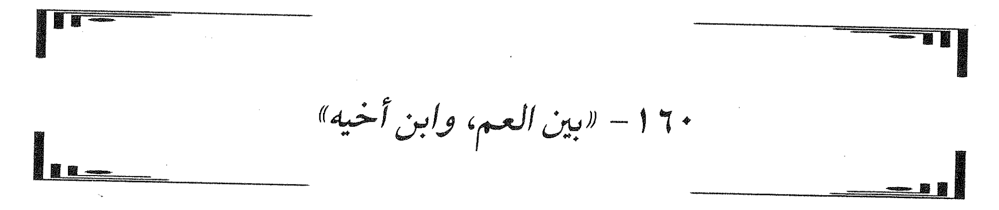
فـقال لهـا : فداك أبي وأمـي، إذا مات الإمـام مالك احـتـاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

١٥٩ - «دعاء الصالحين»

قال علي بن أبي حـرارة: كانت أمي مقـعدة نحو عشرين سنـة، فقالت لي يومًا : اذهب إلى أحمد بن حنبل فاسأله أن يدعو الله لي، فسرْتُ إليه فدققت عليه الباب وهو في بيته، فلم يفتح لي، وقال : مَن هذا ؟

فقلت : أنا رجل من أهل ذاك الجانب، سألتْني أمي وهي زمِـنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها . فسـمعت كلامه كلام رجل مغضب، فـقال : نحن أحوج إلى أن تدع الله لنا. فولّيْتُ منصرفًا.

فخرجت امرأة عجوز من داره فقالت: أنت الذي كلّمتَ أبا عبد الله ؟ قلت : نعم. قالت : قـد تركته يدعـو الله لها. قال : فـجئت من فـوري إلى البيت، فدقـقْتُ الباب، فخرجَتْ أمي على رجليها تمشي. حتى فتحت الباب، فقالت : قد وهب الله لي العافية.



١٦٠ - «بين العم، وابن أخيه»

خطب عثمان بن عنبـسة بن أبي سفيان إلى عمه عتبة ابنتـه، فأجلسه بجانبه، وأخذ يمسح على رأسه ثم قال :

أقرب قريب، خطب أحب حبيب، لا أستطيع له ردّاً، ولا أجد من إسعافه بُدّاً، قد زوجتكما ، وأنت أعز عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك:

فأكرمها يَـعْذُب على لساني ذكرك، ولا تهنها فيصغـر عندي قدرك، وقد قربتك مع قربتك، فلا تُبعد قلبي من قلبك.

١٦١ - «الطبع غلب التطبع»

قال بعضهم : كنت في سفر فضللت في الطريق فرأيت بيتًا في الفلاة ، فأتيته، فإذا بأعرابية فيه، فلما رأتني.

قالت : من تكون؟.

قلت : ضيفًا.

قالت: أهلاً ومرحبًا بالضيف، انزل على الرحب والسعة.

قال: فنزلت ، فقدمت لي طعامًا فأكلت، وماء فشربت، فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت.

فقال : ما هذا ؟.

فقالت: ضيف.

فقال : لا أهلاً ولا مرحبًا ، ما لنا وللضيف؟.

فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت، فلما كان في الغد رأيت بيتًا في الفلاة فقصدته فإذا بأعرابية ، فلما رأتني .

قالت : من تكون؟.

قلت : ضيف.

قالت : لا أهلاً ولا مرحبًا. ما لنا وللضيف ، فبينما هي تكلمني إذ أقبل صاحب البيت، فلما رآني .

قال : من هذا ؟.

قالت : ضيف.

قال : مرحبًا وأهلاً بالضيف، ثم أتى بطعام حسن فأكلت، وبماء فشربت، فتذكرت ما مر بي بالأمس فتبسمت.

فقال : مم تبتسم ؟ فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الأعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته.

فقال : لا تعجب ، إن تلك الأعرابية هي أختي، وإن بعلها هو أخو امرأتي هذه، فغلب على كل طبع أهله.

١٦٢ - «لا تخبر بذلك أحدًا حتى أموت»

عن محمد بن عيسى قال : كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ، ويسمع منه الحديث، قال : فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً فخرج في النفير فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا : إنه محبوس لدَين ركبه، فقال عبد الله ، وكم مبلغ دينه؟ قالوا : عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال ، فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلّفه أن لا يخبر أحدًا ما دام عبد الله حيّاً. وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

وأدلج عبد الله وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له : عبد الله بن المبارك كان ها هنا، وكان يذكرك ، وقد خرج، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرَّقَّة، فقال : يا فتى ، أين كنت ؟ لم أرك في الخان؟ قال : نعم، يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدَيْن، قال : وكيف كان سبب خلاصك؟ قال : جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس، فقال له عبد الله : يا فتى احمد الله على ما وفّق لك من قضاء دينك، فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا إلا بعد موت عبد الله.

١٦٣ - «بهذا فضّل علينا»

وعن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرًا ما كان يخطر ببالي

فأقول في نفسي : بأي شيء فُضِل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج.

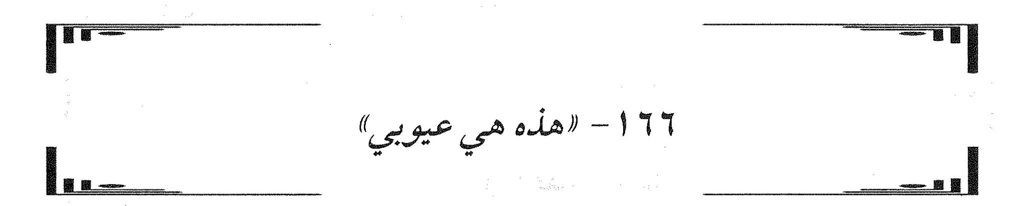
قال : فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي : بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة.

١٦٤ - «صدقة السر تطفئ غضب الرب»

وعن أبي حمزة الثُّمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل ، فيتصدق به. ويقول : إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل.

١٦٥ - «سود ظهره يبيضّ وجهه يوم القيامة»

وعن عمرو بن ثابت قال : لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سود في ظهره، فقالوا : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جُرُب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة.



١٦٦ - «هذه هي عيوبي»

وعن جعفر بن برقان قال : بلغني عن يونس بن عبيد فضل وصلاح فكتبت إليه : يا أخي ، بلغني عنك فضل وصلاح فأحببت أن أكتب إليك، فاكتب إلي بما أنت عليه،

فكتب إلي : أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه، وأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها وأن تكره لهم ما تكره لها فإذا هي من ذلك بعيد ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عنها من ترك ذكرهم، هذا أمري يا أخي والسلام.

١٦٧ - «إخلاص عبد الله بن المبارك»

وقال محمد بن المثنى : حدثنا عبد الله بن سنان ، قال : كنت مع ابن المبارك، ومعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس ، النفير ، فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطف الجمعان خرج رومي فطلب البراز ، فخرج إليه رجل فشد العِلج[1] عليه فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة ، ولا يخرج إليه أحد، فالتفت إليّ ابنُ المبارك، فقال : يا فلان ، إن قُتِلْتُ فافعل كذا وكذا، ثم حرَّك دابته، وبرز للعِلج ، فعالج معه ساعة، فقتل العِلْج، وطلب المبارزة ، فبرز له علج آخر فقتله حتى قتل ستة عُلوج، وطلب البراز فكأنهم كاعوا[2] عنه، فضرب دابته ، وطرد بين الصفين، ثم غاب، فلم نشعر بشيء، وإذا أنا به في الموضع الذي كان ، فقال لي : يا عبد الله لئن حدَّثت بهذا أحدًا، وأنا حي ، فذكر كلمة.

١٦٨ - «كيف يضل قوم هذا فيهم»

وعن عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا محمد بن ذكوان، حدثنا خالد بن صفوان، قال : لقيتُ مسلمة بن عبد الملك فقال : يا خالد، أخبرني عن حَسَنِ أهل البصرة ؟ قلت : أصلحك الله ، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلى جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قِبَلي

(١) **العلج**: الواحد من كفار العجم.

(٢) **كاعوا**: جبنوا.

به، أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنيًا عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه. قال: حسبك، كيف يضل قوم هذا فيهم.

١٦٩ - «تائب إلى الله»

قال إبان بن صالح : خرجتُ يومًا من عند أنس بن مالك نتمشى، فلما كنت بسوق البصرة إذا أنا بأربعة من الرجال يحملون جنازة، فقلت : واعجبًا أسواق البصرة عامرة مشتكَّة بالناس، ولم يصحب هذه الجنازة غير أربعة من الرجال ، لأكونن خامسهم ، فسرت معهم حتى أتوا إلى الجَبَّانة، فقلت لهم : يا قوم أيُّكم وليّ هذا الميت فَلْيُصَلِّ عليه؟ فقالوا : كلنا فيه سواء، فَتَقَدَّم أنت فَصلِّ عليه، فصلَّيت عليه وواريناه التراب، فقلت لهم: بالله عليكم ، ألا ما صدقتموني بخبر هذا الميت، فقالوا: ما منا مَن يعلم خبرًا غير أن هذه المرأة اكترتنا[١] لحمله فالتفت إليها وإذا أنا بامرأة مقبلة ، فجاءت حتى جلست عند القبر ساعة، ثم قامت وهي تضحك، فقلت لها : ياالله العجب، امرأة تضحك على قبر ميتها؟!!! ، ثم قلت لها : بالله عليكم، ألا ما أخبرتني مما ضحكت؟ فقالت : يا هذا ، ما لك وما لا يعنيك؟ قلت لها : أخبريني، فإني إبان خادم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، فقالت : يا إبان ، لو لم تكن ذاك ما أخبرتك بحديث أبدًا، اعلم أن هذا الميت ولدي، وكان مسرفًا على نفسه، فلما كان البارحة اشتد الأمر به، فنادى: يا أماه، فأجبته فقال : سألتك بالله، إلا ما فعلتي بي ما آمرك به، فقلت له : قل ما بدا لك، فقال : إذا أنا مت فلا تُعلمي بي أحدًا من جيراني ، وخذي خاتمي هذا ، وانقشي عليه : «لا إله إلا الله محمد رسول الله » واجعليه بين جلدي وكفني، فإذا وُضِعْتُ في قبري فضعي يدك على ضفيرة شعرك وارفعيها إلى الله واضرعي إليه أن يغفر لي، وقولي: إلهي ، قد رضيت

(١) استأجرتنا.

عنه فارض عنه، ثم قال : يا أماه قومي ثم ضعي رجلك اليمنى على حر وجهي، وقولي: هذا جزاء مَن عصى الله عز وجل، فقمت -والله- يا إبان ووضعت رجلي هذه المشئومة على حر وجهه، وجعلت أنادي : هذا جزاء من عصى الله عز وجل، فما رفعتها من على وجهه حتى مات. فاكتريت هؤلاء الأربعة فغسلوه وكفنوه وحملوه إلى قبره وواروه كما رأيت، فلما انصرفوا جعلتُ شعري في يدي كما قال، ورفعته إلى الله ، وقلت : يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين يا خير منزول به قد علمت منا السر والعلن، واطلعت على ما ظهر وبطن، وقد توسل ولدي العاصي المذنب الخاطئ إليك برضا والدته المسكينة الذليلة وقد رضيت عنه، فارضَ عنه، فسمعتُ صوتًا من داخل القبر يقول: انصرفي يا أماه فقد قدمتُ على رب كريم، وقد غفر لي ذنوبي، فهذا الذي أضحكني، ثم ولّت وهي مسرورة.

١٧٠ - «مِن تواضع عمر بن الخطاب»

عن عبد الله بن عباس قال : كان للعباس بن عبد المطلب ميزاب[(١)] على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وكان قد ذُبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبَّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال : والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس : وأنا أقسم عليك أن تصعد على ظهري وتضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ، ففعل العباس ذلك[(٢)] .

١٧١ - «خوفه من الله عز وجل»

عن عبد الله بن عامر قال : رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال :

---

(١) **الميزاب**: ماسورة لتصريف الماء.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٠).

ليتني كـنت هذه التبنة، ليتنـي لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شـيئًـا، ليتني كنت نسيًا منسيّاً.

١٧٢ - «من أحوال الإمام علي بن أبي طالب»

جاء ابن التيـاح إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال : يا أميـر المؤمنين ، امتلأ بيت المال من صفراء وبيـضاء، فقال : الله أكبر، ثم قـام متوكئًا على ابن التيـاح حتى قام على بيت المال فقال :

هـذا جنـاي وخـيـاره فـيـه وكـل جـانٍ يـده إلـى فـيـه

يا ابن التيـاح عليّ بأشياخ الكوفة، قـال : فنودي في الناس، فأعطى جمـيع ما في البيت وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غُرِّي غيري، ها ... وها.. ، حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين.

١٧٣ - «الخوف من الله عز وجل»

قال بعض الصـالحين : كنا في مجلس بعض الوعاظ فوعظ حـتى أبكى من حضر، وكان في المنـزل شاب فذكـر الواعظ النار وما أعـد الله تعالى فـيها من العـذاب الأليم لمن عصاه، فصاح الشاب : وا أسفى على مـا فَرَّطْتُ في جنب الله، ضَيَّعْتُ عمري، ونسيت أهلي، وقصرت في عملي، ثم استقـبل القبلة ،وقال : اللهم إني استقبلتك في يومي هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك ، فاقبلني على ما كان مني، وأَقِل عثرتي، وارحم غربتي، إلهي إليك رجعت بجميع جوارحي، صـادقًا من قلبي، فالويل لي إن لم تقبلني، ثم سقط مغشياً عليه، فحركناه فإذا هو ميت، رحمة الله تعالى عليه.



١٧٤ - «جئت لأسرقه فسرقني»

ذُكر أن لصاً تَسوَّر دار مالك بن دينار، فلم يجد في الدار شيئًا يسرقه، فرآه وهو قائم يصلي فأوجز مالك في صلاته، ثم التفت إلى اللص ، وسلم عليه ، وقال : يا أخي، تاب الله عليك، دخلت منزلي ، فلم تجد ما تأخذه، ولا أدعك تخرج بغير فائدة ، وقام وأتاه بإناء فيه ماء، وقال له : توضأ وصلِّ ركعتين ؛ فإنك تخرج بخير مما جئت في طلبه، فقال اللص : نعم وكرامة، وقام وتوضأ ، وصلى ركعتين، وقال : يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين أخرتين ؟ قال : زد ما قدر الله لك ؟ فلم يزل اللص يصلي إلى الصبح، فقال له مالك : انصرف راشدًا، فقال : يا سيدي، عليك أن أقيم عندك هذا اليوم؛ فإني قد نويت صيامه، فقال له مالك : أقم ما شئت ، فأقام عنده أيامًا صائمًا قائمًا، فلما أراد الانصراف قال اللص : يا مالك ، قد نويت التوبة ، فقال مالك : ذلك بيد الله عز وجل، فتاب اللص وحسنت توبته، وخرج من عنده فلقيه أحد اللصوص ، فقال له : أظنك وقعت بكنز ؟ ! فقال : يا أخي، وقعتُ بمالك بن دينار، جئت لأسرقه فسرقني ، وقد تُبت إلى الله عز وجل، وها أنا ملازم الباب فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب.

١٧٥ - «ابن حمدون النديم ووزير المعتضد»

قال عبد الله بن حمدون: قلت للخليفة المعتضد : إلامَ أُضْحِكُك ولا تضحكُني؟.

قال : خذ ، وأعطاني دينارًا.

قلت : خليفة يجيز نديمه بدينار واحد؟!.

قال : لا أجد لك في بيت المال حقًا أكثر من هذا، ولكني أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار.

فقبَّلت يده ، فقال : إذا كان غدًا وجاء القاسم بن عبيد الله، أسارّك حين تقع عيني

عليه سرارًا طويلاً وألتفتُ إليه كالمُغـضَب، وانظُرْ أنت إليه في خلال ذلك نظر المشفق، فإذا انقطع السرار فاخرج ولا تبرح الدهليز حتى يخرج. فإذا خرج خاطبك بجميل وسألك عن حالك، فاشك الفقر والحاجة وثقل ظهرك بالـدَّين والعيال، وخذ ما يعطيك، فإذا أخذتَها فسيسألك عما جرى فـحدّثه بالحديث كله، وإيّاك أن تكذبه، وليكن إخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد، وبعد أن تأخذ كل ما يعطيك إياه.

فلما كان من غد حضر القاسم. فحين رآه المعتضد بدأ يسارني، وجرت القصة على ما وصفني فخرجت، فإذا القاسم في الدهليـز ينتظرني، فقال لي: يا أبا محمد، ما هذا الجفاء؟ ما تجيئني ولا تزورني ولا تسألني حاجة؟ فاعتذرتُ إليه باتصال الخدمة عليّ. فقال: ما تقنعني إلا أن تزورني اليوم. فقلت: أنا خادم الوزير.

ومضيت معه وجعل يسألني عن حالي وأخباري وأشكو إليه الدَّين والبنات، فيتوجَّع، ويقول: مالي لك، ولو عرَّفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك.

وبلغنا داره فصعـدنا، وخلا بي في دار الخلوة، وجعل يحادثني ويـبسطني، وقُدّمت الفاكهة فجعل يلقمني بيده، ثم وقّع لي بثلاثة آلاف دينار فأخذتها، وأحضرني ثيابًا وطيبًا، وكانت بين يدي صينية فضّة وقدح بلور فأمر بحملهما إلى داري، وقال: هذا للبنات.

فلما انفرط المجلس قال: يا أبا محمد، أنت عالم بحقوق أبي عليك، ومودتي لك.

فقلت: أنا خادم الوزير.

فقال: أريد أن أسألك عن شيء وتحلف أنك تصدقني عنه.

فقلت: السمع والطاعة.

قال: بأي شيء سارك الخليفة اليوم في أمري؟.

فأخبرته بكل ما جرى، وشكرته وانصرفت.

١٧٦ - «الحجَّاج والحجَّام»

احتجم الحجاج ذات يوم، فلما ركّب المحاجم على رقبته قال له:

أحب أيها الأمير أن تخبرني بخبرك مع ابن الأشعث وكيف عصا عليك فقال له :

لهذا الحديث وقت آخر، وإذا فرغت من شأنك حدّثتك.

فأعاد الحجام مسألته وكررها، والحجاج يدفعه ويعده، ويحلف له على الوفاء له.

فلما فرغ ونزع المحاجم عنه وغسل الدم، أحضر الحجام، وقال له :

إنا وعدناك بأن نحدّثك حديث ابن الأشعث معنا، وحلفنا لك، ونحن محدِّثوك.

ثم نادى : يا غلام، السياط.

فأُتي بها، فأمر الحجاج بالحجام فجُرِّد، وعَلَتْه السياط. وأقبل الحجاج يقصّ عليه قصة ابن الأشعث بأطول حديث، فلما فرغ استوفى الحجام خمسمائة سوط، فكاد يتلف.

ثم رفع الضرب وقال له : قد وفَّينا لك بالوعد، وأيّ وقت أحببت أن تسأل خبرنا مع غير ابن الأشعث على هذا الشرط أجبناك.

١٧٧ - «ما رأيت مثل هذا الشيخ قط»

رفع إلى الخليفة المنصور أن رجلاً عنده ودائع وأموال لبني أمية.

فأمر بإحضاره فلما أدخل إليه قال له المنصور: قد رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أمية، فأخرجها إلينا.

فقال : يا أمير المؤمنين، أوارث أنت لبني أمية؟.

قال: لا .

قال : أفأوصوا لك بأموالهم؟.

قال: لا.

قال : فما سؤالك عما في يدي من ذلك؟.

فأطرق المنصور ساعة. ثم رفع رأسه وقال : إن بني أمية ظلموا المسلمين فيها، وأنا وكيل المسلمين في حقِّهم، وأريد أن آخذ ما ظلموا فيه المسلمين فأجعله في بيت مالهم.

فقال : تحتاج يا أمير المؤمنين إلى إقامة البينة العادلة على أن ما في يدي لبني أمية مما خانوا وظلموا فيه دون غيره، فقد كان لبني أمية أموال غير أموال المسلمين.

فقال المنصور: صدقت. ما يجب عليك شيء.

ثم قال له : هل لك من حاجة؟.

قال : تجمع بيني وبين مَن سعى بي إليك، فوالله ما لبني أمية في يدي مال ولا وديعة، ولكني لما مثلت بين يديك، وسألتني عما سألتني عنه، علمتُ أنه ما يُنجيني منك إلا هذا القول.

فلما جمع المنصور بينه وبين من سعى به ، عَرَفَه وقال : هذا غلامي ، سرق ثلاثة آلاف دينار من مالي وهرب مني، وخاف من طلبي له فسعى بي عند أمير المؤمنين.

فشدّ المنصور على الغلام وخوّفه حتى أقر بكل ما ذكره الرجل ، فقال المنصور للشيخ: نسألك أن تصفح عنه.

قال: قد صفحت عنه، وأعتقته، ووهبت له الثلاثة آلاف التي أخذها، وثلاثة آلاف أخرى. ثم انصرف.

فكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول: ما رأيتُ مثل هذا الشيخ قط.

١٧٨ - «هلا وَسِعَك ما وسِعَهم»

كان القاضي أحمد بن أبي دواد من رؤوس المعتزلة ، وكان معظَّمًا عند المأمون، يقبل شفاعته ويصغي إلى كلامه، وهو الذي دس للمأمون القول بخلق القرآن، وحسّنه عنده، وصيّره يعتقده حقاً مبينًا، إلى أن أجمع رأيه على الدعاء له، وامتحان العلماء فيه.

ثم سار المعتصم فالواثق سيرة المأمون في هذه الفتنة، ويُروى أن الخليفة الواثق أُتِي إليه بشيخ مقيّد يقول بقدم القرآن ليمتحنه، فلما أُدخل قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فقال الواثق: لا سلم الله عليك.

قال الشيخ : يا أمير المؤمنين، بئس ما أدّبك به مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وإذا

حُيِّيتم بتحيةٍ فحيُّوا بأحسن منها أو ردوها﴾ . والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها.

فقال ابن أبي دواد: يا أمير المؤمنين، هذا رجل متكلم.

قال الواثق : كَلِّمْه.

فقال : يا شيخ، ما تقول في القرآن، مخلوق هو أو غير مخلوق؟.

قال الشيخ : أنا أسألك قبل.

فقال له : سل.

قال الشيخ : ما تقول في القرآن؟.

فقال : مخلوق.

قال الشيخ : هذا شيء علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أم شيء لم يعلموه؟.

قال ابن أبي دواد : شيء لم يعلموه.

فقال : سبحان الله ، شيء لم يعلمه النبي ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي، علمْتَه أنت؟.

فخجل ابن أبي دواد . وقال : أَقِلْني.

قال: والمسألة بحالها.

قال: نعم.

قال : ما تقول في القرآن؟.

قال: مخلوق.

قال : هذا شيء علمه النبي والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه؟.

قال : علموه.

قال : هل دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت أو سكتوا؟.

قال: بل سكتوا.

قال الشيخ : فهلاَّ وسعك ما وسعهم من السكوت؟.

فقـام الواثق ودخل مجلس الخلـوة واستلقى على قـفاه، ووضع إحدى رجلـيه على الأخرى وهو يقول: هذا شيء لم يعلمه النبي ولا الخلفاء الراشدون ، علمته أنت ؟ سبحان الله، هذا شيء علمـه النبي والخلفـاء الراشدون ولم يدعـوا الناس إليه، أفـلا وسعك مـا وسعهم؟.

ثم دعا الحاجب، وأمـره أن يرفع عن الشيخ قيوده، ويعطيه أربعـمائة دينار، وسقط من عينه ابن أبي دواد، ولم يمتحن بعد ذلك أحدًا.

١٧٩ - «احشوا فاه دُرّاً»

استأذن حاجب بن زرارة على كسرى، فقال له الحاجب: من أنت؟ فقال : رجل من العرب، فـأذِن له، فلما وقف بين يديه، قال : من أنت ؟ قـال : سيد العـرب، قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال : بلى، ولكني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم، فلما وصلتُ إليه سُدْتُهم: فقال كسرى: زِه[1] احشوا فاه دُرّاً.

«أين التين»

قال مهدي بن سابق: أقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق فيـه تين، فلما أبصر الأعرابي غطّى التين بكسـاء كان عليه والأعرابي يلاحظه، فـجلس بين يديه، فقال له الرجل : هل تحـسن من القـرآن شيـئًا؟ قـال : نعم قـال : فـاقـرأ ، فقـرأ الأعـرابي : «**والزيتون* وطور سينين**» قال الرجل : فأين «**التين**» قال: تحت كسائك.

***

(١) زه بمعنى أحسنت.

١٨١ - «لا تخرجوا حتى تؤدوا ديته»

قال عيسى بن عمر : ولِي أعرابي البحرين، فجمع يهودها، فقال : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه، قال : فوالله لا تخرجون حتى تؤدوا ديته، فأخذها منهم.

١٨٢ - «قسمة الدجاج»

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي : قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر ، فأنزله، وكان عنده دجاج كثير، وله امرأة وابنان وبنتان.

قال : فقلت لامرأتي : اشوي دجاجة وقدِّميها إلينا نتغدى بها، وجلسنا جميعًا، ودفعنا إليه الدجاجة، فقلنا : اقسمها بيننا، نريد بذلك أن نضحك منه، قال : لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم، قلنا : نرضى، فأخذ رأس الدجاجة، فقطعه، فناولنيه، وقال : الرأس للرئيس، ثم قطع الجناحين : وقال: الجناحان للابنين، ثم قطع الساقين ، وقال : الساقان للابنتين، ثم قطع الزِّمكَّى[(١)] ، وقال : العَجْزُ للعجوز ، ثم قال: والزَّور للزائر ، فلما كان من الغد، قلت لامرأتي : اشوي لي خمس دجاجات، فلما حضر الغداء ، قلنا : اقسم بيننا، قال : شفعًا أو وِترًا؟ قلنا : وِترًا، قال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى بدجاجة، وقال : وابناك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة، وقال : وابنتاك ودجاجة ثلاثة ، ثم قال : وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين، فرآنا ننظر إلى دجاجتيه، فقال : لعلكم كرهتم قِسْمتي الوِتر؟ قلنا : اقسمها شفعًا، فقبضهن إليه، ثم قال : أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا دجاجة، ثم قال : والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهن دجاجة، ثم قال : وأنا وثلاث دجاجات أربعة، وضمَّ ثلاث دجاجات، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال : الحمد لله، أنت فهمتنيها.

---

(١) الزمكى: مؤخرة الدجاجة، وتسميها العامة «الزلمكى».

١٨٣ - «لأجربن هذا الأعرابي»

قال إبراهيم بن عمر: خرج أبو نُواس في أيام العشر[1] يريد شراء أضحية، فلما صار في المربد إذا هو بأعرابي قد أدخل شاة له يقدمها كبش فاره، فقال : لأجربن هذا الأعرابي فأنظر ما عنده، فإني أظنه عاقلاً، فقال أبو نواس:

أيا صاحب الشاة التي قد تسوقها بكم ذاكم الكبش الذي قد تقدما

فقال الأعرابي :

أبيعُكَه إن كنتَ ممن يريده ولم تك مزّاحًا بعشرين درهما

فقال أبو نواس:

أجَدْت رعاك الله ردَّ جوابِنا فأحْسِن إلينا إن أردت التكرُّما

فقال الأعرابي :

أحُطُّ من العشرين خمسًا فإنني أراك ظريفًا فأقبضْنَه مُسلّما

قال: فدفع إليه خمسة عشر درهمًا، وأخذ كبشًا يساوي ثلاثين درهمًا.

١٨٤ - «ظلم الحجاج»

قال قَحْذَم: وُجِد في سجن الحجاج ثلاثة وثلاثون ألفًا، ما يجب على أحد منهم قطع ولا قتل ولا صلب، وأُخذ فيهم أعرابي رُئِي جالسًا يبول عند رُبُط مدينة واسط، فخُلِّي عنهم، فانصرف الأعرابي وهو يقول:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط خرينا وصلينا بغير حساب

(١) أي: العشر من ذي الحجة.

١٨٥ - «عرض مصيبتي فيك»

قال سليمان الأعمش لابنه : اذهب فاشتر لنا حبلاً يكون طوله ثلاثين ذراعًا، فقال : يا أبة، في عَرْض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك.

١٨٦ - «لا أسلم عليه بتسليم الأمير»

قال الأصمعي : كان أعرابيان متواخيين بالبادية، فاستوطن أحدهما الريف، واختلف إلى باب الحجاج، فاستعمله على أصبهان ، فسمع أخوه الذي بالبادية ، فضرب إليه، فأقام ببابه حينًا لا يصل إليه، ثم أُذِن له بالدخول ، فأخذه الحاجب، فمشى به، هو يقول : سَلِّم على الأمير، فلم يلتفت إلى قوله : وأنشد:

ولستُ مُسَلِّمًا ما دُمْتُ حيّاً ... على زيدٍ بتسليم الأميرِ

فقال : لا أبالي، فقال الأعرابي :

أتذكر إذ لحافك جلد كبشٍ ... وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال : نعم ، فقال الأعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكًا ... وعلَّمك الجلوس على السرير

١٨٧ - «من منكن مثل الخنساء؟»

تقدم لنا الخنساء -رضي الله عنها- صورة كريمة للمرأة المؤمنة، التي نشأت في

ظلمات الجاهلية، حيث لا إيمان يهون من البلاء، ولا عقيدة تحفز إلى التضحية والفداء، ولا أمل يعصم من اليأس في الضراء، فلما ظهر الإسلام، استمدت من نوره وتأدبت بأدبه، فإذا به وقد امتلأت إيمانًا بالله ، وحبّاً لرسول الله ، تدفع بأبنائها جميعًا إلى ميادين الجهاد، وتحثهم على الثبات والاستشهاد ، وتتلقى خبر مصرعهم بالرضا والتسليم ، والصبر الجميل.

في الجاهلية : توفي أخوها صخر الندى ، فلم تطق صبرًا لفراقه، ولم تكف عن البكاء لفقده، فملأت الأرض بمراثيها، وأدمت القلوب بقوافيها، وبلغ بها اليأس مبلغه.

فقالت في رثاء أخيها:

ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي

يذكرني طلوع الشمس صخرًا ... وأبكيه لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

أما بعد الإسلام: فإنها تقف بين أبنائها الأربعة - وقد تهيأوا للخروج إلى القادسية ، مجاهدين في سبيل الله- توصيهم بالصبر عند اللقاء، وتحرضهم على التضحية والفداء.

وتقول لهم :

يا بني : إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، ولا غبرت نسبكم، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، ﴿**اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ [سورة آل عمران : ٢٠٠].

فإذا أصبحتم فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارًا على أرواقها ، فيمموا وطيسها، وجالدوا رسيسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.

ولقد استقرت هذه الوصية الصادقة، في أعماق الأبناء الأربعة، فأبلوا بلاء حسنًا، حتى استشهدوا الواحد بعد الآخر، مقبلين غير مدبرين، فلما وافاها النعاة بخبرهم، لم تزد على أن استرجعت واستغفرت ثم قالت :

«الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».
وشتان بين جزع خنساء الجاهلية ، وبين إيمان خنساء الإسلام.

١٨٨ - «الحسن رضيع أم سلمة»

كان الحسن البصري ابنًا لجارية أم سلمة زوج النبي ﷺ فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجة، فبكى الحسن بكاءً شديدًا، فرقّت عليه أم سلمة - رضي الله عنها- فأخذته فوضعته في حِجْرها فألقمته ثديها فدَرّ عليه اللبن. فشرب منه، فكان يقال : إن المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة، من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي ﷺ . وكان الحسن إذا ذُكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال عنه : ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

١٨٩ - «نائلة زوجة عثمان»

قالت تُماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان : هل لك في ابنة عم لي بكر، جميلة ممتلئة الخلق، أسيلة الخد، أصيلة الرأي، تتزوجها؟ . قال :نعم.

فذكرت له نائلة بنت الفُرافصة الكلبية، فتزوجها وهي نصرانية فتحنّفت وحُملت إليه من بلاد كلب، فلما دخلت عليه قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟.

قالت: والله يا أمير المؤمنين، إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل.

قال: إني قد جُزت الكهول، وأنا شيخ.

قالت : أذهبْت شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهبت فيه الأعمار.

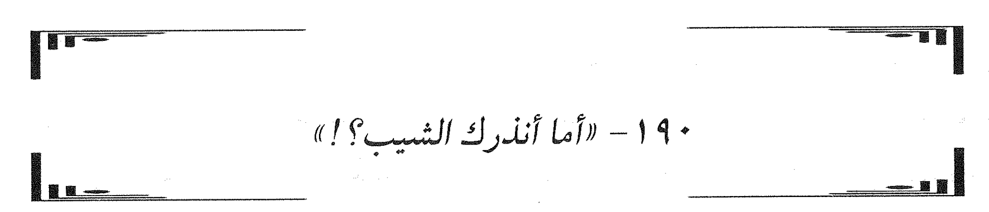
قال: أتقومين إلينا أم نقوم إليك؟.

قالت: ما قطعت إليك أرض السماوة وأريد أن أنثني إلى عُرض البيت، وقامت إليه.

فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قُتل، فلما دخل إليه دافعت عنه بيدها، فجُذمت أناملها، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه : ما ترجو من امرأة جذماء.

وقيل: إنها قالت لما قتل عثمان : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبي، فدعت بفهر فهتمت فاها.

وقالت : والله لا قعد أحد مني مقعد عثمان أبدًا.



١٩٠ - «أما أنذرك الشيب؟!»

نظر إياس بن قتادة -وكان سيد قومه- يومًا إلى شعرة بيضاء في لحيته، فقال : اللهم إني أعوذ بك من فجأة الأمور، أرى الموت يطلبني وأنا لا أفوته، ثم خرج إلى قومه ، وقال لهم : يا بني تميم، إني قد وهبت لكم شيبتي فهبوا لي شيبتي، ألا أراني حمير الحاجات ، وهذا الموت يقرب مني، ثم نفض عمامته واعتزل يؤذن لقومه ويعبد ربه ولم يَغش سلطانًا حتى مات.

١٩١ - «كرامة لأبي بكر الصديق»

عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أن أصحاب الصفة[١] كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة : «**من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثالث، من كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو بسادس**» أو كما قال - وأن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - جاء بثلاثة وانطلق النبي ﷺ بعشرة ، وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشيتيهم؟ قالت: أبَوْا حتى تجيء وقد عرضوا عليهم -أي

---

(١) موضع بمسجد النبي ﷺ كان يأوي إليه فقراء المسلمين من المهاجرين.

الطعام فرفضوا - قال عبد الرحمن : فذهبت أنا فاختبأت، فقال: يا غُنْثر[١] ، فَجَدَّع[٢] ، وسَبَّ ، وقال: كلوا لا هنيئًا، والله لا أطعمه أبدًا، قال عبد الرحمن: وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ ! ، قال: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات! ، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة . ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل، فتفرقنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس- الله أعلم كم مع كل رجل - فأكلوا منها أجمعون[٣] .

١٩٢ - «من أحوال العابدين»

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلتُ على أبي سليمان الداراني فوجدته يبكي ، فقلت له: وما يبكيك يا سيدي؟ فقال لي: يا أحمد إن أهل المحبة إذا جن الليل عليهم افترشوا أقدامهم فدموعهم تجري على خدودهم بين راكع وساجد، فإذا كانوا كذلك أشرف المولى جل جلاله عليهم ونادى: يا جبريل بعيني مَن تلذذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي، وإني لمطلع عليهم أسمع كلامهم وأرى حنينهم وبكاءهم، فناد بهم يا جبريل وقل لهم: ما هذا الجزع الذي أراه بكم هل أخبركم مخبر أن حبيبًا يعذب أحبابه في النار؟! لا يليق هذا بعبد ذميم فكيف بالملك الكريم، فبعزتي أقسمت لأجعلن هديتي لهم إذا وردوا عليّ يوم القيامة أن أكشف لهم عن وجهي الكريم ثم أنظر إليهم وينظرون إليّ.

أفتلومني يا أحمد إن بكيت عن تَخَلُّفي عن هؤلاء القوم؟!.



(١) الغنثر: الغبي الجاهل.
(٢) جدَّع: شتم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

١٩٣ - «فتنة عابد»

قال بعضهم: كنتُ جالسًا عند الحسن البصري - رضي الله عنه - فمر بنا قوم يجرون قتيلاً، فلما رآه الحسن وقع مغشيًا عليه، فلما أفاق من غشيته سألته عن أمره، فقال: إن هذا الرجل كان من أفضل العباد وكبار السادات الزهاد، فقلت له: يا أبا سعيد أخبرنا بخبره وأطلعنا على أمره، قال: إن هذا الشيخ خرج من بيته يريد المسجد ليصلي فيه فرأى في طريقه جارية نصرانية فافتتن بها فامتنعت عنه، فقالت له: لا أتزوجك حتى تدخل في ديني!...، فلما طالت المدة وزاد به الأمر جذبته شقوته فأجاب إلى ذلك وبريء من دين الحنيفية فلما صار نصرانيًا وكان منه ما كان خرجت المرأة من خلف الستر ، وقالت: يا هذا لا خير فيك ، خرجت من دينك الذي صحبته عمرك من أجل شهوة لا قدر لها، لكن أنا أترك دين النصرانية طلبًا لنعيم لا يفنى عني طول الأبد في جوار الواحد الصمد، ثم قرأت: ﴿**قُل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوًا أحد**﴾ [سورة الإخلاص: ١ - ٤] ، فتعجب الناس من أمرها، وقالوا لها: كنت تحفظين هذه السورة قبل هذا؟ ، قالت: لا - والله - ما عرفتها قط، ولكن الرجل لما ألح عليَّ رأيت في النوم كأني دخلت النار فعرض علي مكاني منها فارتعبت وخفت خوفًا شديدًا، فقال لي مالك[1] : لا تخافي ولا تحزني؛ فقد فداك الله بهذا الرجل منها ثم أخذ بيدي وأدخلني الجنة، فوجدتُ فيها سطرًا مكتوبًا فقرأته فوجدت فيه: ﴿**يَمْحُوا اللهُ ما يشاءُ ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ [سورة الرعد: ٣٩] ، ثم أقرأني سورة الإخلاص فأقبلتُ أرددها ثم انتبهت وأنا أحفظها، قال الحسن: فأسلمت المرأة ، وقُتل الشيخ على رِدَّته.. ، نسأل الله الثبات والعافية.

«ما فعل ربك بك؟»

قال أبو بكر الصيدلاني : سمعت سليم بن منصور بن عمار يقول: رأيت أبي في

(١) **مالك** : خازن النار.

المنام، فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: إن الرب قربني وأدناني، وقال لي: يا شيخ السوء أتدري لم غفرت لك؟ ، فقلت: لا يا إلهي، قال: إنك جلست للناس يومًا مجلسًا فأبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبيدي لم يبك من خشيتي قط فغفرت لك ووهبت أهل المجلس كلهم له، ووهبتك فيمن وهبت له.

١٩٥ - «وصية تائب إلى الله»

قال بعض الأخيار لولده لما حضرته الوفاة : يا بني اسمع وصيتي واعمل ما أوصيك به، قال: نعم يا أبت، قال: يا بني اجعل في عنقي حبلاً وجُرَّني إلى عذابي ومرغ خدي على التراب، وقل: هذا جزاء من عصى مولاه! . . ، قال: فلما فعل ذلك به، رفع طرفه إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي ومولاي قد آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك ، غير أنك الغفور وأنا العاصي، وأنت الرحيم وأنا الجاني، وأنت السيد، وأنا العبد، ارحم خضوعي وزلتي بين يديك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك، قال: فخرجت روحه في الحال ، فإذا بصوت ينادي من زاوية البيت سمعه كل من حضر، وهو يقول: تذلل العبد إلى مولاه، واعتذر إليه مما جناه، فقربه وأدناه، وجعل جنة الخلد مأواه.

١٩٦ - «من مواقف عبد الله بن جحش - رضي الله عنه - »

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال لي عبد الله بن جحش يوم أُحُد: ألا ندعو الله؟ فخلونا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال: يا رب إذا لقيتُ العدو غدًا فَلَقِّني رجلاً شديدًا بأسه شديدًا حرده[1] أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا ، قلت: يا عبد الله مَن جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفي رسولك.

---

(١) الحرد: الحَد والقصد والقدرة.

فتقول: صدقت.

قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أُذنه وأنفه لمعلقتان في خيط!.

وفي رواية أن عبد الله بن جحش دعا الله فقال: اللهم أقسم عليك أن ألقى العدو غدًا فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني، أو جميعًا، ثم تسألني فيم ذلك؟ فأقول: فيك.

قال سعيد بن المسيب: فإني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله.

١٩٧ - «قال له النبي: «ارجع» فبكى!»

عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى! فقلت: مالك يا أخي، فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة...، قال: فعُرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال: «**ارجع**»، فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ.

قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره. فَقُتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة - رحمه الله تعالى -.

١٩٨ - «عَلامَ يدخل النار»

قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد، فجاءته جارية بطبق عليه تمر - وكان يعجبه التمر- فرفع بكفه منه وقال: يا مسلمة أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عليه من الماء أكان مجزئه إلى الليل؟ قلت: لا أدري، قال: فرفع أكثر منه، فقال: هذا؟ قلت: نعم يا

أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعامًا غيره، قال: فعلام يدخل النار؟ ، قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.

١٩٩ - «إياك عني، واسمعي يا جارة»

خرج سَهل بن مالك الفزاري، يريد النعمان بن المنذر، فمرَّ ببعض أحياء طيء، فسأل عن سيد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأَمّ رَحْلَهُ فلم يُصبه شاهدًا[1] ، فقالت له أخته: انزل في الرَّحْبِ والسَّعة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثمّ خرجت من خبائها، فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم، وكانت عُقيلة[2] قومها وسيّدة نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يدري كيف يُرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بفناء الخِباء يومًا وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد ويقول:

يا أُخْتَ خيرِ البدو وَالحَضَارَهْ ... كَيْفَ تَرَيْنَ في فَتَى فَزَارَهْ؟

أصبح يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ ... إيّاك أعني واسْمَعي يا جَارَه

فلما سمعت قوله عرفت أنه إياها يعني، فقالت: ماذا بقول ذي عقلٍ أريب[3] ولا رأي مُصيب ولا أنف نجيب[4] ! فأقم ما أقمتَ مكرمًا، ثم ارتحل متى شئتَ مُسلّمًا، ويقال أجابته نَظْمًا فقالت:

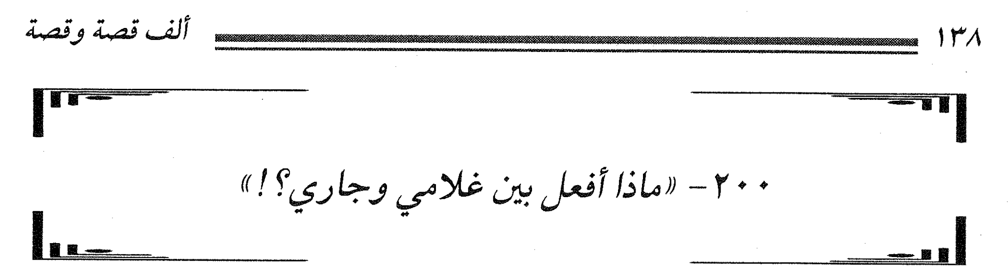
إني أقول يا فَتَى فَزَارَه ... لا أبتغي الزوجَ ولا الدَّعَارَه

ولا فِرَاقَ أَهْلِ هذي الجاره ... فارْحَلْ إلى أَهْلِكَ باسْتِخَارَه

فاستحيا الفتى وقال: ما أردتْ مُنكرًا، واسوأتاه! ، قالت: صدقتَ، فكأنَّها استحيتْ من تسرعها إلى تُهمته، فارتحل فأتى النعمان فحياه، وأكرمه، فلما رجع نزل على أخيها، فبينما هو مقيمٌ عندهم تطلّعتْ إليه نَفْسُها، وكان جميلاً، فأرسلتْ إليه أن اخطبني إن كان لك إليَّ حاجة يومًا من الدهر، فإني سريعةٌ إلى ما تريد، فخطبها وتزوجها وسار بها إلى قومه.

---

(١) **شاهدًا**: أي: قصد منزله فلم يجده.
(٢) العقيلة من النساء الكريمة في بيتها.
(٣) **أريب**: أي ذكي.
(٤) أي: كريم في نسبه، فاضل في خلقه.



٢٠٠- «ماذا أفعل بين غلامي وجاري؟!»

قال الحسن بن عيسى النيسابوري: سألت عبد الله بن المبارك ، قلت: الرجل يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمرًا، والغـلام ينكر ذلك، فأكره أن أضربه، ولعله بريء، وأكره أن أدعه فيجد[1] عليَّ جـاري، فكيف أصـنع؟ قـال: إن غـلامك لعله أن يُحـدث حـدثًا يستوجب فيـه الأدب، فاحفظ عليه، فإذا شكاه جارك فأدّبـه على ذلك الحدث، فتكون قد أرضيت جارك، وأدبته على حدثه.

٢٠١- «العباس بين يدي الله»

عن السائب بن يزيد قال: نظرت إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يومًا في الرمادة متبذلاً متضرعًا عليه بُرْدٌ لا يبلغ ركبـتيه يرفع صوته بالاستغفار، وعيناه تهرقان على خديه، وعن يمينه العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - دعا يومئذ وهو مستقبل القبلة رافعًا يديه إلى السماء، وعجّ إلى ربه، فدعا الناس مـعه، ثم أخذ بيد العباس فقال: اللهم إنا نستشفع بعم رسولك إليـك، فما زال عمر قائمًا إلى جنبه مُلبيًـا، والعباس يدعو وعيناه تهملان.

٢٠٢- «أدب المأمون»

قال القـاضي يحيى بن أكثـم : كنتُ نائمًا ذات ليلة عند المأمـون فعطش فـامتنع أن يصيح بغلام يسقيه، وأنا نائم، فينغّص عليّ نومي، فرأيته قد قام يمشي على أطراف أصابعه

---

(١) يجد : يحزن.

حتى أتى موضع الماء، وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو ثلاث مئة خطوة ، فأخذ منها كوزًا فشرب، ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه، فخطا خطوات خائفًا لئلا ينبهني حتى صار إلى فراشه.

٢٠٣ - «أنت أولى بالفضل مني»

جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب، وبين أخيه محمد بن الحنفية -رضي الله عنهما- كلام، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة وكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي بن أبي طالب، إلى أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب، أما بعد: فإن لك شرفًا لا أبلغه، وفضلاً لا أُدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه، فالبس رداءك ونعليك ، وسِرْ إِليَّ فترضَّاني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني، والسلام».

فلما قرأ الحسين -رضي الله عنه - الرُّقعة ، لبس رداءه ونعليه، ثم جاء إلى أخيه فترضاه.

٢٠٤ - «لو استحسنه أحدكم لوهبته له»

كان القاضي محمد بن يوسف الأزدي جالسًا مع جماعة من شهوده وخلفائه الذين يأنس بهم، فأحضر ثوبًا يمانيًا، قيل له في ثمنه: خمسون دينارًا، فاستحسنه كلّ من حضر المجلس. فقال: يا غلام ، هات القلانسي[١] ، فجاء.

فقال: اقطع جميع هذا الثوب قلانس، واحمل إلى كل واحد من أصحابنا قلنسوة.

ثم التفت إلينا، وقال: إنكم استحسنتموه بأجمعكم، ولو استحسنه واحد لوهبته له،

---

(١) **القلانسي**: الذي يصنع القلنسوة.

فلما اشتركتم في استحسانه لم أجد طريقًا إلا أن يحصل كل واحد منكم واحدة منها.

٢٠٥- «المعصية والمراقبة»

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - فقال له: يا أبا إسحاق، إني مسرف على نفسي فاعرض عليّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا لقلبي، قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك ولم توبقك لذة، قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله - عز وجل - فلا تأكل رزقه!، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال: يا هذا .. أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟، قال: لا، هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده!، قال الرجل: هذه أعظم من الأولى.. فإذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟ قال: يا هذا .. أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟، قال: لا، هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تأكل رزقه وفي بلاده، فانظر موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له فاعصه فيه، قال: يا إبراهيم كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟ قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟! قال: لا، هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا وأعمل لله عملاً صالحًا!، قال: لا يقبل مني، قال: يا هذا أفأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟، قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم!، قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني.. قال: فكيف ترجو النجاة إذًا!، قال الرجل: يا إبراهيم، حسبي حسبي.. أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

٢٠٦ - «أحوال النساء»

حكى ابن حبيب أن رجلاً أقسم على ألا يتزوج حتى يشاور مائة إنسان، وذلك نظرًا لما قاساه من النساء.

فاستشار تسعة وتسعين، وبقي عليه واحد .. فخرج يسأل من لقيه، وإذا بمجنون قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه، وركب قصبة كالفرس، فسلم عليه.

وقال له: أريد أن أسألك عن مسألة أرجو الجواب عنها.

فقال له : سل ما يعنيك ، وإياك أن تتعرض لما لا يعنيك.

قال له: إني رجل لقيت من النساء بلاء عظيمًا.. وآليت على نفسي أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس، وأنت تمام المائة ، فماذا تقول؟ .

فقال: اعلم أن النساء ثلاثة ، واحدة لك ، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ، ولا عليك.

أما التي لك : فهي شابة جميلة لطيفة لم يعرفها الرجال قبلك، إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًا سترت.

وأما التي عليك : فامرأة لها ولد من غيرك، فهي تنهب مالك وتعطي ولدها، ولا تشكرك مهما عملت معها.

وأما التي لا لك ولا عليك : فهي امرأة قد تزوجت غيرك من قبلك ، فإن رأت خيرًا قالت هذا ما نحب، وإن رأت شرًا حنت إلى زوجها الأول.

وهذه هي أحوال النساء، شرحتها لك فاعلم، وإن شئت تتزوج فانتقي من خيرهن وإلا، فلا.

قال: ناشدتك الله من أنت؟ .

قال الرجل المتمم للمائة : ألم أشترط عليك ألا تسأل عما لا يعنيك؟ .

٢٠٧- «بنات الشاعر المقتول»

كان لأحد الشعراء عـدوّ: فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعـدُوّه، فعلم الشاعر أن عدُوّه قاتله لا محالة .

فقال له: يا هذا أنا أعلم أن المنيّة قد حضرت ، ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني أن تمضي إلى داري، وقِفْ بالباب وقل: «ألا أيها البنتان إن أباكما» .

فـقال : سـمعًـا وطاعة ، ثم إنه قـتله، فلمـا فرغ من قـتله أتى إلى داره ، ووقف بالباب.

وقال: «ألا أيها البنتان إن أباكما» وكان للشاعر ابنتان ، فلما سمعتا قول الرجل «ألا أيها الـبنتان إن أباكمـا» ، أجابتـاه بفم واحد : «قـتيلُ خُـذا بالثأر ممن أتاكـما» ثم تعلقـتا بالرجل، ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقرّ بقتله فقتله قصاصًا.

٢٠٨- «ائتوني بسكين»

خرجت امرأتان ومـعهما صـبيان، فـتعـدى الذئب على صـبي إحـداهمـا وأكله، فاختصمتا في الصبي الثاني إلى داود عليه السـلام، فقصتا عليه القصة ، فحكم به للكبرى منهما، فاختصمتا إلى سليمان عليه السلام.

فقال: ائتوني بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف.

فقالت الصغرى : أتشقه يا رسول الله ؟ .

قال: نعم .

فقالت: لا تفعل، فنصيبي فيه لها.

فقال : خذيه فهو ابنك، وقضى به لها.

٢٠٩- «سفانة بنت حاتم الطائي»

وجه رسول الله ﷺ إلى طيء فريقًا من جنده يتقدمهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- ففزع من ذلك عدي بن حاتم وكان من أشد الناس عداءً لرسول الله ﷺ ، فصبَّح عليّ القوم واستاق خيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله ﷺ ، فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم، فقالت:

يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني - الأسير - ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام ، ويحمل الكل -المحتاج- ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبًا، أنا بنت حاتم الطائي.

فقال النبي ﷺ : «**يا جارية هذه صفات المؤمنين لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلو عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق**» ، وامتن عليها فأطلقها إكرامًا لها، فاستأذنته في الدعاء، فأذن لها ، وقال لأصحابه : «**اسمعوا وعوا**» فقالت:

أصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سببًا في ردها . . ، فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدي وهو بدومة الجندل فقالت له:

يا أخي إيتِ هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإني رأيت هديًا ورأيًا سيغلب أهل الغلبة ، رأيت خصالاً تعجبني: رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًا فللسابق فضله، وإن يكن ملكًا فلن تذل في عز ملكه، فقدم عدي إلى رسول الله ﷺ ، فأسلم، وأسلمت سفانة -رضي الله عنهما- .

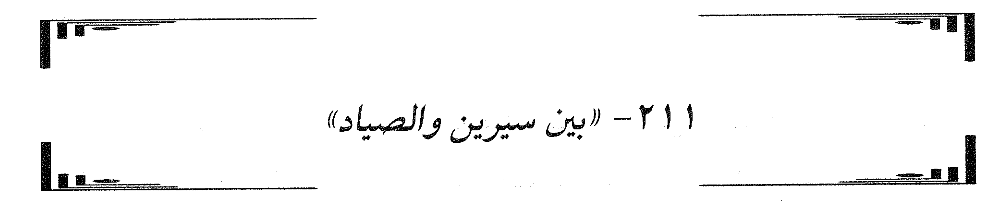


٢١٠ - «الامتحان والابتلاء»

خرج سليمان بن يسار من المدينة حاجًا ومعه أحد أصدقائه، حتى نزلا بالأبواء فقام صديقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئًا، وجلس سليمان في الخيمة ، وكان من أجمل الناس وجهًا وأروعهم، فبصرت به أعرابيـة من قمة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه - وعليـها البرقع والقـفازان- فأسـفرت عن وجـه لها كأنه فلقـة قمـر ، وقالت: أهنئني، فظن أنها تريد طعامًا فقام إلى فضلة السـفرة ليعطيها ، فقالت: لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله؟ فقال: جهّزكِ إليّ إبليس؟.

ثم وضع رأسه بين ركـبتيـه وأخذ في النحيب ، فلم يزل يبـكي فلما رأت منه ذلك سدلت البـرقع على وجهها وانصـرفت راجعة حتى بلغت أهلـها؛ وجاء صديقـه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع نفسه فقال: ما يبكيك؟ قال: خير ذكرت صبيتي.

قال: لا والله إلا أن لك قصة ، إنما عهـدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها، فلم يزل به حتى أخـبره خبـر الأعرابية ، فوضع صـديقه السفـرة وجعل يبكي بكاء شديدًا، فـقال سليمان : وأنت ما يبكيك؟ قال: أنا أحق بالبكاء منك، لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها، فلم يزالا يبكيان.



٢١١ - «بين سيرين والصياد»

تحكي كتب الأدب أن خسرو كان يحب أكل السمك، فكان يومًا جالسًا في المنظرة ، وامرأته سيرين عـنده فجاء الصياد ومعه سـمكة كبيرة ، وأهداها لخسرو ووضـعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم.

فقالت سيـرين: بئسما فعلت، قال: ولم؟ قـالت: لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر احتقره، وقـال: أعطاني عطية الصياد، وإن أعطيته أقل منه ، قال:

أعطاني أقل مما أعطى الصياد، فقال خسروا: لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباتهم ، وقد فات هذا.

فقالت سيرين: أنا أدبر هذه الحالة ، فقال : وكيف ذلك؟ .

فقالت: تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فإن قال: ذكر، فقل: إنما أردنا أنثى، وإن قال : أنثى ، فقل: إنما أردنا ذكراً .

فنودي الصياد ، فعاد وكان ذا ذكاء وفطنة ، فقال له خسرو: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ .

فقبل الصياد الأرض، وقال: هذه السمكة خنثى ولا ذكر ولا أنثى، فضحك خسرو من كلامه ، وأمر له بأربعة آلاف درهم ووضعها في جراب كان معه وحملها على عنقه وهمّ بالخروج، فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى إلى الدرهم وأخذه ، والملك وسيرين ينظران إليه .

فقالت سيرين: أيها الملك أرأيت إلى خسّة هذا الرجل وسفالته ، سقط منه درهم واحد فألقى عن ظهره ثمانية آلاف ، وانحنى عليه فأخذه ، ولم يسهل عليه أن يتركه يأخذه بعض الغلمان ، فحزن خسرو من ذلك، وقال: لقد صدقت يا سيرين.

ثم أمر بإعادة الصياد ، وقال له: يا ساقط الهمة لست بإنسان ، وضعت مثل هذا المال عن عنقك لأجل درهم واحد ، وأسفت أن تتركه مكانه!..

فقبل الصياد الأرض وقال : أطال الله بقاء الملك ، إنني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي ، وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه صورة الملك، فأعجب خسرو بكلامه وأمر له بأربعة آلاف أخرى ، فأخذها وانصرف.

٢١٢ - «امرأة في الجنة»

نظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة . .

فقال: ما هذه الجماعة؟ .

قالوا: امرأة تدل على النساء.

فأتاها، وقال لها: أريد أن أتزوج بامرأة فانظري لي كما أصف لك .

فقالت له : صفها.

فقال لها :

* أريدها بكرًا كثيب . . أو ثيبًا كبكر.

* مليحة من قريب، فخمة من بعيد.

* حصانًا عند جارها، ماجنة عند زوجها.

* كانت في نعمة ، فأصابتها فاقة .

* فيها أدب النعمة ، وذل الحاجة .

* لا ضرعة صغيرة ، ولا عجوز كبيرة .

* لها عقل وافر، وخلق طاهر، وجمال ظاهر.

* صلتة الجبين ، سهلة العرنين ، سوداء المقلتين.

* خدلجة الساقين، لفاء الفخذين.

* نبيلة المعتقد، كريمة المحتد، رخيمة المنطق.

* لم يداخلها صلف، ولم يشن وجهها كلف.

* ريحها أرج، وجهها بهج.

* لينة الأطراف ، ثقيلة الأرداف.

* لونها كالرق ، وثديها كالحق.

* أعلاها كسيب، وخصر مرهف.

* تتثنى تثني المآق، في حسن براق.

* لا الطول أزرى بها، ولا القصر عابها.

* إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل دين وآخرة .

فقالت له: أصبتها.

قال لها: أين هي؟.

قالت له: في الرفيق الأعلى من الجنة، مثل هذه لا توجد في الدنيا.

٢١٣ - «أتعرفني؟»

قال أبو إسحاق الجُهَيْمِيُّ: تَنَكَّرَ الحجاجُ وخرجَ، فمر على المُطَّلِبِ غُلام أبي لهب، فقال له: أيُّ شيء خبرُ الحجاج؟، فقال: على الحجاجِ لعنة الله، قال: متى يخرجُ؟ قال: أخرجَ اللهُ رُوحَهُ من بين جنبيه، قال: أتعرِفُني؟ قال: لا، قال: أنا الحجاج، قال له: أتعرفُني؟ قال: لا، قال: أنا المُطَّلِبُ غُلامُ أبي لهب، معروف بالصَّرْعِ، أُصْرَعُ في كل شهر ثلاثة أيام، اليوم أوَّلُهَا؛ فتركَهُ ومضى.

٢١٤ - «يسمونك العريان ولك عشرون جبة»

أُدْخِلَ مُخَنَّثٌ على العُريانِ بن الهيثم، وهو أمير الكُوفة، فقال: يا عدو الله! أتتخنَّثُ وأنتَ شيخٌ؟، فقال: مكذوبٌ عليَّ كما كُذِبَ على الأمير، فقال: وما قيلَ فيَّ؟ قال: يسمونكَ العُريانَ ولك عشرونَ جبةً.

٢١٥ - «ما بلغ من شؤمك؟»

قال الأصمعيُّ: قيلَ لِطُوَيْس: ما بلغ من شؤمك؟، قال: وُلِدتُ يوم توفِّيَ رسولُ الله ﷺ، وفُطمتُ يوم تُوفِّيَ أبو بكر، وخُتِنتُ يوم مات عُمر، وراهَقْتُ يومَ قتل عثمانُ،

وتزوجتُ يوم قُتلَ علي، ووُلِدَ لي يومَ قُتِلَ الحسينُ.

٢١٦- «إنا أعطيناك العمود»

ذكر أبو يوسف القزويني أن رجلاً كان يُقال له: هُذَيلُ بن واسع، يزعمُ أنه من ولدِ النابغة الذبياني، ادعى النُّبُوَّةَ، وزعم أن الله تعـالى أوحى إليه ما يُعَارِضُ به سورة الكوثر، فقال له رجل: أسـمعني! ، فقال: إنا أعطيناكَ الجواهرَ، فصل لربك وهَاجِـرْ، فما يُؤذيكَ إلا فاجـر، فظهر عليه القَـسْريُّ ، فقـتله وصلبه، فعـبَرَ عليه الرجل، فـقال: إنا أعطيناك العمودَ، فصل لربك من قعود، بلا ركوع ولا سجود، فما أراك تَعُودُ.

٢١٧- « عليك بحارثة بن قدامة»

لَطمَ رجلٌ الأحنفَ بن قيس، فقال له: لمَ فعلت هذا؟ قال: جُعل لي جُعْلٌ على أن ألطمَ سيد بني تميم؛ فقال: ما صنعتَ شيئًـا، عليكَ بحارثةَ بن قدامةَ، فإنه سيدُ بني تميمٍ؛ فانطلق ، فلطمه ، فقطع يده، وذاك أرادَ الأحنفُ.

٢١٨- «لابد من صيانة كتب العلم»

قال أحـمد بن علي بـن ثابت: استـعارَ رجل من أبي حـامد أحـمـد بن أبي طاهر الأسْفَرَاييني الفـقيه كتابًا، فرآهُ أبو حـامد يومًا قد أخذ عليه عنبًـا، ثم إن الرجل سأله بعد ذلك أن يعيـره كتـابًا، فقـال له : تجيءُ إلى المنزل، فأتاه، فـأخرج الكتابَ إليـه في طبق، وناوله إياه، فقال الرجل: ما هذا؟ قال له: هذا الكتابُ الذي طلبته، وهذا الطبق تضع عليه ما تأكله؛ فعلمَ بذلك ما جنى.

٢١٩ - «إن مسخ القاضي حمارًا ظفرت بحاجتك»

قال أبو عبد الله بن الأعرابي: كنتُ جالسًا بالكوفة، فرأيتُ أعمى قد وقف بنخَّاسٍ، فقال: يا نخاسُ! اطلب لي حِمَارًا ليس بالكبير المُشْتَهَرِ، ولا الصغيرِ المُحتقر، إن خلا الطريقُ تدفق، وإن كثر الزحامُ ترفق؛ لا يُصادمُ بي السواري، ولا يُدخلني تحت البواري، إذا أقْلَلْتُ علَفَهُ صبر، وإذا أكثرتُهُ لَهُ شكر؛ إن ركِبْتُهُ هام، وإن ركِبَهُ غيري قام؛ قال له النخاس: يا عبد الله! إن مُسِخَ القاضي حِمَارًا ظفرت بحاجَتِكَ.

٢٢٠ - «شهادة الحمير»

قال بكارُ بنُ رَبَاحٍ: كان بمكة رجل يجمع بين النساء والرجال، ويعملُ لهم الشراب، فشُكِيَ إلى أمير مكة، فنفاه إلى عرفات، فبنى بها منزلاً، وأرسل إلى حُرَفَائِهِ: ما يمنَعُكُم أن تعاودوا ما كُنتم فيه؟ قالوا: وكيف وأنت بعرفات؟ فقال: حمار بدرهمين، وقد صرتُمْ إِلَى الأمن والنُّزْهَةِ، فكانوا يركبون إليه، حتى أفسدَ أحوال أهلِ مكة، فعادوا يشكونَهُ إلى الوالي، فأرسل إليه، فأُتِيَ به، فقال: يا عدو الله! طردتك من حرم الله فصرت بفسادك إلى المشعرِ الأعظمِ!، فقال: يكذبونَ عليَّ؛ فقالوا: دليلُنا أن نأمُرَ بحمير مكة، فتُجْمَعَ، ويُرْسَلَ بها مع أُمنائك إلى عرفات، فإن لم تقصد منزله من بين المنازل فنحن مُبْطلون، فقال الوالي: إن هذا لشاهد ودليل، فجمع الحمير، ثم أرسلها، فصارت إلى منزله، فقال الأميرُ: ما بعدُ هذا شيء؛ فجرَّدوهُ، فلما نظر إلى السياط، قال: لابدَّ لك من ضربي؟ قال: نعم، قال: والله ما عليَّ في ذلك أشدَّ من أن يضحك منا أهلُ العراقِ، ويقولون: أهلُ مكة يجيزون شهادة الحمير! فضحك الوالي.



٢٢١ - «زمزم لما شرب له»

قال الحميديُّ : كنا عند سفيان بن عيينة ، فحدثنا بحديث زمزم أنه لما شُرِبَ له، فقام رجل من المجلس، ثم عاد، فقال له: يا أبا محمد! أليس الحديث الذي حدثتنا في زمزم صحيحًا؟ فقال : نعم، قال: فإني قد شربت الآن دلوًا من زمزم على أنك تحدثني بمئة حديث، فقال سفيان: اقعد؛ فحدثه بمئة حديثٍ.

٢٢٢ - «لا تقتل أضيافك»

قال عمر بن شبة : أُتِيَ معنُ بن زائدةَ بثلاثِ مئة أسير، فأمر بضرب أعناقهم، فقُدِّمَ غلامٌ منهم ليُقْتَل، فقال: يا مَعْنُ! لا يُقْتَلُ أسراكَ وهم عِطَاشٌ! فقال: اسقوهمْ ماءً؛ فلما شربوا، قام الغلامُ فقال: أيها الأمير! لا تُقتلْ أضيافك! فأطلقهم كُلَّهُم.

٢٢٣ - «أفهمتك كما أفهمتني»

وقال عبد الله بن مسلم : دخل أبو علقمة النحويُّ على أعينَ الطبيب، فقال له: أمتعَ اللهُ بك، إني أكلْتُ مِنْ لحومِ هذه الجَوَازِلِ، فطَسَأْتُ طَسْأَةً، فأصابني وجع من الوَالِبَةِ إلى دَأْيَةِ[1] العنق، فلم يزل يَرْبُو وينمو حتى خالطَ الخِلْبَ والشَّراسيفَ[2] ، فهل عندك دواءٌ؟، فقال أعينُ: خُذ حِرقِفًا وسِلْقِفًا، فزَهْزِقْهُ وَزَقْزِقْهُ، واغسلهُ بماءِ روثٍ واشربه؛ فقال أبو علقمة: لم أفهم عنك!، فقال أعينُ : أَفْهَمْتُكَ كما أفهمتني.

---

(١) **دأية العنق**: ذات العنق.

(٢) **الشراسيف**: جمع شرسوف، وهو : غضروف معلق بكل ضلع.

٢٢٤ - «هب لي كلبًا»

وبلغنا عن أبـي دُلامـة أنه دخل على المهـدي، فأنشـده قصيدة ، فـقال له: سلني حاجتك؛ فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي كلبًا؛ فغضِبَ ، وقال: أقولُ لك سلني حاجةً ، فتـقولُ : هبْ لي كَلبًا؟ !!! فـقال: يا أميـر المؤمنين! الحاجـةُ لي أو لك ؟ ، قال: لك، فقال: أسألُكَ أن تهبَ لي كلبَ صيدٍ؛ فأمر له بكلبٍ، قال: يا أميرَ المؤمنين! هَبني خرجتُ إلى الصيـد، أعدُو على رجلي؟ فأمر له بدابـة، فقال: فمن يقـوم عليها؟ فأمـرَ له بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين! فهبني صِدْتُ صيدًا، فأتيتُ به المنزلَ، فمن يطبخُهُ؟ فأمر له بجارية، فقـال: هؤلاء أين يبيتون ؟ فـأمر له بدار، فقال: يـا أمير المؤمنين ! قد صَـيَّرت في عُنُقي كُفًّا[1] مِنَ العيال ، فمِن أين يَقُوتُ هؤلاءِ؟ فضحك منه وأعطاه ما قصد.

٢٢٥ - «لو حدثت الشيطان لأضحكته»

قال أبو سعيد عبد الله بن شبيب: حدثني الزبير، قال: كانت أُمُّ سلمة بنت يعقوب ابن سلمة بعد موتِ أمير المؤمنين أبي العباسِ لا تضحك، فأنشدها مَرْثِيَّةً رثاهُ بها، فقالت: ما وجدت أحـدًا حَزِنَ على أمير المؤمنينَ حـزني وحُزْنَكَ! ، فقال: لا سـواءَ رحمكَ اللهُ، لكِ منه ولد، وليس لي منه ولد! فضَحِكَتْ، وقالت: لَوْ حدثت الشيطانَ لأضْحكْتَهُ.

٢٢٦ - «إن الشجر قد أورق»

قال الأصمعي: حـدثني شيخ من بني العنبر، قال: أسَـرَ بنو شيبـان رجُلاً من بني

(١) أي: جمعًا وحاشية.

العنبرِ، فقال لهـم: أرسلوا إلى أهلي ليفْـدُوني؟ قالوا: ولا تُكَلِّم الرسـولَ إلا بين أيدينا؛ فجـاءوه برسول، فـقال له: ائتِ قومي، فـقُلْ لهم: إن الشجـرَ قد أورَقَ، وإن النسـاءَ قد اشتكَتْ، ثم قـال له: أتعْقِلُ؟ قال: نعم، أعْـقِلُ، قال: فما هذا؟ وأشـار بيده إلى الليل، فقال: هذا الليل، قـال : أراكَ تعْقِلُ، انطلق فقُلْ لأهْلِي: عَرُّوا جملي الأصـهبَ، واركَبُوا ناقتي الحمراءَ، وسَلُوا حارثة عن أمري، فـأتاهم الرسولُ، فأرسلوا إلى حارثة ، فقصَّ عليه القصة . فلما خلا معهم، قال: أما قوله: إن الشجر قد أورق؛ فإنه: إن القوم قد تسلَّحوا؛ وقوله: إن النساء قد اشتكت؛ فـإنه يُريدُ: إنها قد اتخذتْ الشِّكَاءَ(١) للغزو، وهي أَسقية، وقوله: هذا الليل، يُريد : يأتونكم مثلَ الليل أو في الليل؛ وقوله: عَرُّوا جملي الأصهب؛ يُريدُ : ارتَحِلوا عن الصِّمَّان(٢) ، وقوله: واركبوا ناقتي؛ يريدُ : اركبوا الدَّهْنَاءَ(٣) . فلما قال لهم ذلك تحولوا من مكانهم، فأتاهم القومُ، فلم يجدوهم.

٢٢٧ - «هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلبًا»

قال السَّلامِيّ الشاعرُ: دخلت على عَضُدِ الدولة، فمدحْتُهُ، فأجزل عطيتي من الثياب والدَّنَانير، وبين يديه جَامٌ، فـرآني أَلْحَظُهُ، فرمى به إِلَيّ، وقال: خُذْهُ، فـقلتُ: وكُلُّ خَيْرٍ عندنا من عنده؛ فقـال عضُدُ الدولة: ذاكَ أبوكَ! فـبقيت متـحيرًا لا أدري ما أراد؛ فـجِئْتُ أستاذًا لي، فشَرحْتُ له الحال، فقـال: وَيْحَكَ! قد أخطأْتَ خطيئَةً عظيمةً؛ لأن هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلبًا حيث يقول:

أَنْعَتُ كَـلْبًـــا أَهْلُـهُ في كَـــدِّهِ قَـدْ سَـعِـدَتْ جُـدُودُهُـم بِجَـدِّهِ

وكـل خير عندهـم مـن عنده

قال: فَعُـدْتُ متَّشِحًا بـكساء، ووقفت بين يدي الملك أرْعُدُ، فـقال: ما لك؟ قُلْتُ: حُـمِـمْتُ السـاعةَ، قـال: هل تَعْرِفُ سـبب حُمَّـاكَ؟ قُلْتُ : نظرتُ في شعـر أبي نُواسٍ، فحُمِمْتُ، قال: لا تخَفْ ، لا بأس عليك من هذه الحُمَّى.

---

(١) جمع شكوة، وهي: وعاء من جلد للماء واللبن.

(٢) **الصمان**: كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل.

(٣) **الدهناء**: الصحراء الواسعة.

٢٢٨ - «ذكاء اللصوص»

شاهدَ عُبَيْدُ الله بن محمد الخَفَّافُ لِصّاً قد أُخِذَ، وشُهِدَ عليه أنه كان يَفُشُّ الأقفال[١] في الدُّورِ اللِّطَافِ، فـإذا دخل، حفر في الدار حـفرةً لطيفـةً كأنها بـئْرُ النَّرْدِ، وطرحَ فيـها جَوْزَاتٍ كأنه يلاعبُ إنسـانًا، وأخرج منديلاً فيه نحو مـئتي جَوْزَةً، فتركه إلى جـانبها، ثم يُكوِّرُ جميع مـا يُطيقُ حمله، فإن لم يُفْطَنْ به خرج، وإن جاء صـاحبُ الدار تركَ القُمَاشَ وَأَفْلَتَ، وإن كان صاحبُ الدار جَلدًا، فواثبه، وصاحَ: اللُّصُوصَ! واجتمع الجيرانُ، أقبل عليه، وقال: ما أَبْرَدَكَ! أنا أُقـامرُكَ بالجوْزِ مُنْذُ شهور، قد أفقـرتَني وأخذت كُلَّ ما أملكُهُ، لأفضحنَّكَ بين جيرانكَ، لما قـمَرْتُكَ الآنَ تصيحُ! يا غَثُّ! يا باردُ! بيني وبينك دارُ القمار، قُلْ قد ضَغَوْتُ[٢] حتى أَخْرُجَ! فـيقولُ الجيرانُ: إنما يريدُ أن لا يـفضحَ نفسه بالقمـار، فقد ادعى على ذا اللُّصُوصِيَّةَ؛ فيحولون بينهما، ويُخْرِجُونَ اللِّصَّ.

٢٢٩ - «الدقة في الكلام»

قال عمارة بن عقيل: قـال ابنُ أبي حفصة الشاعرُ: أَعَلِمْتَ أن أميـر المؤمنين! يعني المأمونَ - لا يُبْصِرُ الشِّعْرَ؟ فقلتُ: من ذا يكونُ أَفْرَسَ منه؟ والله إنا لَنُنشدُ أَوَّلَ البيت فيسبقُ إلى آخرِهِ من غيـر أن يكون سمعه؛ قال: إني أنـشدته بيتًا أجَدْتُ فـيه، فلم أرهُ تحرَّكَ له، وهذا البيتُ فاسمعه:

أَضْحَى إمامُ الهُـدَى المأمونُ مُـشْتَـغلاً ... بالدِّينِ والـناسُ بالدنيـا مـشَـاغِـيلُ

فقلتُ له: ما زِدتَ أن جـعلتهُ عجوزًا في محـرَابها في يدها سُبْحَةٌ، فـمن يقومُ بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها وهو المُطَوّقُ لها؟ ألا قُلْتَ كـما قال عمُّكَ جريرٌ لعبد العزيز بن الوليد:

---

(١) أي: يفتحها بغير مفتاح.

(٢) أي: قامرت.

فـلا هُوَ في الـدنيـا مُـضِيعٌ نَصِـيبَـهُ ولا عَـرَضُ الدنيـا عن الـدين شـاغِلُهُ

٢٣٠ - «أدب الفضل مع الرشيد»

بلغنا عن الرشيد أنه كان في داره حُزْمَةُ خَيْزُرَان، فقال لوزيره الفضل بن الربيع: ما هذه؟ فقـال: عُروقُ الرِّماح يا أمـيرَ المؤمنين؛ ولم يُرِدْ أن يقول: الخـيْزُرَان لموافقَـتِه اسمَ أُمِّ الرَّشِيدِ.

٢٣١ - «بحيضة أو حيضتين؟»

قال عافيةُ بنُ شـبيب: لما دخل الجَمَّازُ على المُتوكِّلِ، قال له: تكلـمْ، فإني أريدُ أن أَسْتَبْـرِئُكَ؛ فقال له الجَمَّـازُ: بحيضة أو حـيضتينِ؟ فضـحكَ الجماعةُ. فقـال له الفتحُ [بنُ خاقان]: قد كَلَّمْتُ أمير المؤمنين فيكَ حـتى وَلاكَ جزيرةَ القرود؛ فقال الجَمَّازُ: أَفَلَسْتَ في السمع والطاعة أصلحك الله؟ فحُصِرَ الفـتحُ وسكتَ، فأمر له المتوكلُ بعشرة آلاف درهم، فأخذها وانحدرَ، فماتَ فرحًا بِهَا.

٢٣٢ - «أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟»

ذَبَحَ رجُلٌ بخيلٌ دجـاجةً، فدعاهُ صـديق له، فأمر بالدجـاجة فَرُفِـعَتْ، وباتَ عند صديقه، فلمـا جاء دعا بالدجاجة، فـإذا هي منزوعَة الفخذ، فـقال: من هذا الذي تعاطى فَعقَرَ؟ فامتنعوا أن يُخْـبرُوهُ، فقالَ لِقَهْرَمَانه[1]: اقْطَعْ خُبْـزَهُمْ ونَفَقَاتهـمْ؛ فوثَبَ غُلَيْمٌ لَهُ صغيرٌ، وقال: ﴿أَتُهْلِكُنا بما فعلَ السفهاء منا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥] فَرَدَّ عليهم خُبْزَهُمْ.

---

(١) القهرمان: الخادم أو الوكيل.

٢٣٣ - «قد عرفت الشرط»

كان ابن المدبّر إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه: امض به إلى المسجد الجامع، فلا تفارقه حتى يصلي مئة ركعة! ثم خلِّه.

فتحاماه الشعراء، إلا الأفراد المجيدين، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري، فاستأذنه في النشيد، فقال: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم، وأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحًا ... كما بالمدح ينتجع الولاة[1]

فقلنا: أكرم الثقلين طرًّا ... ومن كفّاه دجلة والفرات

فقالوا: يَقْبَل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصَّلاةُ

فقلت لهم: وما تغني صَلاتي ... عيالي، إنما الشأن الزكاة

فيأمر لي بكسر الصاد منها ... فتصبح لي الصلاة هي الصِّلاتُ

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمام.

٢٣٤ - «جزاء الخيانة»

حظر الحاكم بأمر الله بمصر على النساء الخروج من منازلهن، والاطلاع من سطوحهن، ودخول الحمامات، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف لهن، وقتل عدة نساء خالفن أمره في ذلك.

وكان الحاكم يركب بالليل يطوف بالأسواق، ورتّب في كل دَرْب أصحاب أخبار يطالعونه بما يعرفونه، ورتّبوا عجائز يدخلن الدّور ويرفعن إليهم أخبار النساء، وأن فلانًا

(١) ينتجع الولاة: يطلب معروفهم.

يحب فلانة، وفـلانة تحب فلانًا، وأن تلك تجتمع مع صـديقها، وهذا مع صاحـبته، فكان أصحاب الأخبار يرفعون إلى الحاكم ذلك، فَـيُنْفِذ من يقبض على المرأة التي سمع عنها مثل ذلك، فإذا اجتمع عنده جماعة منهن أمر بتغريقهن.

واتفق أن مرَّ قاضي القضاة يومًا ببعض المحال، فنادته امرأة من دارها، وأقسمت عليه أن يقف لها فوقف، فبكت بكاء شديدًا ، وقالت:

لي أخ لا أملك غـيـره، وعرفتُ أنه في آخـر الرمق، وأنا أقـسم عليك إلا أمـرت بحملي إليه لأشاهده قبل أن يقضي نحبه.

فرحمهـا القاضي ورقّ لها، وأمر رجلين من أصحـابه أن يحملاها إلى الموضع الذي تدلُّهما عليه.

فأغلقت باب دارها، وتركت المفتاح عند جارة لها، وقالت: سلِّميه إلى زوجي.

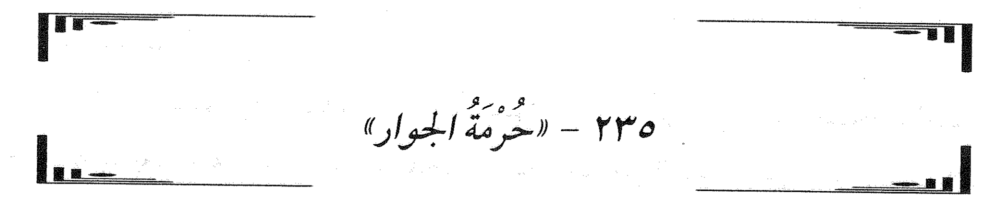
ومضت إلى باب فدقَّته فدخلت، وقالت للرجلين: انصرفا.

وكانت الدار لرجل يهواها وتهواه، فلما رآها سرَّ بها، وأخبرته بحيلتها.

فلما انصرف زوجها آخر النهار، وجد بابه مغلقًـا، فسأل الجيران فأخبروه بالحال وبما جرى لها مع قاضي القضاة ، فـدخل إلى بيته وبات في أقبح ليلة، ثم باكر في غد إلى دار قاضي القضاة ، وقال:

أنا زوج المرأة التي فعلت أمس ما فعلته، وما لها أخ ، وما أفارقك حتى تردّها إليَّ.

فركب قاضي القضاة في الحال، واستصحب الرجلين اللذين أنفذ بهما مع المرأة حتى يرشـداه إلى الدار، فـوجد المرأة والرجـل نائمين في إزار واحـد على سُكْرٍ، فـحُمـلا إلى الحاكم، فأمر بأن تُحْرَقَ المرأة ، وأن يُضرب الرجل ألف سوطٍ.



٢٣٥ - «حُرْمَةُ الجوار»

كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكاف، يعمل نَهَارَهُ أجمع، حتى إذا جَنَّهُ الليلُ رجع

إلى منزله، وقد حمل معه لحمًا فطبخه، أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دبَّ الشرابُ فيه غنَّى:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثَغْر

فلا يزال يشرب ويردّد هذا البيت، حتى يأخذَه النوم .

وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ، ويتضرر من غناء جاره، وفي إحدى الليالي فَقَدَ صوتَ الإسكاف، فسأل عنه ، فقيل: أخذه العسس[1] وهو محبوس.

فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلة ، واستأذن على الأمير، فقال:

ائذنوا له، وأقبلوا به راكبًا، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط.

ففعل. وأوسع له الأمير في مجلسه. وقال له: ما حاجتك؟.

قال: لي جار إسكاف، أخذه العسس ، يأمر الأمير بتخليته.

فقال: نعم، وأمر بتخليته.

فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة التفت إليه وقال: يا فتى ، هل أضعناك ؟ .

قال: لا ، بل حفِظتَ ورَعَيْت، جزاك الله خيرًا عن حُرمة الجوار، ولم يعد بعدها إلى ما كان عليه .

٢٣٦ - « من ظن أن يستغني عن التعلم ، فليبكِ على نفسه»

مرض أبو يوسف مرضًا شديدًا، فعاده أستاذه أبو حنيفة مرارًا، فلما صار إليه آخر مرة ، رآه ثقيلاً، فاسترجع ، ثم قال: لقد كنت أؤمه بعدي للمسلمين ، ولئن أصيب الناس به ليموتن علمٌ كثير.

---

(١) **العسس**: رجال الشرطة.

ثم رُزق أبو يوسف العافية ، وخرج من العِلَّة ، فلما أُخبر بقول أبي حنيفة فيه، ارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه، وقصَّر عن لزوم مجلس أبي حنيفة .

وسأل أبو حنيفة عنه فأُخبر أنه عقد لنفسه مجلسًا بعد أن بلغه كلام أستاذه فيه، فدعا أبو حنيفة رجلاً وقال له : صِرّ إلى مجلس أبي يوسف، فقل له : ما تقول في رجل دفع إلى قَصَّار[1] ثوبًا ليصبغه بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: مالك عندي شيء ، وأنكره، ثم إن صاحب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مصبوغًا، أَلَهُ أجرُه؟ ، فإن قال أبو يوسف : له أجره، فقل له: أخطأت، وإن قال: لا أجرَ له فقل له: أخطأت! .

فصار الرجل إلى أبي يوسف ، وسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة .

قال الرجل: أخطأت.

ففكر ساعة ، ثم قال : لا أجرة له .

فقال له : أخطأت! .

فقام أبو يوسف من ساعته ، فأتى أبا حنيفة ، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصَّار.

قال : أجل .

فقال أبو حنيفة : سبحان الله ! من قعد يفتي الناس، وعقد مجلسًا يتكلم في دين الله، لا يُحسن أن يجيب في مسألة الإجارات؟! .

فقال: يا أبا حنيفة ، علِّمني.

فقال: إنْ صبغه القصار بعدما غَصَبَه فلا أجرة له؛ لأنه صبغ لنفسه، وإن كان صبغه قبل أن يغصبه، فله الأجرة ؛ لأنه صبغه لصاحبه.

ثم قال: من ظن أن يستغني عن التعلُّم فَلْيَبك على نفسه.

---

(١) **القصار**: محترف صبغ الثياب.

٢٣٧ - «الشفيع العُريان»

غَضِبَتْ النَّوار زوجُ الفرزدق منه ، فخرجت إلى عبد الله بن الزبير، ونزلت على زوجه خَوْلَة بنت منظور، وسألتها الشفاعة لها، بينما نزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير، فوعده الشفاعة .

وتكلمت خولة في النَّوار، وتكلم حمزة في الفرزدق، فأُنجِحَتْ خَولة ، وأمر ابنُ الزبير الفرزدق ألا يقرب النَّوار، فقال الفرزدق في ذلك :

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم وشُفِّعَتْ بنتُ منظور بن زَبَّانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مُتَّزِراً مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُرياناً!

٢٣٨ - «لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك»

قال الحضرمي: أقمت مرة بقرطبة ولازمتُ سوق كتبها مدة أترقّب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء ، إلى أن وقع، وهو بخط فصيح، وتفسير مليح .

ففرحت به أشد الفرح، وجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ، إلى أن بلغ فوق حدّه.

فقلت له : ما هذا؟ أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه ما لا يساوي.

فأراني شخصًا عليه لباس الرئاسة . فدنوت منه ، وقلت له: أعزّ الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركتُه لك، فلقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدّه.

فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري فيه، ولكني أقمتُ خزانة كتب، واحتفلتُ فيها لأتجمّل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط، جيد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو

كثير. فأحرجني ، وحملني على أن قلت: نعم، لا يكون الرزق كثيرًا إلا عند مثلك، يعطي الجوز من لا أسنان له[1] ! وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به، تحول قلّة ما بيدي بيني وبينه!.

٢٣٩ - «هذا زياد بن أبي سفيان!»

كانت سُمية أم زياد بن أبيه بغيّاً، وكان أبو سفيان بن حرب يقول: أنا والله وضعتُه في رحم أمه سمية ، وما له أب غيري، فلما ولي معاوية الخلافة صعد المنبر ، وأمر زيادًا فصعد معه، ثم قال: أيها الناس، إني قد عرفت شَبَهَنا أهلَ البيت في زياد، فمن كانت عنده شهادة فليُقِمها.

فقام الناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان، وجمع له معاوية الكوفة والبصرة .

وكان رجل من بني مخزوم أعمى يكنى أبا العُريان. فمرَّ به زياد في موكبه، فقال الأعمى: من هذا؟ ، قالوا: زياد بن أبي سفيان، قال: ما ولد أبو سفيان إلا فلانًا وفلانًا، فمن هذا، فوالله لرُبَّ أمرٍ قد نقضه الله، وبيتٍ قد هدمه الله، وعبدٍ قد ردَّه الله إلى مواليه.

فبلغ معاوية قوله، فأرسل إلى زياد: ثكِلَتْك أمّك، اقطع لسانَ أعمى بني مخزوم!.

فبعث إليه زياد بألف دينار، وقال لرسوله: أقرئه السلام. وقل له: يقول لك ابن أخيكَ : أَنفِقْ هذه حتى يأتيك مثلها.

ومرّ به زياد من الغد، فسلّم ، فقال قائل: مَن هذا؟ فقال الأعمى المخزومي: هذا زياد بن أبي سفيان!، وجعل يبكي ويقول: والله إني لأعرف منه حَزْم أبي سفيان ونُبْلَه!.

***

---

(١) لا شك أن لله -عز وجل- في ذلك الحِكَم البالغة، ومما ينبغي أن يُعلم أن هذه الكلمة مثل قول العامة: يعطي الحلق للي بلا ودان» وهذه والأخرى لا يجوز التلفظ بهما لما في ذلك من الإشعار بانتفاء حكمة الله -عز وجل-. وانظر المناهي اللفظية للشيخ ابن عثيمين بتخريجنا . ط/ العلم.

٢٤٠ - «أنت لها!»

استعمل معاويةُ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الجيش وقد جاشت[١] الروم ، وكتب له عهدًا ، ثم قال له : ما تصنع بعهدي هذا؟ . فقال: أتخذه إمامًا فلا أتجاوزه.

قال معاوية : رُدَّ عليَّ عهدي. وعزله ، ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدي، فقال له: قد ولّيتك الجيش وهذا عهدي، فما أنت صانع به؟ .

قال: أتَّخِذه إمامًا ما وافق الحَزْم، فإذا خالفَه خالفتُه وأعملتُ رأيي.

قال معاوية : أنت لها!.

٢٤١ - «أستغفر من قولي مرة : الحمد لله»

قال سريّ السقطيّ ، وكان أوحد زمانه في الورع ، وعلوم التوحيد: منذ ثلاثين سنة، أنا في الاستغفار من قولي مرة : الحمد لله . قيل له : وكيف ذلك ؟ .

قال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني واحد، وقال: نجا حانوتك! ، فقلت: الحمد لله! فأنا نادم من ذلك الوقت حيث أردت لنفسي خيرًا من دون الناس.

٢٤٢ - «خذ في حديثك»

قدم رجل كان في الصائفة[٢] على معاوية بن أبي سفيان ، فسأله معاوية عن الناس وحالهم، فبينا هو يحدثه إذ ضرط الرجل ضرطة فخجل وسكت ، فقال معاوية:

---

(١) جاشت الروم: جمعت جيوشها. (٢) الصائفة: الغزوة في الصيف.

خُذ أيها الرجل في حديثك، فوالله ما سمعتُها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي!.

٢٤٣ - «يرضيك هذا؟»

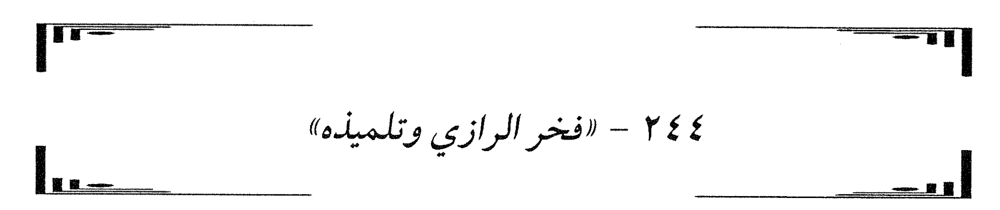
سار الملك محمد بن السلطان محمود إلى بغداد ليحصرها، ودار القتال على باب البلد. فأمر الخليفة المقتفي فنودي ببغداد:

كل من جُرح في القتال فله خمسة دنانير.

فكان كل من جرح يوصل ذلك إليه، وحضر بعض العامة عند الوزير مجروحًا، فقال له الوزير: هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئًا.

فعاد الرجل إلى القتال، فضُرب في جوفه فخرجت أمعاؤه، فعاد إلى الوزير، فقال له: يا مولانا الوزير، يُرضيك هذا؟ !.

فضحك منه، وأمر له بِصلة.



٢٤٤ - «فخر الرازي وتلميذه»

حدّث النسابة إسماعيل بن الحسين الغنوي، قال: ورد فخر الدين الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعِظَم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يُراجع في كلامه، ولا يتنفَس أحد بين يديه.

فترددت للقراءة عليه، فقال لي يومًا: أُحبّ أن تُصنِّف لي كتابًا لطيفًا في أنساب الطالبيين لأنظر فيه وأحفظَه، فصنّفتُ له المصنف الفخري، فلما ناولته إياه، نزل عن مقعده وجلس على الحصير، وقال لي: اجلس على هذا المقعد!.

فأعظمتُ ذلك وأبيت، فانتهرني نهرةً عظيمة مزعجة، وزعق عليّ، وقال: اجلس حيث أقول لك !.

فتداخلني من هيبته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ في كتابي وهو جالس بين يديّ، ويستفهمني عما استغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال:

اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا عِلْمٌ أنت أستاذي فيه، وأنا أستفيد منك ، وأتلمذ لك ، وليس من الأدب إلا أن يجلس التلميذ بين يدي الأستاذ.

٢٤٥ - «في هذه الدنيا من هو أجود منك»

قال معن بن زائدة : لما انتقلت الدولة إلى بني العباس، جَدَّ المنصورُ في طلبي، وجعل لمن يحملني إليه مالاً، فاضطررت لشدة الطلب إلى أن تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي، وخَفَّفت عارضي، ولبست جبة صوف، وركبت جملاً، وخرجت متوجهًا إلى البادية لأقيم بها.

فلما خرجتُ من باب حرب، وهو أحد أبواب بغداد، تبعني أسود متقلِّد بسيف، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض على يدي، فقلت له: ما بك؟ .

فقال: أنت طلبة أمير المؤمنين.

فقلت: ومن أنا حتى أُطلب.

قال: أنت معن بن زائدة .

فقلت له: يا هذا. اتَق الله، وأين أنا من معن؟ .

فقال: دع هذا، فوالله إني لأَعْرَفُ بك منك.

فلما رأيت منه الجد، قلت له: هذا جوهر قد حملته معي بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجئه بي فخذه ولا تكن سببًا في سفك دمي.

قال: هاته.

فأخرجته إليه، فنظر فيه ساعة ، وقال: صدقتَ في قيمته، ولستُ قابلَه حتى أسألك عن شيء، فإن صَدَقتني أطلقتك . فقلت: قل.

قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرني: هل وهبتَ مالك كله قط؟ . قلت: لا . قال: فنصفه؟ ، قلت: لا . قال: فثلثه؟ ، قلت: لا .

حتى بلغ العُشر، فاستحييت ، وقلت: أظن أني فعلتُ هذا.

قال: وما ذاك بعظيم، أما عني فرزقي من الخليفة كل شهر عشرون درهمًا، وهذا الجوهر قيمته ألوف الدنانير، وقد وهبتُه لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك ، فلا تُعجبك نفسك، ولتحقر بعد هذا كلَّ جود فعلته، ولا تتوقف عن مكرمة .

ثم رمى العقد في حجري، وترك خطام جملي، وولَّى منصرفًا.

فقلت: يا هذا، قد والله فضحتني، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ مما فعلتَ ، فخذ ما دفعتُه لك فإني غني عنه.

فضحك وقال: أردتَ أن تكذبني في مقالي هذا؟ والله لا أخذتُه ولا آخذ لمعروف ثمنًا أبدًا. ومضى سبيله.

فوالله لقد طَلبتُه بعد أن أمنت ووليت بلاد اليمن، وبذلت لمن يجيء به ما شاء، فما عرفتُ له خبرًا، وكأنّ الأرض ابتلعته.

٢٤٦ - «القرآن وكلام الصاحب بن عبّاد»

ناظر الوزير الصاحبُ بن عباد يهوديًا بالري، هو رأس الجالوت، في إعجاز القرآن، فراجعه اليهوديّ فيه طويلاً حتى احتدَّ الصاحب وكاد يتقدّ، فلما رأى اليهودي منه ذلك احتال طلبًا لمداراته ، فقال:

أيها الصاحب ، لم تتّقد وتلتهب؟ كيف يكون القرآن عندي آيةً ودلالةً على النبوَّة ،

ومعجزةً من جهة نظمه وتأليفه؟ فإن كان البلغاء فيما تدّعي عنه عاجزين، فأنا أصْدُقُ عن نفسي ، وأقول إن رسائلك وكلامك وما تؤلفه من نظم ونثر هو عندي فوق ذلك أو مثل ذلك أو قريب منه ، وعلى كل حال فليس يظهر لي أنه دونه!.

فلما سمع ابن عباد هذا فَتَرَ وخَمَد، وسكن عن حركته، وقال: ولا هكذا أيضًا يا شيخ، كلامُنا حسن بليغ ، وقد أخذ من الجزالة حظّاً وافرًا، ومن البيان نصيبًا ظاهرًا، ولكن القرآن له المزية التي لا تُجْهَل!.

هذا كله يقوله وقد تراجع مزاجُه، وصارت نارُه رمادًا، مع إعجاب شديد قد شاع في أعطافه، وفرح غالب قد دبَّ في أسارير وجهه؛ لأنه رأى كلامه شُبْهةً على اليهود مع سعة حِيَلهم، وشدّة جدالهم ، وطول نظرهم، وثباتهم لخصومهم، فكيف لا يكون شبهة على النصارى وهم ألين من اليهود عريكة ، وأكثرهم تسليمًا؟ !.

٢٤٧ - «الدليل على الله»

قال رجل لجعفر الصادق: ما الدليل على الله، ولا تَذْكُرْ لي العالمَ والعَرَضَ والجوهر؟ .

فقال له : هل ركبتَ البحر؟ . قال: نعم.

قال: هل عصفتْ بكم الريحُ حتى خفتم الغرق؟ . قال: نعم.

قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟ . قال: نعم.

قال: فهل أحسّت نفسُك أن ثَمَّ من يُنجيك؟ . قال: نعم.

قال: فإن ذاك هو الله!.

***

٢٤٨ - «ماذا أصنع بهذه الأموال؟»

لما تمهّدت بلاد اليمن لتوران شاه بن أيوب (وهو أخو السلطان صلاح الدين) ، واستقامت له أمورُها، كرهَ المقام بها لأنها بلاد مجدبة، فكتب إلى صلاح الدين يستقيل منها، ويسأله الإذن له في العَوْد إلى الشام، ويشكو حالَه، فأرسل إليه أخوه رسولاً مضمونُ رسالتِهِ ترغيبُهُ في الإقامة ، وأن اليمن كثيرة الأموال ومملكة كبيرة.

فلما سمع توران شاه هذه الرسالة ، قال لمتولي خزانته: احضر لنا ألف دينار.

فأحضرها في كيس، فقال لأستاذ داره ، والرسول حاضر عنده: أرسل هذا الكيس إلى السوق يشترون لنا بما فيه قطعةَ ثلج .

فقال أستاذ الدار: يا مولانا، هذه بلاد اليمن ، من أين يكون فيها ثلج؟!.

فقال: دعهم يشترون بها طبق مشمش لوزي.

فقال: من أين يوجد هذا النوع ههنا؟ .

فجعل يعدّد عليه جميع أنواع فواكه دمشق، وأستاذ الدار يُظْهِر التعجب من كلامه، وكلما قال له عن نوع ، يقول له : ومن أين يوجد هذا ههنا؟ !.

فلما استوفى الكلام إلى آخره ، قال توران شاه للرسول: ليت شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أنتفع بها؟ هل يؤكل المالُ بعينه؟ أم فائدته أن يتوصل به الإنسان إلى بلوغ أغراضه؟ . فعاد الرسول إلى صلاح الدين ، وأخبره بما جرى، فأذِن له في المجيء.

٢٤٩ - «ساحر النيل»

كان أبو جعفر النحاس، النحويّ المصريّ، من أهل العلم بالفقه والقرآن، رحل إلى العراق، وسمع من الزَّجّاج ، وأخذ عنه النحوَ وأكثر، وله مصنّفات في القرآن، منها كتاب

«الإعراب» ، وكتاب «المعاني» ، وهما كتابان جليلان أغنيا عما صُنِّف قبلهما في معناهما، وكتاب «تفسير أبيات كتاب سيبويه» ، ولم يُسبق إلى مثله، وكل من جاء من بعده استمدَّ منه.

جلس يومًا على دَرَج المقياس بمصر على شاطيء النيل وهو في مَدِّه وزيادته، ومعه كتاب «العَروض»[1] ، وهو يقطّع منه بحرًا، فسمعه بعض العوام ، فقال: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فتغلو الأسعار!. ثم دَفَعَ النحاسَ برجله، فذهب في المدّ، فلم يُوقَفْ له على خبر.

٢٥٠ - «تأديب أحمد بن طولون لولده»

قال عبد الله بن القاسم كاتب العباس بن أحمد بن طولون: بعث إليَّ أحمد بن طولون بعد أن مضى من الليل نصفُه، فوافيتُه وأنا منه خائف مذعور.

ودخل الحاجب بين يديّ وأنا في أثره، حتى أدخلني إلى بيت مظلم، فقال لي: سلِّم على الأمير!.

فسلَّمت، فقال لي ابن طولون من داخل البيت وهو في الظلام: لأي شيء يصلح هذا البيت؟ .

قلت: للفكر. قال: ولم؟ .

قلت: لأنه ليس فيه شيء يشغل الطرف بالنظر فيه.

قال: أحسنت! امض إلى ابني العباس، فقل له: يقول لك الأمير اغدُ عليّ. وامنعه من أن يأكل شيئًا من الطعام إلى أن يجيئني فيأكل معي.

فقلت: السمع والطاعة .

وانصرفت، وفعلتُ ما أمرني به ، ومنعته من أن يأكل شيئًا.

---

(١) **العروض**: علم موازين الشعر.

وكان العباس قليل الصبر على الجوع، فرام أن يـأكل شيئًا يسيرًا قبل ذهابه إلى أبيه، فمنعته، فركب إليه، وجلس بين يديه، وأطال أحمد بن طولون عمدًا، حتى علم أن العباس قد اشتدَّ جوعه. وأُحضرت مائدة ليس عليها إلا البوارد من البقول المطبوخة، فانهمك العباس في أكلها لشدَّة جوعه، حتى شبع من ذلك الطعام، وأبوه متوقف عن الانبساط في الأكل، فلما علم بأنه قد امتلأ من ذلك الطعام، أمرهم بنقل المائدة ، وأُحضر كل لون طيّب من الدجاج والبط والجدي والخروف، فانبسط أبوه في جميع ذلك فأكل، وأقبل يضع بين يدي ابنه منه ، فلا يمكنه الأكل لشبعه.

قال له أبوه: إنني أردت تأديبك في يومك هذا بما امتحنتك به، لا تُلق بهمَّتك على صغار الأمور بأن تسهِّل على نفسك تناول يسيرها فيمنعك ذلك من كبارها، ولا تشتغل بما يقلّ قدرُه فلا يكون فيك فضلٌ لما يعظم قدرُه.

٢٥١ - «العامة والأنعام»

كان المأمون قد همَّ بلعن معاوية بن أبي سفيان، فمنعه عن ذلك يحيى بن أكثم، وقال له: يا أمير المؤمنين، إن العامة لا تحتمل هذا، دعهم على ما هم عليه، ولا تُظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفِرَق، فإن ذلك أصلحُ في السياسة، فركن المأمون إلى قوله.

فلما دخل عليه ثُمامة بن الأشرس، قال له المأمون: يا ثُمامة ، قد علمتَ ما كنا دبَّرناه في معاوية، وقد عرضنا رأيٌّ أصلح في تدبير المملكة ، وأبقى ذكرًا في العامة ، ثم أخبره أن يحيى خوّفه إياها.

فقال ثمامة : يا أمير المؤمنين ، والعامة عندك في هذا الموضع الذي وضعها فيه يحيى؟! والله ما رضي الله أن سوّاها بالأنعام حتى جعلها أضلّ سبيلاً، فقال تبارك وتعالى: **﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾** . والله لقد مررتُ منذ أيام في شارع الخلد ، فإذا إنسان قد بسط كساءه وألقى عليه أدوية وهو قائم ينادي:

هذا الدواء للبياض في العين والغشاوة وضعف البصر.

وإن إحدى عينيه لمطموسة والأخرى مؤلَمَة. والناس قد انثالوا عليه، واحتلفوا إليه يستوصفونه. فنزلت عن دابتي، ودخلتُ بين تلك الجماعة فقلت:

يا هذا، أرى عينيك أحوج الأعين إلى العلاج، وأنت تصف هذا الدواء وتخبر أنه شفاء، فما بالك لا تستعمله؟!.

فقال: أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة ما رأيتُ شيخًا قط أجهل منك ولا أحمق!.

قلت: وكيف ذلك؟. قال: يا جاهل، أتدري أين اشتكت عيني؟.

قلت: لا.

قال: بمصر.

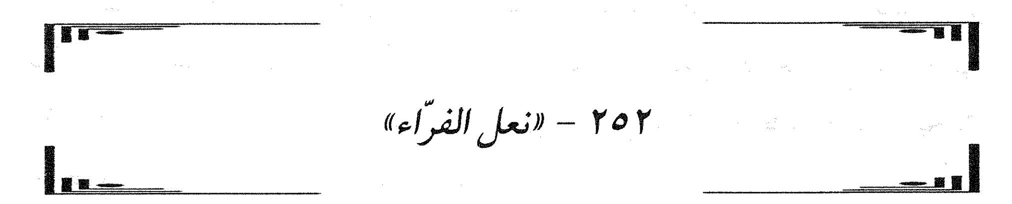
فأقبلت عليّ الجماعة فقالت:

صدق الرجل. أنت جاهل.

وهمّوا بي. فقلت:

والله ما علمتُ أن عينه اشتكت بمصر.

فما تخلَّصتُ منهم إلا بهذه الحجة.



٢٥٢ - «نعل الفرّاء»

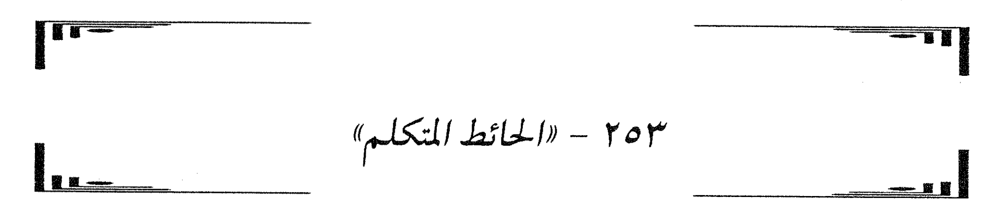
كان الفراء أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان المأمون قد وكل الفراء يُلقِّن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردًا، فقدّماها.

وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع ذلك الخبر إليه. فوجه إلى الفراء فاستدعاه. فلما دخل عليه قال: مَن أعزُّ الناس؟.

قال: ما أعرفُ أعزَّ من أمير المؤمنين.

قال: بلى، مَن إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليَّا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد أن يقدم له فردًا.

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردتُ منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها.



٢٥٣ - «الحائط المتكلم»

في شهر رجب من سنة (٧٨١ هجرية)، اتفقت حادثة مستغربة: وهي أن رجلاً يُعرف بابن الفيشي دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر، فسمع صوتًا من جدار بيته يقول له:

اتَّقِ الله وعاشر زوجتَك بالمعروف.

فظن أن هذا من الجان، فإنه لم ير شيئًا. وحدّث أصحابه بذلك، فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا الكلام من الجدار. فسألوا عما بدا لهم، فأجابهم المتكلم من غير أن يروا شيئًا. فغلب على ظنهم أن هذا من الجان، وأشاعوه في الناس. فارتجَّت القاهرة ومصر. وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشي لسماع كلام الحائط، وصاروا يحادثون الحائط ويحادثهم. فكثر بين الناس قولهم:

يا سلام سلِّم، الحائط بيتكلم.

وكاد الناس أن يفتتنوا بهذا، وجلبوا إلى ذلك الجدار من المال شيئًا كثيرًا.

فركب محتسب القاهرة محمود العجمي إلى بيت ابن الفيشي هذا ليختبر ما يقال، ووكَّل بابن الفيشي أحد أعوانه. ووقف عند الحائط وحدّثه فحادثه. فأمر بهدم الحائط. فلما هُدم لم ير شيئًا. فعاد إلى بيته وقد كثر تعجّبه.

وازدادت فتنة الناس بالحائط. وبعث المحتسب من يكشف له الخبر : هل انقطع الكلام بعد تخريب الحائط؟ فوجده الرجل يتكلم كما كان قبل خرابه.

فتحيّر من ذلك . وكان هذا المحتسب شهمًا جريئًا، قد مارس الأمور، وحلب الدهر أشطُرُه، وكان لا يتحرك حركة إلا حُمد عليها، ولا باشر جهة وَقْفٍ إلا عمُر خرابه، وإذا باشر حسبة القاهرة رخصت الأسعار، فإذا عُزل ارتفعت، فتقف العامة وتطلب إعادته ليُمْن إقباله.

فلما عاد قاصده إليه . وأخبره بأن الكلام مستمّر، قام من فوره ومعه عدة من أصحابه حتى جلسوا عند الجدار، وأخذوا في قراءة شيء من القرآن، ثم طلب صاحب البيت ، وقال له :

قل لهذا المتكلم ، القاضي العجمي يسلم عليك.

فقال: يا سيدي ، الشيخ القاضي يسلم عليك.

فقال الجدار: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال المحتسب : قل له ، إلى متى هذا الفساد؟.

فأجابه : إلى أن يريد الله تعالى.

فقال: قل له ، هذا الذي تفعله فتنة للناس، وما هو جيد.

فأجابه: ما بقي بعد هذا كلام.

وسكت، وهم يقولون له : يا سيدي الشيخ ، فلم يكلمهم بعدها.

وكان في صوته غلظة يوحي بأنه ليس بكلام إنس. فلما أيس الشيخ العجمي من مكالمته، قام عنه وقد اشتدت فتنة الناس بالحائط حتى كادوا يتخذوه معبودًا لهم. وغلوا فيه كعادتهم، وزعموا له ما شاءوا من تُرَّهاتهم، وحمل إليه الأمراء والأعيان المأكل وغيره، والمحتسب يدبّر في كشف الحيلة.

ثم ركب المحتسب يومًا إلى دار ابن الفيشي، وقبض عليه وعلى امرأته، وعاد بهما إلى داره. وما زال يستدرجهما حتى اعترفت المرأة بأنها هي التي كانت تتكلم، وأن الذي دعاها إلى ذلك أن زوجها كان يسيء عشرتها. فاحتالت عليه بهذه الحيلة لتوهمه بأن الجان

توصيه بها. فتمت حيلتها عليه، وانفعل لها. فأعلمته بما كان منها، فرأى زوجها أن تستمر على ذلك لينالا به جاهًا ومالاً، فوافَقَتْه.

فركب المحتسب إلى الأمير الكبير وأعلمه بقول المرأة، فضرب الأمير الكبير ابن الفيشي بالمقارع، وضرب المرأة بالعصيّ نحوًا من ستمائة ضربة ، وأمر بهما فسُمِّرا على جملين، وشُهِّرا بالقاهرة، فكان يومًا شنيعًا، عظم فيه بكاء الناس على المرأة وكثُر دعاؤهم على المحتسب.

٢٥٤ - «صهيب والجلاد»

جُلد صُهيب المديني في الشراب ، وكان طويلاً جسيمًا ، وكان الجلاد قصيرًا قميئًا . فقال الجلاد له: تقاصرْ لينالك السَّوط .فقال: يا ابن الفاعلة إلى أكل الفالوذج[1] تدْعوني؟!.

٢٥٥ - «حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله»

خطب عتبة بن النَّهّاس العجلي فقال: ما أحسن شيئًا قاله الله جل وعز في كتابه:

ليس حيٌّ على المنون بباقِ ... غيرُ وجهِ الْمُسَبَّحِ الخلّاقِ

فقام إليه هشام بن الكلبي فقال: الله عز وجل لم يقل هذا، وإنما قاله عديّ بن زيد! فقال: قاتله الله ، ما ظننتُه إلا من كتاب الله . ولَنِعْمَ ما قال عديّ! .ثم نزل عن المنبر.

وأُتِي عتبة بامرأة من الخوارج، فقال لها : يا عدوّة الله، ما خروجك على أمير المؤمنين ؟ ألم تسمعي إلى قول الله عز وجل:

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا ... وعلى الغانيات جرُّ الذيول

---

(١) الفالوذج: حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل.

فقالت: حملني على الخروج جهلُكم بكتاب الله.

٢٥٦ - «دواء الولادة»

حكي أن بعض الناس شكا إلى طبيب عُقم امرأته، وأنها لا تلد. فجسّ الطبيب نبضَها وقال: لا حاجة لكِ إلى دواء الولادة، فإنك ستموتين إلى أربعين يومًا، وقد دلَّ النَّبضُ عليه.

فاستشعرت المرأة الخوف العظيم، وتنغص عليها عيشها وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة ولم تمت.

فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له: لم تمت.

فقال الطبيب: قد علمتُ ذلك، ولكنها ستلد بإذن الله. فقال: كيف ذاك؟.

قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحمُ على فم رحمها، فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت، فخوّفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة.

٢٥٧ - «الرشيد بن الزبير والمرأة القاهرية»

كان الرشيد بن الزبير على جلالته وفضله، ومنزلته من العلم والنسب، قبيح المنظر، أسود الجلدة، ذا شفَة غليظة وأنف مبسوط كخِلْقة الزنوج، قصيرًا.

حدّث يومًا فقال: مررت بموضع في القاهرة، وإذا امرأة شابة، صبيحة الوجه، وضيئة المنظر. فلما رأتني نظرتْ إليّ نظر مُطْمِعٍ لي في نفسه، فتوهمّت أنني وقعتُ منها بموقع، ونسيت نفسي، وأشارت إليّ بطرفها، فتبعتها وهي تدخل في سكّة وتخرج من أخرى، حتى دخلت دار، وأشارت إليّ، فدخلتُ ورَفَعَتْ النِّقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفّقت بيديها منادية: يا ست الدار، فنزلت إليها طفلة، فقالت لها:

إن رجعتِ تبولين في الفراش تركتُ سيدنا القاضي يأكلك. ثم التفتت إليّ وقالت: لا أعدمَني الله إحسانك. فخرجتُ وأنا خزيان خجلاً، لا أهتدي إلى الطريق.

٢٥٨ - «ألا موتٌ يُباع فأشتريه»

كان للمهلّبي قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيفة، فبينما هو في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث[1] وأهل الأدب إذ أنشده:

ألا موتٌ يباع فأشتري ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا رَحِم المهيمنُ نفسَ حُرٍّ ... تصدَّق بالوفاة على أخيه

فرثى له رفيقه، وأحضر له بدرهم وما أمسك رمقه، وحفظ البيتين وتفرقا، ثم ترقّى المهلّبي إلى الوزارة، وساء الدهر على ذلك الرجل، فتوصل إلى إيصال رقعة مكتوب فيها:

ألا قل للوزير -فَدَتْه نفسي- ... مقالاً ذاكراً ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ... ألا موتٌ يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر ما كان، وأمر له بسبعمائة درهم، ووقّع تحت رقعته: ﴿**مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**﴾ [سورة البقرة: ٢٦١] ثم قلده عملاً يرتزق منه.

٢٥٩ - «بارك لكما في ليلتكما»

مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحادثه، قال: فجاء فقرّبت له عَشاءً فأكل وشرب وقال[2] ثم تصنّعت له أحسن ما كانت تصنع له قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا

(١) الحرث: الزرع.

(٢) أي: نام.

طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت : فاحتسب ابنك، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ : «**بارك الله لكما في ليلتكما**» ، قال : فحملتْ -أي: أمُّ سليم- من تلك الليلة.

٢٦٠ - «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»

عن عمر بن الخطاب قال : قُدم على النبي ﷺ بسبي فإذا امرأة في السبي يتحلب ثدياها، فلما وجدَتْ صبيّاً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها، فقال رسول الله ﷺ : «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قالوا : لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال : «**فوالله ، الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها**».

٢٦١ - «الصبر يعقب راحة»

روي أن أبا أيوب الكاتب حُبِس في السجن خمس عشرة سنة، حتى ضاقت حيلته، وقل صبره، فكتب إلى بعض إخوانه، يشكو له طول حبسه، فردّ عليه جواب رقعته بهذا:

صبرًا أبا أيوب صَبْرَ مُبَرِّحٍ ... فإذا عجزتَ عن الخطوب فمن لها؟
إن الذي عقد الذي انعقدت له ... عُقَدُ المكاره فيك يملِكُ حلها
صبرًا فإن الصبر يعقب راحة ... ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول:

صَبَّرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويَحلُّها من كان صاحب عقدها ... كرمًا به إذ كان يملك حَلَّها

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلا أيامًا، حتى أطلق مكرمًا.

٣٦٢ - «لا بأس عليك ولا خوف»

خرج الخليفة العباسي المهدي يتعبد، فغار به فرسه[١] حتى وقع في خباء أعرابي فقال: يا أعرابي ، هل من قِرًى[٢] ؟ فأخرج له قُرْص شعير، فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بشراب في ركوة[٣] فسقاه فلما شرب قال للأعرابي:

أتدري من أنا؟ قال: لا. قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

فقال الأعرابي: بارك الله لك في موضعك، ثم سقاه مرة أخرى، فشرب.

قال المهدي: يا أعرابي، أتدري من أنا؟.

فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

قال: لا ، أنا من قوّاد أمير المؤمنين.

فقال الأعرابي: رَحُبَتْ بلادك وطاب مرادك، ثم سقاه الثالثة.

فلما فرغ قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟.

قال: زعمتَ أنك من قوّاد أمير المؤمنين. قال: المهدي: لا ، ولكنني أمير المؤمنين.

فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها[٤] وقال: إليك عني، فوالله لقد شربت الرابعة لادّعيت أنك رسول الله . فضحك المهدي حتى غُشي عليه.

ثم أحاطت به الخيل، ونزل إليه الأمراء والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فقال له المهدي: لا بأس عليك ، ولا خوف ، ثم أمر له بكسوة ومال جزيل.

٢٦٣ - «والله لأعرضنّك اليوم على الله -عز وجل-»

عن عبد الله بن قيس أبو أمية الغفاري قال : كنا في غزاة لنا فحضر عدو، فصيح

(١) أسرع واندفع. (٢) ضيافة.

(٣) إناء صغير من جلد. (٤) فغطاها.

في الناس فهم يثوبون[١] إلى مصافِّهم[٢] ، وفي يوم شـديد الريح إذا رجل أمـامي، رأس فرسي عند عجزُ[٣] فرسه، وهو يخاطب نفسه ، فيقـول: أي نفسي : ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ فقلت لي: أهلُكَ وعيالك، وأطعتُك فرجعت ، ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ فقلتِ لي : أهل وعيالك فأطعتك فرجعت، والله لأعرضنَّك اليوم على الله عز وجل، أَخَذَكِ أو تركَكِ، فقلت لأرمقنه اليوم فرمقـته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حُماتهم، قال : فـوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعًا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة.

٢٦٤ - «جزاه الله من صاحبٍ خيرًا»

عن ربيعـة بن عثمان وقـدامة قالا: لا نعلم قُرشـيَّة خرجت من بين أبويهـا مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مـعيط قالت : كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهلي، فأقـيم بهـا الثلاث والأربع، وهي ناحـية التنعـيم، ثم أرجع إلى أهلي فـلا ينكرون ذهابي البادية، حـتى أجمعتُ المسـير، فخرجت يـومًا من مكة كأني أريد البـادية، فلما رجع من تبعني إذا رجل من خـزاعة ، قال : أين تريدين؟ قلت : ما مسـألتك؟ ومن أنت ؟ قال : رجل من خزاعة . فلما ذكر خزاعة اطمأننتُ إليه، لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده، فقلت : إني امـرأة من قريش، وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ، ولا علم لي بالطريق ، فقال : أنا صاحبك حتى أُورِدَكِ المدينة، ثم جاءني ببـعير فركبتُه، فكان يقود بي البعير ، ولا والله ما يكلمني بكلمة، حـتى إذا أناخ البعير تنحّى عني، فإذا نزلتُ جاء إلي البعيـر فقيّده بالشـجرة وتنحى إلى فيء شجرة، حـتى إذا كان الرواح حدج[١] البعير فقربه وولّى عني، فإذا ركـبت أخذ برأسه، فلم يلـتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كـذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيرًا.

---

(١) أي: يرجعون.
(٢) موضع صفوفهم.
(٣) أي: مؤخرة فرسه.

---

(١) حدج البعير : شد عليه الحدج، وهو الرحل.

٢٦٥ - «سترك الله كما سترتني»

قال أحمد بن المهدي : جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي، فذكرتْ أنها من بنات الناس ، وأنها امتُحنت بمحنة، وقالت : أسألك بالله أن تسترني، فقلت : وما محنتك؟ قالت: أُكرهت على نفسي وأنا حبلى، وذكرتُ للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله عز وجل، فسكت عنها ومضت، فلم أشعر حتى وَضَعَتْ .

وجاء إمام المحلة في جماعة من الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرتُ لهم التهلل، ووزنت له في اليوم الثاني دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت : ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود، فإنه سبق ما فرّق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول : هذه نفقة المولود ، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني، فكنت أظهر لهم التسلم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنتُ أبعث لها بيد الإمام فردتها وقالت :سترك الله عز وجل كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة من المولود هي لكِ فاعملي فيها ما تريدين.

٢٦٦ - «بل هو أكرم»

سأل رجل حاتمًا الطائي فقال : يا حاتم ، هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم، غلام يتيم من طيء ، نزلت بفنائه، وكانت له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منه فذبحه، وأصلح من لحمه، وقدَّم إليّ، وكان فيما قدم إليّ الدماغ، فتناولت منه فاستطبته، فقلت : طيب والله، فخرج من بين يدي، وجعل يذبح رأسًا رأسًا، ويقدم إليَّ الدماغ وأنا

(١) أي: شد الحمل عليه.

لا أعلم، فلما خرجت لأرحل، وجدت حول البيت دمًا عظيمًا، وإذا به ذبح الغنم كله، فقلت له : لم فعلت ذلك؟ فقال : سبحان الله تستطيب شيئًا أملكه وأبخل به عليك، إن ذلك لسبة[١] على العربي قبيحة.

قيل: يا حاتم، فما الذي عوضته؟ قال: ثلاث مائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم، فقيل: أنت إذًا أكرم منه، فقال : بل هو أكرم؛ لأنه جاد بكل ما يملكه ، وإنما جدت بقليل من كثير.

٢٦٧ - «شتان بين القرى والرجال»

نظر المأمون يومًا إلى ابنه العباس وأخيه المعتصم ، فابنه العباس يتخذ المصانع ويبني الضياع، والمعتصم يتخذ الرجال، فقال شعرًا:

يبني الرجال وغيره يبني القرى ... شتان بين قُرًى وبين رجال

قلق بكثرة ماله وضياعه ... حتى يُفرِّقه على الأبطال

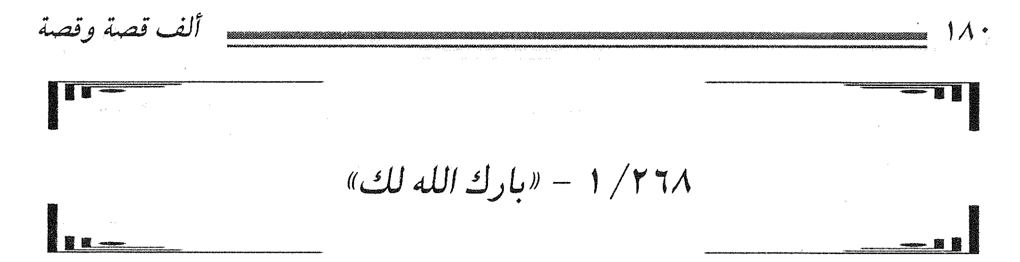
٢٦٨ - «أحمد الله أربع مرات»

قال شريح القاضي : إني لأصاب بالمصيبة ، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع[٢] لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

***

(١) أي: من العار.

(٢) أي: قوله : إنا لله وإنا إليه راجعون.



١/٢٦٨ - «بارك الله لك»

عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف هاجر إلى المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، فقال له سعد : يا عبد الرحمن، إني من أكثر الأنصار مالاً، وأنا مقاسمك ، وعندي امرأتان، فأنا مطلِّق إحداهما، فإذا انقضت عدَّتها فتزوجها، فقال له : بارك الله لك في أهلك ومالك.

٢٦٩ - «ما يبكيك يا أمير المؤمنين»

لما أُتِي عمر بن الخطاب بكنوز كسرى، قال عبد الله بن الأرقم: ألا تجعلها في بيت المال حتى تقسمها؟ قال : لا أُظلّها سقف بيت حتى أُمضيها، فأمر بها ، فوُضِعَتْ في صَرْح المسجد، وباتوا يحرسونها، فلما أصبح أمر بها، فكشف عنها، فرأى فيها من البيضاء والحمراء ما كاد يتلألأ منه البصر، فبكى عمر، فقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا اليوم شكر، ويوم فرح، فقال عمر : إن هذا لم يُعْطَهُ قوم قط إلا أُلقي بينهم العداوة والبغضاء.

٢٧٠ - «وصية لمسافر»

أتى رجل هشامًا أخا ذي الرُّمَّة الشاعر ، فقال له : إني أريد السفر فأوصني ، قال : صلِّ الصلاة لوقتها ؛ فإنك مصلِّيها لا محالة، فصلِّها وهي تنفعك، وإياك وأن تكون كلب رِفْقتك ، فإن لكل رفقة كلبًا ينبح دونهم، فإن كان خيرًا شركوه فيه، وإن كان عارًا تقلَّده دونهم.

٢٧١ - «أنتِ في الأمنية فاعملي»

قال إبراهيم التيمي : مثلت[١] نفسي في الجنة آكل ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها[٢] ، وأشرب من صديدها[٣] ، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي : أي نفسي، أي شيء تريدين ؟ قلت : أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا . قال : قلت : فأنت في الأمنية فاعملي.

٢٧٢ - «إنه يحب الخلاف»

قال الزجاج: كنا عند المبرّد أبي العباس محمد ، فوقف عليه رجل فقال : أسألك عن مسألة من النحو؟ قال: لا . فقال : أخطأتَ، فقال : يا هذا ، كيف أكون مخطئًا أو مصيبًا، ولم أجبْكَ عن المسألة بعدُ؟ فأقبل عليه أصحابه يُعَنِّفُونه، فقال لهم : خَلُّوا عنه، ولا تَعَرَّضوا له، أنا أخبركم بقصته، هذا رجل يحب الخلاف، وقد خرج من بيته وقصدَني على أن يخالفني في كل شيء أقوله ، ويخطِّئني فيه، فسبق لسانه بما كان في ضميره.

٢٧٣ - «لست أبيع عاجلاً بآجل»

حُكي أن المأمون انفرد من عسكره فمر بحي من أحياء العرب، فنظر إلى صبي قائم يملأ قربة وهو يصيح : يا أبت أدرك فاها، فلقد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها، فعجب المأمون من فصاحته على صغره، فقال للصبي : من أنت بارك الله فيك؟ فتسمى[٤] له، ثم

---

(١) تصورت نفسي وتخيلتها. (٢) **الزقوم:** طعام أهل النار.

(٣) **الصديد** : ما يسيل من أهل النار من الدم والقيح. (٤) أي: ذكر اسمه.

قال : فمن أنت؟ فقال المأمون: من بني آدم، فقال : صدقت ، فمن أيِّ بني آدم؟ قال: من خيارهم. قال : فأنت من العرب إذًا. فمن أيِّها؟ قال: من خيارهم، قال : فمن مضر إذًا، فمن أيِّها؟ قال: من خيارهم. قال : فمن هاشم والله، فمن أيهم؟ قال : أنا مَن تحسده بنو هاشم كلهم، قال : فتباعد عني ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال المأمون : فأعجبني والله ذكاؤه، فقلت له : أيما أحب إليك مائة دينار معجَّلة أو عشرة آلاف درهم مؤجلة؟ قال: لست أبيع عاجلاً بآجل. فبينما نحن كذلك إذ خرج شيخ ضعيف من البيت، فحاولتُ أخذ الصبي، فقال : أنا شيخ فانٍ ، وله والدة مثلي في الكبر والضعف، وما لنا جميعًا سواه فلا تحرمنا منه، فأمرت له مائة دينار وانصرفت.

٢٧٤ - «الشافعي والحلاَّق»

لَمَّا أشخص الشافعي إلى سُرَّ من رأى[١] دخلها وعليه أطمار[٢] رثة، وطال شعره، فتقدم إلى مزيِّن فاستقذره لما نظر إلى زيِّه، فقال له : امض إلى غيري، فاشتد على الشافعي أمره، فالتفت إلى غلام كان معه، فقال : إيش معك من النفقة ؟ قال : عشرة دنانير، قال : ادفعها إلى المزيِّن فدفعها الغلام إليه، فولى الشافعي ، وهو يقول:

علَيَّ ثياب لو يباع جميعها ... بفلسٍ لكان الفلس فيهن أكثرا

وفيهن نفس لو يقاس بمثلها ... نفوس الورى كان أجلَّ وأخطرا

وما ضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عَضْبًا حيث أنفذته برى

فإن تكن الأيام أزرت[٣] ببزَّتي[٤] ... فكم من حسام[٥] في غلاف مكسَّرا



(١) مدينة سامراء العراقية.
(٢) ثياب.
(٣) تهاونت.
(٤) الثياب.
(٥) السيف.

٢٧٥ - «لقد رأيت خلالاً ثلاثًا»

لَمَّا ولي زياد بن أبيه العراق صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إني قد رأيت خلالاً ثلاثًا: نبذت إليكم فيهن النصيحة، رأيت إعظام ذوي الشرف، وإجلال أهل العلم، وتوقير ذوي الأسنان، وإني أعاهد الله عهدًا لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف له حق شرفه إلا عاقبته، ولا يأتيني كهل بحدث لم يعرف له حق فضل سنه على حداثته إلا عاقبته، ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاه[1] في علمه ليهجِّنه عليه إلا عاقبته، فإنما الناس بأشرافهم ، وعلمائهم، وذوي أسنانهم.

٢٧٦ - «يا بنيَّ حَسْبُك»

قال أبو عبد الله بن ورام الكوفي :كان عندنا بالكوفة رجل ، له ابن عاق به، فلاحاه يومًا في شيء، فجر برجله حتى أخرجه من بيته، وسحبه في الطريق شيئًا كثيرًا، فلما بلغ إلى موضع منه، قال له : يا بني حسبك، فإلى ها هنا جررت برجل أبي من الدار، حتى جررتني منها.

٢٧٧ - «إنما هي تبنة!»

قال حماد بن زيد : كنت مع أبي فأخذت من حائط تبنة، فقال لي : لِمَ أخذت؟ قلت: إنما هي تبنة ، قال : لو أن الناس أخذوا تبنة تبنة ، هل يبقى في الحائط تبن؟.

***

(١) أي: سبه وشتمه.

٢٧٨ - «إنما سئلت عن بعض همته»

دعا يحيى بن خالد البرمكي ابنه إبراهيم يومًا، وكان يسمّى دينار بني برمك، لجماله وحسنه، ودعا بمؤدبه وبمن كان ضُمّ إليه من كُتّابه ، فقال : ما حال ابني هذا ؟ قالوا: قد بلغ من الأدب كذا وكذا، ونظر في كذا وكذا، قال : ليس عن هذا سألت، قالوا: قد اتخذنا له من الضياع كذا، وغلتُه كذا، قال : ولا عن هذا سألت ، إنما سألت عن بُعد همته، وهل اتخذتم له في أعناق الرجال مِننًا، وحببتموه إلى الناس ؟ قالوا: لا ، قال : فبئس العشراء أنتم والأصحاب، وهو والله إلى هذا أحوج منه إلى ما قلتم ، ثم أمر بحمل خمسمائة ألف درهم إليه، ففُرّقت على قوم لا يُدرى من هم.

٢٧٩ - «حفظت القرآن في ستة أشهر»

قال أبو عبد الله بن هارون التستري المقرئ - وكان إمام مسجد بالبصرة-:

أقمت أحفظ القرآن سنين كثيرة، كلما بلَغْتُ إلى موضع، أُنسيت الذي قبله، حتى كأني ما سمعته قط، فشق ذلك عليّ. فحججتُ وتعلقت بأستار الكعبة، ودعوت الله تعالى وسألته أن يعينني على حفظه. ورجعت إلى البصرة ، فلزمت التلقين، فحفظت القرآن في ستة أشهر.

٢٨٠ - «لكي تتواضع لهم»

كتب بعض الكتاب إلى صديق له في محنة لحقته: إن الله تعالى ليمتحن العبد ليكثر التواضع له والاستعانة به، ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذه بيده في شدته؛

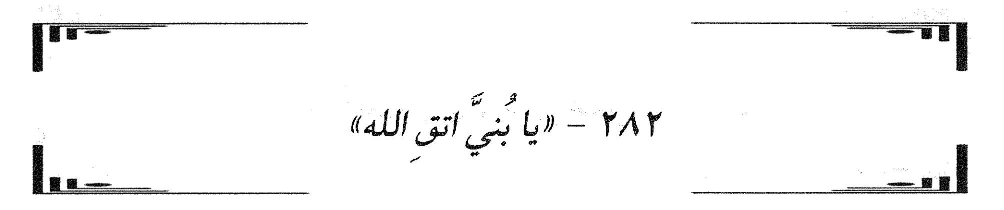
لأن دوام النعم والعافية يبطران الإنسان، حتى يعجب بنفسه، ويعدل عن ذكر ربه، وقد قال الشاعر:

لا يترك الله عبداً ليس يذكره ... ممن يؤدبه أو ممن يؤنبه

أو نعمة تقتضي شكراً يدوم له ... أو نقمة حين ينسى الشكر تنكبه

٢٨١ - «ماذا تصنعين به يا أم سليم»

عن أنس - رضي الله عنه- قال : جاء أبو طلحة يوم حُنين يُضحك رسول الله ﷺ من امرأته أم سليم، فقال : يا رسول الله ، ألم تر إلى أم سليم ، معها خنجر؟ فقال لها رسول الله ﷺ : «**ما نصنعين به يا أم سليم؟**» قالت: أردت إن دنا أحد منهم مني طعنته.



٢٨٢ - «يا بُنيَّ اتقِ الله»

كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله : يا بنيّ، اتق الله ؛ فإنه مَن اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عِماد عينيك وجِلاء قلبك، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حِسبَة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خَلَق[1] له.

٢٨٣ - «الكتاب أفضل هدية»

أهدَى بعض الكتّاب إلى صديق له دفتراً وكتب له : هديتي هذه - أعزك الله- تزكو

(١) قديم.

عن الإنفاق، وتربو على الكد، لا تفسدها العوادي، ولا تخلقـها كثرة التقليب، وهي أنس في الليل والنهـار، والسفـر والحضـر، تصلح للدنيا والآخـرة، تُؤنس في الخلوة وتمتع في الوحدة، مسامرٌ مساعد، ومحدّث مطواع، ونديم صديق.

٢٨٤ - «أخاف أن يتقطع»

عن عبد الله بن سلمة قال : جاء رجل إلى معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، فجعل يبكي ، فـقال : مـا يبكيك ؟ فقـال : والله ما أبكي لقـرابة بيني وبينك، ولا لدنيـا كنت أصيبها منك، ولكن كنت أصيب منك علمًـا ، فأخاف أن يكون قد انقطع ، قال: فلا تبك، فإنه من يرد العلم والإيمان يؤته الله تعالى.

٢٨٥ - «أستعين بهم على غمرات الموت»

وقال موسى التـيمي في نعته لعـبد الرحمن بن أبان بن عثمان بـن عفان : ما رأيت أحـدًا أجمع للدين والممـلكة والشرف منه. وقـيل: كـان يشتـري أهل البـيت فيكسـوهم ويعتقهم، ويقـول: أستعين بهم على غمرات الموت، فمات وهو نائم في مـسجده، وقيل: كان كثير العبادة والتأله، رآه علي بن عبد اللـه بن عباس فأعجبه نُسُكه، وهديه، فاقتدى به في الخير.

٢٨٦ - «اقسمها بيننا»

وعن عبد الله بن أخت مسـلم بن سعد أنه قال : أردت الحج ، فدفعت إلى خالي مسلم عشرة آلاف درهم، وقال لي : إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل بيت بالمدينة فأعطهم

إياها. فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة فدُللت على أهل بيت فطرقت الباب فأجابتني امرأة : من أنت ؟ .

فقلت : أنا رجل من أهل بغداد أودعت عشرة آلاف وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة، وقد وُصفتم لي فخذوها ، فقالت : يا عبد الله، إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا.

فتركتهم، وأتيت أولئك فطرقت الباب فأجابتني امرأة ، فقلت لها مثل الذي قلت لتلك المرأة .

فقالت : يا عبد الله، نحن وجيراننا في الفقر سواء ، فاقسمها بيننا وبينهم.

٢٨٧ - «سفيان الثوري والخوف من العجب»

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو عبد الله الأنطاكي، قال : اجتمع الفضيل والثوري، فتذاكرا، فَرَق سفيان وبكى، ثم قال : أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة، فقال له الفضيل: لكني يا أبا عبد الله أخاف أن لا يكون أضر علينا منه. ألست تخلصت إلى أحسن حديثك. وتخلصت أنا إلى أحسن حديثي، فتزينتَ لي وتزينتُ لك؟ فبكى سفيان، وقال : أحييتني أحياك الله.

٢٨٨ - «زهد أبي عبيدة»

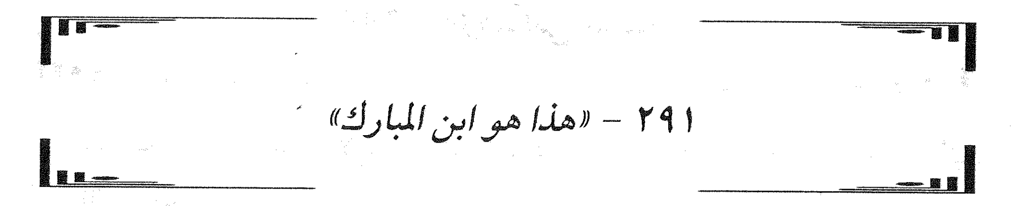
قدم عمر الشام، فتلقاه الأمراء والعظماء، فقال : أين أخي أبو عبيدة ؟ قالوا: يأتيك الآن، قال : فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلّم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزلَ عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه وتُرسه ورحله، فقال له عمر : لو اتخذت متاعًا، أو قال شيئًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا سيبلغنا المقيل.

٢٨٩ - «هذه هي هديتي»

وقال أبو عبيـدة بن معن : عن الأعمش، عن أبي البختري قال : جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله، فدخلا على سلمـان في خص ، فسلما وحيياه ، ثم قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ قـال : لا أدري. فارتابا قال: إنما صاحبـه من دخل معه الجنة، قالا : جئنا من عند أبي الدرداء ، قال : فأين هديته؟ قالا : ما معنا هدية. قال: اتقيا الله. وأديا الأمانة . مـا أتاني أحد من عنده إلا بهدية. قـالا : لا ترفع علينا هذا، إن لنا أموالاً فاحتكم، قال : ما أريد إلا الهدية. قالا : والله ما بعث معنا بشيء إلا أنه قال : إن فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به، لم يبغ غيره، فإذا أتيتماه، فأقرئاه مني السلام، قال: فأي هدية كنتُ أريد منكما غير هذه؟ وأي هدية أفضل منها؟.

٢٩٠ - «كيف أصبحت؟»

وروي عن المروذي قال : قلت لأحمد : كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربّه يطالبه بأداء الفـرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطلبـانه بتصحيح العـمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة؟.



٢٩١ - «هذا هو ابن المبارك»

وقال الحسن: وكنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يعرفه الناس فزحمـوه ودفعوه فلما خرج قال لي : ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نُعْرَف ولم نُوقّر.

قال : وبينا هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك، انتهى إلى حديث ، وفيه : قال عبد الله، وبه نأخذ. فقال : مَن كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه. فلم يزل يحكّه بيده حتى درس. ثم قال : ومن أنا حتى يُكتب قولي.

٢٩٢ - «لا تزالوا بالرجل حتى تهلكوه»

وعن مَعْمَر: عن أيوب ، عن نافع أو غيره، أن رجلاً قال لابن عمر : يا خير الناس، أو ابن خير الناس . فقال : ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، أرجو الله ، وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

٢٩٣ - «جزاك الله خيرًا»

وعن مخول قال : جاءني بهيم العجلي يومًا فقال لي: تعلم لي رجلاً من جيرانك أو إخوانك يريد الحج ترضاه يرافقني ؟ قلت : نعم، فذهبت إلى رجل من الحي له صلاح ودين فجمعت بينهما وتواطيا[1] على المرافقة . ثم انطلق بهيم إلى أهله ، فلما كان بعدُ أتاني الرجل فقال : يا هذا ، أحب أن تزوي عني صاحبك وتطلب رفيقًا غيري ، فقلت : ويحك فلِمَ؟ فوالله ما أعلم في الكوفة له نظيرًا في حسن الخلق والاحتمال، ولقد ركبت معه في البحر فلم أر إلا خيرًا، قال : ويحك ، حُدثت أنه طويل البكاء لا يكاد يفتر، فهذا ينغص علينا العيش سفرنا كله، قال: قلت : ويحك إنما يكون البكاء أحيانًا عند التذكرة يرق القلب فيبكي الرجل، أو ما تبكي أنت أحيانًا؟ قال: بلى ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جدًا من كثرة بكائه. قال : قلت : اصحبه فلعلك أن تنتفع به. قال: أستخير الله.

فلما كان اليوم الذي أرادا أن يخرجا فيه جيء بالإبل ، ووطئ[2] لهما فجلس بهيم

(١) تواطيا: اتفقا. (٢) وطئ لهما: مهد لهما وهيئ.

في ظل حائط فوضع يـده تحت لحيته وجعلت دمـوعه تسيل على خدّيه، ثم على لحـيته ثم على صدره حتى والله رأيت دموعه على الأرض.

قال: فقـال لي صاحبي : يا مُخـوّل قد ابتدأ صاحبك، ليس هـذا لي برفيق. قال: قلت : ارفق، لعله ذكر عياله ومفارقته إياهم فرق، وسمعها بهيم، فقال : يا أخي والله ما هو بذلك وما هو إلا أني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة. قال: وعلا صوته بالنحيب.

قـال: يقول لي صـاحـبي: والله مـا هي بأول عداوتك لي وبـغضك إياي، مـالي ولبهـيم؟ إنما كان ينبـغي أن ترافق بين بهيـم وبين داود الطائي وسلام أبو الأحـوص، حتى يبكي بعضهم إلى بعض حتى يشتفوا أو يموتوا جميعًا.

قال: فلم أزل أرفق به وأقول: ويحك لعلها خير سفرة سافرتها.

قال: وكان طويل الحـج رجلاً صالحًا ، إلا أنه كان رجـلاً تاجرًا موسرًا مـقبلاً على شأنه، لم يكن صـاحب حزن ولا بكاء، قال: فقـال لي: قد وقعت مـرتي هذه ولعلها أن تكون خيرة.

قال: وكل هذا الكلام لا يعلم به بهيم ولو علم بشيء منه ما صاحبه.

قال: فخـرجا جميعًـا حتى حجّا ورجعـا. ما يرى كل واحد منهما أن له أخـًا غير صاحبه. فلما جئت أسلّم على جـاري، قال لي : جزاك الله يا أخي عني خيرًا، ما ظننت أن في هذا الخلق مثل أبي بكر، كان واللـه يتفضل عليّ في النفقة وهو معـدم وأنا موسر، ويتفضل عليّ في الخـدمة وأنا شاب قوي، وهو شيخ ضـعيف، ويطبخ لي وأنا مفطر وهو صائم.

قال: فقلت : فـكيف كان أمرك معه في الـذي كنت تكرهه من طويل بكائه؟ قال: ألِفْتُ والله ذاك البكاء، وسـرّ قلبي حتى كنت أساعـده عليه، حتى تأذى بنا أهل الرفـقة، قال: ثم والله ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعـونا نبكي بكوا، وجعل بعضهم يقول لبعض: ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منا، والمصير واحد؟ قال: فجعلوا والله يبكون ونبكي.

قـال: ثم خرجت مـن عنده فأتيت بهـيمًا فـسلمت عليـه، وقلت : كـيف رأيت صاحـبك؟ قال: كخـير صاحب، كـثير الذكر لـله عز وجل طويل التلاوة للقـرآن، سريع الدمعة محتمل الهفوات للرفيق، جزاك الله عني خيرًا.

٢٩٤ - «رجل معجب بصورته»

حُكِي أن مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير نظر إلى المهلَّب بن أبي صُفرة وعليه حُلَّة يسحبها، ويمشي الخيلاء، فقال : يا أبا عبد الله، ما هذه المِشية التي يبغضها الله ورسوله ؟ فقال المهلب : أما تعرفني؟ فقال : بل أعرفك . أوّلك نطفة مذَرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بَول وعذرة، فأخذ ابن عوف هذا الكلام، فنظمه شعرًا، فقال:

عجِبْتُ من مُعْجَبٍ بصورته ... وكان بالأمسِ نطفة مَذرة

وفي غدٍ بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخْوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقد كان المهلب أفضل من أن تُخْدَعَ نفسه بهذا الجواب ، ولكنها زلّة من زلات الاسترسال، وخطيئة من خطايا الإدلال.

٢٩٥ - «هذا حياض الموت»

روي أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس : يا عبد الله بن رواحة، يا عبد الله بن رواحة . وهو في جانب المعسكر ومعه ضِلَعٌ وجمل منهشة[1] ولم يكن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع، ثم قال : وأنت مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل فأصيب أصبعه، فارتجز فجعل يقول:

هل أنت إلا أصبعٌ دميتِ ... وفي سبيل الله ما لقيتِ

يا نفسُ إلا تقتلي تموتي ... هذا حياضُ الموت قد صليتِ

وما تمنيت فقد لقيتِ ... إن تفعلي فعلهما هديتِ

(١) أي: قليل اللحم .

وإن تـأخـرتي فـقـد سقـيتي

ثم قال : يا نفس إلى أي شيء تتشوقين ، إلى فلانة فـهي طالق ثلاثًا، وإلى فلان وفلان -غلمان له- وإلى معجف[١] حائط[٢] له فهو لله ولرسوله.

يـا نفسُ مـالك تكرهين الجنة	أقسم بالله لتنزلنه
طائعة أو لمكرهنه	فطال ما قد كنت مطمئنّه
هل أنت إلا نطفة في شنّه[٣]	قد أجلب الناس وشدوا الرنَّه[٤]

٢٩٦ - «بين العلم والمال»

أخرج أبو نعيم في الحلية عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بيدي، فأخرجني إلى ناحية الجبان -أي الصحراء- فلما أصحرنا -صرنا بالصحراء- جلس، ثم تنفس، ثم قال : يا كميل ، القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك ، الناس ثلاثة : فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع -أخلاط غوغاء- أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، ومحبة العلم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة[٥] .

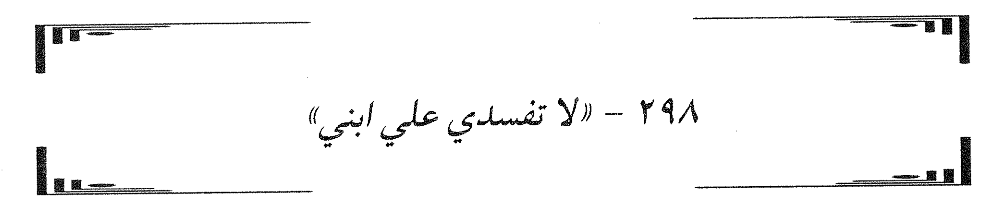
***

(١) أي: محبوس عن الطعام.
(٢) الحائط: البستان.
(٣) آنية مصنوعة من الجلد.
(٤) أي: الصراخ عند الحزن.
(٥) انظر شرح هذه الوصية في «مفتاح دار السعادة» لابن القيم بتخريجنا . ط التوفيقية.

٢٩٧ - « هذا أمر لا يلزمني»

استشار رجل أحمد بن اليمان في بعض الأمور فامتنع من الإشارة ، وقال : هذا أمر لا يلزمني، فقال : وكيف وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿وشاوِرْهم في الأمر﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، فقال : للإشارة آفات وأنا أحذرها، وذلك أني إذا أشرْت على رجل برأي لم يخلُ من قبول له، أو ردّ، فإنْ قَبِلَه لم يخلُ من أحد أمرين، إما أن يقع صوابًا فينتفع به، أو خطأ فيتضرر به، فإن وقع صوابًا وانتفع به لم آمن أن يتداخلني لذلك عُجْب، وأن توهمني نفسي أنْ قد سُقْتُ إليه خيرًا، وإن وقع خطأ وتضرّر به لم أعدَمْ منه لائمةً وذمّاً.

وإن لم يقبلْه لم يخلُ أيضًا من أحد أمرين: إما أن ينجح أو يُخفق، فإن أنجح[١] أزْرَى بي وبرأيي، أو اتهمني في مشورتي، وإن أخفق أو ناله ضرر، لم آمن من نفسي الشماتة وأنْ آثم في أمره، وما اعتوره من هذه الآفات ، فتركُهُ أسلم.



٢٩٨ - «لا تفسدي علي ابني»

عن إسحاق بن عبد الله عن جدّته أم سليم، أنها آمنت برسول الله ﷺ ، قالت : فجاء زوجي أبو أنس بن مالك -وكان غائبًا- فقال : أصبوتِ؟ فقالت : ما صبوت، ولكني آمنت.

وجعلت تُلقِّنُ أنسًا، قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله ، ففعل، فيقول لها أبوه، لا تُفسدي عليّ ابني، فتقول : إني لا أفسده، فخرج مالك فلقيه عدو له، فقتله ، فقالت: لا جرم، لا أُفطمُ أنسًا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس.

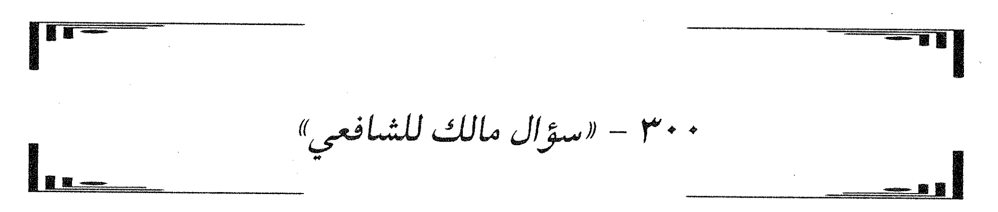
فخطبها أبو طلحة وهو يومئذ مشرك فأبت.

---

(١) أي: نفعه.

٢٩٩ - «هذا تركه لنا»

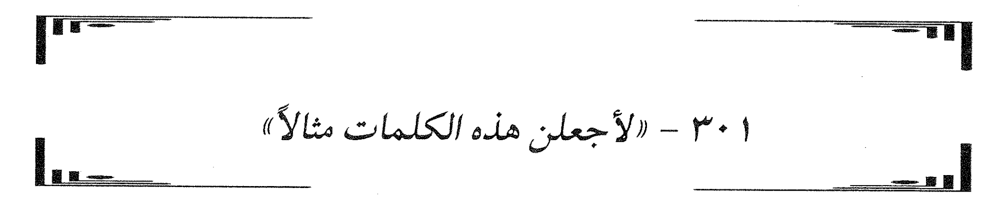
قالت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-: لما توجه النبي ﷺ من مكة حمل أبو بكر معه جميع ماله -خمسة آلاف، أو ستة آلاف- فأتاني جدي أبو قحافة وقد عمِي، فقال: إن هذا قد فجعكم بماله ونفسه، فقلت: كلا، قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدتُ إلى أحجار، فجعلتهن في كوّة البيت، وغطيت عليها بثوب ثم أخذتُ بيده، ووضعتها على الثوب، فقلت: هذا تركه لنا، قال: أما إذا ترك لكم هذا فنعم.



٣٠٠ - «سؤال مالك للشافعي»

كتب الإمام مالك رحمه الله للإمام الشافعي: يا إمام، ما تقول في الفرض، وفرض الفرض، وما يتم به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تركها فرض، وصلاة بين السماء والأرض؟.

فكتب -رضي الله عنه-، أما قول القائل: الفرض: هو الخمس صلوات، وفرض الفرض فهو الوضوء، وأما قوله: ما يتم به الفرض فهو: الصلاة على رسول الله ﷺ، وأما قوله: صلاة لا فرض، فهي صلاة الصغير قبل البلوغ، وأما الصلاة التي تركها فرض فهي صلاة السكران، وأما الصلاة التي بين السماء والأرض فهي صلاة سليمان عليه السلام، وأما الصلاة التي في السماء والأرض فهي صلاة رسول الله ﷺ ليلة المعراج.



٣٠١ - «لأجعلن هذه الكلمات مثالاً»

دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممن كان يوصف بالعقل والأدب، فقال له عبد

الملك بن مروان : تكلم. قال : بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال[١] إلا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك ثم قال : يرحمك الله ، لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون؟ قال الرجل : يا أمير المؤمنين، إن للناس في يوم القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها، ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله عز وجل بسخط نفسه، قال :فبكى عبد الملك ، ثم قال : لا جرم، لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت أبدًا.

٣٠٢ - «لو كنت تبقى!»

لبس سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة في ولايته لباسًا شُهر به، وتعطّر ودعا بتخت[٢] فيه عمائم وبيده مرآة، فلم يزل يعتمُّ بواحدة بعد أخرى حتى رضي بواحدة منها، فأرخى من سدولها، وأخذ بيده مِخْصرة[٣] وعلا المنبر ناظرًا في عِطْفه، وجمع جمعه، وخطب خطبته التي أرادها ، فأعجبته نفسه، فقال : أنا الملك الشاب، السيد المُهاب، الكريم الوهاب، فتمثلت له جارية من بعض جواريه، فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه مُنى النفس وقرة العين، لولا ما قال الشاعر؟ قال: وما قال الشاعر؟ قالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى … غير أن لا بقاء للإنسان

أنت من لا يريبنا منك شيء … -علم الله- غير أنك فانِ

فدمعت عيناه، وخرج على الناس باكيًا، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا بالجارية، فقال لها : ما دعاكِ إلى ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قالت: والله ما رأيت أمير المؤمنين اليوم، ولا دخلت عليه ؟ فأكبر ذلك، ودعا بقيِّمة جواريه فصدقتها في قولها، فراع ذلك سليمان، ولم ينتفع بنفسه، ولم يمكث بعد ذلك إلا مدة حتى توفي.



(١) أي: حسرة وندامة، ما لم يكن فيما يرضي الله.

(٢) **التخت**: وعاء تصان الثياب. (٣) **المخصرة**: ما يتوكأ عليه كالعصى ونحوها.

٣٠٣ - «لا تقنطوا من رحمة الله»

عن محمد بن سيرين قال : قال علي -رضي الله عنه- : أي آية في القرآن أوسع؟ قال: فجعلوا يذكرون آية من القرآن ﴿**مَن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا**﴾ [سورة النساء: ١١٥]، فقال علي -رضي الله عنه- : ما في القرآن آية أوسع من ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم**﴾ [سورة الزمر : ٥٣].

٣٠٤ - «الأنس بذكر الله»

عن شُعَيب بن حرب ، قال : دخلت على مالك بن مِغول وهو في داره بالكوفة جالس وحده، فقلت : أما تستوحش في هذه الدار ؟ فقال : ما كنتُ أظن أحدًا يستوحش مع الله عز وجل، قال الشيخ أبو سليمان الخطابي : ما أشرف هذه المنزلة، وأعلى هذه الدرجة، وأعظم هذه الموهبة إنما لا يستوحش مع الله مَن عَمَر قلبه بحبه، وأنس بذكره، وألف مناجاته بسرِّه، وشُغل به عن غيره، فهو مستأنس بالوحدة ، مغتبط بالخلوة.

٣٠٥ - «ذاك من هذا»

قال رجل لإياس بن معاوية : لو أكلتُ التمر تضربني؟ قال: لا. قال : لو شربتُ قِدْرًا من الماء تضربني؟ قال: لا . قال : شراب التمر -النبيذ- أخلاط منها، فكيف يكون حرامًا؟ قال إياس: لو رميتك بالتراب أيوجع؟ قال: لا . قال : لو صببتُ عليك قِدْرًا من الماء، أينكسر عضو منك؟ قال: لا. قال : لو صنعتُ من الماء والتراب طوبًا فجفَّ في

الشمس فضربتُ به رأسك، كيف يكون ؟ قال: ينكسر الرأس، قال إياس: ذاك مثل هذا.

٣٠٦ - «النفس تدعو للذات»

سمع عمر بن الخطاب امرأة تقول:

دعتني النفس بعد خروج عمرو ... إلى اللذات تطلع اطّلاعا

فقلت لها عجلت فلن تُطاعي ... ولو طالت إقامته رباعا

أحاذر إن أطيعك سبّ نفسي ... ومخزاة تحللني قناعا(١)

فقال لها عمر : ما الذي منعك من ذلك؟ قالت: الحياء وإكرام روحي، فقال عمر : إن في الحياء لهنات ذات ألوان، من استحيى اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وقى.

٣٠٧ - «رحمة النبي ﷺ بأمته»

قال سفيان بن عيينة : كنتُ طلبت الغزو فأخفقت، وأنفقت ما كان معي، فأتاني صاحب حين بلغه خبري، وقد كان عرفني قبل ذلك بطول مجالسته، فقال لي : لا تأسى على ما فاتك، واعلم أنك لو رزقت شيئًا لأتاك، ثم قال لي: أبشر فإنك على خير، تدري من دعا لك؟ قال: فقلت : ومن دعا لي؟.

قال: دعا لك حملة العرش، قال: قلت : دعا لي حملة العرش؟! قال: نعم، ودعا لك نبي الله نوح عليه السلام، قال: قلت دعا لي حملة العرش ، ودعا لي نوح ؟! قال: نعم، ودعا لك خليل الله إبراهيم ، قال: قلت : ودعا لي هؤلاء كلهم ؟! قال: نعم، ودعا لك محمد ، قال: قلت : وأين دعا لي هؤلاء؟ قال: في كتاب الله ، أما سمعت

---

(١) أي: أحلت بي الخزي.

قوله : ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا**﴾ [سورة غافر :٧] الآية. فقلت : وأين دعا لي نوح؟ قال: أما سمعت قوله عز وجل : ﴿**ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ [سورة نوح: ٢٨]، قال: فقلت : وأين دعا لي خليل الله إبراهيم ؟ قال: أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿**ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾ [سورة إبراهيم :٤١] ، قال: فقلت : وأين دعا لي محمد ﷺ ؟ قال : فهزّ رأسه ، ثم قال : أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ [سورة محمد : ١٩] فكان ﷺ أطوع لله، وأبر بأمته، وأرأف وأرحم من أن يأمر الله بشيء فيهم، فلا يفعله.

٣٠٨ - «الجاحظ ومعلم الكتّاب»

قال الجاحظ : دخلت يومًا مدينة ، فوجدت فيها معلمًا في هيئة حسنة فسلّمت عليه، فرد عليّ أحسن رد، ورحب بي، فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم تفاتحنا الفقه والنحو وأشعار العرب ، فإذا هو كامل الآداب، فقلت : سأختلف إليه وأزوره.

وجئت يومًا لزيارته، فإذا بالكتّاب [١] مُغلق ولم أجده، فسألت عنه، فقيل: مات له ميت، فحزن عليه، وجلس في بيته للعزاء.

فذهبت إلى بيته، وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية، وقالت : ما تريد ؟ قلت : سيدك، فدخلت وخرجت. وقالت: باسم الله ، فدخلتُ إليه، وإذا به جالس، فقلت : عظَّم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر.

ثم قلت له : هذا الذي تُوفِّي ولدك؟ قال: لا. قلت: فوالدك؟ قال: لا . قلت:

---

(١) **المكتب والكتاب:** موضع التعليم .

فأخوك؟ قال: لا . قلت : فزوجتك؟ قال: لا ، فقلت : فمن هو ؟ قال: حبيبتي. فقلت في نفسي : هذه أولى العجائب ، فقلت : سبحان الله، النساء كثير ، وستجد غيرها، فقال: أتظن أني رأيتها ؟ قلت : وهذه الثانية. ثم قلت : وكيف عشقت من لم تر؟ فقال: اعلم أني كنت جالسًا في هذا المكان ، وأنا أنظر من الطاق[1] إذ رأيت رجلاً عليه بُرد ، وهو يقول:

يا أمَّ عمرٍ جزاك الله مكرمة ردّي عليّ فؤادي أينما كانا

فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه ، وهو يقول:

لقد ذهب الحمارُ بأمِّ عمرو فلا رجعتْ ولا رجع الحمارُ

فعلمت أنها ماتت، فحزنت عليها، وأغلقت المكتب، وجلست في الدار، فقلتُ : يا هذا، إني كنت قد ألَّفت كتابًا في نوادركم معشر المعلمين، وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه، والآن قد قوّيت عزمي على إبقائه ، وأول ما أبدأ بك إن شاء الله.

٣٠٩ - «اضرب ابن الأكرم»

قال أنس: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ بك، فقال عمر : لقد عُذْتَ بمُجيب فما شأنك؟.

قال: سابقت على فرسي ابنًا لعمرو بن العاص -وهو يومئذ أمير على مصر- فجعل يُقَنِّعُني[2] بسوطه ، ويقول: أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرًا أباه، فخشي أن آتيك، فحبسني في السجن، فانفلتُّ منه وأتيتك.

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : إذا أتاك كتابي هذا ، فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصري : أقمْ حتى يأتيك، فقدم عمرو فشهد الحج، فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصري، فرمى إليه

(١) الطاق: ما عقد من الأبنية. (٢) أي: يضربني.

عمر بالدرَّة[١] .

قال أنس: ولقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع[٢] حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه. وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين ، ثم قال المصري : استوفيتُ واشتفيت، قال عمر : ضعها على رأس عمرو، فقال : يا أمير المؤمنين، قد ضربتُ الذي ضربني، فقال عمر : أما والله لو فعلتَ لما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم قال : يا عمرو، متى تعبَّدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

٣١٠ - «لا يقوم من الضر»

أخرج ابن إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه، ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلاهان من دون الله ، فيقول : نعم، افتداء منهم بما يبلغون من جهد.

٣١١ - «الله مسائلي عنهم»

عن عطاء قال: دخلتُ على فاطمة بنت عبد الملك ، بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، فقلت لها : يا بنت عبد الملك ، أخبريني عن أمير المؤمنين، قالت : أفعل، ولو كان حيّاً ما فعلت، إن عمر -رحمه الله- كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى وعليه بقية من حوائج يومه وصَلَه بليله، إلى أن أمسى مساء، وقد فرغ من حوائج يومه، فدعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله، ثم قام ، فصلى ركعتين، ثم أقعى واضعًا

---

(١) سوط يضرب به.　　(٢) ينتهي من ضربه.

رأسه على يده تسايل دموعه على خده، يشهق الشهقة فأقول: قد خرجَتْ نفسه، وانصدعت كبده، فلم يزل كذلك ليلته حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائمًا، قالت : فدنوت منه فقلت : يا أمير المؤمنين ، لشيء ما كان قبل الليلة ما كان منك؟ قال : أجل ، فدعيني وشأني وعليك بشأنك، قالت : فقلت له : إني أرجو أن أتعظ، قال : إذًا أخبرك، إني نظرت إليّ فوجدتني قد وُليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها، ثم ذكرتُ الغريب الضائع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله مسائلي عنهم ، وأن محمدًا ﷺ حجة، فخفت على نفسي خوفًا دمعت له عيني، ووجل له قلبي، فأنا كلما ازددت لها ذكرًا ازددت لهذا وجلاً، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي.

٣١٢ - «الكلام على أربعة وجوه»

قال أبو إسحاق الفزاري: كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلم انبسط، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ، فقال : الكلام على أربعة وجوه، فمنه كلام ترجو منفعته تخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة، ومنه كلام لا ترجو منفعته، ولا تخشى عاقبته، فأقلُّ ما لك في تركه خِفة المؤونة على بدنك ولسانك، ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره، قال : فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

٣١٣ - «لولا حلمي ما انتصرت عليه»

سب رجل المهلّب وأفحش في سبه، وهو ساكت، فمر رجل فسمعه فرد عليه، وخاصمه وأنكاه[1] ثم التفت إلى المهلب ، وقال له : ألا انتصرت لنفسك؟ .

(١) أي: غلبه وقهره.

فقـال المهلب : يا ابن أخي ، وجدتُ النصـرة في الحلم، ولولا حلمي ما انتـصرت أنت لي؟ .

٣١٤ - «هل سافرت معه؟»

قال رجل لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: إن فلانًا رجل صدق، قال : سافرت معـه؟ قال: لا ، قال : فـكانت بينك وبينه خصـومة؟ قال: لا، قـال: فهل ائتمـنته على شيء؟ قال: لا ، قـال : فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيتـه يرفع رأسه ويخفـضه في المسجد.

٣١٥ - «أريد أن أزور»

قال أبو الحسين بن عيّاش القاضي:رأيت صديقًا لي على بعض زواريق الجسر ببغداد، جالسًا في يوم ريح شديد وهو يكتب ، فـقلت : ويحك في مثل هذا الموضع ، ومثل هذا الوقت؟ . فقال : أريد أن أُزوِّر على رجـل مرتعش، ويديّ لا تساعدني، فتـعمدت الجلوس ها هنا لتحرُّك الزورق بالموج في هذه الريح، فيجيء خطي مرتعشًا فيشبه خطّه.

٣١٦ - «عاقبة الغدر»

أمسى رجل في بعض محال الجانب الغربي من مدينة بغداد ، ومعه دراهم لها قدر. فخاف على نفسه من الطائف[1] ، أو من بليّـة تقع عليه، فصـار إلى رجل من أهل

(١) أي: الضيف.

الموضع، وسأله أن يبيته عنده، فأدخله.

فلما تيقن أن معه مالاً حدّث نفسه بقتله، وأخذ المال، وكان له ابن شاب، فنوّمه بحذاء الرجل في بيت واحد، ولم يعلم ابنه ما في نفسه، وخرج من عندهما، وقد عرف مكانهما، وأطفئ السراج، فقدّر أن الابن انتقل من موضعه إلى موضع الضيف، وانتقل الضيف إلى موضع الابن، وجاء أبوه يطلب الضيف، فصادف الابن فيه، هو لا يشك أنه الضيف، فخنقه، فاضطرب ، ومات.

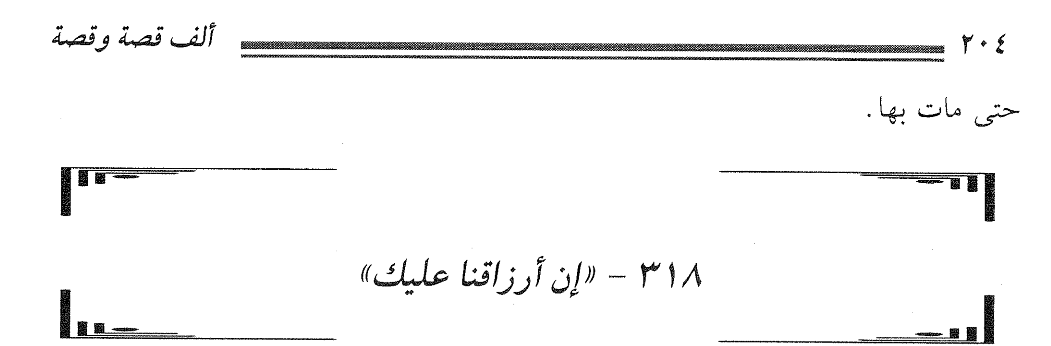
وانتبه الضيف باضطرابه ، وعرف ما أريد به، فخرج هاربًا، وصاح في الطريق، ووقف الجيران على خبره، وأغاثوه، وخرجوا إليه.

وأخذ الرجل، فقرر فأقر بقتل ولده، فحبس، وأخذ المال من داره فرد على الضيف، وسلم.

٣١٧ - «أعينوني بثلاثة منكم»

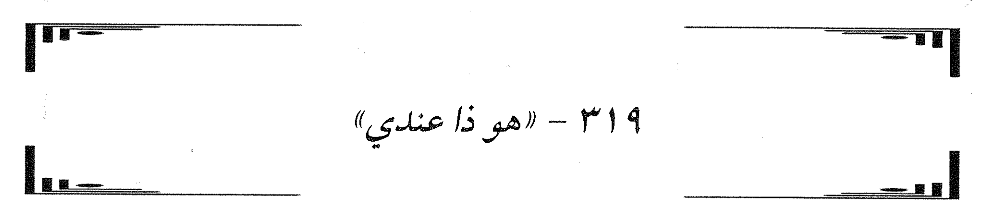
أخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء، فلما كان زمان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كتب إليه يزيد بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- : أن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينوني - يرحمكم الله - بثلاثة منكم، فخرج معاذ بن جبل، وعبادة ، وأبو الدرداء ، فقال عمر : ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن - أي: يفهم العلم سريعًا- فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، فقدموا حمص، فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، ورجع أبو الدرداء إلى دمشق ، ومعاذ إلى فلسطين ، فأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل في دمشق

حتى مات بها.



٣١٨ - «إن أرزاقنا عليك»

قال الأصمعي : نزلت بحيّ من قبيلة كلب مجدبين، قد توالت عليهم السنون، فماتت المواشي ، ومنعت الأرض من إخراج النبات ، وأمسكت السماء قطرها، فجعلت أنظر إلى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة، حتى تطبّق الأرض، فيتشوّف لها أهل الحي ويرفعون أصواتهم بالتكبير، ثم يعدلها الله عنهم مراراً. فلما كثر ذلك، خرجت عجوز منهم، فَعَلَتْ مكانًا من الأرض، ثم نادت بأعلى صوتها: يا ذا العرش، اصنع كيف شئت، فإن أرزاقنا عليك. فما نزلت من موضعها، حتى تغيّمت السماء غيمًا شديدًا وأمطروا مطرًا كاد أن يغرقهم وأنا حاضر.



٣١٩ - «هو ذا عندي»

قال هشام بن خالد الربعي : دخلت المسجد ومعي كيس فيه ألف درهم لا أملك غيره، فوضعته على ركن سارية وصليت، ثم ذهبت ونسيته. فكربني أمره، وفدحت حالي لفقده، فما حدثت بذلك أحداً سنة، وجهدني الضر، فصليت من بعد ذلك إلى تلك السارية، ودعوت الله وسألته رده علي، وعجوز إلى جانبي تسمع قولي . فقالت : يا عبد الله ، ما الذي أسمعك تذكر. قلت : كيسًا أنسيته على هذه السارية عام أول. قالت : هو ذا عندي، وأنا منذ سنة أرقبك، فجاءت به بخاتمه.

٣٢٠ - «اللهم إنك ذو أناة»

استيقظ الخليفة المنصور من منامه ليلة من الليالي، وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح

بالربيع ، وقال له : صر الساعة إلى الباب الثاني الذي يلي باب الشام ، فإنك ستصادف هناك رجلاً مجوسيّاً مستندًا إلى الباب الحديد ، فجئني به فمضى الربيع مبادرًا، وعاد والمجوسي معه. فلما رآه المنصور ، قال: نعم، هو هذا، ما ظلامتك؟.

قال: إن عاملك بالأنبار جاورني في ضيعة لي، فسامني أن أبيعه إياها فامتنعت ؛ لأنها معيشتي، ومنها أقوت عيالي، فغصبني إياها.

فقال له المنصور: فبأي شيء دعوت قبل أن يصير إليك رسولي؟.

قال: قلت : اللهم إنك حليم ذو أناة، ولا صبر لي على أناتك.

فقال المنصور للربيع : أشخص هذا العامل، وأحسن أدبه، وانتزع ضيعة هذا المجوسي من يده ، وسلّمها إلى هذا المجوسي ، وابتع من العامل ضيعته، وسلمها إليه أيضًا.

ففعل الربيع ذلك كله في بعض نهار يوم، وانصرف المجوسي، وقد فرّج الله عنه، وزاده وأحسن إليه.

٣٢١ - «انظر إلى عمل يديه»

كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح ، فجعلت الريح تُدخل في عينيه الغبار، فتذرفان، فكلما صاد عصفورًا كسر جناحه وألقاه في ناموسه، فقال عصفور لصاحبه : ما أرقه علينا، ألا ترى إلى دموع عينيه ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عينيه ولكن انظر إلى عمل يديه.

٣٢٢ - «الحب والطعام»

كان أبو الحارث حسين يُظهر لجارية من المحبة أمرًا عظيمًا، فدعته وأخّرت الطعام إلى

أن ضاق، فقال: يا سيدتي، ما لي لا أسمع للغداء ذِكْرًا؟.

فقالت: يا سبحان الله، أما يكفيك النظر إليّ وما ترغبه فيّ من أن تقول هذا ؟ !.

فقال: يا سيدتي، لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعامًا لبصق كل واحد منهما في وجه صاحبه.

٣٢٣ - «انطلقوا نزور الشهيدة»

أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري، كان رسول الله ﷺ يزورها يسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن، وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له: ائذن لي فأخرج معك، فأداويَ جرحاكم، وأُمرّض مرضاكم، لعل الله عز وجل يُهدي إليّ الشهادة، قال: **«إن الله عز وجل مهّد لك الشهادة»**. وكان رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها، حتى عدا عليها جارية وغلام لها كانت قد دبّرتهما[1] فقتلاها في إمارة عمر -رضي الله عنه-، فقيل: إن أم ورقة قد قتلها غلامها وجاريتها. فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ، كان يقول: **«انطلقوا بنا نزور الشهيدة»** رحمها الله.

٣٢٤ - «ارجعي يا أمة الجبار»

مرّتْ بأبي هريرة امرأة -وريحها تعصِفُ- فقال لها: أين تريدين يا أَمَةَ الجبَّار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيَّبت؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحُها تعصفُ حتى ترجع فتغتسل»**.

---

(١) أي جعلت عتقهما دبر موتها.

٣٢٥ - «زيارة الإخوان»

كان عبد الله بن مسعود يقول: كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه، فإن كان مريضًا كانت عيادة، وإن كان مشغولاً كانت عونًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارة.

٣٢٦ - «من لم تعزه التقوى فلا عز له»

قال عبد الله بن الحكم للشافعي لما قدم مصر : إذا أردت أن تسكن مصر فليكن لك قوت سنة، ومجلس من السلطان تتعزز به ، فقال له الشافعي : يا أبا محمد ، من لم تعزه التقوى فلا عز له، ولقد ولدت بغزة ، ورُبيت بالحجاز، وما عندنا قوت ليلة، وما بتنا جياعًا قط.

٣٢٧ - «من يمد رجله لا يمد يديه»

قدم السلطان عبد العزيز إلى مصر وزار الجامع الأزهر وصحبه الخديوي إسماعيل، فلاحظ الخديوي على شيخ الجامع أنه غير مهتم بهم فهو مسند ظهره ماد رجله، فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلف الخديوي أحد رجاله أن يذهب لهذا الشيخ بصرة فيها فلوس يريد أن يجذبه إليه بها ويعرف حاله.

فلما جاء الرسول للشيخ ليعطيه الصرة قبض الشيخ عنه يده ، وقال له : قل لمن أرسلك : إن من يمد رجله لا يمد يده.



٣٢٨ - «دخل الجنة ولم يركع ركعة»

بينما رسول الله ﷺ محاصر لبعض حصون خيبر أتاه راعٍ أسود الوجه معه غنم كان فيها أجيرًا لرجل من اليهود، وقال له : يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام، فعرض عليه الإسلام فأسلم، فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إني كنت أجيرًا لصاحب هذه الأغنام وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها. قال : اضرب في وجوهها ، فإنها سترجع إلى صاحبها. فأخذ الأسود الراعي حفنة من الحصى فرمى بها في وجهها. وقال : ارجعي إلى صاحبك . فوالله لا أصحبك أبدًا، فخرجت مجتمعة كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم الراعي إلى الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله ركعة !! فأتي به إلى رسول الله ﷺ فوُضع بجواره وهو مُغطى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله : لِم أعرضت عنه ؟! قال : «**إن معه الآن زوجته من الحور العين تنفض عن وجهه التراب**».

٣٢٩ - «بيع الأمراء وعز العلماء»

كان الشيخ الجليل عز الدين بن عبد السلام ، قد تولى منصب قاضي القضاة ، وما إن تولى هذا المنصب حتى لاحظ أن أمراء البلاد وقادة الجيش ليسوا من أهل مصر ، وليسوا أحرارًا على الإطلاق ، بل هم مجلوبون اشتراهم السلطان من بيت المال، وهم صغار فتعلموا اللغة العربية، وعلوم الدين، والفروسية ، والحرب، وعندما شبوا عينهم في مناصبهم فهم أمراء مماليك عبيد ، إذن فليس لهم حقوق الأحرار، ولهذا فليس لهم أن يتزوجوا بحرائر النساء ، وليس لهم أن يبيعوا أو يشتروا أو يتصرفوا إلا كما يتصرف العبيد. فبلغ الأمراء ذلك فعظم الخطب فيه ، واحتدم واشتد الأمر ، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعًا ، ولا شراءً ولا نكاحًا ، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان منهم نائب السلطان

فاستشاط غضبًا فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقالوا له : ماذا تريد؟ فقال الشيخ : نعقد لكم مجلسًا وينادى عليكم للبيع لبيت مال المسلمين ، ويحصل عنقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث السلطان إليه ، فلم يرجع عن قوله. فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة . فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمير أخرى، ومشى خلفهم خارجًا من القاهرة قاصدًا الشام ، فلم يصل إلى نحو نصف ما يريد حتى لحقه غالب المسلمين لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل يتخلف ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار ، فبلغ السلطان الخبر ، وقيل له : متى راح الشيخ ذهب ملكك فركب السلطان بنفسه ولحقه ، واسترضاه وطيب خاطره فرجع الشيخ واتفق على أنه ينادى على الأمراء لبيعهم، فأرسل إليه نائب السلطان بالملاطفة فلم يقبل الشيخ ، ولم تفد الملاطفة معه فانزعج نائب السلطان، وقال : كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه ، وحكى له ما رأى ، فما اهتم الشيخ بذلك ولا تغير وقال : يا ولدي ، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج وكأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطان ، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وارتجف وسقط السيف من يده وارتعدت مفاصله وبكى وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال : يا سيدي الشيخ، خير أي شيء تعمل ؟ قال : أنادي عليكم وأبيعكم . قال : ففيم تصرف ثمننا؟ قال : في مصالح المسلمين، قال: فمن يقبضه؟ قال : أنا. فتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحدًا واحدًا وغالى في ثمنهم، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا ما لم يُسمع بمثله عن أحد -رحمه الله تعالى ورضي عنه-.

٣٣٠ - «لست بشاعر»

نظر رجل طفيلي إلى قوم ذاهبين فاعتقد أنهم في دعوة إلى وليمة، فقام وتبعهم، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ، فلما أنشد كل واحد شعره، وأخذ جائزته لم

يبق إلا الطفيلي ، وهـو جالس ساكت، فقـيل له : أنشد شعـرك، فقال : لست بشـاعر، قيل: فمن أنت ؟ قال : من الغـاوين الذي قال الله فيهم : ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾ فضحك السلطان من رده وأمر له بجائزة.

٣٢١ - «لا تصلح أن تكون واليًا»

دخل الأقرع بـن حابس على أمـير المؤمنين عـمر بن الخطاب ، فـوجـده يلعب مع صبيانه، وهم متعلقون بذراعه وفوق ظهره، فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ أهكذا تفعلون مع أولادكم ؟ فتنبه عـمر وسأله: وأنت يا أقرع ، ماذا تفعل في بيـتك ؟ قال: أما أنا فإذا دخلت بيتي وقف الجالس ، وسكت المتكلم، واعتدل النائم ، وإن لي عشرة أولاد ما قبلت واحدًا منهم ، فقال عمر : إذن أنت لا تصلح أن تكون واليًا للمسلمين، وأمر به فعُزل.

٣٢٢ - «اشتاقت نفسي إلى الجنة»

قال رجاء بن حـيوة -وزير عمر بن عـبد العزيز المخلص-: كنت مع عمـر بن عبد العزيز لما كان واليًا على المدينة ، فأرسلني لأشتري له ثوبًا. فـاشتريته له بخمسمائة درهم. فلما نظر فيه قال : هو جيد لولا أنه رخيص الثمن.

فلما صار خليفة للمسلمين. بعثني لأشتـري له ثوبًا فاشتريته له بخمسة دراهم، فلما نظر فيه قال : هو جيد لولا أنه غالي الثمن.

قال رجاء : فلما سمعت كلامه بكيت.

فقـال لي عمـر : ما يبكيك يا رجاء؟ قـلت : تذكرت ثوبك قبل سـنوات وما قلت عنه. فكشف عمر لرجاء بن حيوة سـر هذا الموقف، وقال : يا رجاء ، إن لي نفسًا تواقة، وما حقـقت شيئًـا إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فـاطمة

بنت عبد الملك فتزوجتها. ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فوليتها وتاقت نفسي إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقت نفسي إلى الجنة . فأرجو أن أكون من أهلها.

٣٣٣ - «البئر والمغفل»

نظر أحد المغفلين في البئر فرأى وجهه فعاد إلى أمه فقال : يا أمي في البئر لص، فجاءت الأم فنظرت في البئر فقالت : إي والله لص ومعه فاجرة.

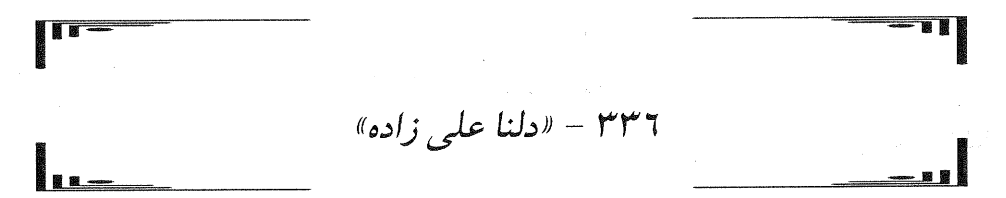
٣٣٤ - «أدرك أهلك فقد احترقوا»

كان عمر بن الخطاب يكلم رجلاً فقال له : ما اسمك؟ قال: جمرة، قال عمر : ابن من ؟ قال: ابن شهاب. قال عمر : ممن أنت ؟ قال: من الحرقة ، فقال عمر : أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأي منها ؟ قال : بذات لظى . فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا . فأسرع الرجل إلى داره فكان كما قال عمر -رضي الله عنه-.

٣٣٥ - «جزاء من استهان بشيء من الدين»

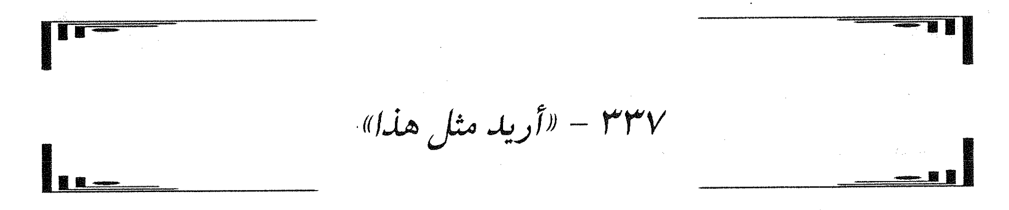
قال ابن خلكان : بلغنا من جماعة يوثق بهم أن عندهم قرية يقال لها : دير أبي سلامة، كان بها رجل من العربان فيه استهتار زائد وجهل، فجرى يومًا ذكر السواك وما فيه من الفضيلة . فقال : والله ما أستاك إلا من المخرج -الدبر- فأخذ سواكًا وتركه في دبره، فآلمه تلك الليلة ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن، والمخرج ثم أصابه مثل طلق الحامل، ووضع حيوانًا على هيئة الجرذون ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربع أنياب بارزة وذنب طويل وأربع أصابع وله دبر مثل دبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك

الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات وعاش ذلك الرجل بعده يومين وهو يقول : هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي ، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من تلك الناحية وخطيب المكان عام (٦٦٥ هـ).



٣٣٦ - «دلنا على زاده»

وقف أبو الدرداء ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس إذا أراد أحدكم سفرًا يستعد له بزاد، قالوا : نعم. قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، قال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول يوم النشور.



٣٣٧ - «أريد مثل هذا»

كان الجاحظ الكاتب والأديب العربي المشهور قبيح الوجه لكنه كان مرحًا يسخر حتى من شكله، وقد حكى الجاحظ عن نفسه فقال : كنت أقف على باب داري، فاقتربت ناحيتي امرأة وقالت : أنا في حاجة إليك ، وأريد أن تمشي معي لقضاء هذه الحاجة .

قال الجاحظ: فقمت معها حتى وصلنا إلى دكان صائغ وقالت له : مثل هذا، وأشارت إليّ ثم تركتني وانصرفت.

فسألت الصائغ ماذا تقصد بقولها ؟ فقال : لقد أحضرت ليّ فص خاتم، وطلبت مني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها : يا سيدتي، ما رأيت شيطانًا قط فجاءت بك، وقالت ما سمعت.



٣٣٨ - «هذا على المنابر بدعة»

أفلتت من خطيب وهو يخطب الناس يوم الجمعة ريح. فقال : أيها الناس : إن الله خلق أبدانًا وجعل فيهـا أرواحًا فمتى يتمالك الناس أن تخرج منهم؟ فـقام رجل فقال : أما بعد فإن خروج الأرواح في المراحيض سنة وعلى المنابر بدعة ، وأستغفر الله لي ولكم.

٣٣٩ - «إنما علوت بقدر علمي»

سئل أحد العـلماء وهو على المنبر عن مسـألة . فقال: لا أدري ، فقـيل له : ليس المنبر موضع جهل. فقال : إنما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء.

٣٤٠ - «عرفت هذا»

دخل أشعب على جمـاعة وهم يأكلون وهم غرباء لم يعرفوه، فـقال لهم : السلام عليكم معـشر اللئام، فـرفعوا إليه أبصـارهم قائلين : لا والله كرام، فـثنى رجله في الحال وجلس بينهم، وهو يقول: اللهم اجعلهم من الصـادقين، واجعلني من الكاذبين ثم مد يده في القصعة التي بين أيديهم وهو يقول: ماذا تأكلون ؟ فقـالوا: نأكل سُمّاً . فحشا فمه من الأكل. وهو يقول الحـياة من بعـدكم حرام، فقـالوا : أيها الرجل، هل عـرفت منا أحدًا؟ فأشار أشعب إلى الطعام وقال : عرفت هذا.



٣٤١ - «أين الذين يؤثرون على أنفسهم»

سأل مسكين أعرابيّاً أن يعطيه حاجة، فقال : ليس عندي ما أعطيه للغير فالذي عندي أنا أحق الناس به ، فقال السائل: أين الذين يؤثرون على أنفسهم ؟ فقال الأعرابي : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافًا.

٣٤٢ - «لا تخبر أحدًا أنني أنقذتك»

كان الحجاج بن يوسف الثقفي -الطاغية- يستحم بالخليج الفارسي فأشرف على الغرق، فأنقذه أحد المسلمين ، وعندما حمله إلى البر، قال له الحجاج : اطلب ما تشاء فطلبك مجاب، فقال الرجل له : ومن أنت حتى تجيب لي أي طلب، قال : أنا الحجاج الثقفي ، قال له : طلبي الوحيد أنني سألتك بالله أن لا تخبر أحدًا أنني أنقذتك.

٣٤٣ - «عليك بعروق الإخلاص»

قيل لأحد الصالحين : إني أشكو من مرض البعد عن الله فما العلاج، فقال العبد الصالح للسائل : يا هذا ، عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع ، ضع هذا في إناء التقوى ، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه بنار الحزن، وضعه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وأبعد نفسك عن الحرص والطمع تشفى من مرضك بإذن الله.



٣٤٤ - «أجهل من قومي قومك»

قال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة !! فقال الرجل لمعاوية : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى عبادة الرحمن : ﴿**اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**﴾ ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

٣٤٥ - «فلعله أحسن ، ولعلي أسأت»

قال الأصمعي : دخلت البادية ، فإذا امرأة حسناء لها بعل -زوج- قبيح. فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه، فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فجعله عقوبتي.

٣٤٦ - «في أي يوم دخلت»

دخل أحد الأعرابي بلدة والصبيان يلعبون، وكانوا يرمونه بالأحجار فوقع حجر على رأسه فشجه، وجرحه. فذهب لأمير البلد يشكو.

فقال له : في أي يوم دخلت ؟ قال الأعرابي : في ساعة العُسرة.

فقال : فأين نزلت ؟ قال: بواد غير ذي زرع . فضحك الأمير وأنعم عليه.

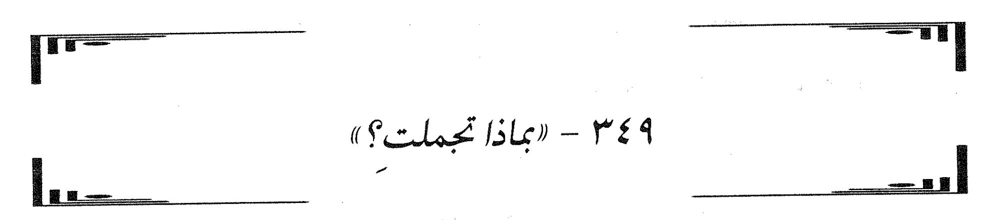


٣٤٧ - «المنصور ولاعب الأكروبات»

استأذن رجل على أميـر المؤمنين أبي جعفر المنصور ليريه مهارته في ألعابه فأذن له. فأخذ الرجل عددًا كبيرًا من الصحاف ، وجعل يتـقاذفها في الهواء في مهارة عجيبة دون أن يقع منها شيء على الأرض، قال أبو جعفر : ثم ماذا ؟ فـأخرج عددًا كبيرًا من العصي في طرف كل منها مكان لتركيب الأخرى، ثم رمى العـصى الأولى فرشقت في الجدار، فرمى الثانيـة فدخلت في ثقب الأولى. . . وهكذا (١٠٠) مـائة عصاه لم يقع مـنها شيء على الأرض، ولما انتهى من ألعـابه، توقع أن يكافئه أمـير المؤمنين على مهـارته، ولكن المنصور نادى على جلاديه، وقال: خـذوا هذا الرجل، وأعطوه (١٠٠) جلدة فصاح الرجل : لماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال: لأنك ضيعت وقت المسلمين فيما لا يفيدهم.

٣٤٨ - «غمضوني»

كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فمرض أبوه مرضًا شديدًا، أشرف فيه على الموت فاجتمع عليه أولاده ، وقالوا له : ندعـو لك أخانا فلانًا النحوي؟ قال: لا إن جاءني قتلني. فقالوا : نوصيه أن لا يتكلم فلما دخل عليه، قال : يا أبت، والله ما أشغلني عنك إلا فلان؛ فـإنه دعاني بالأمس فـأهرس وأعدس واستـبزج وسكبج وطهـبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوذج وافلوزج. فـصاح أبوه: غمضوني فقـد سبق الشقي ملك الموت إلى قبض روحي.



٣٤٩ - «بماذا تجملت؟»

سُئلت امرأة مؤمنة عن أدوات تجـميلها. فقالت : أستخدم الصدق لشفتي، والقرآن

لصوتي، والرحمة والشفقة لعيني، والإحسان ليدي، والاستقامة لقوامي، والإخلاص لله لقلبي.

٣٥٠ - «عملت الأقفال من أسمائكم»

وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم، فقال أحدهم: اسمي وثيق، وقال الآخر: اسمي منيع، وقال الآخر: اسمي ثابت، وقال الرابع: اسمي شديد، فقال الأعرابي: ما أظن الأقفال عُملت إلا من أسمائكم.

٣٥١ - «ما فعل أبوك؟»

وقدم على ابن علقمة النحوي ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما كانت علته؟ قال: ورمت قدميه. قال: قل قدماه. قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه، قال: قل ركبتيه، فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد عليّ من نحوك هذا.

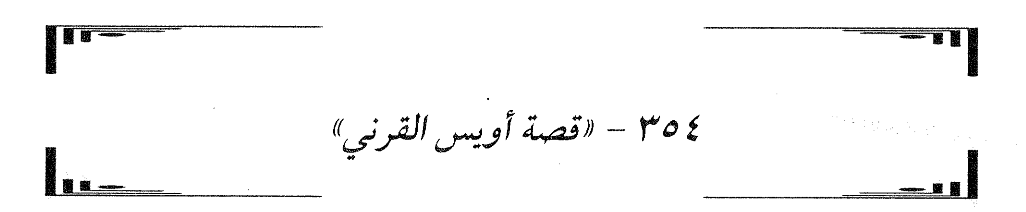
ولقي رجلاً من أهل الأدب وأراد أن يسأله عن أخيه وخاف أن يلحن في اللغة، فقال: أخاك أخوك أخيك ها هنا؟ فقال الرجل: لا. لي. لو ما هو حضر.

٣٥٢ - «هذا أسهل الأشياء»

قال رجل لرجل: قد عرفت النحو إلا أني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان، وأبا فلان، وأبي فلان. فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو. إنما يقولون: أبا فلان لمن عظم قدره، وأبو فلان للمتوسطين، وأبي فلان للرذلة.

٣٥٣ - «ما الذي تشكوه»

زار بعضهم نحوياً مريضًا ، فقال : ما الذي تشكوه ؟ قال : حمى جاسية نارها حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية ، فقال له : لا شفاك الله بعافية ويا ليتها كانت القاضية.



٣٥٤ - «قصة أويس القرني»

تحدث رسول الله ﷺ عن أويس القرني دون أن يراه، فقال : إنه من أهل اليمن، وإنه من بلدة قرن، ومن قبيلة مراد، مات أبوه ويعيش مع أمه وهو بها بار، مرض بالبرص فدعا الله فشفاه، وبقي من آثاره مثل الدرهم في ذراعيه، وإنه لسيد التابعين، ثم قال لعمر بن الخطاب : «**إن استطعت أن يستغفر لك فافعل**». فكان عمر حين أصبح أميرًا للمؤمنين يسأل حجاج بيت الله في مواسم الحج: أمنكم أويس القرني؟ فيقولون : لا فيقول: كيف تركتموه؟ فيقولون دون أن يعرفوا منزلته : تركناه قليل المتاع، رثّ الثياب، فيقول لهم : ويحكم لقد حدث عنه رسول الله : «**إن استطعتم أن يستغفر لكم فافعلوا**» . وكان عمر في كل عام ينتظر أويسًا. وتصادف مرة أن جاء مع حجاج اليمن. فلقيه عمر ، فأراد أن يستوثق منه. فسأله : ما اسمك؟ قال: أويس. قال: من أي بلاد اليمن؟ قال: من قرن. قال: من أي قبيلة فيها ؟ قال : من مراد. قال : كيف أبوك؟ قال : أما أبي فقد مات ، ولي أم تعيش معي. قال : وكيف حالك معها؟ قال أويس : أرجو أن أكون بها باراً. قال: هل مرضت قبل ذلك ؟ قال: نعم. مرضت بالبرص فدعوت الله فشفاني. قال: هل بقي من أثره من شيء؟ قال: نعم في ذراعي أثره مثل الدرهم، وكشف له عن ذراعه، فلما رأى عمر ذلك اعتنقه، وقال: أنت الذي حدث عنك رسول الله ﷺ فاستغفر لي. قال: أنا أستغفر لك يا أمير المؤمنين ؟ ! قال: بلى. وما زال عمر يُلح عليه حتى استغفر له.

ثم سأل عمر أويس عن وجهته بعد موسم الحج . فقال : إني ذاهب إلى مراد من

أهل اليمن إلى العراق. قال: أكتب إلى والي العراق عنك؟ قال: أقسمت عليك يا أمير المؤمنين ألا تفعل . دعني أسير في غبراء الناس لا يؤبه لي.

٣٥٥ - «كلما تكلمت خالفتني»

قال رجل للحسن : ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه، فقال الرجل : فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن : فما لأبيه وأخيه. فقال الرجل للحسن : أراني كلما كلمتك خالفتني.

٣٥٦ - «إن شئت نظرنا في أمرك»

ثبت أن رجلاً دخل على عمر بن الخطاب فنم عنده رجل من أصحابه ونقل عنه القبيح إلى عمر ، وأوغر صدره عليه، فلما فرغ الرجل من وشايته طأطأ عمر رأسه كأنما يفكر في تلك الوشاية ، ثم رفعها، وقال للرجل : يا هذا ، إن شئت نظرنا في أمرك ووقفنا على خبرك، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية : ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾ وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية : ﴿**ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم**﴾ وإن شئت عفونا عنك، ولا تعد إلى مجلسنا بعد اليوم فلست من جلساء المؤمنين فتصاغر الرجل في نفسه، وقال: أستعفيك يا أمير المؤمنين وأعدك ألا أعود إلى وشاية قط ، ثم خرج من مجلسه خزيانًا خجولاً.

بينما كان الصاحب بن عباد من أمراء الأندلس في مجلسه إذا دخل عليه حاجبه يحمل رقعة من رجل واقف بالباب فقرأها الصاحب بن عباد فإذا فيها كلام طويل يطلب كاتبه من الأمير أن يأخذ مالاً من يتيم ضعيف، فقد تركه أبوه في ميدان الحياة فريدًا وحيدًا وترك له أموالاً وبساتين فإن شاء الأمير وضع يده عليها فليس هنالك من يقاومه، فوقع

الأمير على تلك الرقعة بهذه الكلمات الخالدة :

إن النميمة قبيحة ، وإن كانت نصيحة صحيحة، أما الميت فرحمه الله وأما اليتيم فجبره الله، وأما المال فثمره الله، وأما النمام الساعي فلعنه الله.

٣٥٧ - «ولا أنا أدري ما تقول»

دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال : إني أكلت من لحوم الجوازي وطسئت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق، فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال الطبيب : نعم. خذ خونقًا وسربقًا ورقرقًا فاغسله واشربه بماء، فقال أبو علقمة : لا أدري ما تقول. فقال الطبيب : ولا أنا دريت ما قلت.

٣٥٨ - «إني على غير وضوء»

قال أبو الأسود الدؤلي لابنه: يا بني إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويحب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه : ما فعلت ؟ قال: قد حفظتها، قال: وما هي ؟ قال : اسمع، الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة ، حي على الفلاح، فقال له أبوه : أمسك لا تقم الصلاة ؛ فإني على غير وضوء.

٣٥٩ - «اعط سيبويه كسرة خبز»

وقف بعض الفقراء على باب نحوي ، فطرق الباب ، فقال النحوي: من بالباب ؟

فقال : سائل. فقال : ينصرف . فقال : اسمي أحمد -يعني لا ينصرف ممنوع من الصرف- . فقال النحوي لغلامه: اعط سيبويه كسرة.

٣٦٠ - «ثكلتني أمي إن أخرجتك»

وقع نحوي في كنيف فجاء كناس ليخرجه ونادى عليه ليعلم أهو حي أم لا ؟ فقال النحوي : اطلب لي حبلاً دقيقًا وشدني شداً وثيقًا ، واجذبني جذبًا رفيقًا. فقال الكناس: ثكلتني أمي إن أخرجتك منه.

٣٦١ - «النبي الغازي مع الخائن»

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: غزا نبي من الأنبياء (يوشع بن نون) فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولما يبن لها (يريد أنه عقد قرانها ولم يدخل بها) ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر ولادها (الخلفات جمع خلفة وهي الحامل من النوق) فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك ، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحُبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً (الغلول الخيانة وخصصه الشرع بالسرقة من المغنم قبل القسمة وسميت بذلك لأن فيها تُغل الأيدي) فليبايعني من كل قبيلة رجل - لزقت يد رجل بيده (جعل الله ذلك علامة الغلول. وفيه تنبيه على أن هذه اليد عليها حق يجب أن تتخلص منه) فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك - فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده. فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا فأحلها لنا[1] .

(١) رواه البخاري ومسلم.

٣٦٢ - «قصة صاحب الحديقة»

قال ﷺ : «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسقِ حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة (أرض ذات حجارة سوداء) فإذا شرجه (هي مسيل الماء) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته .

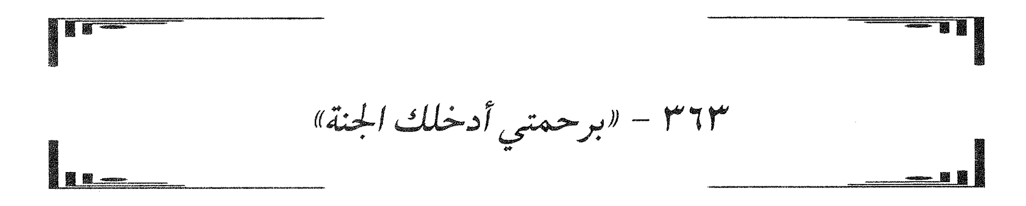
فقال له: يا عبد الله ما اسمك ؟.

قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة- .

فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟.

فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه : اسقِ حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟.

فقال: أما إذا قلت هذا: فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثًا وأرد فيها ثلثه»[1] .



٣٦٣ - «برحمتي أدخلك الجنة»

عن جابر - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «خرج من عندي خليلي جبريل آنفًا فقال: يا محمد والذي بعثك بالحق إن لله عبدًا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا في ثلاثين ذراعًا ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ، وأخرج له عينًا عذبة بعرض الإصبع

---

(١) رواه مسلم.

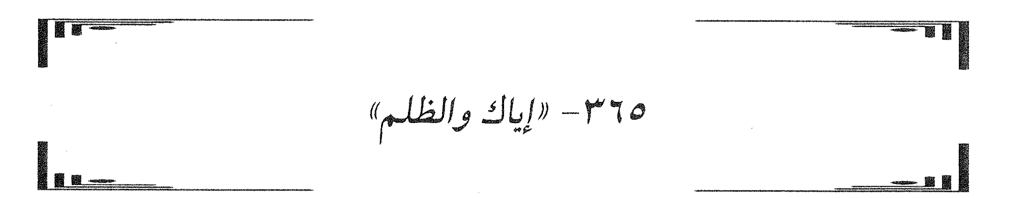
تفيض بماء عذب فيستقر في أسفل الجبل ، وشجرة رُمان تخرج له في كل ليلة رمانة . يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند موته أن يقبضه ساجدًا وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه الله وهو ساجد، قال: ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا صعدنا فنجد له في العلم إنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول: رب بل بعملي، فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملي، فيقول الله: قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه. فيقول: ردوه ، فيوقف بين يديه ، فيقول: يا عبدي من خلقك ولم تك شيئًا؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة ، فيقول: أنت يا رب، فيقول: من أنزلك في جبل وسط اللُّجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة في السنة ، وسألته أن يقبضك ساجدًا ففعل؟ ، فيقول: أنت يا رب. قال: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة، أدخلوا عبدي الجنة، فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الجنة»[1] .

٣٦٤- «لابد من عفو الصياد»

خرج أحد الصيادين صبيحة يومه يطلب رزقًا حلالاً فرمى شبكته فلم يخرج شيئًا فأخذ يبتهل إلى الله فأولاده يصرخون جوعًا في بيته ، واقتربت الشمس من المغيب فرزقه الله سمكة ضخمة فحمد الله تعالى ، وأخذها مسرورًا إلى بيته وإذا بملك قد خرج للنزهة فرآه فأحضره وعلم ما معه فأعجبته السمكة ، فأخذها عنوة ، وذهب إلى قصره فأراد أن يدخل سرورًا على الملكة فأخرج السمكة أمامها فاستدارت السمكة وعضت أصبعه فلم يسترح ليلته ولم ينم فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه، ولكنه لم يسترح بعدها لأن السم كان قد تسرب إلى يده ، فأشاروا بقطع يده ولكنه لم يسترح أيضًا بل أخذ يصرخ

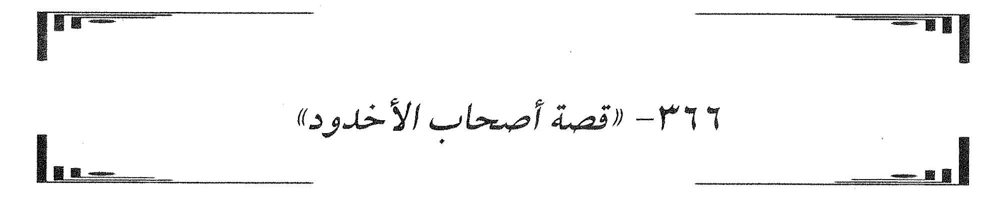
(١) رواه الحاكم ، وهو ضعيف الإسناد . ولكن معناه صحيح.

ويستغيث فأشاروا بقطع ذراعه فاستراح من الآم الجسدية ، ولم تهدأ نفسه فعلم الأمر، فأشاروا عليه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب (العلماء الحكماء) فذهب وأخبره قصة السمكة ، فقال له: لن تهدأ إلا إذا عفى عنك الصياد فبحث الملك عن الصياد حتى وجده وشكى إليه أمره واستحلفه أن يصفح عنه فعفا عنه وصفح فقال له الملك : ماذا قلت فيّ، فقال: ما قلت سوى كلمة واحدة : «اللهم إنه أظهر عليّ قوته فأرني فيه قدرتك».



٣٦٥- «إياك والظلم»

أمر أحد الظالمين المتكبرين أتباعه باقتياد امرأة مظلومة والقبض عليها لتعذيبها والسخرية منها، فأمر بجرها فقالت له: اتق الله فلم يلتفت لها، وإنما أمر باستمرار جرها، ولم تزل تناشده الله أن يتركها ويتقي الله فيها، وهو يأمر بجرها، فلما يئست من نفسها، رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿**قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون**﴾ اللهم إن كان هذا الرجل يظلمني فخذه، فوقع الرجل في نفس اللحظة على ظهره ميتًا!! وحُمل على جنازة، وانصرفت المرأة سالمة.



٣٦٦- «قصة أصحاب الأخدود»

قال ﷺ : «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبُر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر.

فبعث إليه غلامًا يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب ، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني (أخرني) أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر ، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست

الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا ، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها، ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره .

فقال له الراهب: يا بني أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدلّ عليَّ. وكان الغلام يبريءُ الأكمه (الأعمى) والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى ، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك .

قال: ربي .

قال: أو لك رب غيري؟ .

قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام .

فقال له الملك : يا بني قد بلغ من سحرك ما تبريء الأكمه والأبرص، وتفعل، وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك ، فقال: كفانيهم الله تعالى . . . .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور (سفينة) وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ . فقال:

كفانيـهم الله تعالى، فقال للملك : إنك لست بقـاتلي حتى تفعل ما آمـرك به ، قال: ما هو؟ قال: تجمـع الناس في صعيد واحـد وتصلبني على جذع ثم خذ سهـمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القـوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صـعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سـهمًا من كنانته ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صُدغه فوضع يده في صدغه فـمات ، فقال الناس: امنا برب الغلام. فأتى الملك ، فـقيل له: أرأيت ما كنت تحـذر، قد والله نزل بك حـذرك قد آمن الناس، فـأمر بالأخـدود (الشقـوق) بأفواه السكك فخُدت (شقت) وأضـرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحـموه فيها (ألقوا فيها) أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا، حتى جـاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبري فإنك على الحق»[١] .

٣٦٧- «قصته ﷺ وجبريل وميكائيل»

عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قـال: فإن رأى أحد رؤيا قصـها فيقـول: ما شاء الله، فـسألنا يومًا، فـقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا!، قال: لكـني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقـدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب[٢] من حديد يدخله في شدقه[٣] حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فـيعـود فيـصنع مـثله. . قلت: ما هذا؟ قـالا: انطلق فـانطلقنا حـتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر[٤] فيشدخ[٥] بها رأسه، فإذا ضربه تدهده[٦] الحجر، فانطلق إليـه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعـاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. . قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) الكلوب: حديدة مقوسة الرأس.
(٣) الشدق: جانب الفم من باطن الخد.
(٤) الفهر: الحجر الأملس.
(٥) الشدخ: كسر الشيء.
(٦) تدهده: تدحرج.

وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عُراة ، فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا، فإذا خـمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فمه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمي في فمه بحجر فرجع كما كان ، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعد بي الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشبان، ثم صعدا بي فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل..

قلت: طوفتما بي الليلة أخبراني عما رأيت ..

قالا: نعم .

الذي رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة . والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة ، والذي رأيته في النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار فمالك خازن جهنم، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء ، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك .. فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة ، قالا: ذلك منزلك . قلت: دعاني أدخل منزلي، قال: إنه بقي لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك»[1] .

٣٦٨- «هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها»

قال وهب بن منبه : خرج عيسى عليه السلام يسيح في الأرض فصحبه يهودي وكان معه رغيفان ، ومع عيسى رغيف ، فقال له عيسى: تشاركني في طعامك؟ قال اليهودي:

(١) رواه البخاري.

نعم، فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم. . فقام إلى الصلاة. . فذهب صاحبه وأكل رغيفًا . . فلما أتم عيسى قدما طعامهما. . فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيف واحد . . فأكل عيسى رغيفًا وصاحبه رغيفًا ثم انطلقا، فجاءوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه : لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح، فقال: افعل.

فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم، فمس بصره ودعا الله به فأبصر. . فقال عيسى لليهودي: بالذي أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال : والله ما كان إلا رغيف واحد. فسكت عيسى عنه . . فمرا بظباء ترعى فدعا عيسى – عليه السلام – ظبيًا منها فذبحه، ثم أكلا منه ثم قال عيسى للظبي : قم بإذن الله ، فقام، فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية: من أكل الرغيف الثالث؟ . فقال : ما كان إلا رغيف واحد. فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه. فقال الرجل: سبحان الله ، فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث ، فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيف واحد . . فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب ، فقال عيسى عليه السلام : واحدة لي ، وواحدة لك ، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث ، أكلته وأنت تصلي.

فقال عيسى : هي لك كلها وفارقه ، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب ، فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فذهب ، فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا. . قال الآخر: نعم، وقال الذي ذهب يشتري الطعام: أجعل في الطعام سمًا فأقتلهما، وآخذ الذهب وحدي، ففعل ما أملاه عليه شيطانه ، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضًا بجوار الذهب، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك ، وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب، أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

٣٦٩- «جزاء التوبة الكاذبة»

قال منصور بن عمار: كان لي صديق مسرف على نفسه ، ثم تاب، وكنت أراه كثير العبادة والتهجد، ففقدته أيامًا، فقيل لي: هو مريض، فأتيت إلى داره، فخرجت إليّ ابنته، فقالت: من تريد؟ ، قلت: فلانًا ، فاستأذنت لي ثم دخلت فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه، وازرقت عيناه ، وغلظت شفتاه.

فقلت له وأنا خائف منه: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ، ففتح عينيه ونظر إليّ شزرًا وغشي عليه، فقلت له ثانيًا : يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله، ثم ثالثًا، ففتح عينيه، وقال: يا أخي منصور هذه كلمة قد حيل بيني وبينها.

فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت له: يا أخي أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام، فقال: كان ذلك لغير الله وكانت توبتي كاذبة إنما كنتُ أفعل ذلك ليقال عني وأذكر به ، وكنتُ أفعل ذلك رياء الناس، فإذا خلوت إلى نفسي أغلقت الباب وأرخيت الستور وشربت الخمور، وبارزت ربي بالمعاصي، ودمت على ذلك مدة فأصابني المرض، وأشرفت على الهلاك ، فقلت لابنتي هذه : ناوليني المصحف، وقلت: اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتني وأنا لا أعود إلى ذنب أبدًا فَفَرَّج الله عني فلما شفيت عدتُ إلى ما كنتُ عليه من اللهو واللذات وأنساني الشيطانُ العهدَ الذي كان بيني وبين ربي فبقيتُ على ذلك مدة من الزمان فمرضت مرضًا أشرفت فيهَ على الموت فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار على عادتي ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه، ثم رفعته، وقلت: اللهم بحرمة ما في هذا المصحف الكريم من كلامك إلا ما فرجتَ عني فاستجاب الله مني وفَرَّج عني ثم عدت إلى ما كنتُ عليه من اللهو فوقعتُ في هذا المرض، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كما تراني، ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لي حرف واحد، فعلمت أن الله سبحانه قد غضب عليّ فرفعت رأسي إلى السماء ، وقلت: اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجتَ عني ، يا جبار الأرض والسماء ، فسمعتُ كأن هاتفًا يقول:

تتوب عن الذنوب إذا مرضتا ... وترجع للذنوب إذا برئتا
فكم من كربةٍ نجاك منها ... وكم كَشَفَ البلاء إذا بليتا
أما تخشى بأن تأتي المنايا ... وأنت على الخطايا قد دهيتا

قال منصور بن عمار: فوالله ما خرجت من عنده إلا وعيني تسكب العبرات فما وصلت الباب إلا وقيل لي: إنه قد مات.

٣٧٠- «غيرة الصبيان على نبيهم»

حكي أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون الكرة ، وأسقف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره، فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فرفض، فقال غلام منهم: سألتك بحرمة محمد ﷺ إلا رددتها علينا فأبى وأخذ يسب رسول الله ﷺ ، فأقبلوا عليه بعصيهم يضربونه حتى مات، فرفع ذلك إلى عمر - رضي الله عنه- فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عز الإسلام أن أطفالاً صغارًا شتم نبيهم فغضبوا وانتصروا وأُهدر دم الأسقف.

٣٧١- «لا أحفظ منه إلا آية واحدة»

وسأل رجل من أهل القرآن بعض العلماء فقال له: اجلس فإني أشم من كلامك رائحة الكفر، فرؤي الرجل بعد ذلك، وقد تنصر والعياذ بالله تعالى، فسُئل : هل تحفظ شيئًا من القرآن ، فقال: لا أحفظ منه إلا آية واحدة ، قوله تعالى : **﴿رُبما يَودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾** [سورة الحجر: ٢].



٣٧٢- «عبد القادر الجيلاني، وحواره مع الشيطان»

وروي عن عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - أنه كان يمشي ذات يوم في الصحراء فتراءى له نور عظيم في الأفق ، ثم سمع صوتًا ينادي يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات، فقال له: اخسأ يا لعين ، فإذا بهذا النور ينقلب ظلامًا ، وإذا بالصوت يقول له: يا عبد القادر لقد نجوت مني بعلمك بأمر ربك وفقهك ، ولقد أضللت بمثل هذه سبعين من كبار العباد، ولولا علمك لضللت مثلهم.

٣٧٣- «كفى بالله شهيدًا»

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ : أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه (يقرضه) ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم. فقال: كفى بالله شهيدًا.

قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً.

قال : صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبًا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار ، وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها. ثم أتى بها إلى البحر، فقال:

«اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانًا ألف دينار فسألني كفيلاً ، فقلت: كفى بالله كفيلاً ، فرضي بك ، وسألني شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا فرضي بك ، وأني جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدر. وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده - فخرج الرجل

(١) رواه البخاري.

الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها حطبًا لأهله فلما نشرها وجد المال والصحيفة.

ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار. فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ ، قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت الخشبة، وانصرف بالألف دينار راشدًا»[1] .

٣٧٤- «كنت حدادًا ، وأنا الآن نجار»

حُكي عن الشافعي ، ومحمد بن الحسن أنهما رأيا رجلاً فقال الشافعي إنه نجار، وقال محمد بن الحسن إنه حداد، فسألاه عن صنعته ، فقال: كنت حدادًا ، وأنا الآن نجار.

٣٧٥- «لا يرضى الناس بشيء أبدًا»

كان جحا وابنه على طرفي النقيض في بعض السلوك ، فكلما أمره أبوه بشيء عارضه قائلاً: وماذا يقول الناس عنا إذا عملناه؟ ، وأراد الأب جحا أن يلقن الابن درسًا ينفعه ويجعله ينصرف عن محاولة إرضاء الناس لأن رضا الناس غاية لا تدرك فركب حمارًا وأمر ابنه أن يسير وراءه ، ولم يكد الراكب والماشي يمضيان بضع خطوات ، حتى مر ببعض النسوة فتصايحن في جحا: ما هذا أيها الرجل أما في قلبك رحمة تركب أنت وتدع الصغير يجري متعبًا من ورائك .

فنزل جحا عن الحمار، وأمر ابنه بالركوب فمرا بجماعة من الشيوخ جالسين في الشمس فدق أحدهما كفًا بكف ، ولفت أنظار الباقين إلى هذا الرجل الأحمق الذي يمشي ويدع ابنه يركب ، وعلق على هذا بقوله: أيها الرجل تمشي وأنت شيخ وتدع الدابة لهذا الولد ، وتطمع بعد ذلك أن تعلمه الحياء والأدب.

قال جحا لابنه : أسمعت ، تعال إذًا نركب الحمار سويًا، وركبا ومضيا في طريقهما وصادفا جماعة ممن يصح أن نسميهم (أعضاء جمعية الرفق بالحيوان) فتصايحوا بالرجل وابنه: ألا تتقيان الله في هذا الحيوان الهزيل أتركبانه معًا ووزن كل منكما أثقل من وزن الحمار؟ .

قال جحا لابنه وقد نزل وأنزل ابنه : أسمعت؟ تعال إذن لنمشي معًا وندع الحمار يمضي أمامنا حتى نأمن مقالة السوء من الرجال والنساء وأصدقاء الحيوان. ومضيا والحمار أمامهما يمشي فصادفا طائفة من الخبثاء الظرفاء فاتخذوا من حالهما مادة للعبث والسخرية ، وقالوا: والله ما يحق لهذا الحمار إلا أن يركبكما فتريحاه من وعثاء الطريق.

وتمضي القصة فتقول : إن جحا سمع كلام الظرفاء الخبثاء فذهب وابنه إلى شجرة في الطريق فاقتطعا فرعًا قويًا من فروعها وربطا حمارهما عليه وحمل جحا طرفًا من الفرع، وحمل الابن طرفه الآخر. ولم يمضيا على حالهما خطوات حتى كانت وراءهما فرقة من الناس تضحك من هذا المنظر الفريد الذي أنهاه رجل الشرطة حين ساق جحا وابنه والحمار إلى مكان يوضع فيه المجانين (مستشفى الأمراض العقلية) .

وحين انتهى المطاف بجحا إلى مستشفى المجاذيب كان عليه أن يوضح لابنه خلاصة التجربة التي بلغت غايتها ، فالتفت إليه يقول: هذه يا بني عاقبة من يسمع إلى القيل والقال، ولا يعمل عملاً إلا لأجل مرضاة الناس، وكان درسًا وعاه ابن جحا ، وحفظه لنا التاريخ.

٣٧٦- «أنتِ طالق إن لم أدخل الجنة»

عن لؤلؤة خادم هارون الرشيد قال: جرى بين الرشيد وبنت عمه زبيدة خلاف ، فقال هارون: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ثم ندم، فجمع الفقهاء فاختلفوا في قسمه، فكتب إلى البلدان فاستحضر علماءها إليه.

فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم عن قسمه هذا (أنت طالق إن لم أدخل الجنة) فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم ، وكان في آخر المجلس، وهو الإمام الليث بن سعد، قال:

فسأله هارون الرشيد، فقال له الليث: إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته فصرفهم.

فقال: يدنيني أمير المؤمنين فأدناه .

قال: أتكلم مع الأمان؟ ، قال: نعم .

فأمر الليث بإحضار مصحف فأحضر ، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ قال: أمسِك يا أمير المؤمنين، قل: والله ، فاشتد ذلك على هارون ، فقال: يا أمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال: والله حتى فرغ من اليمين ، فقال الليث: قل: إني أخاف مقام ربي، فقال ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين فهي جنتان وليست بجنة واحدة، قال: فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر، فقال له الرشيد: أحسنت، وأمر له بالجوائز وصرفه مكرمًا.

٣٧٧- «ورع أبي حنيفة»

قال يزيد بن هارون : ما رأيت أورع من أبي حنيفة ، رأيته جالسًا يومًا في الشمس عند باب إنسان ، فقلت له: يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل، فقال لي: على صاحب هذه الدار دراهم، ولا أحب أن أجلس في ظل فناء داره ، فأي ورع أكثر من هذا؟ .

وفي رواية إنه سُئل لم امتنع عن الوقوف في الظل. فقال أبو حنيفة : لي عند صاحب هذه الدار شيء فكرهت أن أستظل بظل حائطه فيكون ذلك أجر منفعة . وما أرى ذلك على الناس واجبًا ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من علمه بأكثر مما يدعو الخلق إليه.

٣٧٨- «ارجع إلى بستانك»

يحكى أن بعض الملوك التفت وهو على أعلى قصره فرأى امرأة على سطح دار وكانت جميلة جدًا. فقال الملك لبعض جواريه: لمن هذه المرأة ، فقالوا للملك: هذه زوجة

غلامك فيروز ، فنزل الملك وقد شغفه حبها ، فاستدعى غلامه ، وقال له : يا فيروز . قال : لبيك يا مولاي ، قال : خذ هذا الكتاب ، وامض به إلى البلد الفلانية وائتني بالجواب ، فأخذ الغلام الجواب ، وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز نفسه للسفر فلما أصبح ودع أهله وسار طالبًا حاجة الملك ، ولم يعلم بما دبره الملك .

أما الملك فإنه توجه إلى دار غلامه ، فقرع الباب قرعًا خفيفًا ، فقالت امرأة الغلام : أرى مولانا عندنا اليوم . قال : جئت زائرًا ، فقالت : أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرًا ، فقال لها : ويحك إنني أنا الملك وسيد زوجك وما أظنك عرفتيني؟ ، فقالت : بل عرفتك يا مولاي ، ولكن سبقك الأوائل في قولهم :

سأترك ماءكم من غير ورد	وذلك لكثرة الوارد فيه
إذا سقط الذباب على طعام	رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأُسُود ورود الماء	إذا كان الكلاب ولغن فيه

ثم قالت : أيها الملك تأتي إلى موضع شركك كلبك تشرب منه ، فاستحيا الملك من كلامها ، وخرج وتركها ، ونسي نعله في الدار .

أما الغلام فإنه لما خرج لحاجة سيده ، وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله ، وعلم أن الملك لم يرسله في هذا السفر إلا لأمر يفعله . فسكت ولم يبد كلامًا وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد فأنعم الملك عليه مائة دينار فمضى إلى السوق ، واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى إلى زوجته فسلم عليها ، وقال لها : قومي إلى زيارة بيت أبيك ، قالت : لماذا؟ قال : إن الملك أنعم عليَّ وأريد أن تظهري لأهلك ذلك ، فقامت وتوجهت إلى بيت أبيها ، ففرحوا بها وبما جاءت به معها ، فأقامت عند أهلها شهرًا ، فلم يسأل عنها زوجها ولم يذكرها .

فأتى إليه أخوها ، وقال : إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا إلى الملك ، فقال فيروز : إن شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها عليّ حقًا فطلبوه إلى الحكم . فأتى معهم إلى القاضي وهو إذ ذاك جالسًا إلى جوار الملك ، فقال أخو الزوجة : مولانا قاضي القضاة إني أجرت هذا الغلام بستانًا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة ، وأشجار مثمرة فأكل ثمره

وهدم حيطانه وأخـرب بئره ، فالتـفت القاضي إلى الغلام، وقـال له: ما تقول يا فـيروز، فقال: أيها القاضي قـد تسلمت البستان وسلمته إليه أحسن مـا كان ، فقال القاضي : هل سلم البستان كما كان . قال: نعم، ولكن أريد معرفة السبب لرده. قال القاضي : ما تقول يا فيروز ، فقـال: والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فـيه، وإنما جئت يومًا من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد (يعني نعل الملك) فخفت أن يغـتالني الأسد فحرمت دخول البستان إكرامًا للأسد، وكـان الملك متكئًا فاستوى جالسًا، وقـال: يا غلام ارجع إلى بستانك آمنًا، فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيـه أثرًا ، ولا التمس منه ورقًا ولا ثمرًا ولا شيئًا، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج مـن غير بأس، ووالله ما رأى الأسد مثل بستانك ولا أشد احتـرازًا من حيطانه على شجـره ، فرجع الغلام إلى داره ورد إليه زوجـته، ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء مما حدث.

٣٧٩- «بين بكارة الهلالية ومعاوية»

قال الشعبي استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان، فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة، فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أسنت ، وعـشى بصرها، وضعفت قوتها، ترعش بين خادمين لها، فسلمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام.

وقال: كيف أنت يا خالة ؟ .

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال: غيرك الدهر.

قالت: كذلك هو ذو غير، من عاش كبر، ومن مات قبر.

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زيد دونـك فـاسـتـشـر من دارنا ... سيـفًـا حسـامًـا في التـراب دفـينًا

قـد كنـت أدخـره لـيـوم كـريمة ... فـاليـوم أبرزه الزمـان مـصـونًا

قال مروان: هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكًا   هيهات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالةً   أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى   فوق المنابر من أمية خاطبًا
فالله أخر مدتي فتطاولت   حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم   بين الجميع لآل أحمد عائبًا

ثم سكتوا. فقالت: يا معاوية، كلامك أعشى بصري، وقصر حجتي، أنا والله قائلة ما قالوا، وما خفي عليك مني أكثر!.

فضحك، وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك. قالت: أما الآن، فلا.

٣٨٠- «الأم وولدها»

جاءت امرأة يومًا إلى أحد الصالحين فقالت: إن ابني قد أخذه الحرس وإني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب، فقام فصلى، فطوّل الصلاة، وجعلت المرأة تحترق في نفسها، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: الله الله في ولدي، فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك، فما رام مجلسه الذي صلى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها: أبشري فقد أطلق ولدك، وها هو في المنزل، فانصرفت إليه.

وهل هناك أعظم من الصلاة في طلب قضاء الحوائج؟ أليس فيها الاتصال مع الله ومناجاته؟ «**وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء فقَمِنٌ - جدير- أن يستجاب لكم**»، فأولى بالعبد أن يناجي ربه في قضاء حوائجه لأن الأمور بيده، «**والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»، وقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر وأهمّه فزع إلى الصلاة. وقال: «**أرحنا بها يا بلال**».



٣٨١- «بيان رائع»

قال الأصمعي: أتت امرأة حاكم بن عبد الله .

فقالت له : أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة ، وتخفضني خافضة ، لملمات من الأمور حللن بي، فبرين لحمي، ووهن عظمي، وتركتني والهة كالجريض، قد ضاق بي البلد العريض. هلك الوالد. . وغاب الوافد . . وعدم الطارف والتالد. فسألت في أحياء العرب عن المرجو سببه، المحمود نائله، الكريم شمائله، فدللت عليك. وأنا امرأة من هوازن، فافعل بي أحد ثلاث: إما أن تقيم أودي، وإما أن تحسن صفدي، وإما أن تردني إلى بلدي. فقال لها: بل أجمعهن إليك حبًا وكرامة .

٣٨٢- «كرم أم المؤمنين عائشة»

هذا كرمها وإنفاقها في سبيل الله، فهذه نماذج عزّ لها نظير في تاريخ الكرماء.

فعن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما- قال: إن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم فوالله ما أمست حتى فرقتها، فقالت لها مولاتها: «لو اشتريت لنا منها بدرهم لحمًا» ، فقالت: ألا قلت لي.

وتذكر لنا مولاتها أم ذر صورة أخرى شبيهة بها، فقالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمالٍ في غرارتين يكون مائة ألف، فدعت بطبق فجعلت تقسم بين الناس، فلما أمست قالت: هاتي لي يا جارية فطوري!.

فقالت أم ذر: يا أم المؤمنين ، أما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم؟ .

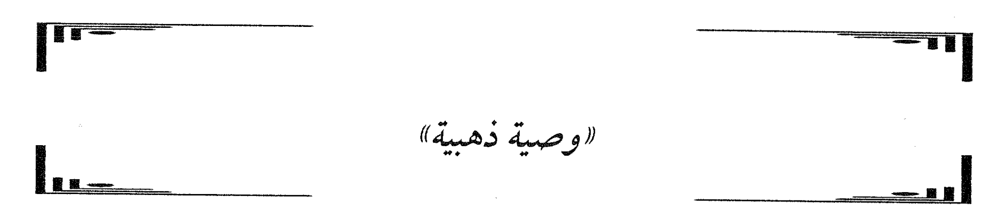
قالت: لا تعنفيني ، لو أذكرتيني لفعلت.

ذاك أدب النبوة ، وهذه تربية النبوة فقد كان رسول الله ﷺ أكرم من الريح المرسلة،

ولا تزال تذكر - رضي الله عنها - يوم اجتمعت مع صويحباتها يطالبن النبي ﷺ في النفقة، ولا تزال تذكر التخيير بين الحياة الدنيا، وبين الله ورسوله والدار الآخرة ، فعادت تتصدق كما يتصدق حبيبها ونبيها لا تنام ويبات في بيتها درهم واحد.

٣٨٣- «الزوج الصالح»

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظَّرب ابنته عَمْرة ، وهي أم عامر بن صعصعة ، فقال : يا صعصعة ، إنك أتيتني تشتري مني كبدي، فارحم ولدي قَبِلْتُك أو ردَدْتُك، والحسيب كُفء الحسيب، والزوج الصالح أب بعد أب، وقد أنكَحتك خشية أن لا أجد مثلك أفرَّ من السرّ إلى العلانية ، يا معشر عَدْوان: خرجتْ من بين أظهركم كريمتُكم من غير رغبة ولا رهبة ، أُقْسم لولا قَسم الحظوظ على الجُدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به.



«وصية ذهبية»

خطب عمرو بن حُجر إلى عوف بن مُحلم الشيباني ابنته: أُمَّ إياس، فقال: نعم أُزَوِّجُكُما على أن أُسَمِّيَ بنيها، وأزوجَ بناتها.

فقال عمرو بن حُجْر: أما بنونا فنسميهم بأسمائنا، وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فننكحهن أكفاءَهن من الملوك، ولكني أُصْدقها عقارًا في كِندة ، وأمنحها حاجات قومها، لا ترد لأحد منهم حاجة! فقبل ذلك منه أبوها، وأنكحه إياها، فلما كان بناؤه خلت بها أمها فقالت:

أي بنية ، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجتِ، وعُشَّك الذي فيه درجتِ إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمةً يكن لك عبدًا، واحفظي له خصالاً عشرًا تكن لك ذخرًا:

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم إلا أطيب ريح! .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن حرارة الجوع مَلْهبة وتنغيص النوم مغضبة! .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والإرعاءُ على حشمه وعياله، ومِلاك الأمر في المال حُسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير! .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرًا، ولا تُفشين له سرًا، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره ، لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتمًا، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا.

فولدت له الحارث بن عمرو جَدَّ امريء القيس الشاعر .

٣٨٥- «ماتت القلوب»

حكي أن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى - مرّ بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا أبا إسحاق : ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟! .

قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

* عرفتم الله ، ولم تؤدوا حقه.

* وزعمتم أنكم تحبون رسوله، وتركتم سنته.

* وقرأتم القرآن، ولم تعملوا به .

* وأكلتم نعم الله، ولم تؤدوا شكرها.

* وقلتم: إن الشيطان عدوكم ، ووافقتموه.

* وقلتم: إن الجنة حق، ولم تعملوا لها.

* وقلتم: إن النار حق ، ولم تهربوا منها.

* وقلتم: إن الموت حق ، ولم تستعدوا له .

*واشتغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم .

* ودفنتم موتاكم، ولم تعتبروا بهم .

وقال بعضهم في هذا المعنى:

نحن ندعو الإله في كل كرب ... ثم ننساه عند كشف الكروبِ

كيف نرجو إجابة لدعاءٍ ... قد سددنا طريقها بالذنوبِ؟

٣٨٦- «أيّ النساء أشهى إليك؟»

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: أيُّ النساء أشهى إليك؟ .

قال: المواتية لك فيما تهوى.

قال: فأيهن أبغض إليك؟ .

قال: أبعدهن مما ترضى.

قال: هذا النقد العاجل!.

فقال صعصعة : بالميزان العادل!.

٣٨٧- «قول في الأولاد»

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس ، فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين ، ثمارُ قلوبنا، وعمادُ ظهورنا، ونحن لهم أرض ذَليلة، وسماءٌ ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك وُدَّهم، ويُحبُوك جَهْدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيمَلُّوا حياتك، ويُحبُّوا وفاتك .

فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت عليّ وإني لمملوءٌ غضبًا على يزيد، فَسَلَلْتَهُ من قلبي! . فلما خرج الأحنف من عنده، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره إيّاها! .

٣٨٨- «نشر الحسنة وستر السيئة»

قال القاضي شريح: تزوجت امرأة صغيرة فلما بَنَيْتُ بها.

قالت: عرِّفني خُلُقَك لأعملَ على مداراتِك؟ .

فقلت لها: أحبّ كذا وأكره كذا، ونحن جميع فلا تفرقي، وما رأيتِ من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاسْتُريها.

ثم قالت: كيف محبتك لزيارة الأهل؟ .

قلت: ما أُحب أن يُملّني أصهاري.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أمنعه؟ .

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال: ومكثتْ معي حولاً لا أرى إلا ما أُحب، فلما كان رأس الحول جئتُ من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار.

فقلت: مَن هذه؟ .

قالوا: فلانة خَتَنَتُك، فسُرِّي عني ما كنت أجد، فلما جلست أقبلت العجوز.

فقالت: السلام عليك يا أبا أمية .

قلت: وعليك السلام ، من أنت؟ .

قالت: أنا فلانة خَتَنَتُك - أم زوجتك - .

قلت: قَرّبك الله.

قالت: كيف رأيت زوجتك؟ .

قلت: خير زوجة .

فقالت لي: أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين، إذا ولدت غلامًا أو حَظيت عند زوجها، فإن رَابَك ريبٌ فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدلَّلة.

قلت: أما والله ، لقد أدّبت فأحسنت الأدب، ورُضْت فأحسنت الرياضة .

قالت: تُحب أن يزورك أختانك؟ .

قلت: متى شاؤوا.

قال: فكانت تأتيني في رأس كُلّ حَوْل تُوصيني تلك الوصيـة، فمكثتْ معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء.

وكان لي جارٌ يُقرِّع امرأته ويضربها، فقلت في ذلك :

رأيتُ رجـالاً يضـربون نسـاءهم ... فـشُلت يميني حين أضـرب زينبـا

أأضـربُهـا في غـيـر ذنب أتتْ به ... فما العدلُ مني ضربُ من ليس مُذنبًا

فـزينبُ شـمسٌ والنسـاءُ كـواكبُ ... إذا طلعت لـم تُبْـد منهن كـوكبًـا

٣٨٩- «فلذات الأكباد»

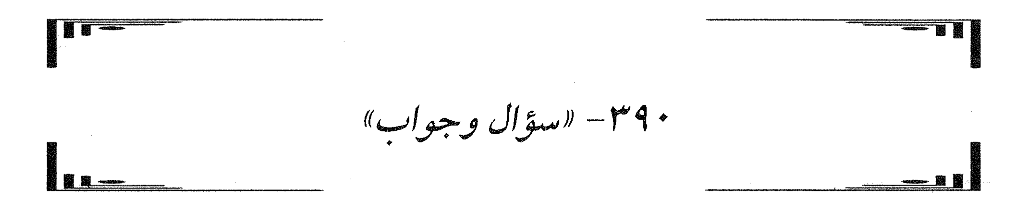
قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده: ليكُن أوّل إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعَيْنك ، فالحسن عندهم ما صنعتَ والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تُكْرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه، روِّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعـر أَعَفّه، ولا تنْقُلهم من علم إلى علـم حتى يُحْكِمُوه، فـإن ازدحام الكلام في القلب مشْغَلة للفهم، وعلمهم سُنَن الحكماء وجنبهم محادثة النساء، وتَهَدّدْهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي يعجل بالدواء حـتى يعرف الداء، ولا تتّكل على عُذْرٍ مني، فإني قد اتّكلْتُ على كفاية منك.

وقال الحجاج لمعلم بنيه: علّمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يُسبح عنهم .

وقال مؤدب يزيد بن عبد الملك له : لِمَ لَحَنْت؟ فقال: الجواد يعثر!، فقال المؤدب: إي والله ويُضرب حتى يستقيم، فقال يزيد: وربما يَرْمح سائسه فيكسر أنفه!.

وكتب عمر إلى أهل الشام : علّموا أولادكم السباحة ، والرّمي ، والفروسية، ورَوُّوهُم ما سار من المثل، وما حَسُن من الشعر.

وبعث المنصور إلى مَنْ في الحبس من بني أمية ، يقول لهم: ما أشدّ ما مرّ بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تأديب أولادنا!.



٣٩٠- «سؤال وجواب»

خطب ثلاثة إخوة من العرب إلى عمهم ثلاث بنات له، فقال : مرحبًا بكم، لا أذمّ عهدكم، ولا أستطيع ردكم، خبروني عن مكارم الأخلاق؟ .

فقال الأكبر: الصون للعرض، والجزاء القرض.

وقال الأوسط: النهوش بالثِّقْل، والأخذ بالفضل.

وقال الأصغر: الوفاء بالعهد، والإنجاز للوعد.

قال: أحسنتم في الجواب ، ووفقتم إلى الصواب.

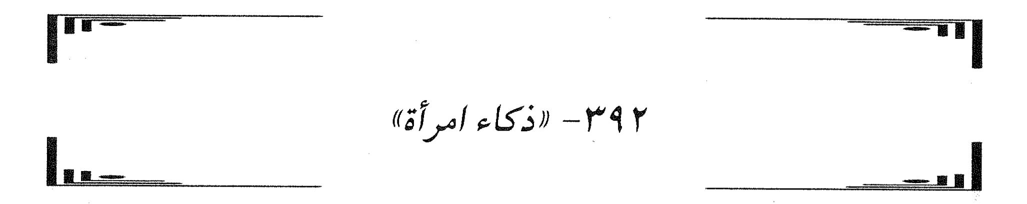
٣٩١- «وصية أم لابنتها ليلة زفافها»

نصحت أم ابنتها نصيحة غالية وقد مزجتها بابتسامتها ودموعها ، فقالت: يا بنيتي! أنت مقبلة على حياة جديدة . . حياة لا مكان فيها لأمك أو لأبيك . . أو لأحد من

إخوتك فيها . . ستصبحين صاحبة لرجل لا يريد أن يشاركه فيك أحد حتى لو كان من لحمك ودمك .

كوني له زوجة يا ابنتي وكوني له أمًا، اجعليه يشعر أنك كل شيء في حياته ، وكل شيء في دنياه . . اذكري دائمًا أن الرجل أي رجل - طفل كبير - أقل كلمة حلوة تسعده، لا تجعليه يشعر أنه بزواجه منك قد حرمك من أهلك وأسرتك، إن هذا الشعور نفسه قد ينتابه هو، فهو أيضًا قد ترك بيت والديه وترك أسرته من أجلك، ولكن الفرق بينك وبينه، هو الفرق بين المرأة والرجل. . المرأة تحن دائمًا إلى أسرتها، إلى بيتها الذي ولدت فيه ونشأت وكبرت وتعلمت. . ولكن لابد لها أن تعوِّد نفسها على هذه الحياة الجديدة ، لابد لها أن تكيف حياتها مع الرجل الذي أصبح لها زوجًا وراعيًا وأبًا لأطفالها . . هذه هي دنياك الجديدة .

يا ابنتي، هذا هو حاضرك ، ومستقبلك ، هذه هي أسرتك التي شاركتما - أنت وزوجك- في صنعها، أما أبواك فهما ماض. . إنني لا أطلب منك أن تنسي أباك وأمك وأخوتك؛ لأنهم لن ينسوك أبدًا يا حبيبتي ، وكيف تنسى الأم فلذة كبدها، ولكنني أطلب منك أن تحبي زوجك وتعيشي له وتسعدي بحياتك معه .



٣٩٢- «ذكاء امرأة»

يحكى أن امرأة اتهم زوجها، وابنها، وشقيقها، في مؤامرة لاغتيال المستنصر بالله، فألقي القبض على الثلاثة ، وحكم بإعدامهم.

ولما علمت المرأة بذلك، ذهبت فوقفت على باب المستنصر بالله، حتى إذا رأته قادمًا، ألقت بنفسها عند قدميه، وهي تبكي بُكاءً مريرًا، وتتوسل إليه أن يعفو عنهم، أو أن يأمر بقتلها معهم، إذ لا إرب لها في الحياة بعدهم .

فرق لها قلب المستنصر، وأطرق قليلاً يفكر، ثم رفع رأسه إليها.

وقال: قد قبلت شفاعتك أيتها المرأة في واحد منهم، وتركت لك الخيار فيه.

فوقعت المرأة في حيرة ، ولكنها قـالت بعد أن فكرت قليلاً: الزوج موجود، والابن مولود، أما الأخ فمفقود، لا يعود، أختار الأخ. فأعجب المستنصر بحسن اختيارها.

ثم قال: اذهبي أيتها المرأة فقد وهبتك حياتهم جميعًا.

٣٩٣- «إن المرء لا يرى عيب نفسه»

قالت امـرأة توصي ولدها: أي بُنَيّ اجلس أَمنحْك وصـيتي، وبالله توفيـقك ، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك .

أيْ بني إياك والنَّميمـة ، فإنها تزرع الضغينة ، وتفرّق بين المحـبين، وإياكَ والتعرّض للعيوب فتُتَّـخَذَ غَرَضًا، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السِّهام، وقلمـا اعْتَوَرت السهام غرضًا إلا كَلَمْته حتى يهي ما اشتدَّ من قوته.

وإياك والجـود بدينْك والبُـخل بمالك ، وإذا هززت فاهزُزْ كـريمًا يلين لهـزَّتك ، ولا تهزُزِ اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها، ومثّل لنفـسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استَقْبَحْتَ من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه.

٣٩٤- «جزعًا من الله»

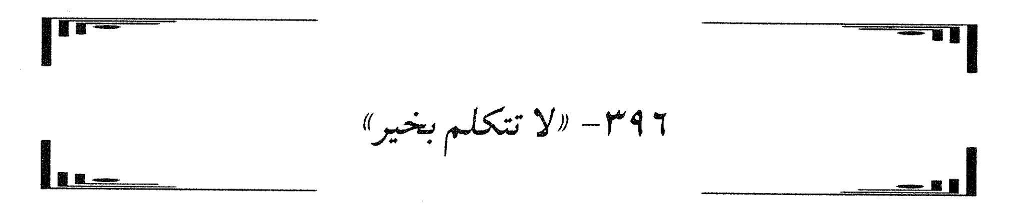
قال الحسن البصري: كانت امرأة بغيٌّ، لها ثلث الحُسن، لا تمكِّن من نفسها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عابد فأعجبته، فذهب فـعمل بيديه، وعالج فجمع مائة دينار، ثم جاء إليها فقال: إنك أعجبتني فانطلقتُ فعملت بيدي، وعالجتُ حتى جمعت مائة دينار، فقالت له: ادخل، فدخل، وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها، ثم قالت له: هَلمَّ، فلما جلس منهـا مجلس الخاتن[1] ذكر مـقامه بين يدي الله، فـأخذته رعدة ، فقـال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار؟!، قالت: ما بدا لك ، وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك،

(١) أي: بين رجليها.

فذهبتَ، فعالجت، وكددت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت عليّ فعلتَ الذي فعلت؟، فقال: جزعًا من الله ومن مقامي بين يديه، وقد بَغُضْتِ إلي، فأنت أبغض الناس إليّ، فقالت: إن كنت صادقًا فما لي زوج غيرك، فقال: دعيني أخرج ، فقالت: لا ، إلا أن تجعل لي أن تزوّج بي، قال: لا ، حتى أخرج! قالت: فلي عليك إن أنا أتيتُكَ أن تتزوجني؟ قال: لعل، فتقنع بثوبه، ثم خرج إلى بلده، وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها، حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلَّتْ عليه، فقيل له: إن الملكة[1] قد جاءتك ، فلما رآها شهق شهقة فمات، وسُقط في يدها، وقالت: أما هذا فقد فاتني، فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير، قالت: فإني أتزوجه حبّاً لأخيه ، فتزوجته.

٣٩٥- «سررتني سرّك الله»

قالت عائشة - رضي الله عنها - : دعتني أم حبيبة عند موتها ، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ، ما كان من ذلك . فقلت: غفر الله لك ذلك كلَّه وتجاوز وحلَّك من ذلك كله ، فقالت: سررتني سرَّك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك .



٣٩٦- «لا تتكلم بخير»

وقف إياس بن معاوية -وهو صبي- على قاضي دمشق ومعه شيخ، فقال: أصلح الله القاضي ، هذا الشيخ ظلمني، وأكل مالي، فقال القاضي : ارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام ، فقال إياس: إن الحق أكبر مني ومنه ومنك، قال: اسكت، قال: وإن سكت فمن يقوم بحُجتي ، قال: فتكلم ، فوالله لا تتكلم بخير، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فبلغ ذلك الخليفة ، فعزل القاضي ، وولّى إياسًا مكانه.

(١) ظنها ملكة لحسن مظهرها.

٣٩٧- «هذا أسخى مني»

خرج عبد الله بن جعفر - رضي الله عنه - إلى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها ، إذ أتى الغلام بغدائه ، وهي ثلاثة أقراص، فرمى بقرص منها إلى كلب فأكله، ثم رمى إليه الثاني فأكله، والثالث فأكله ، وعبد الله ينظر إليه .

فقال: يا غلام ، كم قوتُكَ؟ . قال : ما رأيت.

قال: فلمَ آثرتَ هذا الكلب؟ ، فقال: إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب، وإنه جاء من مسافة جائعًا ، فكرهت ردَّه .

فقال له عبد الله : فما أنت صانع اليوم؟ ، قال: أطوي يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر لأصحابه: أُلامُ على السخاء، وهذا أسخى مني! ثم إنه اشترى الغلام وأعتقه، واشترى الحائط وما فيه ووهب ذلك له.

٣٩٨- «مصيبتك عندي أعظم»

كان بالعسكر[(١)] رجل تاجر موسر من التجار، يقال له: أحمد بن عمر بن حفص، فخرج إلى أصفهان ، فأنفق ابن له من ماله في القيان ثلاثة آلاف دينار، وكوتب بذلك ، فعاد فلما اجتمعا ، طالبه بالحساب، فدافع[(٢)] .

فقال له أبوه يومًا : إلى كم تدافع بالحساب ، وقد بلغني خبر ما أتلفت فيه المال؟ فإن كنت استفدت بذلك عقلاً وعلمًا بالزمان وحنَّكتك الشدائد والأمور وأدبتك، فليس هذا بغالٍ، بهذا القدر من مالي، فإنه مالُك، وإن لم تكن أفدت ذلك، فإن المصيبة فيك عندي، أعظم من المصيبة بذهاب المال.

---

(١) توجد عشرة مواضع بهذا الاسم. -راجع معجم البلدان-.

(٢) أي: سار يماطل.

٣٩٩- «كل النداء يخذل»

روي أن أحيحة بن الجلاح ، أسرع في ماله فأتلفه مع إخوان له، حتى افتقر، فهجروه وقطعوه ، واحتاج إليهم في الشيء اليسير، فمنعوه، فحلقته شدة وضرّ وجهد.

فمات بعض أهله، فورّثه مالاً ، وضيعة خرابًا، تُعرف بالزوراء، فأخذ المال، وخرج إلى الضيعة يعمرها به ، فطمع فيه القوم الذين أنفق ماله عليهم، فكتبوا إليه يعتذرون مما جرى ويرغبونه في مواصلتهم ومعاشرتهم ، وكان أديبًا فكتب إليهم:

إني مكبٌّ على الزوراء أعمرها ... إن الكريمَ على الإخوان ذو المال

كلُّ النداء إذاناديتُ يخذلني ... إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

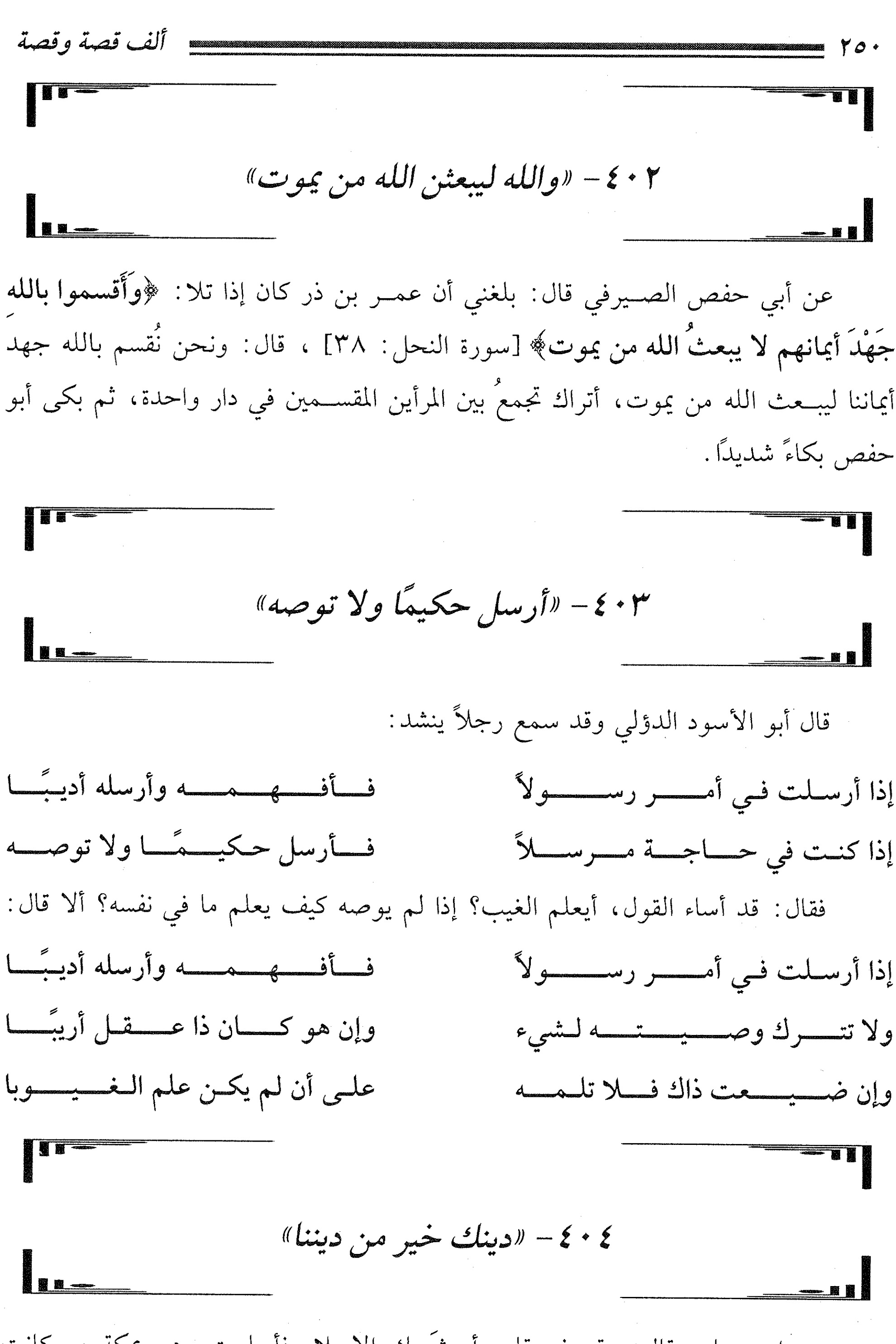
فأيسوا منه ، وكفوا عنه ، وثابت حاله ؛ وحسنت ضيعته.

٤٠٠- «لا أريد إلا التهنئة»

قال ثابت البناني: إن صلة بن أشيم كان في مغزىً له ومعه ابن له ، فقال: أي بُني تقدم فقاتل حتى أحتَسِبُك ، فحمل فقاتل حتى قَتَلَ، ثم تقدم فقُتل، فاجتمعت النساء عند امرأته مُعاذة العدوية ، فقالت: مرحبًا، إن كنتن جئتن لتهنئنني ، فمرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

٤٠١- «ابدأ بجارنا اليهودي»

عن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو، وغلام له يسلخ شاة فقال: يا غلام، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مرارًا، فقالوا له: كم تقول هذا! ، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سَيُوَرِّثُهُ.



٤٠٢- «والله ليبعثن الله من يموت»

عن أبي حفص الصيرفي قال: بلغني أن عمر بن ذر كان إذا تلا: ﴿**وَأَقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لا يبعثُ الله من يموت**﴾ [سورة النحل: ٣٨] ، قال: ونحن نُقسم بالله جهد أيماننا ليبعث الله من يموت، أتراك تجمعُ بين المرأين المقسمين في دار واحدة، ثم بكى أبو حفص بكاءً شديدًا.

٤٠٣- «أرسل حكيمًا ولا توصه»

قال أبو الأسود الدؤلي وقد سمع رجلاً ينشد:

إذا أرسلت في أمر رسولاً ... فأفهمه وأرسله أديبًا

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... فأرسل حكيمًا ولا توصه

فقال: قد أساء القول، أيعلم الغيب؟ إذا لم يوصه كيف يعلم ما في نفسه؟ ألا قال:

إذا أرسلت في أمر رسولاً ... فأفهمه وأرسله أديبًا

ولا تترك وصيته لشيء ... وإن هو كان ذا عقل أريبًا

وإن ضيعت ذاك فلا تلمه ... على أن لم يكن علم الغيوبا

٤٠٤- «دينك خير من ديننا»

عن ابن عباس قال: وقع في قلب أم شَريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة ، وكانت تحت أبي العسكر الدَوسي، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا ، فتدعوهن وترغبهن

في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها، وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنَّا سنردك إليهم، قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء، ثم تركوني ثلاثًا لا يطعموني ولا يسقوني، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقوني في الشمس واستظلوا هم منها، وحبسوني عن الطعام والشراب، فبينا هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس، إذا أنا ببرد شيء على صدري، فتناولته فإذا هو دلوا من ماء، فشربت منه قليلاً ثم نزع مني فرُفع، ثم عاد، فتناولته ، فشربت منه ثم رُفع، ثم عاد، فتناولته، ثم رفع مرارًا ثم تركت فشربت حتى رويت، ثم أفضتُ سائره على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة، فقالوا لي: انحللْتِ، فأخذتِ سقاءنا فشربتِ منه؟ قلت: لا والله، ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، قالوا: لئن كنت صادقةً لدينُك خيرٌ من ديننا، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، فأسلموا عند ذلك.

٤٠٥- «إن كساك الله تصلي؟!!»

قال الأصمعي : بينما أنا في بعض أسفاري، وكان البرد شديدًا، فالتجأت إلى حيّ من أحياء العرب، وإذ بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتفّ بكساء رقيق وهو يرتعد من البرد، فجلست بجانبه ، وقلتُ له: أنشدنا، فقال:

أيا ربّ إن البردَ أصبح كالحًا وأنت بحالي يا إلهي أعلمُ
فإن كنتَ يومًا في جهنم مُدْخلي ففي مثل هذا اليوم طابَتْ جهنمُ

فعجبتُ من فصاحته ، وقلت له: أيا شيخ، أما تستحي تقطع الصلاة ، وأنت شيخ كبير؟ . فأنشد:

أيطمعُ ربي أن أصلّي عاريًا ويكسو غيري كِسْوة الحرّ والبرد
إذا الله أعطاني قميصًا وجُبةً أُصلّي له حتى أغيب في القبرِ
وإن لم يكن إلا سواها عَباءةً مخرّقةً ما لي عن البرد من صبرِ
فوالله لا صليتُ ما عِشتُ عاريًا عِشاءً ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبحَ إلا يوم شمس دفيئة وإن غيّمت فالويل للظُّهر والعصر
ووالله، لا صليتُ لله مغربًا ولا أختَها الأخرى ولا مطلع الفجر

قال الأصمعي: فقلتُ: يا أخا العرب، إن كساكَ الله تصلي؟ قال: إي ورب الكعبة، قال: فأعطيتهُ فَضْل كساءٍ كان معي، فأخذه ولبسه ثم تيمم والماء بين يديه، فقلتُ له: يا هذا، لا يجوز التيمم والماء قريب منك، فقال: أنا أعلم منك بهذا، ثم توجه يصلي قاعداً، فقلت له: يا هذا، لا يجوز لك أيضًا أن تصلي قاعدًا، وأنت تُطيق القيام! فقال: بلى، فإني لأجد الاعتذار لربي، ثم كبر، وقال بسم الله الرحمن الرحيم، وجعل يقول في صلاته:

إليكَ اعتذاري في صلاتي قاعدًا ... على غير طُهرٍ مُومِيًا نحو قِبْلَتي

فما لي ببرد الماءِ يا ربّ طاقةٌ ... ورِجْلي فلا تقوى على حَمل ركبتي

ولكنني أستغفرُ الله شاتيًا ... وأَقضيكها يا ربّ في وجه صَيفتي

وإذا أنا لم أفعل فأنت محكّمٌ ... بما شئت من ضعفي ومن نتف لحيتي

٤٠٦- «اقرؤوا القرآن تُعرفوا به»

أخرج الدينوري عن الشعبي قال: لما ولي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صعد المنبر، فقال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر -رضي الله عنه- فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تُعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حقٌّ ذي حق أن يطاعَ في معصية الله تعالى، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وليّ اليتيم، إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

٤٠٧- «عندي خير من ذلك»

كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبي سفيان، وكان فيهما

عبيد لعمارة كل أرض، فدخل عبيدُ معاوية أرضَ عبد الله واغتصبوا منها قطعة، فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية :

أما بعد، يا معاوية ، فإن عندك عبيدًا قد اغتصبوا أرضي، فمرهم بالكفِّ عنها، وإلا كان لي ولكم شأن .

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير، دفعه إلى ولده يزيد، فلما رآه وقرأه. قال: ما تقول يا يزيد؟ .

قال: أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندنا، يأتيك برأسه، وتستريح منه، قال: عندي خير من ذلك!، قال: ما هو يا أبتِ؟ ، فقال: عليّ بدواة وقرطاس.

ثم كتب إليه فيه : وقفت على كتاب ابن أخي، وقد ساءني والله ما ساءه، والدنيا وما فيها هينة في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي مسطورًا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين أن الأرض وما فيها والعبيد الذين بها ملكك، فضمها إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك والسلام.

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتابه ، وكتب له جوابًا فيه: وقفت على كتاب أمير المؤمنين، لا أعدمني الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل، والسلام.

فلما وقف معاوية على الكتاب أعطاه لولده يزيد ، فلما قرأه تهلَّل وجهه فرحًا.

فقال له : يا بني ، إذا بُليت بشيء من هذا الداء داوه بمثل هذا الدواء، وإنّا لقوم لم نَرَ في الحِلم إلا خيرًا.

٤٠٨- «يا هذا الذي لا أعرفه»

روي عن شيخ من أهل الكوفة قال: أملقت[1] وبلغت بي الحال أن نقضت منزلي، فلما اشتد عليَّ الأمر وتجرد عيالي من الكسوة ، جاءتني الخادمة ، فقالت: مالنا دقيق، ولا معنا ثمنه ، فما نعمل؟ .

(١) أي: أصبت بالفقر.

فقلت: أسرجي حماري، وقد كان بقي لي حمار.

فقالت: ما أكل شعيرًا منذ ثلاث، فكيف تركبه.

فقلت: أسرجيه على كل حال، فأسرجته، فركبته، أدبّ عليه، هاربًا مما أنا فيه، حتى انتهيت إلى البصرة. فلما شارفتها إذا أنا بموكب مقبل، فلما انتهوا إليّ، دخلت في جملتهم فرجعت الخيل تريد البصرة، فسرت معهم حتى دخلتها، وانتهى صاحب الموكب إلى منزله، فنزل، ونزل الناس معه، ونزلت معهم.

ودخلنا، فإذا الدهليز مفروش، والناس جلوس مع الرجل، فدعا بغداء فجاؤوا بأحسن غداء، فتغدّيت مع الناس، ثم وضأنا، ودعا بالغالية[1]، فغلفنا بها ثم قال: يا غلمان، هاتوا سَفَطًا[2]، فجاءوا بسفط أبيض مشدود ففتح فإذا فيه أكياس، في كل كيس ألف درهم، فبدأ يعطي من على يمينه، فأمرّها عليهم، ثم انتهى إليّ وأعطاني كيسًا، ثم ثنى وأعطاني آخر، ثم ثلّث وأعطاني آخر، وأخذت الجماعة.

وبقي في السفط كيس واحد، فأخذه بيده، وقال: هاك يا هذا الذي لا أعرفه، فأخذت أربعة أكياس وخرجت. فقلتُ لإنسان: من هذا؟. فقال: عبيد الله بن أبي بكرة.

٤٠٩- «القلب واللسان»

كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا، فأمره سيده أن يذبح شاة، فذبح شاة فقال: ائتني بأطيب مضغتين في الشاة، فأتاه باللسان والقلب، ثم مكث أيامًا، فقال: اذبح شاة، فذبح، فقال: ائتني بأخبث مضغتين في الشاة، فألقى إليه اللسان والقلب، فقال له سيده: قلت لك حين ذبحت ائتني بأطيب مضغتين في الشاة، فأتيتني باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة ائتني بأخبث مضغتين في الشاة فألقيت اللسان والقلب؟، فقال: إنه لا أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

---

(١) أخلاط من الطيب، والمتعطر بها، يمسح رأسه ولحيته، فكأنه يغلف بها رأسه.

(٢) وعاء كالقفة.

٤١٠- «ابتلاء نوح عليه السلام»

امتُحنَ نوح عليه السلام ، بخلاف قومه عليه، وعصيان ابنه له، والطوفان العام، واعتصام ابنه بالجبل، وتأخره عن الركوب معه ، وبركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال ، وأعقبه الله الخلاص من تلك الأهوال والتمكن في الأرض، وتغييض الطوفان، وجعله شبيهًا لآدم، لأنه أنشأ ثانيًا جميع البشر منه، كما أنشأهم أولاً من آدم عليه السلام ، فلا ولد لآدم إلا من نوح.

قال الله تعالى : ﴿**ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين**﴾[سورة الصافات: ٣٧] ، ﴿**ونوحًا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم**﴾ [سورة الأنبياء: ٢١] .

٤١١- «جاء الجواب بالإجابة»

حدّث أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي في وزارته ، قال:

كنت في وقت من الأوقات - يعني في أول مرة- قد دفعت إلى شدة شديدة ، وخوف عظيم، لا حيلة لي فيهما، فأقمت يومي قلقًا، وهجم الليل فلم أعرف الغمض، فلجأت إلى الصلاة والدعاء، وأقبلت على البكاء في سجودي، والتضرع ، ومسألة الله - عز وجل - تعجيل الفرج لي، وأصبحت من غد على قريب من حالي إلا أني قد سكنت قليلاً ، فلم ينسلخ اليوم حتى جاءني الغياث من الله - عز وجل- ، وفرّج عني ما كنت فيه، على أفضل ما أردت ، فقلت:

بعثت إلى ربِّ العطايا رسالةً ... توسّل لي فيها دعاءٌ مناصحُ

فجاء جوابٌ بالإجابة وانجلتْ ... بها كُربٌ ضاقت بهنّ الجوانح

٤١٢- «قليل الهمّ»

عن محمد بن يوسف النحوي الورَّاق، قال: حدثني بعض مشايخنا، قال: ركبت في سفينة ومعنا شاب من أتباع الإمام علي، فمكث معنا سبعًا لا نسمع له كلامًا، فقلنا له: يا هذا! قد جمعنا الله وإياك منذ سبعٍ، لا نراك تخالطنا ولا تكلمنا؟ فأنشأ يقول:

قليل الهمِّ لا ولدٌ يموتُ ولا أمرٌ يحاذره يفوتُ
قضى وطرَ الصِّبا وأفاد عِلمًا فغايتُهُ التفرُّد والسكوتُ

٤١٣- «اعتبروا بمن مضى»

أخرج ابن جرير قال: لما بلغ أهلُ الشورى عثمان -رضي الله عنه- خرج، وهو أشد كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قُلعة - أي في دار تحول وارتحال- وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [سورة لقمان: ٣٣] اعتبروا بمن مضى، ثم جدُّوا، ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً؟ .

٤١٤- «فِعْلِي أحسن من قولي»

عن أمية بن يزيد الأموي قال: كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج، فقال له قولاً ضعيفًا فيه وعد وقلة طمع، فلما قام

من عنده ومضى دعا صاحب خزانته ، وقال: أعطه أربعمئة دينار، فاستكثرها، قلنا: كنت رددت عليه رداً ظننا أنك تعطيه شيئًا قليلاً، فإذا أنت قد أعطيته أكثر مما أمل! فقال: إني أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي.

٤١٥ - «مالك من نظير»

تذاكر جماعةٌ فيما بينهم أخبار مَعْن بن زائدة وما هو عليه من وفرة الحِلم ولين الجانبِ، وأطالوا في ذلك، فقام أعرابيٌّ وآلى[١] على نفسه أن يغضبه، فقالوا: إن قدرت على إغضابه فلك مائة بعير، فانطلق الأعرابي إلى بيته، وعمد إلى شاة له فسلخها ثم ارتدى بإهابها[٢] ، جاعلاً باطنه ظاهره ، ثم دخل على معن بصورته تلك، ووقف أمامه طافح العينين[٣] كالخليع، تارة ينظر إلى الأرض وتارة ينظر إلى السماء، ثم قال:

أتذكر إذْ لحافُكَ جلدُ شاة ... وإذا نعلاكَ من جلدِ البعيرِ

فقال مَعن: أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب، فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاكَ ملكًا ... وعلمك الجلوس على السريرِ

فقال معن: سبحانه وتعالى ، فقال الأعرابي:

فلستُ مُسلِّمًا ما عشتُ حَيّاً ... على مَعْنٍ بتسليمِ الأميرِ

فقال معن: إن سلَّمتَ رددنا عليك السلام، وإن تركتَ فلا ضَيْرَ عليك .

فقال الأعرابي:

سأرحلُ عن بلادٍ أنت فيها ... ولو جارَ الزمانُ على الفقيرِ

فقال مَعْن: إن أقمتَ بنا فعلى الرَّحْبِ والسَّعَة، وإن رحلتَ عنا فمصحوبًا بالسلامة.

المال زينٌ ومَن قلَّتْ دراهمُه ... حَيٌّ كمَن مات إلا أنه صنَمُ

لما رأيتُ أخلائي وخالصَتي[٤] ... والكلُّ مُستتر عني ومُحتَشمُ

أبْدَوا جَفاءً وإعراضًا فقلتُ لهم: ... أذنبتُ ذنبًا فقالوا: ذنبُك العَدَمُ[٥]

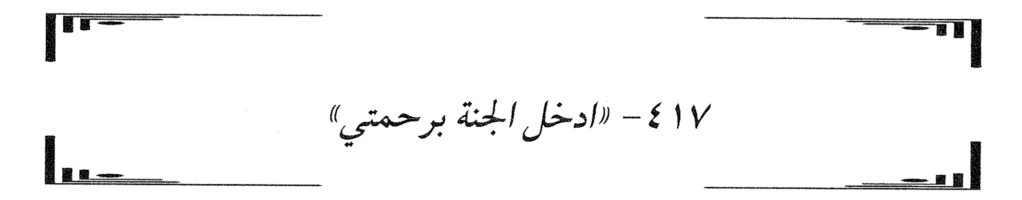
---

(١) آلى على نفسه : أي: أقسم. (٢) الإهاب: الجلد.

(٣) طافح العينين: منتفخ العين. (٤) خالصتي: المخلصين لي. (٥) الفقر.

٤١٦ - «كيف أصبحت يا حذيفة؟»

رُوي عن سيدنا عمر - رضي الله عنه - أنه لقي حُذيفة بن اليمان ، فقال له: كيف أصبحت يا حذيفة ؟ فقال : أصبحتُ أُحِبُّ الفتنة وأكرهُ الحقَّ وأصلّي بغير وضوءٍ، ولي في الأرض ما ليس لله في السمـاء، فغضب عمر غضبًـا شديدًا، فدخل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال له : يا أمير المؤمنين ، على وجهكَ أثـرُ الغضب! ، فأخبره عمر بما كان له مع حذيفة ، فقال له : صـدق يا عمر، يحبّ الفتنة ، يعني المال والبنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إنما أموالُكُم فتنة﴾ [سورة التغابن: ١٥] ، ويكرهُ الحق، يعني الموت، ويصلي بغير وضوء، يعني أنه يصلي على النبي بغـير وضوء في كل وقت، وله في الأرض ما ليس لله في السماء، له زوجة وولد وليس لله زوجة وولد، فـقال عمر: أصبتَ وأحسنتَ يا أبا الحسن، لقد أزلت ما في قلبي على حذيفة بن اليمان.



٤١٧ - «ادخل الجنة برحمتي»

عن ضمضم بن جَوْسٍ اليمامي قـال: دخلت مسجد الرسول ﷺ في طلب صاحب لي، فإذا رجل أدعج العين براق الثنايا ، فقال لي: يا يمامي لا تـقولن لأحد: واللهِ لا يغفر الله لك ، ولا يدخلك الجنة. قال: قلت: من أنت يرحمك الله؟ . قال: أنا أبو هريرة .

قال: قلت: قد نهيتني عن شيءٍ كنت أقولُه إذا غضبتُ على أهل بيتي وحشمي.

قال: فلا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيلُ، فكان أحدهما به زَهو، والآخـر عابداً، فكان لا يزال يقول له: ألا تَكُف، ألَا تقصر، فـيقول: مالك ولي؟ دعني وربي، قال: فـهجم عليه يومًا، فـإذا هو على كبيرة ، فقـال: والله لا يغفرُ الله لك ، والله لا يُدْخلُك اللهُ الجنة، فـبعث اللهُ إليهـما مَلَكًا فقـبض أرواحهما، فلمـا قدم بهمـا على الله عز وجَل، قـال للمُذْنب : ادخُل الجنة برحـمتي، وقال للعـابد: حظرتَ على عبدي رحمتي، أَوَ كنت قادراً على مَا تحت يدي؟ انطلقوا به إلى النار**» قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لقد تكلم بكلمة أوبقت دُنياهُ وآخرته**».

٤١٨- «كيف تجدُكَ يا أبا حازم»

عن محـمد بن مصرف، قـال: دخلنا على أبي حازم الأعرج ، لما حـضره الموتُ، فقلنا: يا أبا حازم كيف تجدك؟ .

قال: أجدني بخير راجيًا الله عـز وجل، حَسَنَ الظن به، والله ما يستوي من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة ، فيقدمها أمـامه قبل أن ينزل به الموت، حتى يقدم عليها فيقوم لها، وتقوم له، ومن غدا وراح في عـقد الدنيا، يعمرها لغـيره ويرجع إلى الآخرة ، لا حظ له ولا نصيب.

٤١٩- «أوتينا الإيمان قبل القرآن»

أخرج الطبراني فـي «الأوسط» عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قـال: لقد عشت برهة من دهري، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحـرامها، وما ينبغي أن يـقف عنده منها، كما تعلمون أنتـم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين الفاتحة إلى خاتمته، ما يدري ما آمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده.

٤٢٠- «لا آمرك ولا أنهاك»

روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قدم من المدينة إلى الشام على حمار، فتلقاه معاوية في مـوكب نبيل، فأعرض عنه عمر، فجعل يمشي إلـى جنبه راجلاً، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبت الرجل، فأقـبل عليه، وقال: يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجـات ببابك؟ ، قـال: نعم يا أمير المـؤمنين، قال: ولم

ذلك؟ قال: لأنا في بلاد لا تمنع الجواسيس، ولابُدَّ لهم مـا يروعهم من هيبة السلطان، فإن أمرتني بذلك أقمت عليه، وإن نهيتني عنه انتهيت، قال: إن كان الذي قلت حقّاً، فإنه رأي أريب، وإن كان باطلاً فإنها خِدْعة أديب، فلا آمرك ولا أنهاك عنه.

٤٢١ - «الحجاج لا ينسى الصداقة»

حُكِيَ أن الحجاج أُتيَ إليه بقوم من الخوارج، وكان فيهم صديق له، فأمر بقتلهم إلا ذلك الصديق، فإنه عفا عنه، وأطلقه ووصله، فرجع الرجل إلى قَطَرِي بن الفُجاءة»، وكان من أصحابه، فقال له: عُد إلى قتال الحجـاج عدو الله، فقال: هيهات! غَلَّ يداً مُطْلِقها، واسترق رقبة معتقِها، وأنشأ يقول:

أأقـاتلُ الحـجـاجَ عـن سُلطـانه ... بيـدٍ تُـقِـرُّ بـأنهـا مَـولاتُهُ؟
إنـي إذَنْ لأخـو الدنـاءة والـذي ... شـهِـدت بـأقـبحِ فـعلـه غَـدَرَاتُهُ
مـاذا أقـول إذا وقـفـتُ إزاءَهُ ... في الصفِّ واحـتـجَّت له فـعَـلاتُهُ
أأقـول جـار عليّ؟ لا. إني إذن ... لأحق مـن جـارت عليـه وُلاتُهُ
وتحـدث الأقـوام أن صنائعًـا ... غُـرِسَت لـدي فـحَنظَلَتْ نـخـلاتُهُ

٤٢٢ - «إذا نفدت فأعلمني»

عن الحسن بن كثير قال: شكوتُ إلى محمد بن علي الحاجةَ وجَفَاء إخواني، فقال: بئس الأخ أخ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيـرًا، ثم أمر غلامَهُ فأخرج كيسًا فيـه سبعمائة درهم، فقال: استنفق هذه، فإذا نفدت فأعلمني.



٤٢٣- «إذا صحت المودة»

اجتمع أبو العباس بن سريج، وأبو العباس المبرّد ، وأبو بكر بن داود في طريق، فأفضى بهم إلى مضيق، فتقدم ابن سريج، وتلاه أبو العباس محمد بن المبرد، وتأخر ابن داود، فلما خرجوا إلى الفضاء التفت ابن سريج ، فقال: العلم قدمني، فقال ابن داود: الأدب أخرني، فقال لهما المبرد أبو العباس: أخطأتما جميعًا، إذا صحَّت المودة سقط التكلُّفُ والتعمّلُ .

٤٢٤- «زدنا في السماع»

قال يحيى بن حسان : كنا عند سفيان بن عُيينة وهو يحدِّث، فازدحمت فرقة من الناس على محمل شيخٍ ضعيف فانتهبوه ودقوا يد الشيخ، فجعل الشيخُ يصيح بسفيان: لا جعلتُك مما عملوا بي في حِلٍّ، وسفيان لا يسمعُ، حتى نظر إلى رجل من أولئك الذين صنعوا بالشيخ ما صنعوا، فقال له: ما يقولُ الشيخ؟ قال: يقول : زِدْنا في السَّماع.

٤٢٥- «طالب العلم يسعى إليه»

حج هارون الرشيد ثم شخص(١) بعد الحج إلى المدينة ، وأراد أن يرى مالك بن أنس الذي سمع عن علمه ونبوغه الكثير، فأرسل يستقدمه فقال مالك للرسول: قل لأمير المؤمنين إن طالب العلم يسعى إليه، وأما العلم فلا يسعى إلى حد. وأذعن الخليفة وزار مالكًا في داره ولكنه أمر أن يخلى المجلس من الناس، فأبى مالك إلا أن يظل الناس كما كانوا، وقال: إذا مُنع العلم عن العامة ، فلا خير فيه للخاصة.

---

(١) أي: أتى وجاء إلى المدينة.

٤٢٦ - «ربح البيع يا أبا يحيى»

أخرج ابن سعد وابن عساكر عن سعيد بن المسيب، أن صهيبًا - رضي الله عنه - أمثل مهاجرًا نحو النبي ﷺ، فتبعه نفر من قريش مشركون، فنزل فانتشل كنانته - أي استخرج ما فيها من السهام - فقال: قد علمتم يا معشر قريش أني أرماكم رجلاً بسهم، وأيمُ الله، لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم شأنكم بعد ذلك، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة، وتخلوا سبيلي، قالوا: نعم، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم، فأنزل الله تعالى على رسوله القرآن: **﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾** [سورة البقرة: ٢٠٧] فلما رأى النبي ﷺ صهيبًا قال: «**ربح البيع يا أبا يحيى، ربح البيع يا أبا يحيى، وقرأ عليه القرآن**».

٤٢٧ - «ذلك دأبها ثلاثين سنة»

عن رجاء بن مسلم العبدي قال: كنا نكون عند عجردة العَمية في الدار[1]، قال: فكانت تحيي الليل صلاة، وربما قال: تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دُجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظُلَم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبكَ إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم، ثم تخر ساجدة، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.



(١) إحدى العابدات الزاهدات.

«أنا وافد بيته»

كان الحجاج بن يوسف الثقفي جالسًا مع بعض الناس بمكة ، فبينا كان يتحدث، إذ سمع صوت أعرابي في الوادي ، رافعًا صوته بالتلبية[١] ، فقال الحجاج: عليّ بالمُلَبِّي فأتي به، فقال: مَن الرجل؟ قال: من أفناء[٢] الناس، قال: ليس عن هذا سألتك ، قال: فَعمَّ سألتني!. قال: من أي البلدان أنت؟ ، قال: من أهل اليمن، قال له الحجاج: فكيف خلَّفت محمد بن يوسف ؟ - يعني أخاه - ، قال: خلّفته عظيمًا جسيمًا خراجًا ولاجًا[٣] ، قال: ليس عن هذا سألتك!، قال: فعمَّ سألتني؟ قال: كيف خلفت سيرته في الناس؟ ، قال: خلفته ظلومًا غشومًا عاصيًا للخالق، مطيعًا للمخلوق، فازور من ذلك الحجاج ، وقال: ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته مني؟ فقال له الأعرابي: أفتراه بمكانةٍ منك، أعزَّ مني من مكانتي من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافد بيته، وقاضي دينه، ومصدق نبيه ﷺ ، فوَجم لها الحجاج ولم يحر له جوابًا[٤] ، حتى خرج الرجل بلا إذن.

٤٢٩ - «لسان الفتى نصف»

روي أن شابًا كان يجالس الأحنف ويطيل الصمت، فأعجب ذلك الأحنف، فخلت الحلقة يومًا، فقال له الأحنف: تكلم يا ابن أخي، فقال: يا عم أرأيت لو أن رجلاً سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضره شيء؟ ، فقال: يا ابن أخي ليتنا تركناك مستوراً، ثم تمثل الأحنف بقول الأعور الثَّني:

وكائِن ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ ... زيادتُه أو نقصُه في التكلم

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ ... فلم يَبْق إلا صورة اللحم والدمِ

(١) أي: تقول : لبيك اللهم لبيك ، ومعنى لبيك : لزومًا لطاعتك.

(٢) أي: من أخلاطهم وهو جمع غنو.

(٣) أي: عظيم الاحتيال.

(٤) أي: لم يرد له جوابًا.

«اجعلها قيد فرس في سبيل الله»

قال عبيد الله بن عبد الخالق: سبى الرومُ نساءً مسلمات، فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقيل لمنصور بن عمار: لو اتخذت مجلسًا بالقرب من أمير المؤمنين، فحرّضت الناس على الغزو، فَفَعل، فبينا هو يذكِّرهم ويحرّض إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور وإذا كتاب مضموم إلى الصُّرَّة ، ففك الكتاب، فقرأه، فإذا فيه: إني امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدتُ إلى أكرم شيء من بدني، وهما ذُوأبتاي[1] ، فقطعتهما، وصررتهما في هذه الخِرقة المختومة، وأناشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غاز في سبيل الله، فلعل الله العظيم أن ينظر إليّ على تلك الحال نظرة فيرحمني بها. قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادي النفير، فغزا بنفسه، فأنكى فيهم ، وفتح الله عليهم .

«أخطأت في ثلاث»

خرج عمر بن الخطاب في ليلة مظلمة - يَعُسُّ[2] بنفسه، فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثًا، فوقف على الباب يتجسس، فرأى عبد أسود قُدَّامه إناء فيه مِزْر[3] وهو يشرب ، ومعه جماعة ، فهمَّ بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت، فتسور السطح ، ونزل إليهم ومعه الدُّرَّة[4] .

فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب، وانهزموا ، فأمسك بالأسود، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد أخطأتُ وإني تائب، فاقبل توبتي، فقال: أريد أن أضربك على خطيئتك! ،

(١) مقدمة الشعر.
(٢) يطوف بالليل ليحرس الناس.
(٣) نوع من الأشربة.
(٤) السوط الذي يضرب به.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنتُ قد أخطأتُ في واحدة ، فأنت أخطأت في ثلاث، فإن الله تعالى يقول: ﴿**ولا تجسسوا**﴾ [سورة الحجرات: ٨] وأنت تجسَّست، ويقول: ﴿**وأتوا البيوت من أبوابها**﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] ، وأنت أتيت من السطح، ويقول: ﴿**لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**﴾ [سورة النور: ٢٧] وأنت دخلت وما سلَّمت! فهب هذه لتلك، وأنا تائب إلى الله تعالى على ألا أعود! فاستتابه واستحسن كلامه.

٤٣٢- «صدقت يا أبا الحارث»

سعى[١] رجل بالليث بن سعد إلى والي مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث، إن هذا أبلغني عنك كذا وكـذا، فقال له الليث: سله - أصلح الله الأمير- عما أبلغك: أهو شيء ائتمناه عليه فخـاننا فيه، فما ينبغي لك أن تقبل من خائن، أو شيء كذب علينا فـيه، فما ينبـغي لك أن تقبل من كاذب؟ فقـال الوالي: صدقت يا أبا الحارث.

٤٣٣- «عمر بن عبد العزيز على فراش الموت»

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز: كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم اخف عليـهم موتي ، ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قُبض فيه خرجتُ من عنـده فجلستُ في بيت آخر بيني وبينه باب، وهو في قُبة له، فسمعته يقول: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلهـا للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾ [سورة القصص : ٨٣]. فجعلت لا أسمـع له حركة ولا كلامًا، فقلت لوصيف له : انظر أنائم هو ؟ فلما دخل صاح، فوثبت فإذا هو ميت.

---

(٤) أي: وشى به.

وقيل: لما قَرُب وقت موته قال: أجلسوني ، فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت -ثلاث مرات- ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقيل له في ذلك فقال: إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قُبض رحمه الله.

٤٣٤ - «أبو موسى الأشعري على فراش الموت»

لما حضرت أبا موسى الوفاة دعا فتيانه فقال: اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا فإنه كان يستحب العُمق ، فجاء الحفرة فقالوا: قد حفرنا، فقال: اجلسوا بي ، فوالذي نفسي بيده إنها لإحدى المنزلتين: إما ليوسعن قبري حتى تكون كل زاوية أربعين ذراعًا، وليفتحن لي باب من أبواب الجنة فلأنظرن إلى منزلي فيها وإلى أزواجي، وما أعد الله عز وجل لي فيها من النعيم، ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي، وليصيبني من روحها وريحانها حتى أبعث، وإن كانت الأخرى فليضيقن عليّ قبري حتى تختلف فيه أضلاعي حتى يكون أضيق من كذا وكذا، وليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى مقعدي وإلى ما أعد الله عز وجل لي فيها من السلاسل والأغلال والقرناء ، ثم لأنا إلى مقعدي من جهنم لأهدى مني اليوم إلى منزلي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث.

٤٣٥ - «سلمان الفارسي على فراش الموت»

لما حضرت سلمان الوفاة قال لصاحبة منزله: هلمي خُبَيَّتي[1] فجاءته بصرة من مسك، فقال لها: ائتيني بقدح فيه ماء، فجاءت بقدح فيه ماء، فطرح المسك فيه ثم أماثه[2] ثم قال لها: انضحيه حولي، فإنه يحضرني خلق من خلق الله عز وجل يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، ففعلت ثم قال لها: أجيفي[3] عليَّ الباب ثم انزلي، ففعلت ،

(١) أي: الشيء الذي خبأته. (٢) أي: خلطه.

(٣) أي: ردي.

ثم مكثت قليلاً ثم صعدت، فإذا هو قد مات رحمة الله عليه ورضوانه.

٤٣٦- «محمد بن واسع على فراش الموت»

قال بعضهم: دخلتُ على محمد بن واسع لما ثقل، وقد كثر الناس عليه في العيادة، فدخلتُ عليه فإذا قوم قعود، وآخرون قيام، فقال: أرني ما يُغني هؤلاء عني إذا أخذ غداً بناصيتي وقدمي وألقيت في النار، ثم تلا هذه الآية: ﴿**يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾ [سورة الرحمن: ٤١].

٤٣٧- «وصية علي بن أبي طالب»

لما ضُرب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- تلك الضربة قال: ما فعل ضاربي؟ قالوا: قد أخذناه، قال: أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدونه عليها.

ثم أوصى الحسن -رضي الله عنه- أن يغسله ولا يغالي في الكفن، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تغالوا في الكفن؛ فإنه يُسلب سلبًا سريعًا**».

وامشوا بي بين المشيتين، لا تُسرعوا بي، ولا تُبطئوا فإن كان خيرًا عجلتموني إليه، وإن كان شراً ألقيتموني عن أكتافكم.

٤٣٨- «عبد الله بن المبارك على فراش الموت»

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر -مولاه-: اجعل رأسي على التراب، فبكى

نصر، فقال له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت ما كنت فيه من النعيم، وأنت هو ذا تموت فقيراً غريبًا، قال : اسكت؛ فإني سألتُ الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء، وأن يميتني موت الفقراء، ثم قال له : لَقِّنِّي، ولا تعد عليّ ما لم أتكلم بكلام ثان.

ويقال : إنه فتح عينيه عند الوفاة : وضحك وقال : ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾ [سورة الصافات: ٦١].

٤٣٩- «معاذ بن جبل على فراش الموت»

لما حضر معاذًا -رضي الله عنه- الموت قال : اللهم إني قد كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء عند حلق الذكر.

٤٤٠- «سعد بن أبي وقاص على فراش الموت»

لما حضرت الوفاة سعدًا -رضي الله عنه- دعا بخلق جبة[١] له من صوف فقال : كفنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنت أخبئها لهذا اليوم.

٤٤١- «وصية عثمان بن عفان»

لما قُتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه- فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقًا مقفلاً، ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : هذه وصية عثمان بن عفان:

(١) جبة: قديمة بالية.

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيا، وعليها يموت، وعليها يُبعث إن شاء الله عز وجل.

٤٤٢- «معاوية بن أبي سفيان على فراش الموت»

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة ، قال: أقعدوني، فأقعد، فجعل يُسبح الله تعالى ويذكره ، ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط؟ ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان، وبكى حتى علا بكاؤه ، وقال : يا رب ، ارحم الشيخ العاصي، ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة، واغفر الزلة، وعد بحلمك على من لم يرج غيرك، ولم يثق بأحد سواك.

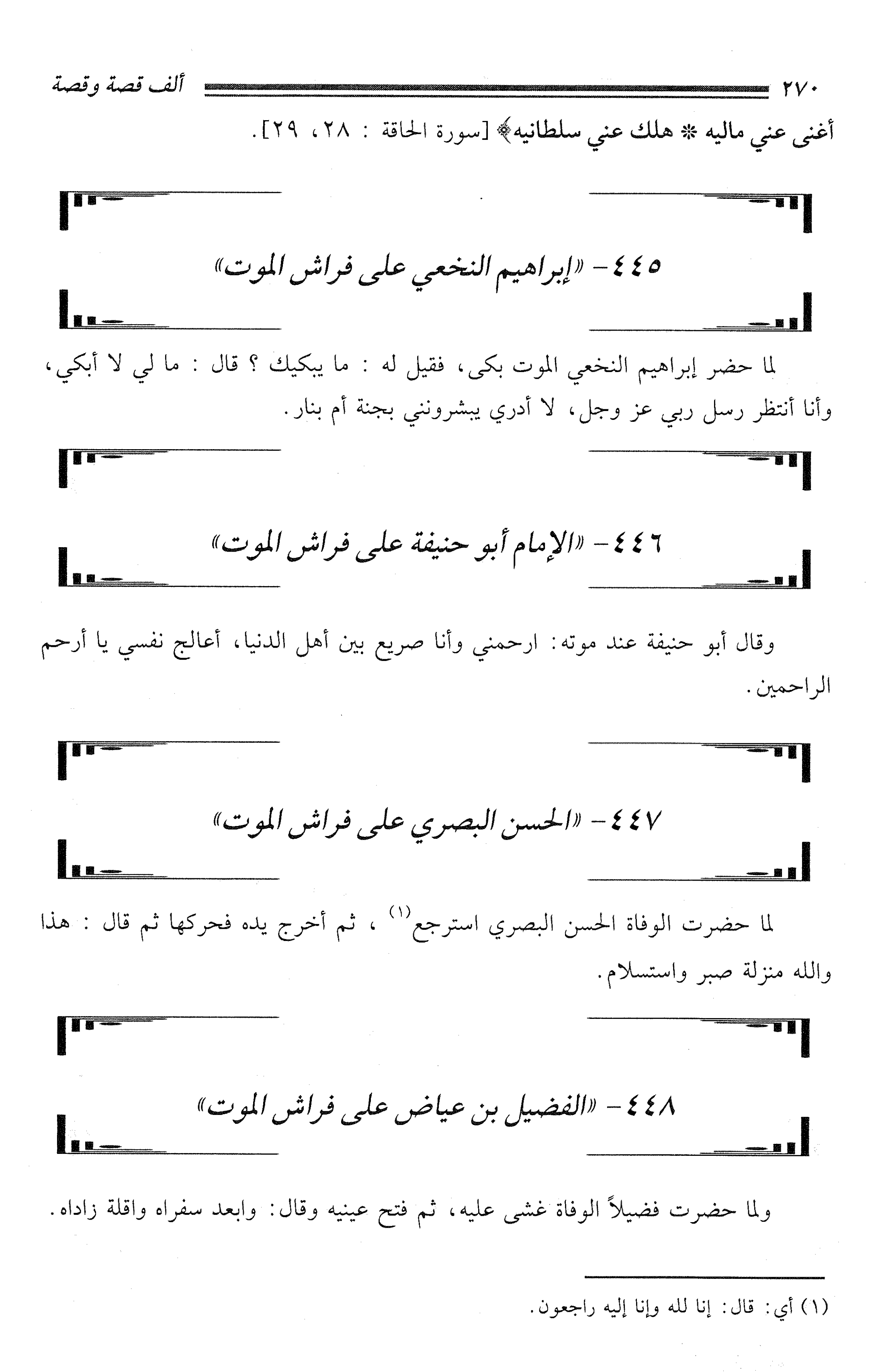
٤٤٣- «حذيفة بن اليمان على فراش الموت»

لما حضر حذيفة الموت قال : غط يا موت غطك، وشد يا موت شدك، أبى قلبي إلا حبك، رجاء رخاء العيش بعدك. حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، أليس ورائي ما أعلم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها.

«هارون الرشيد على فراش الموت»

وحُكي أن الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ، ويقول : ﴿ما

أغنى عني ماليه ❊ هلك عني سلطانيه﴾ [سورة الحاقة : ٢٨، ٢٩].



٤٤٥- «إبراهيم النخعي على فراش الموت»

لما حضر إبراهيم النخعي الموت بكى، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ما لي لا أبكي، وأنا أنتظر رسل ربي عز وجل، لا أدري يبشرونني بجنة أم بنار.

٤٤٦- «الإمام أبو حنيفة على فراش الموت»

وقال أبو حنيفة عند موته: ارحمني وأنا صريع بين أهل الدنيا، أعالج نفسي يا أرحم الراحمين.

٤٤٧- «الحسن البصري على فراش الموت»

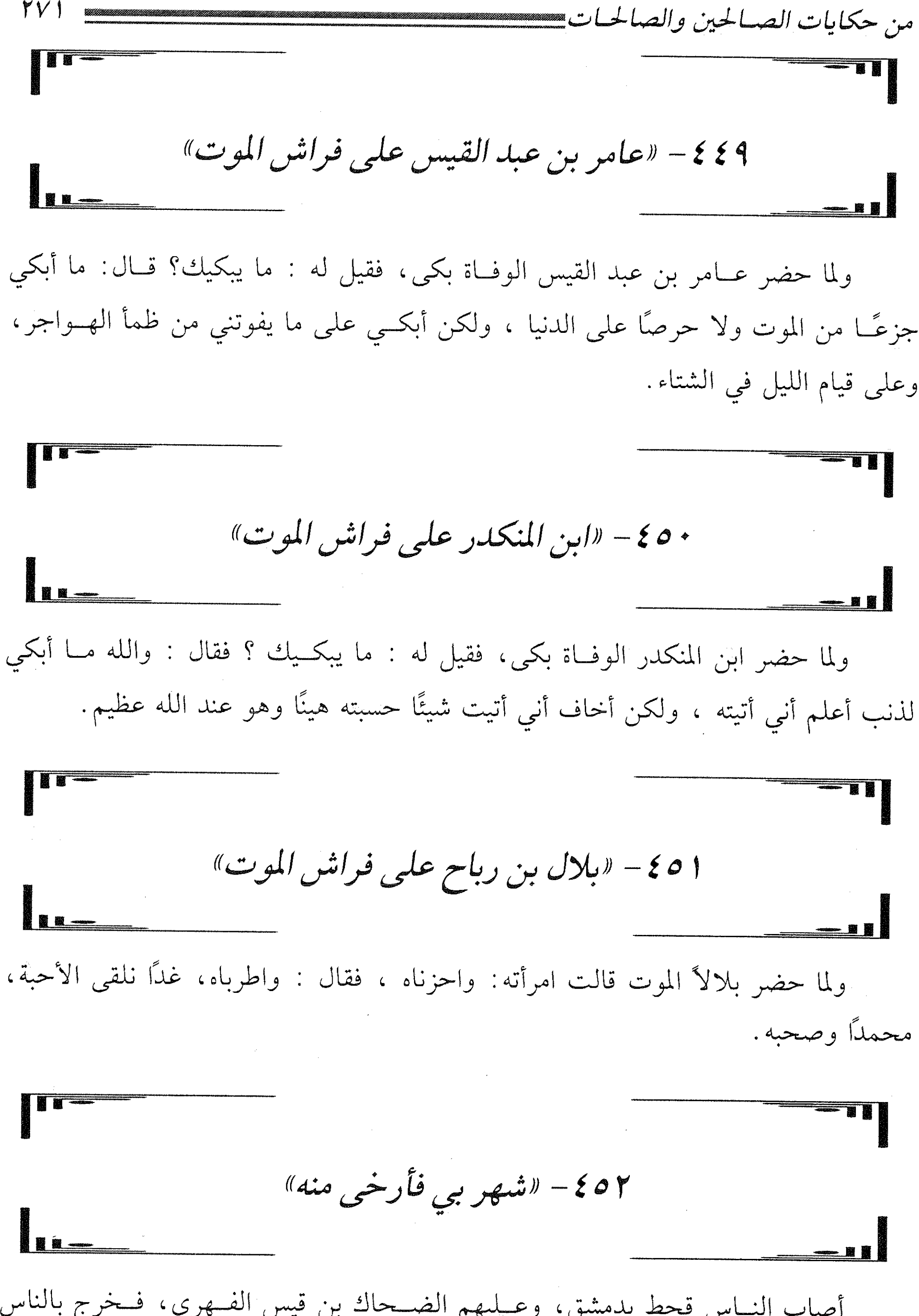
لما حضرت الوفاة الحسن البصري استرجع(١) ، ثم أخرج يده فحركها ثم قال : هذا والله منزلة صبر واستسلام.

٤٤٨- «الفضيل بن عياض على فراش الموت»

ولما حضرت فضيلاً الوفاة غشي عليه، ثم فتح عينيه وقال: وابعد سفراه واقلة زاداه.

---

(١) أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.



٤٤٩- «عامر بن عبد القيس على فراش الموت»

ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى، فقيل له : ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر، وعلى قيام الليل في الشتاء.

٤٥٠- «ابن المنكدر على فراش الموت»

ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ، ولكن أخاف أني أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

٤٥١- «بلال بن رباح على فراش الموت»

ولما حضر بلالاً الموت قالت امرأته: واحزناه ، فقال : واطرباه، غدًا نلقى الأحبة، محمدًا وصحبه.

٤٥٢- «شهر بي فأرخى منه»

أصاب الناس قحط بدمشق، وعليهم الضحاك بن قيس الفهري، فخرج بالناس يستسقي، قال: أين يزيد بن الأسود؟ فلم يُجِبه ، قال: أين يزيد بن الأسود ؟ فلم يجبه. فقال : أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ عزمت عليه -أقسمت عليه- إن كان يسمع كلامي إلا

قام، فقام وعليه بُرْنُس[١] ، فاستقبل الناس بوجهه، ثم ثنى نـاحيتي برنسه على عاتقيه، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثـم قال : أي رَبِّ، عبادك تقربوا بي إليك فاسقـهم ، فما انصرف الناس إلا وهم يخوضون في الماء، ثـم قال : اللهم إنه قد شهر بي فـأرحني منه، فما أتت على الضحاك جمعة حتى قُتِل.

٤٥٣- «العزلة»

وقال بعضهم : خرجت في طلب أبي العباس البغدادي زمانًا، فوجدته شاخصًا في الإسكندرية، على ساحل البحر، فلما دنوت منه أنشدني:

قـد كنت في الـوحـدة مسـتوحـشًـا ... فـصـرت بالوحـدة مسـتـأنسًـا
فـصـارت العـزلة لي مـألفًـا ... وصـارت الخلوة لي مـجلسًـا

ثم تركني ومضى.

٤٥٤- «أربعون سنة»

عن عثمان بن إبراهـيم قال: سمعت مالك بن دينار يقول لـرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغـيفًا بلبن رائب. قال : فانطلق فـجاء به، قال : فجعله على الرغـيف، فجعل مالك يُقَلِّبه وينظر إليه. ثم قال : اشتهـيتك منذ أربعين سنة فغَلَبْتُك، حتى كان اليوم وتريد أن تغلبني ؟ إليك عني، وأبَى أن يأكله.



(١) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به.

٤٥٥- «أمسك دارك عليك»

عَرَضَ محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين ألف درهم، فلما حضروا ليشتروا، قال: بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص؟ فقالوا له : والجوار يُباع؟! قال: وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتدأك، وإن أسأت إليه أحسن إليك.

فبلغ ذلك سعيدًا فوجَّه إليه بمائة ألف درهم، وقال : أمسك دارك عليك.

٤٥٦- «ما أخطأ من جعلك سيدًا»

قيل: إن الْمُهَلّب بن أبي صُفْرة مرَّ بحيٍّ من حَمْدان ، فرآه شاب من أهل الحي فقال: هذا المهلّب ؟ فقالوا: نعم. قال: والله ما يساوي خمسمائة درهم، وكان المهلّب رجلاً أعور، فسمعه المهلّب ، فلما كان الليل أخذ خمسمائة درهم، وأتى إلى الحي ، فأرْقَبَ(١) الشاب إلى أن رآه، فأتى إليه، وقال : افتح حِجْرَك(٢) ، ففتح الشاب حِجْره، فسكب فيه الخمسمائة درهم، وقال: خذ قيمة عمّك المهلّب ، والله يا ابن أخي لو قوّمتني بخمسة آلاف دينار لأتيتك بها، فسمعه شيخ من أهل الحي، فقال: والله ما أخطأ من جعلك سيّدًا.

٤٥٧- «هل أحدثت ذنبًا موبقًا»

قالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها محمد : يا بني، لولا أني أعرفك صغيرًا طيبًا، وكبيرًا طيبًا، لظننت أنك أحدثت ذنبًا موبقًا لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار،

---

(١) أرقب: راقب وبحث. (٢) الحجر : حضن الإنسان.

قال : يا أماه، وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني؟ وقال: اذهب لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

٤٥٨- «ألا تبكون؟!»

جلس الحسن البصري ذات يوم يعظ الناس فجعلوا يزدحمون عليه ليقربوا منه، فأقبل عليهم، وقال : يا إخواني، تزدحمون عليّ لتقربوا مني ، فكيف بكم غدًا في القيامة إذا قُرِّبت مجالس المتقين، وأُبعدت مجالس الظالمين، وقيل للمخففين : جوزوا ، وللمثقلين: حطوا، فياليت شعري ، أمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز؟ . ثم بكى -رحمه الله- حتى غشي عليه وبكى من حوله، فأقبل عليهم، وناداهم : يا إخواني، ألا تبكون خوفًا من النار؟ ألا مَن بكى شوقًا إلى الله لم يحرم من النظر غدًا إلى الله ، إن تجلى بالرحمة واطلع بالمغفرة واشتد غضبه على العاصي .

يا إخواني ، ألا تبكون من عطش يوم القيامة؟ يوم يحشر الخلائق ، وقد ركبت شفاههم ولم يجدوا ماءً إلا حوض المصطفى ﷺ فيشرب قوم ، ويُمنع آخرون، ألا وإن مَن بكى مِن خوف عطش ذلك اليوم سقاه الله من عيون الفردوس.

ثم نادى الحسن البصري - رضي الله عنه- : واويلاه إذا لم يُرْوَ عطشي يوم القيامة من حوض المصطفى ﷺ ، ثم بكى وجعل يقول: والله لقد مررت ذات يوم بامرأة من المتعبدات وهي تقول: إلهي، قد سئمت الحياة شوقًا ورجاءً فيك، فقلت لها : يا هذه ، أتراك على يقين عملك؟ فقالت : حبي فيه وحرصي على لقائه بسطني، أتراه يعذبني وأنا أحبه؟ ! فبينما أنا كذلك أخاطبها إذ مر بي صغير من بعض أهلي فأخذته في ذراعي ، وضممته إلى صدري ثم قَبَّلته، فقالت لي: أتحب هذا الصبي ؟ قلت : نعم، قال: فبكت، وقالت: لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غدًا ما قرَّت أعينهم ولا التَذَّت قلوبهم بشيء من الدنيا أبدًا، قال: فبينما أنا كذلك إذ أقبل ولد لها يقال له : ضغيم، فقالت : يا ضغيم أتراني أراك غدًا يوم القيامة في المحشر ، ويُحال بيني وبينك؟ قال: فصاح الفتى صيحة

ظننت أنه قد انشق قلبه، ثم خر مغشيّاً عليه، فجعلت تبكي عليه وبكيتُ لبكائها، فلما أفاق من غشيته قالت له : يا ضغيم، قال لها : لبيك يا أماه، قالت : أتحب الموت؟ قال : نعم، قالت : لِمَ يا بني ؟ قال : لأصير إلى مَن هو خير منك ، وهو أرحم الراحمين، إلى مَن غذّاني في ظُلمة أحشائك، وأخرجني من أضيق المسالك، ولو شاء لأماتني عند الخروج من ضيق ذلك المسلك حتى تموتي أنت من شدة أوجاعك، لكنه برحمته ولطفه سَهَّل عليّ وعليك ، أما سمعته عز وجل يقول: ﴿**نَبِّئْ عبادي أنِّي أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم**﴾ [سورة الحجر : ٤٩] ، وجعل يبكي وينادي : أواه أواه إن لم أنجُ غداً من عذاب الله، ولم يزل يبكي حتى غشي عليه وسقط في الأرض، فدنت منه أمه فلمسته بيدها ، فإذا هو ميت -رحمه الله- فجعلت تبكي وتقول: يا ضيغماه، يا قتيل مولاه، ولم تزل كذلك حتى صاحت صيحة عظيمة ووقعت على الأرض، قال الحسن : فحركتها، فإذا هي قد ماتت -رحمة الله عليه وعليها ورحمنا أجمعين-.

٤٥٩ - «قتلت نفسي»

قالت أم الربيع بن خثيم لولدها : يا بُني ألا تنام؟ فقال : يا أماه مَن جَنَّ عليه الليل وهو يخاف البيات[1] حق له أن لا ينام.

فلما رأت ما يلقى من السهر والبكاء قالت : يا بني لعلك قتلت قتيلاً، قال: نعم، قالت : ومَن هذا القتيل حتى نسأل أهله فيغفرون، فوالله لو يعلمون ما تلقى من السهر والبكاء لرحموك، فقال : يا والدتي هي نفسي.

٤٦٠ - «إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك»

عن سفيان بن عيينة قال : كان أمية الشامي رجلاً من أهل الشام يقوم فيصلي هناك

(١) أي: يقبض ليلاً.

مما يلي باب بني سهم، فينتحب ويبكي حتى يعلو صوته، وحتى تسيل دموعه على الحصى. قال: فأرسل إليه الأمير: إنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك، وارتفاع صوتك، فلو أمسكت قليلاً.

فبكى أمية ثم قال: إن حُزْن يوم القيامة أورثني دموعًا غزارًا، فأنا أستريح إلى ذرْيِها.

٤٦١- «سلمان -رضي الله عنه- يبكي عند وفاته»

ولما حضرت سلمان الفارسي الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة[1] أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، فلما مات سلمان نُظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا، أو بضعة وعشرون درهمًا، أو بضعة وثلاثون درهمًا.

٤٦١/أ «كيف لا أبكي»

وعوتب عطاء السليمي في كثرة البكاء، فقال: إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى مثلت نفسي بينهم، فكيف لنفس تُغَلُّ يدها وتُسحب إلى النار ولا تبكي.

٤٦٢- «دعوني أبكي»

وعن ثابت البناني أن امرأة من الصدر الأول كان يقال لها: بردة، وكانت تُكثر

(١) أي: ما يكفي على قدر الحاجة.

البكاء حتى فسد بصرها فقيل لها : اتقي الله، أما تخافين على بصرك أن يذهب ؟ فقالت: دعوني فإن أكن من أهل النار فأبعدني الله وأبعد بصري، وإن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله عينين خيرًا من عيني.

٤٦٣- «قربان إلى الله»

قال مالك بن دينار : خرجت إلى مكة حاجّاً، فبينما أنا سائر، رأيت شابًا ساكتًا لا يذكر الله تعالى، فلما جنّ عليه الليل، رفع رأسه إلى السماء، وقال : يا من لا تنقصه المغفرة، ولا تضره المعصية، هب لي ما لا ينقصك، واغفر لي ما لا يضرك، ثم رأيته بذي الحليفة ، وقد لبس لبس إحرامه، والناس يلبون، وهو لا يلبي، فقلت : لماذا لا تلبي؟ فقال : يا شيخ ، وما تغني التلبية؟ وقد بارزته بذنوب سالفات، وجرائم مكتوبات، والله إني لأخشى أن أقول: لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك، لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، فقلت : تعني ذلك، فإنه حليم ، إذا غضب رضي، وإذا رضي لم يغضب، وإذا وعد وفَّى، وإذ تَوَعَّد عفا، فقال : يا شيخ، أتشير بالتلبية ؟ . فقلت : نعم ، فبادر إلى الأرض، واضطجع، ووضع خده على التراب، وأخذ حجرًا فوضعه على خده الآخر، وأسبل دمعه، وقال : لبيك اللهم لبيك، قد خضعت لك، وهذا مصرعي بين يديك، فأقام كذلك ساعة، ثم مضى ، فما رأيته إلا في منى، وهو يقول: اللهم إن الناس قد ذبحوا وتقرّبوا إليك، وليس لي شيء أتقرب به إليك إلا نفسي، فتقبلها مني، ثم شهق شهقة وخرّ ميتًا -رحمه الله -.

٤٦٤- «وفاضت عيناه»

قيل: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ أبشر ، فقد أحيا الله بك سننًا، وأظهر بك عدلاً، فبكى، ثم قال: ألست أوقف

فأسأل عن أمر هذا الخلق ؟ فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله، إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعنا، وفاضت عيناه ، فلم يبق إلا يسيراً حتى مات -رحمه الله تعالى-.

٤٦٥- «أنا أدرى بنفسي من غيري»

قال ابن السماك -رحمه الله تعالى-: وُصِف لي رجل من كبار العُبَّاد، فرُحْتُ إلى زيارته، فقال : يا ابن السماك، ما الذي أوردك بهذا المكان؟ قلت: سمعت بأمرك فأحببت زيارتك فقال لي : غَرَّك من أخبرك، أنا أعرف بنفسي من غيري، فالسعيد يا ابن السماك من اجتهد في الفكاك قبل الهلاك. فلما سمعتُ كلامه بكيت، فلما أن عزمتُ على الرجوع، قلت له : هل لك من حاجة تُشَرِّفني بها ؟ فقال : من جَلَسَ في هذا المكان لم تَبْقَ له حاجة إلى إنسان. قلت له : سألتك بالله أخبرني ما تحب من الدنيا والآخرة ؟ فبكى، وقال : والله ما أحب شيئًا ، ولكن لولا أقسمت عليّ ما أخبرتك، أما الذي أحبه من أمر الدنيا فقوة على العمل بالطاعة، ونفس بعيدة عن الهوى، وقلب حَشْوُهُ الخوف والوجل. وأما الذي أحبه من أمر الآخرة فسماعي من سيدي : اذهب فقد غفرت لك.

٤٦٦- «خمس لآلئ»

قال سيدنا علي : أيها الناس ، احفظوا عني خمسًا، فلو شددتم إليها المطايا حتى تقضوها، لم تظفروا بمثلها : ألا لا يرجُوَنَّ أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سُئل العالم عما لا يعلم قال : لا أعلم. ألا وإن الخامسة الصبر؛ فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ومن لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له، ولا خير في قراءة إلا بتدبر، ولا في عبادة إلا بتفكر، ولا في حلم إلا بعلم، ألا أنبئكم بالعالم كل العالم، من لم يُزين لعباد الله معاصي الله،

ولم يؤمنهم مكره ، ولم يؤيسهم من رَوْحه .

٤٦٧- «أريد الرجوع إلى ربي»

جلس عبد الله بن مرزوق وزير هارون الرشيد يومًا بين يديه، ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، لو استغاث بك رجل في ردّ عبدٍ له هرب إليك، أكنت ترده إليه ؟ قال : بلى.

قال : فأنا عبد الله فررتُ إلى خدمتك، فاتركني فقد أردتُ الرجوع . فقال هارون: رجل نجا من بيننا ونحن جلوس، فخلى سبيله، فخرج مُحْرِمًا وهو يقول: لبيك اللهم لبيك. فلقيه الثوري[1] في بعض الطريق، وهو قاعد على الأرض، والريح تسفى عليه التراب، فسلَّم عليه، وقال : يا عبد الله ، ما عوضك الله عما تركت؟ فقال : يا سفيان، عُوِّضْتُ الرضا بما قسمه ، ثم مضى قاصدًا مكة، فلما بلغ شيوخ مكة والحرم قدومه خرجوا للسلام عليه، فرأوا شعثه وجهده، فقالوا : كيف رأيت شعثك وجهدك وصبرك على قطع المفاوز[2] قال: كيف يأتي العبد المجرم إلى باب مولاه قاد نفسه إليه، والله لو قدرتُ جئت أسعى إليه على رأسي. ثم أخذ يبكي بكاءً شديدًا، فقالوا : ما هذا البكاء؟ فقال : شفيع قَدَّمته لعله يقبلني، فبكى القوم عن آخرهم. فلما وقع نظره على البيت سقط ميتًا.

٤٦٨- « فضيحة القيامة »

قال صالح المري -رحمه الله -: كانت جارية تُغَنِّي، فمَرَّت ذات يوم بقارئ يقرأ: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [سورة الحجر: ٤٣] ، فصرخت ووقعت مغشية عليها، فلما أفاقت كسرت آلة غنائها، ثم أخذت في العبادة والاجتهاد حتى شاع ذكرها، فدخلتُ

---

(١) أي: سفيان الثوري.
(٢) المفازة: الصحراء.

يومًا عليها فكلمتها في الرفق بنفسها، فبكت وقالت : ليت شعري، أهل القبور كيف يخرجون ؟ وعلى الصراط كيف يعبرون ؟ ومن أهوال يوم القيامة كيف يَخْلُصُون؟ وللحميم كيف يتجرعون؟ ولتوبيخ المولى كيف يسمعون؟ ثم سقطت مغشية عليها . فلما أفاقت قالت: مولاي ، وسيدي ! عصيتك وأنا غضة رطبة وأطعتك وأنا يابسة خشبة، أتراك تحرق الخشب بالنار؟ ثم قالت : أواه، كم من فضيحة تكشفها القيامة غدًا، ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد في مجلسها حتى غُشي عليه من شدة البكاء وما صنعت بنفسها.

٤٦٩- «من أنا ، وما أنا»

قال محمد بن المنكدر -رحمه الله-: كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أجلس إليها بالليل، فقحط[1] أهل المدينة سنة فخرجوا يَسْتَسْقُون فلم يُسقوا، فلما كان الليل صليتُ العشاء في المسجد ، ثم جئت فاستندتُ إلى ساريتين ، فجاء رجل أسود يعلوه صُفْرة ، مَرْتَد بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه، فتقدم إلى السارية التي بين يدي فكنتُ خلفه، فقام فصلى ركعتين، ثم جلس فقال : يا رب خرج أهل حرم نبيك ﷺ يستسقون فلم تسقهم، وأنا أقسم عليك إلا أسقيتهم الساعة الساعة.

قال ابن المنكّدر: فقلت : هذا مجنون، قال : فما وضع يده حتى سمعت الرعد، ثم جاءت السماء بالمطر حتى أهَمَّني الرجوع إلى أهلي، فلما أحسَّ بالمطر حمِد الله، وأثنى عليه بمحامد لم أسمع بمثلها قط، ثم قال : ومن أنا ، وما أنا حيث استجبت لي ؟ ولكن عُذْتَ بحمدك وجُدْت بِطَولك[2] ؟ ثم قام فتوشح[3] وألقى الكساء الذي كان على ظهره في رجليه، ثم قام فلم يزل يُصَلِّي حتى أحس بالصبح سجد وأوتر وصلى ركعتين، ثم أقيمت صلاة الصبح ، فدخل الناس في الصلاة ودخلتُ معهم، فلما سلم الإمام خرج وخرجتُ خلفه أخوض في الماء، فلم أدْرِ أين ذهب.

---

(١) أصابهم الجدب وقلة المطر.

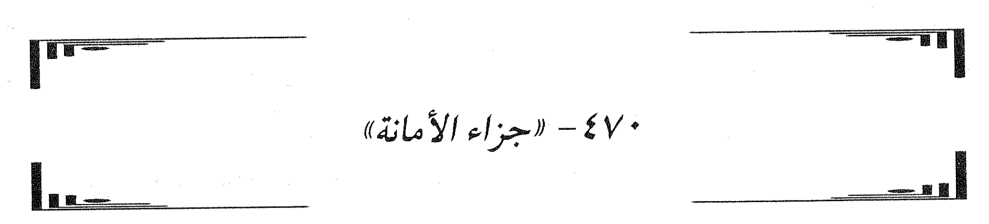
(٢) الطول: الفضل والقدرة والغنى.

(٣) أي: أخرج يديه من تحت ثوبه كما يفعل الحاج.

فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء في المسجد كعادتي، ثم جئتُ إلى ساريتي فتوسَّدْت إليها، وجاء فقام وتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه ، وقام يصلي، فلم يزل قائمًا حتى إذا أحس بالصبح سجد، ثم أوتر، ثم صلى ركعتي الفجر، وأقيمت الصلاة، ودخل مع الناس في الصلاة ودخلتُ معه، فلما سلم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه، فجعل يمشي فاتَّبعته حتى دخل دارًا قد عرفتُها من دور المدينة، ورجعتُ إلى المسجد، فلما طلعت الشمس وطمَّت خرجتُ حتى أتيتُ الدار، فإذا أنا به قاعد يخرز[1] ، وإذا به إسكاف، فلما رآني عرفني فقال : أبا عبد الله ، مرحبًا، ألك حاجة ؟ تريد أن أعمل لك خُفّاً ؟ فجلستُ وقلت : ألستَ صاحبي بارحة الأولى؟ فاسْوَدَّ وجهه، وصاح بي ، وقال : يا ابن المنكدر ، وما أنت وذاك ؟ قال: وغضب فعرفت منه واللهِ الغضب وقلت: أخرُجُ من عنده الآن.

فلما كان في الليلة الثالثة صليت العشاء في مسجد رسول الله ﷺ ثم أتيت ساريتي فتَسَانَدْتُ إليها، فلم يجئ، فقلت : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [سورة البقرة : ١٥٦]، ما صنعت؟. فلما أصبحت جلست في المسجد حتى طلعت الشمس وخرجت حتى أتيت الدار التي كان فيها، فإذا باب البيت مفتوح، وإذا ليس فيه شيء، فقال لي أهل الدار: يا أبا عبد الله، ما كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له ؟ قالوا : لما خرجتَ من عنده أمس بسط كساءه في وسط البيت، ثم لم يدع في بيته جِلدًا، ولا قالبًا إلا وضعه في كسائه ، ثم حمله وخرج، فلم نَدْرِ أين ذهب.

قال محمد بن المنكدر: فما تركتُ بالمدينة دارًا أعلمها إلا وطلبته فيها فلم أجده.



٤٧٠ - «جزاء الأمانة»

كان رجل بمكة فقير، وله زوجة صالحة، فقالت له يومًا : ما عندنا قوت، فخرج إلى الحرم، فوجد كيسًا به بعض الدنانير، ففرح بذلك وجاء به إلى زوجته، وقال : كيس وجدته مُلقى بالحرم فالتقطته، فقالت له زوجته: لقطة الحرم لابد لها من التعريف[2] فخرج فسمع مناديًا ينادي : مَن وجد كيسًا فيه دنانير عدتها كذا وصفته كذا، فقال الرجل : أنا

---

(١) أي: يخيط الجلد.

(٢) أي: يذكرها للناس لعل صاحبها يعرفها.

وجدته، وها هو ذا بصفته وهيئته، فقال : هو لك ومعه تسعمائة أخرى، فقال : أتهزأ بي، قال : لا والله، ولكن أعطاني رجل من العراق ألفًا من الدنانير، وقال : اطرح بعضها في الحرم، ثم ناد عليها، فإن ردها إليك من وجدها، فادفع إليه الجميع، فإنه أمين، والأمين يأكل ويتصدق، فتكون صدقتنا مقبولة لأمانته.

٤٧١- «... ويكشف السوء»

قال مالك بن دينار -رضي الله عنه- خرجت إلى الحج، وفيما أنا سائر في البادية ، إذ رأيت غرابًا في فمه رغيف، فقلت : هذا غراب يطير وفي فمه رغيف، إن له لشأنًا، فتتبعته، حتى نزل عند غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلاً مشدودًا لا يستطيع فكاكًا ، والرغيف بين يديه، فقلت للرجل : من تكون؟ ومن أي البلاد أنت ؟ فقال : أنا من الحُجَّاج، أخذ اللصوص مالي ومتاعي، وشدُّوني وألقوني في هذا الموضع، كما ترى، وصبرت على الجوع أيامًا ثم توجهت إلى ربي بقلبي وقلت : يا من قال في كتابه العزيز : **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾** [سورة النمل : ٦٢] فأنا مضطر فارحمني، فأرسل الله هذا الغراب بطعامي.

قال مالك : فحللته من الوثاق، ثم مضينا فعطشنا، وليس معنا ماء، فنظرنا في البادية فرأينا بئرًا عليه ظباء، فدنونا منه فنفرت الظباء، وأقامت غير بعيد، فلما وصلنا إلى البئر كان الماء في قعره، فاحتلنا حتى استقينا وشربنا، وعزمت ألا نبرح حتى نسقي الظباء، فحفرت وصاحبي حفرة وملأناها بالماء، وتنحينا فأقبلت الظباء فشربت حتى رويت، فإذا هاتف يهتف بي ، ويقول: يا مالك، دعانا صاحبك وتوجه إلينا بقلبه ونفسه فأجبناه وأطعمناه، وحللنا وثاقه وسقيناه، وتوكلت علينا الظباء فسقيناها.

٤٧٢- «اخش الله يا عمر»

دخل سعيد بن عامر على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- فقال له : إني

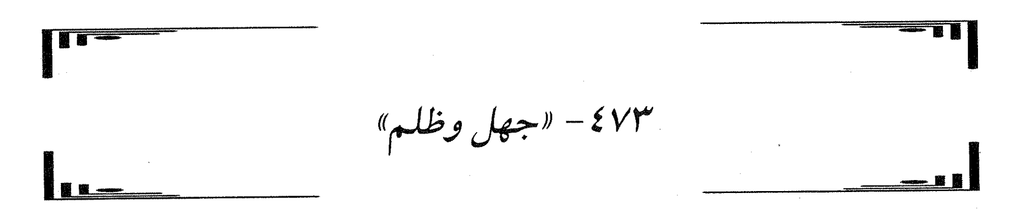
موصيك يا عمر بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه : اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدَّقه الفعل، يا عمر أقم وجهك لمن ولاَّك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخُض الغمرات إلى الحق ولا تخش في الله لومة لائم.

قال عمر : ومَن يستطيع ذلك يا أبا سعيد ؟!.

قال: مَن رُكِّب في عنقه مثل الذي رُكِّب في عنقك، فولاه عمر بن الخطاب على حمص بعد رفض طويل من سعيد بن عامر، وعندئذ سأله عمر : ألا نفرض لك رزقًا؟.

قال سعيد : وما أفعل به يا أمير المؤمنين ! ، فإن عطائي من بيت المال يزيد عن حاجتي.

ولم يمض وقت طويل حتى زار بعض أهل حمص عمر بن الخطاب فقال لهم عمر -وكان يثق بهم-: اكتبوا لي أسماء فُقرائكم حتى أسُدَّ حاجتهم، والعجيب أن عمر لما نظر في القائمة، قرأ في رأسها - سعيد بن عامر - ، فقال : من سعيد بن عامر ؟ قالوا : هو أميرنا يا أمير المؤمنين، قال عمر : وأميركم فقير ؟ وأين إذن عطاؤه؟ قالوا : إنه لا يستبقي منه شيئًا، فأرسل إليه عمر ألف دينار، فلما نظر سعيد إلى تلك الدنانير جعل يقول: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ فقيل له : ما شأنك؟ ! أأصيب أمير المؤمنين ؟ قال: أعظم، قيل: أفظهرت آية؟ قال: أعظم من ذلك . الدنيا أتتني ، الفتنة أتتني، فقيل له : لا عليك، وزِّع الدنانير على فقراء المسلمين، ففرقها سعيد على جيوش المسلمين.



٤٧٣- «جهل وظلم»

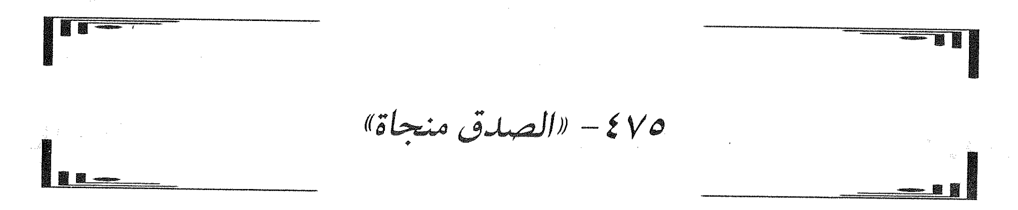
حكي أن السري بن المغلس ، كان يقرأ يومًا على مؤدبه، قوله تعالى: ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا**﴾ [سورة مريم : ٨٦] فقال له : يا أستاذ ما المورد ؟ فقال له المؤدب: لا أدري. ثم قرأ الآية التي بعدها : ﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند**

الرحمن عهدًا﴾ [سورة مريم : ٨٧] ، قال له : يا أستاذ، ما العهد ؟ قال المؤدب : لا أدري ، فقطع السري القراءة وقال : إذا كنت لا تدري، فلم غرّرت بالناس ؟ فضربه المؤدب حتى أوجعه، فقال السري : يا أستاذ ألم يكفك الجهل حتى أضفت إليه الظلم والأذى؟ فاسترضاه المؤدِّب، وتاب إلى الله ، وأقبل على طلب العلم.

٤٧٤- «إنهم إخوة بعضهم من بعض»

روي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن صرّ أربعمائة دينار، وقال للغلام : اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع.

فذهب بها الغلام إليه، وقال له : يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : اجعل هذه في بعض حوائجك ، فقال له : وصله الله ورحمه، ثم دعا بجارية وقال لها : اذهبي بهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه السبعة إلى فلان، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر وأخبره ، فوجده قد أعد مثلها إلى معاذ بن جبل، وقال له : انطلق بها إلى معاذ بن جبل ، وانظر ما يكون من أمره، فذهب إليه ، وقال له كما قال لأبي عبيدة بن الجراح، ففعل معاذ ما فعل أبو عبيدة ، فرجع الغلام وأخبر عمر، فقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض -رضي الله عنهم أجمعين-.



٤٧٥- «الصدق منجاة»

يحكى أن أبا يزيد البسطامي أراد الذهاب إلى بغداد لطلب العلم، فأعطته أمه أربعين دينارًا هي ميراثه من أبيه، وقالت له : ضع يدك في يدي وعاهدني على التزام الصدق فلا تكذب أبدًا، فعاهدها على ذلك. وخرج مع قافلة يريد بغداد ، وفي أثناء الطريق ، خرج اللصوص ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا البسطامي رث الثياب، فقالوا : هل معك شيء؟ فقال : معي أربعون دينارًا، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه، ورجعوا إلى كهف كان

به كبير اللصوص، ينتظر ما يأتون به، فلما رآهم قال : هل أخذتم كل ما في القافلة ، قالوا : نعم، إلا رجلاً سألناه عما معه، فقال : معي أربعون ديناراً، فتركناه احتقاراً لشأنه، ونظن أنه به خبلاً في عقله، فقال : عليّ به، فلما حضر بين يديه، قال : هل معك شيء؟ فقال : نعم ، معي أربعون ديناراً، قال : أين هي؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص : أمجنون أنت يا رجل ؟ كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك ؟ فقال له : لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي، فقال كبير اللصوص : لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت تخاف أن تخون عهد أمك، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله ؟ ثم أمر برد جميع ما أخذ من القافلة ، وقال : أنا تائب على يديك يا رجل، فقال من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في التوبة، تبنا جميعًا إلى الله ، وتابوا وحسنت توبتهم.

٤٧٦ - «اذكر الموت»

تنسك رجل من أهل البصرة، ثم مال إلى الدنيا والسلطان، فبنى داراً وشيدها، وأمر بها ففُرشت له، وجُهِّزت ، فاتخذ مأدبة وصنع طعامًا، ودعا الناس فجعلوا يأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ، ويتعجبون منه ، ويدعون ويتفرقون.

فبينما هو ذات يوم مع أصحابه في لهوهم ، إذ سمعوا قائلاً يقول من أقاصي الدار:

يا أيها الباني الناسي ميتته ... لا تنس فإن الموت مكتوبُ

على الخلائق ليرشدوا وينزجروا ... فالموت حتف لدى الآمال منصوبُ

لا تبنين داراً لست تسكنها ... وراجع النسك كي يُغفر لك الحوبُ

ففزع لهذا، وفزع أصحابه فزعًا شديداً، فقال لأصحابه : هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم. فبكى ثم أقبل عليهم، فقال : أنتم أخلائي وإخواني، فما لي عندكم؟ قالوا: مُرنا بما أحببت من أمرك، فأمر بالشراب فأهريق، ثم أمر بالملاهي فأُخْرِجت. ثم قال : اللهم إني أشهدك ومَن حضر من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي، نادم على ما

فرطت أيام مهلتي، وإياك أسأل إذ هديتني أن تتم عليّ نعمتك باقي أيامي في طاعتك، وإن أنت قبضتني إليك أن تغفر لي ذنوبي تَفَضُّلاً منك عليّ.

واشتد به الأمر فلم يزل يقول: الموت واللهِ ، الموت واللهِ، حتى خرجت نفسه، فكان الفقهاء يرون أنه مات على التوبة.

٤٧٧ - «دواء الذنوب»

قال بعض الصادقين الصالحين وقد سُئل عن توبته قال: فكرت يومًا في ذنوبي، وفي تقصيري ، وفي معادي، فرأيت عمري ينقص ، وذنوبي تزيد، ومعادي يقرب، ونفسي على التوبة لا تُقْبِل، فرأيتُ بلاءً لا تحمله الجبال، فخرجتُ من بيتي مفكرًا في سوء حالي، فمررت بطبيب وعليه جمع من الناس يرفعون إليه القوارير، ويطلبون منه الصفات، فوقفت معهم ، وقلت : يا شيخ ، هل عندك دواء الذنوب؟، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، وقال : لو علم العاصي من يعصي لذاب قبل المعصية، فعُدْتُ إلى منزلي وقد أثّر كلامه في قلبي، فلزمت باب مولاي إلى الآن.

٤٧٨ - «العبد التقي النقي»

كان سعد بن أبي وقاص في إبل له وغنم، فأتاه ابنه عمر بن سعد فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال : يا أبة، أرضيتَ أن تكون أعرابياً في إبلك وغنمك، والناس يتنازعون في الملك ؟ قال: فضرب سعد صدر عمر بيده، وقال : اسكت يا بني ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي**» أي: الخامل المنقطع إلى العبادة.





٤٧٩- «أرجو أن لا يعذبه الله»

عن داود بن أبي هند قال : تمثل معاوية عند الموت:

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحـاذر بعد المـوت أدهـى وأفظعُ

ثم قال: اللهم قائل العثرة، وعاف الزلة، جد بعفوك على جاهل، من لم يرج غيرك، ولم يثق إلا بك، فأنت واسع المغفرة ليس لذي خطيئة مهرب إلا أنت، قال: فبلغني أن هذا القول بلغ سعيد بن المسيب ، فقال : لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله، وإني لأرجو أن لا يعذبه الله.

٤٨٠- «صدقت يا أبا الحسن»

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- : عظني يا أبا الحسن ، قال : لا تجعل يقينك شكّاً، ولا علمك جهلاً، ولا ظنك حقّاً، واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت، وقسمت فسويت، ولبست فأبليت، قال : صدقت يا أبا الحسن.

٤٨١- «هذا شأن المسلمين»

لما مات بعض الخلفاء، اختلفت الروم، واجتمعت ملوكها، فقالوا : الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض، فتمكننا الغِرة(١) منهم والوثبة عليهم، وعقدوا لذلك المشورات،

(١) أي: الغفلة.

وترجعوا فيه بالمناظرات، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر، وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة غائبًا عنهم، فقالوا : من الحزم عرض الرأي عليه؛ فلما أخبروه بما أجمعوا عليه، قال : لا أرى ذلك صوابًا فسألوه عن علة ذلك، فقال : أخبركم غدًا.

فلما أصبحوا أتوا إليه، وقالوا: قد وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بالرأي فيما عوّلنا عليه، فقال : سمعًا وطاعة، وأمر بإحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرّش[١] بينهما، وحرّض كل واحد منهما على الآخر، فتواثبا وتهارشا[٢] حتى سالت دماؤهما.

فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده، وأرسل على الكلبين ذئبًا كان قد أعده لذلك، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه، وتألفت قلوبهما ووثبا جميعًا على الذئب فقتلاه.

فأقبل الرجل على أهل الجمع، فقال : مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب، لا يزال الهرج[٣] بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم، فإذا ظهر تركوا العداوة بينهم، وتألفوا على العدو.

فاستحسنوا قوله، واستصوبوا رأيه، واتبعوا مشورته.

٤٨٢ - «رأيت مساجدكم لاهية»

لما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه، قيل له : مالك لزِمْتَ هذا القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : رأيت مساجدكم لاهية، وأسواقكم لاغية[٤] ، والفاحشة في فجاجكم[٥] عالية، وكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافية.

٤٨٣ - «قد عرفت الشرط»

كان ابن المدبّر إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه : امض به إلى المسجد

(١) أي: الإغراء.
(٢) أي: تحريش الكلاب بعضها على بعض.
(٣) أي: الفتنة والاختلاط.
(٤) اللاغية: الفاحشة.
(٥) الفج: الطريق.

الجامع، فلا تفارقه حتى يصلي مئة ركعة، ثم خلِّه.

فتحاماه الشعراء، إلا الأفراد المجيدين، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري، فاستأذنه في النشيد، فقال: قد عرفت الشرط؟ قال: نعم.

وأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحًا ... كما بالمدح ينتجع الولاة[1]

فقلنا: أكرم الثقلين طُرًّا ... ومن كفّاه دجلة والفراتُ

فقالوا: يقبل المدحات لكن ... جوائزه عليهن الصلاةُ

فقلت لهم: وما تغني صلاتي ... عيالي، إنما الشأن الزكاةُ

فيأمر لي بكسر الصاد منها ... فتصبح لي الصلاة هي الصِّلاتُ

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول أبي تمم:

هذا الحمام فإن كسرت عيافه[2] ... من حائهن فإنهن حمام[3]

فأحسن صلته.

٤٨٤ - «لقد كنت صوامًا قوامًا»

لما قتَلَ الحجاجُ ابنَ الزبير وصلبه على طريق المدينة يغايظ به قريش المدينة، فمر به عبد الله بن عمر فوقف عليه، فقال: السلام عليك أبا خُبَيب، ثلاث مرات، والله كنتُ أنهاك عن هذا، ثلاثًا، والله لقد كنتَ صوّامًا قوّامًا وصُولاً للرحم، والله لأمّةٌ أنت شرُّها لَنِعْمَ تلك الأمّة، ثم مضى.



(١) انتجع فلانًا: آتاه يطلب معروفه.

(٢) عفت الطير عيافة: زجرتها وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشاءم.

(٣) الحِمَام: الموت.

٤٨٥ - «لقد أتعبت الحفظة»

حج رجل، فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة فقال: الحمد لله بجميع محامد الله، ما علمنا منها وما لم نعلم، على جميع نعم الله ما علمنا منها وما لم نعلم، ثم انصرف إلى بلده، فلما كان من قابل حج فلما أراد الانصراف إلى بلده وقف على باب الكعبة قال مثل قوله الأول، فقيل له أو نودي: لقد أتعبت الحفظة، فما كتبوا ثواب ما قلت إلى هذا اليوم.

٤٨٦ - «أترى الله يعطيك وينساني»

خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ أبصر بهلولاً المجنون، على قصبة، وخلفه الصبيان وهو يعدو، فقال: مَن هذا؟ فقيل له: بهلول المجنون، فقال: كنت أشتهي أن أراه، فادعوه من غير ترويع، فذهبوا إليه وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فلم يجب.

فذهب إليه الرشيد، وقال: السلام عليك يا بهلول، فقال: عليك السلام يا أمير المؤمنين، فقال: دَعَوتُك لاشتياقي إليك، فقال بهلول: لكني لم أشتق إليك، فقال الرشيد: عظني يا بهلول، فقال: وبِمَ أعظك؟ هذي قصورهم وهذي قبورهم، فقال الرشيد: زدني فقد أحسنت، فقال: يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً، فعفّ في جماله، وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئًا، فقال: قد أمرنا لك أن تقضي دينك، فقال: لا، يا أمير المؤمنين، لا يُقْضى الدين بدين، اردد الحق على أهله، واقض دين نفسك من نفسك، قال: فإنا قد أمرنا أن تجري عليك، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى الله يعطيك وينساني، ثم ولّى هاربًا.



٤٨٧ - «يجب أن لا تغتم»

روي أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة ليتعلم العلم على فقر وشدة، وكانت أمه تحتال له فيما يتقوّته يومًا بيوم، فطلب يومًا ما يأكل، فجاءته بغضارة[1] مغطاة، فكشفها، فإذا فيها دفاتر.

فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا الذي أنت مشتغل به نهارك أجمع فكل منه، فبكى، وبات جائعًا، وتأخر عن المجلس من الغد، حتى احتال فيما أكله، ثم مضى إلى أبي حنيفة فسأله عن سبب تأخره، فصدقه، فقال له: ألا عرفتني فكنت أمدك؟ ولا يجب أن تغتم، فإنه إن طال عمرك، فستأكل اللوزينج[2] بالفستق.

قال: فلما خدمت الرشيد، واختصصت به، قدم بحضرته يومًا جام فيه لوزينج بفستق، فدعاني إليه، فحين أكلت منه، ذكرت أبا حنيفة فبكيت، وحمدت الله تعالى، فسألني الرشيد عن قصتي، فأخبرته.

٤٨٨ - «أكبروا أكبروا»

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق، فنظر إلى شاب منهم يتهيأ للكلام. فقال: أكبروا أكبروا، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس بالسن، ولو كان الأمر كله بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك، فقال عمر: صدقت -رحمك الله-، تكلم.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة، أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا، وقدمت علينا بلادنا، وأما الرهبة فقد آمننا الله بعدلك من جورك، قال: فمن أنتم؟ قال: وفد الشكر.

(١) **الغضارة**: الصحفة المتخذة من الطين اللازب الحرب.

(٢) **اللوزينج**: نوع من أنواع الحلوى.

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل، فقال : يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فإن ناسًا خدعهم الثناء وغرّهم شكر الناس فهلكوا، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ، فألقى عمر رأسه على صدره.

٤٨٩- «الموت ولا معصية ربي عز وجل»

قال رجل تاجر: كنت ذات ليلة في منزلي، فقرع عليّ الباب قارع، وإذا أنا بشابة جميلة، تُخْجِل البدر، وكأنها الشمس في وسط النهار، فشكت إليّ جوعها، فحادثتها ثم راودتها عن نفسها، فقالت : الموت ولا معصية ربي، ثم رجعت من حيث أتت، وبعد أيام، عادت وتوسلت إليّ، فقلت كما قلت أولاً، فبكت، ثم دخلت البيت وقد أشرفت على الهلاك، ثم قالت : تطعمني لوجه الله، قلت : لا، إلا أن تمكنيني من نفسك، قالت: الموت خير من عذاب الله، فسمعتها تقول وهي منصرفة:

أيا واحدًا إحسانه شمِل الخلقا ... بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
لقد صدمتني شدة وخصاصة ... ونازلني ما بعضه يمنع النُّطقا
كأني ظمآن ترى الماء عينه ... فلا غلة تُروي ولا شربة تسقى
تُنازعني نفسي إلى نيل أكلة ... لذاذتها تفنى وغُصَّتها تبقى
أأعصيك بعد الفضل والجود والهدى ... وكيف وبالطاعات أستجلب الرزقا
سأتلفها في نيل حبك سيدي ... عساي بها أستوجب القرب والعتقا

قال: فجزعت لما سمعت من قولها، ودخل في قلبي الإيمان، وقلت لها : عودي وكلي وخذي من المال ما شئت لله.

فقالت : اللهم كما أنَرْتَ قلبه، وهويت لُبه، فأجب دعاءه، ولا ترده خائبًا، فكان ما دعت به، ثم تزوجها.



٤٩٠- «أكره أن أكون أنا وهي في بيت واحد»

قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جواهر أمر لها أبوها لم يُرَ مثلها: اختاري إما أن ترديها إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك؟ فإني أكره أن أكون أنا وهي في بيت واحد، فقالت : لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليها، وعلى أضعافها، لو كان لي. فأمر بها. فحملت حتى وضعت في بيت مال المسلمين، فلما هُلك عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددتها عليك؟ قالت : فإني لا أشاؤها طبت عنها نفسًا في حياة عمر ، وأرجع فيها بعد موته ؟ لا والله أبدًا فلما رأى ذلك قسمها بين أهله وولده.

٤٩١- «موعظة الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز»

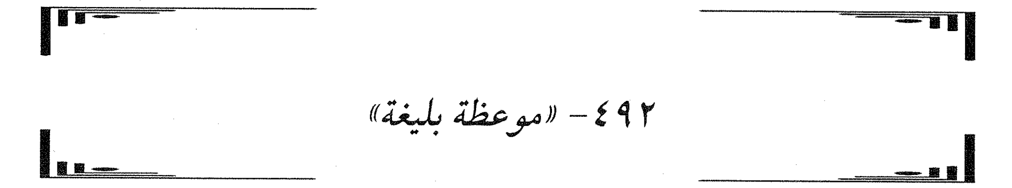
وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز -رحمهما الله-: أما بعد، اعلم يا أمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن، وليست بدار إقامة، وإنما أهبط إليها آدم من الجنة عقوبة، وقد يحسب من لا يدري ما ثواب الله أنها ثواب، ومن يدري ما عقاب الله أنها عقاب. ولها في كل حين صرعة، وليست صرعة كصرعة، هي تهين من أكرمها، وتذل من أعزها وتصرع من آثرها، ولها في كل حين قتلى، فهي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه، فالزاد فيها تركها، والغنى فيها فقرها، فكن فيها يا أمير المؤمنين المداوي جرحه، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء، يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً، فإن أهل الفضائل كانوا منطقهم فيها بالصواب، ومشيهم بالتواضع ، ومطعمهم الطيب من الرزق، مغمضي أبصارهم عن المحارم، فخوفهم في البر كخوفهم في البحر، ودعائهم في السراء كدعائهم في الضراء، لولا الآجال التي كتبت لهم ما تقاوت أرواحهم في أجسادهم خوفًا من العقاب وشوقًا إلى الثواب، عظم الخالق في نفوسهم فصغر المخلوقين في أعينهم. واعلم يا أمير

المؤمنين أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، وأن الندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يفنى وإن كان كثيراً بأهل أن يؤثر على ما بقي، وإن كان طلبه عزيزًا، واحتمال المؤنة المنقطعة، التي تعقب الراحة الطويلة، خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية وندامة طويلة، فاحذر هذه الدنيا الصارعة، الخاذلة القاتلة التي تزينت بخدعها، وفتكت بغرورها، وخدعت بآمالها، فأصبحت كالعروس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر لما رأى من أثرها على الأول مزدجر، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مدكر، قد أبت القلوب لها إلا حباً. وأبت النفوس لها إلا عشقًا، ومن عشق شيئًا لم يلهم غيره، ولم يعقل سواه، مات في طلبه وكان آثر الأشياء عنده، فهما عاشقان طالبان مجتهدان، فعاشق قد ظفر منها بحاجته فأغنته، وطغى ونسي، ولهى فغفل عن مبتدأ خلقه، وضيع ما إليه معاده فقل في الدنيا لبثه، حتى زالت عنه قدمه، وجاءته منيته على أسَرِّ ما كان منها حالاً وأطول ما كان فيها أملاً، فعظم ندمه، وكثرت حسرته، مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته وحسرة الفوت بغصته، فغير موصوف ما نزل به، وآخر من قبل أن يظفر منها بحاجته، فمات بغمه، وكمده، ولم يدرك فيها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب، فخرجا جميعًا بغير زاد، وقدما على غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين الحذر كله، فإنما مثلها كمثل الحية لين مسها تقتل بسمها، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما قد أيقنت من فراقها، واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها، وكن عند أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور صحبته من سرورها بما يسوؤه، وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت بما يكره، فالسار منها لأهلها غار، والنافع منها غدًا ضار، وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء، فسرورها بالحزن مشوب، والناعم فيها مسلوب، فانظر يا أمير المؤمنين إليها نظر الزاهق المفارق، ولا تنظر نظر المبتلى العاشق، واعلم أنها تزيل الثاوي[1] بالساكن، وتفجع المترف فيها بالآمن، ولا ترجع ما تولى وأدبر، ولا بد ما هو آت منها ينتظر، ولا يتبع ما صفا منها إلا كدر، فاحذرها، فإن أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها منيه قاضية فلقد كدرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على خطر، ومن بليتها على حذر، ومن المنية على اليقين فلو كان

(١) الثاوي: المقيم.

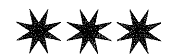
الخالق تبارك وتعالى لم يخبر عنها بخبر ونبهت العاقل، فكيف وقد جاء عن الله عز وجل منها زاجر وفيها واعظ، فما لها عنده قدر، ولا وزن من الصغر، فلهي عنده أصغر من حصاة في الحصى، ومن مقدار نواة في النوى ما خلق الله عز وجل فيما بلغنا أبغَ إلى الله منها ما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ولا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها ، وما منعه من القبول لها -مع ما لا ينقصه الله شيئًا مما عنده كما وعده- إلا أنه علم أن الله عز وجل أبغض شيئًا فأبغضه ، وصغر شيئًا فصغره، ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله إياها، ولكنه كره أن يخالف أمره، أو يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه.

وكان في آخر هذه الرسالة :ولا تأمن أن يكون هذا الكلام حجة عليك. نفعنا الله وإياك بالموعظة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.



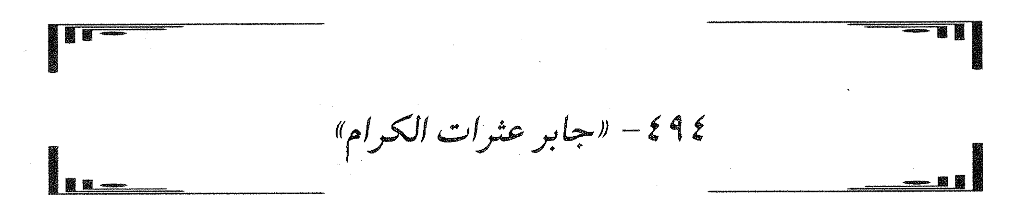
٤٩٢- «موعظة بليغة»

قال ابن السماك الواعظ -رحمه الله تعالى-: وُصِفَ لي من العُبَّاد رجل، فسِرْتُ إليه فوجدته في بيت حفر فيه قبره، وهو جالس على شفيره، يُصلِح خوصًا بين يديه، فَسَلَّمتُ عليه ، فرد عليّ السلام رداً ضعيفًا، ثم قال لي : مَن أنت ؟ قلت : محمد بن السماك . قال : الواعظ؟ قلت : نعم. فألقى الخوص من يده، وقال : يا ابن السماك الوعظ من السمع بمنزلة الطبيب من العليل، فاعْرِض عليّ شيئًا من وعظك . فقلت له : يا شيخ ، أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تُنْسَى وذنبك لا يُمحى؟ ثم كم بين يديك من ظُلمة وأهوال وكرب ونكال؟ فأولها ظلمة القبر، ثم ظلمة الحشر، ثم ظلمة النشر، ثم ظلمة الصراط، ثم وزن الأعمال، ثم قطع الآمال، ثم سطوة الملك المتعال . فبكى بكاءً شديدًا . ثم قال لي : يا ابن السماك وما بعد ذلك ؟ قلت: حَمْلُ الأوزار، والورود إلى النار، وأعظم من ذلك توبيخ الملك المتعال.



٣٩٣- «إلى الجنة»

كان أسلم الحبشي، عبدًا أسود راعيًا ليهودي، يرعى عليه غنمه، روى ابن إسحاق أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم، كان فيها أجيرا لرجل من يهود، فقال : يا رسول الله ، اعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه ، فأسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يحقر أحدًا يدعه إلى الإسلام، فقال الأسود: إني أجير لصاحب هذا الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**اضرب وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها**» فقام الأسود فأخذ حفنة من التراب، فرمى بها في وجوهها ، وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك، فرجعت مجتمعة كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحظيرة، ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى صلاة قط، فأُتِي به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فوضع خلفه، وسُجِّي بشملة كانت عليه، والتفت إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومعه نفر من أصحابه، ثم أعرض إعراضًا سريعًا، فقالوا : يا رسول الله ، أعرضت عنه ؟ فقال : «**إن معه لزوجته من الحور العين**».



٤٩٤- «جابر عثرات الكرام»

عن شيبة بن محمد الدمشقي ، قال : كان في أيام سليمان بن عبد الملك ، رجل يقال له : خزيمة بن بشر، من بني أسد، مشهور بالكرم والمروءة والمواساة، وكانت نعمته وافرة، فلم يزل على تلك الحال، حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم، ويتفضل عليهم، فواسوه حينًا، ثم ملوه، فلما لاح له تغيرهم، أتى امرأته، وكانت ابنة عمه، فقال لها : يابنت العم، قد رأيت من إخواني تغيُّرًا. وقد عزمت على لزوم بيتي، إلى أن يأتيني الموت، ثم أغلق بابه عليه، وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد، وبقي حائرًا في حاله، وكان

عكرمة الفياض، واليًا على الجزيرة، فبينما هو في مجلسه ، وعنده جماعة من أهل البلد، إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر، فقال عكرمة : ما حاله ؟ فقالوا : في أسوأ حال، وقد أغلق بابه ، ولزم بيته، فقال عكرمة الفياض - وما سمى بالفياض إلا للإفراط في الكرم- فما وجد خزيمة بن بشر مواسيًا ولا مكافئًا؟ ثم أمسك عن الكلام، فلما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار، فجعلها في كيس واحد، ثم أمر بإسراج دابته، وخرج دون أن يعلم به أهله، ثم ركب ومعه واحد يحمل المال، وسار حتى وقف قريبًا من باب خزيمة، فأخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه، وتقدم إلى الباب فطرقه، فخرج خزيمة، فقال له : أصلح بهذا شأنك، فتناوله خزيمة فرآه ثقيلاً، فوضعه وقبض على لجام الدابة، وقال له : من أنت جعلت فداك، فقال عكرمة: ما جئت في هذا الوقت، وأنا أريد أن تعرفني، قال خزيمة : فإني لا أقبله أو تخبرني من أنت ؟ قال : أنا جابر عثرات الكرام، قال : زدني ، قال : لا، ثم مضى ، ودخل خزيمة بالكيس على امرأته فقال لها : أبشري ، فقد أتى الله بالفرج، فلو كان هذا فلوسًا ، كانت كثيرة، قومي فأسرجي، قالت : لا سبيل إلى السراج، فبات يلتمس الكيس، فيجد تحت يده خشونة الدنانير، ورجع عكرمة إلى منزله، فوجد امرأته قد افتقدته، وسألت عنه، فأخبرت بركوبه منفردًا، فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها، فلما رآها على تلك الحال، قال لها : ما دهاك يا ابنة العم ؟ قالت : سوء فعلك بابنة عمك، أمير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفردًا من غلمانه، في سر من أهله، ما ذاك إلا إلى زوجة أو خليلة، فقال : لقد علم الله ما خرجت لواحدة منهما، قالت : لابد تعلمني، قال : فاكتميه إذًا، قالت : أفعل، فأخبرها بالقصة على وجهها، ثم قال : أتحبين أن أحلف لك ؟ قالت : لا ، قد سكن قلبي.

وأصبح خزيمة ، فصالح غرمائه -أدى ديونه- وأصلح من حاله، ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك، فلما وقف ببابه، دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورًا بمروءته، وكان الخليفة به عارفًا، فأذن له، فلما دخل عليه وسلم بالخلافة، قال : يا خزيمة، ما أبطأك عنا، فقال : سوء الحال يا أمير المؤمنين ، قال : فما منعك من النهضة إلينا ؟ قال: ضعفي، قال : فمن أنهضك ؟ قال : لم أشعر يا أمير المؤمنين، بعد هدأة من الليل ، إلا ورجل يطرق بابي، وكان منه كيت وكيت وأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها، فقال : هل عرفته؟ قال : لا والله؛ لأنه كان متنكرًا، وما سمعت منه إلا جابر عثرات الكرام،

قال: فتلهف سليمـان بن عبد الملك على معرفته ، وقـال : لو عرفناه لأعناه على مروءته، ثم قـال : عليّ بدواة وقرطاس، فـعقـد لخزيمة الولايـة على الجزيرة، والولاية على عـمل عكرمة الفياض، وأجزل عطاياه، وأمره بالتوجه إلى الجزيرة ، فـخرج خزيمة متوجهًا إليها، فلما قرب منها، خرج عكرمة وأهل البلد للقائه، فسلم عليه، ثم سارا جميعًا إلى أن دخل البلد فنزل خزيمة في دار الإمارة، وجعل يُصرّف شئون الناس، ويفصل في أمورهم، حتى كان يوم جعل يحاسب عكرمة، ففضل عليه مـال كثير، فطالبه خزيمة بالمال، فقال : ما لي إلى شيء منه سبيل، فأمر بحبسه، ثم بعث يطالبه، فأرسل إليه، إني لست ممن يصون ماله بعرضـه، فاصنع ما شئت، فـأمر به فكبل بالحديد وضـيق عليه، وأقام على ذلك شـهرًا، فأضناه ثقل الحديد وأضر به، وبلغ ذلك ابنة عمه فـجزعت عليه واغتمت، ثم دعت جارية لها ذات عقل، وقالت : امضي الساعة إلى باب هذا الأمـير وقولي : عندي نصيحة، فإذا طلبت منك، قـولي : لا أقولها إلا للأمـير خزيمة، فـإذا دخلت عليه، سليـه الخلوة، فإذا فـعل، قولي له : مـا كان هذا جـزاء جابر عـثرات الكرام مـنك في مكافأتك له بالضـيق والحبس والحديد، قال : فـفعلت ذلك، فلما سمع خزيمة قولهـا ، قال : واسوأتاه، جابر عثرات الكرام غريمي، قالت :نعم، فأمر من وقته بدابته فأسرجت، وركب إلى وجوه البلد فجمعـهم، وسار بهم إلى باب الحبس، ففتح ودخل ورأى عكرمة الفـياض في قاع الحبس متـغيرًا، قـد أضناه الضر، فلمـا نظر عكرمة إلى خـزيمة وإلى الناس أحشمـه ذلك فنكس رأسه.

فأقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله،فرفع عكرمة رأسه إليه، وقال : ما حملك على تقبـيل رأسي، قال خزيمة : كريم فعلك، وسـوء فعلي، قال عكرمة : يغـفر الله لنا ولك ، ثم أمر خزيمة بفك القيود، وأن توضع في رجليه، فقال عكرمة ، تريد ماذا؟ قال : أريد أن ينالني من الضر مـثل ما نالك فقـال : أقسم بالله ألا تفعـل، فخرجا مـعًا إلى أن وصلا إلى دار خزيمة، فـودعه عكرمة، وأراد الانصراف، فلم يُمكَّـن من ذلك. قال : وما تريد ؟ قال : أغـير من حـالك، وحيـائي من ابنة عمك، أشـد من حيائي مـنك، ثم أمر بالحمام فأخلت، ودخلا معًا ثم قام خزيمة ، فتـولى خدمته بنفسه، ثم خرجا فخلع عليه ، وأمر فحمل إليه مال كثير، ثم سارا معًا إلى داره، واستأذنه في الاعتذار من ابنة عمه، فأذن

له، فاعتذر إليها، وتذمم من ذلك، ثم سأله أن يسير معه إلى أمير المؤمنين، وهو يومئذ مقيم بالرملة ،فلم ير بذلك بأسًا فسارا جميعًا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك ، فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة بن بشر، فراعه ذلك وقال : والي الجزيرة يقدم علينا بغير إذن منا مع قرب العهد به، ما هذا إلا لحادث عظيم.

فلما دخل عليه، قال قبل أن يسلم : ما وراءك يا خزيمة ؟ قال : خيرًا يا أمير المؤمنين، قال : فما أقدمك؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام، فأحببت أن أسُرّك ، لما رأيت من شوقك إلى رؤيته ، قال : ومن هو ؟ قال : عكرمة الفياض، فأذن له في الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة ، فرحب به وأدناه من مجلسه، وقال : يا عكرمة كان خيرك وبالاً عليك، ثم قال : اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة، فكتبها وقضيت على الفور، ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف إليها من التحف والطرف، وعقد له الولاية على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وقال له : أمر خزيمة متروك إليك، إن شئت أبقيته، وإن شئت عزلته، قال : بل يُرد إلى عمله يا أمير المؤمنين، ثم انصرفا جميعًا، ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته.

وإذن، فقد أنفق خزيمة بن بشر، ماله كله على الناس ، وأعطى فزاد، وزاد فأربى، كان من أسخى الناس يدًا، وأعظمهم عطاءً وأوفرهم نعمة، وأيسر ما كان يصنعه من تقلبوا في نعمته، أن تمتد مواساتهم، ويتصل برهم، وأن يكونوا له أبدًا مكرمين، قضاء لحقه عليهم، ولكنهم برموا به وجفوه بعد حين فآثر العزلة ، وأقام في داره ، وأين أياديه ؟ وأين عطاؤه الغامر ؟ لن يذهب هذا مع الريح، وإنما هو مُدّخر ، وكما قيل : لا يذهب العرف بين الله والناس، وإنك لترى أن الله قد أجزل له العطاء، وأتم عليه نعمته، ورده إلى خير مما كان، جزاءً وفاقًا على حسن صنيعه، وجميل بره، والكريم لا يضام.

٤٩٥ - «هيهات هيهات»

قال الأصمعي: بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة، إذ رأيت شابًا متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظُّلَمِ / يا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا / وأنت يا حيُّ يا قيوم لم تنمِ
أدعوك ربي حزينًا قلقًا / فارحم بكائي بحق البيت والحرمِ
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفهٍ / فمن يجود على العاصين بالكرمِ

ثم بكى بكاءً شديدًا، وأنشأ يقول:

ألا أيها المقصود في كل حاجة / شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي / فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيتُ بأعمال قباح رديئة / وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أيحرقني بالنار يا غاية المنى / فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشيًا عليه، فدنوت منه، فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم أجمعين- فرفعت رأسه في حجري وبكيت، فقطرت دمعة من دموعي على خده، ففتح عينيه، وقال: من هذا الذي يهجمُ علينا؟ قلت: عُبيدك الأصمعي، سيدي، ما هذا البكاء والجزع؟ وأنت من أهل النبوة، ومعدن الرسالة، أليس الله تعالى يقول: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا**﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] قال: هيهات هيهات يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبدًا حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان حرًا قرشيًا، أليس الله تعالى يقول: ﴿**فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون**﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١ : ١٠٣].

٤٩٦- «هكذا فليكن الصبر»

قال الأصمعي: أصيبت أعرابية بابنها وهي حاجّة، فلما دفنته قامت على قبره،

وقالت:

والله يا بُنيّ، لقد غَذَّوتك رضيعًا، وفقدتك سريعًا، وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذ بعيشك فيها، فأصبحت بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة، والتنسُّم في طيب روائحها، تحت أطباق الثرى، جسدًا هامدًا، ورفاةً سحيقًا، وصعيدًا جُرُزًا.

أي بني، لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفناء، وأسكنتك دار البلى، ورمتني بعدك بنكبة الردى.

أي بني ، لقد أسفر لي عن وجه الدنيا، صباح داج ظلامه . ثم قالت :

أي رب، منك العدل، ومن خلقك الجور، وهبته لي قرة عين، فلم تمتعني به كثيرًا، بل سلبتنيه وشيكًا، ثم أمرتني بالصبر ووعدتني عليه الأجر، فصدقت وعدك، ورضيت قضاءك، فرحم الله على من ترُّحم على من استودعتُه الردم، ووسدته الثرى، اللهم ارحم غربته، وآنس وحشته، واستر عورته، يوم تنكشف الهنات والسوءات.

ولما أرادت الرجوع إلى أهلها، قالت :

أي بني، إني قد تَزَوَّدْتُ لسفري، فليت شعري ، ما زادك لبُعد طريقك، ويوم معادك؟. اللهم إني أسألك له الرضا، برضائي عنه. ثم قالت :

أستودعك من استودعتني إياك في أحشائي جنينًا، واثُكل الوالدات، ما أمضَّ حرارة قلوبهم، وأقلق مضاجعهن، وأقصر نهارهن، وأقل أنسهن، وأشد وحشتهن، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان.

قال الأصمعي : ولم تزل تقول هذا ونحوه، حتى أبكت كل من سمعها، وحمدت الله عز وجل واسترجعت، وصلت ركعات عند قبره وانصرفت.

٤٩٧ - «لا لك ولا لغيرك»

أمضى عمير بن سعد عامًا كاملاً في ولايته على حمص بالشام، ولم تصل إلى عمر

أية أخبار عنه طوال هذه المدة، ولم يرسل عُمَيـر الخراج إليه، ولا تصل عنه أية أنباء. فقال عمر لكاتبه : اكتب إلى عمير فإني أخاف أن يكون خاننا، وأرسل إليه يستدعيه.

وذات يوم شهدت شوارع المدينة رجـلاً أشعث أغبر تغشاه وعثـاء السفر، يكاد يقتلع قدمـيه من الأرض اقتلاعـًا من طول ما لاقى من عناء وبذل من جهـد. على كتفـه اليمنى جراب وقصعة، وعلى كتفه اليسرى قربة صغـيرة فيها ماء، وإنه ليتوكأ على عصا لا يؤودها حمله الضامر الوهنان.

ودلف إلى مجلس عمر في خطوات وئيدة، وقـال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ويرد عمر السـلام ، ثم يسأله وقد آلمه ما رآه عليه من جـهد وإعياء : ما شأنك يا عـمير ؟ قال : شأني ما ترى، ألستَ تراني صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أجُرّها بقرنيها ؟ قال عمر : وما هذا الذي معك؟.

قال عمير : معي جرابي أحمل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها، وإداوتي[1] أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعصـاي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوًا إن عـرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي.

قال عمر : أجئت ماشيًا؟.

قال : نعم.

قال عمر : أو لم تجد من يتبرع لك بدابة تركبها؟.

قال : إنهم لم يفعلوا ، وإني لم أسألهم.

قال عمر : فماذا عملت فيما عهدنا إليك به ؟.

قال عمـير : أتيت البلد الذي بعثتني إليه، فـجمعتُ صلحاء أهله، ووليتـهم جباية الأموال، حتى إذا جمعوها وضعتها في مواضعها، ولو بقي لك منها شيء لأتيتك به.

قال عمر : فما جئتنا بشيء؟.

قال : لا.

---

(١) **الإداوة**: إناء من جلد يحمل فيه الماء.

قال عمر وهو منبهر سعيد : جَدِّدوا لعمير عهداً[١] .

قال عمير : تلك أيام قد خلت، لا عملتُ لك ولا لأحد بعدك.

ثم استأذن ، فأذن له، فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال.

وبعد أن انصرف عمير بعث عمر رجلاً يقال له : الحارث، وأعطاه مائة دينار وقال : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شيء فأقبل، وإن رأيت حالاً شديداً فادفع إليه هذه المائة دينار، فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط ، فقال له عمير : انزل رحمك الله. فنزل ثم ساءله فقال : من أين جئت؟ قال : من المدينة، فقال : كيف تركت أمير المؤمنين، فقال : صالحًا، قال : فكيف تركت المسلمين ؟ قال : صالحين. قال: أليس يقيم الحدود، قال : بلى ضرب ابنًا له على فاحشة فمات من ضربه. فقال عمير : اللهم أعِن عمر ؛ فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك.

ثم نزل الحارث به ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ، ويطوون[٢] حتى أتاهم الجهد، فقال له عمير : إنك قد أجَعْتَنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل، فأخرج الدنانير فدفعها إليه، فقال : بعث أمير المؤمنين إليك هذه فاستعن بها، فصاح، وقال : لا حاجة لي فيها فرُدّها. فقالت له امرأته : إن احتجت إليها ، وإلا فضعها في مواضعها. فقال عمير : والله ما لي شيء أجعلها فيه . فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء.

ثم رجع الحارث إلى عمر فقال له عمر : ما رأيت؟ قال: يا أمير المؤمنين رأيت حالاً شديداً، قال : فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري. فكتب عمر إلى عمير : إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تُقْبِل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه، فقال له عمر : ما صنعتَ بالدنانير ؟ قال: صنعت ما صنعتُ ، وما سؤالك عنها؟ قال: أقسم عليك لتُخبرني ما صنعتَ بها. قال : قدَّمتها لنفسي[٣] قال: رحمك الله. فأمر له بوسق من طعام وثوبين، فقال : أما الطعام فلا حاجة لي فيه، قد تركتُ في المنزل صاعين من شعير، إلى أن آكل ذلك قد جاء الله بالرزق، ورفض عمير أن يأخذ الطعام، وأما الثوبان فأخذهما ، وقال :

---

(١) أي: جددوا له الولاية على حمص.

(٢) **يطوون**: لا يأكلون هم.

(٣) أي: تصدقت بها.

إن أم فلان عارية. فأخذهما ورجع إلى منزله.

٤٩٨- «لا يحيق المكر السيء إلا بأهله»

حُكي أن خدم بعض الملوك، التقطوا طفلاً كان مطروحًا بالطريق فأمر الملك بضمه إلى أهل بيته، وسماه أحمد اليتيم، فلما نشأ، ظهرت عليه أمارات النجابة والفطنة، فهذبه وعلمه، واصطفاه وقدمه في جميع أعماله وشئون قصره، وذات يوم، أمره أن يُحضر شيئًا من بعض حجراته، وحين ذهب، رأى جارية كانت مقرّبة من الملك في حال مريبة مع خادم من خدم القصر، فتوسلت إليه أن يكتم خبرها، وعرضت نفسها عليه، فقال: معاذ الله، أن أخون الملك، وقد أحسن إليّ، ثم تركها وانصرف.

فأوجست الجارية في نفسها خيفة، وتوهمت أنه سيفشي سرها، فذهبت إلى الملك باكية شاكية فسألها، فقالت: إن أحمد اليتيم، راودها عن نفسها وهم أن يقهرها على فعل منكر، فغضب أشد غضب، وعزم على قتله.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بكذا أو كذا فاقتله، وابعث برأسه إليّ، وبعد قليل أحضر الملك أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان واطلب منه كذا وكذا، فامتثل وذهب، وفيما هو في طريقه لقي بعض الخدم، فحكموه في أمر اختلفوا فيه، فأخبرهم بما هو مكلف به، فقالوا: نبعث الخادم فلان ليحضر ما تطلب، حتى تفصل في أمرنا، فأجابهم إلى ما طلبوا.

وذهب ذلك الخادم، وأخبر رئيس الخدم برسالته فقتله وحز رأسه، وجاء بها إلى الملك، فلما أبصره وكشف عنه الغطاء، رأى رأسًا أخرى، فأمر بإحضار أحمد اليتيم فسأله عن خبره فأخبره بما كان.

فقال له الملك: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟.

قال: نعم. إنه فعل كذا وكذا مع فلانة الجارية، وقد سألاني بالله ربي أن أكتم خبرهما، فلما سمع الأمير ذلك سكن ما به، وأمر بقتل الجارية، وأعاد إلى أحمد ثقته به،

واطمئنانه إليه.

٤٩٩- «هل يسرك أن تموت؟»

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فرأى شيخًا من الأعراب فقال له : يا شيخ، أيسرك أن تموت ؟ فقال الأعرابي : لا والله.

فقال سليمان : ولماذا يا شيخ، وقد بلغت من السن ما أرى.

فقال : يا أمير المؤمنين، ذهب الشباب وشره، وجاء المشيب وخيره، فأنا إذا قمت حمدت الله، وإذا قعدت حمدت الله، وإني أحب أن تدوم هاتان الخصلتان.

قال سليمان : فما كان عملك الذي تظن أنه سيطول عمرك؟ .

فقال : يا أمير المؤمنين أنا رجل أُسْبِغ الوضوء، وأحسن صلاتي، وأصل رحمي، أعُفُّ فرجي ونظري، وأواسي مما رزقني ربي.

فقال سليمان : ليس بعجب أن يتعداك المَوت.

٥٠٠- «الخبيص اللبيص»

كان شجاع بن القاسم -كاتب الأمير أوتامش- أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم، وإنما عُلِّم علامات يكتبها في التواقيع ، وكانت جملة كلامه أغاليط.

فعمل ابن عمّار شعرًا لا معنى له، واتفق مع صديق له من الهاشميين على أن ينشده شجاع بن القاسم ويعرِّفه أنه مدح له، وضمن له على ذلك ألف درهم . والشِّعر:

شجاع لجاع كاتب لاتب معًا ... كجلمود صخر حطّه السيل من علِ
خبيصٌ لبيص مستمر مقوّم ... كثير أثير ذو شمال مهذّبُ

بليغ لبيغ كلما شئت قلته ... فإن كنتَ مسكاتًا عن القول فاسكت

فطين لطين آمرٌ لك زاجر ... حصيف لصيف كل ذلك يعلمُ

فوقف إليه وقال: أيها الوزير، ليس الشعر من صناعتي، ولكنك أحسنتَ إليّ وإلى أهلي بما أوجب شكرَك، فتكلّفتُ أبياتًا مدحتُك فيها، فتفضّل بسماعها. ثم أنشد الأبيات.

فشكره شجاع عليها، وسُرّ بها سرورًا زائدًا، ودخل إلى الخليفة المستعين فأخرج لابن عمار صلة عشرة آلاف درهم، وأجرى له ألف درهم في كل شهر.

٥٠١- «قميص القاضي وقميص الوزير»

كان الوزير علي بن عيسى متزمتًا متخشنًا. وكان يحب أن يَبين فضلُه في هذا على كل أحد. دخل إليه يومًا أبو عمر القاضي. وعلى أبي عمر قميص فاخر، فأراد الوزير أن يُخْجله، فقال له: يا أبا عمر، بكم اشتريتَ هذا القميص؟.

فقال: بمائتي دينار.

فقال الوزير: ولكني اشْتُرِيَت لي هذه الدّراعة[1] وهذا القميص الذي تحتها بعشرين دينارًا.

فقال له أبو عمر مسرعًا كأنه قد أعد له الجواب: الوزير أعزّه الله يُجَمِّل الثياب، ولا يحتاج إلى المبالغة فيها، والكل يعلم أنه يدع هذا عن قدرة، ونحن نتجمّل بالثياب فنحتاج إلى المبالغة فيها؛ لأنا نلابس العوام[2] ومن نحتاج إلى التفخيم عليه، وإقامة الهيبة في نفسه بها.

فكأنما ألْقَم الوزير حجرًا، فسكت عنه.



(١) **الدَّراعة**: جبة مشقوقة المقدم.

(٢) **نلابس العوام**، أي: نخالطهم.

٥٠٢ - «الآن انظم الشعر»

استأذن أبو نواس خلفًا الأحمر في نظم الشعر، فقال له : لا آذن لك في عمل الشعر إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة.

فغاب عنه مدة وحضر إليه، فقال له : قد حفظتها.

فقال له خلف الأحمر: أنشِدْها.

فأنشده أكثرها في عدة أيام. ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر، فقال له : لا آذن لك إلا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها.

فقال له : هذا أمر يصعب عليّ، فإني قد أتقنت حفظها.

فقال له : لا آذن لك إلا أن تنساها.

فذهب أبو نواس إلى بعض الأديرة، وخلا بنفسه، وأقام مدة حتى نسيها. ثم حضر فقال : قد نسيتها حتى كأن لم أكن حفظتها قط.

فقال له خلف : الآن انظم الشعر.

٥٠٣ - «ويل للمكذبين»

لما غضب هارون الرشيد على ثمامة بن أشرس المعتزلي، دفعه إلى سلام الأبرش، وأمره أن يضيّق عليه، وأن يدخله بيتًا ويطين عليه، ويترك فيه ثقبًا، ففعل دون ذلك ، وكان يدسّ إليه الطعام، فجلس سلام عشية وهو يقرأ في المصحف ، فقرأ : ﴿**ويل يومئذ للكذَّبين**﴾ فقال ثمامة:

إنما هو «المكذِّبين» وجعل يشرح ويقول: «المكذَّبون» هم الرُّسُل، و«المكذِّبون» هم الكفار. فقال سلام: قد قيل لي : إنك زنديق ولم أُصدِّق.

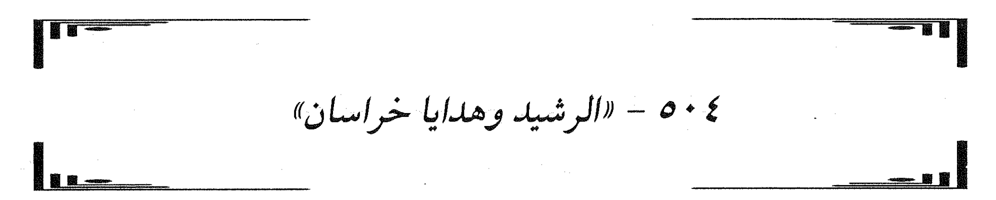
ثم ضيّق عليه أشد الضيق.

ثم رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه . فقال له يومًا: أخبرني عن أسوأ الناس حالاً.

قال ثمامة: عاقل يجري عليه حكم جاهل.

فظهر الغضب في وجه الرشيد. فقال ثمامة: يا أمير المؤمنين، ما أحسبني وقعتُ بحيث أردت. قال: لا والله، فاشرح.

فحدّثه بحديث سلام، فضحك الرشيد حتى استلقى.

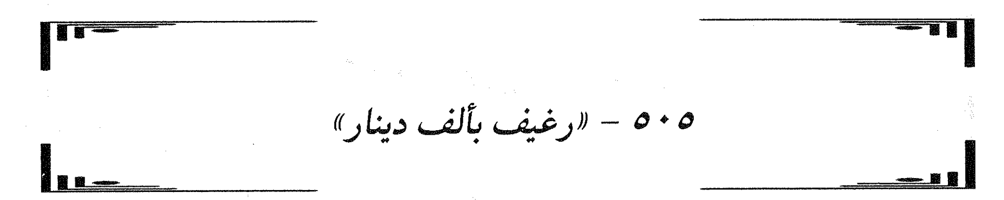


٥٠٤ - «الرشيد وهدايا خراسان»

ركب يحيى بن خالد البرمكي يومًا مع هارون الرشيد ، فرأى الرشيد في طريقه أحمالاً، فسأل عنها ، فقيل له : هذه هدايا خراسان بعث بها إليك واليها عليّ بن عيسى ابن ماهان.

وكان ابن ماهان وليها بعد الفضل بن يحيى البرمكي ، فقال الرشيد ليحيى: أين كانت هذه الأحمال في ولاية ابنك؟.

فقال يحيى: كانت في بيوت أصحابها. فأفحم الرشيد وسكت.



٥٠٥ - «رغيف بألف دينار»

في أيام المستنصر الفاطمي، وقع بمصر الغلاء الذي فَحُش أمره، وشنع ذكره، وكان أمده سبع سنين، وسببه ضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل.

وقد استولى الجوع لعدم القوت حتى بيع الإردب من القمح بثمانين ديناراً، وأُكِلت

الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير، وتزايدت الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، وكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم حبال فيها كلاليب[١] فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه، ونشلوه في أسرع وقت، وشرّحوا لحمه وأكلوه، وجاء الوزير يومًا إلى الخليفة على بغلته، فأكلتها العامة، فشنق طائفة منهم، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم.

ومن غريب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عِقدًا لها قيمته ألف دينار، وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقًا، وكان يُعتَذَر إليها إلى أن رحمها بعض الناس، وباعها به كيس دقيق. فلما أخذته أعطت بعضهم لمن يحمله ويحميه من النهّابة في الطريق. فلما وصلت إلى باب زويلة. تسلّمته من الحُماة له ومشت قليلاً. فتكاثر الناس عليها وانتهبوه نهبًا. فأخذت هي أيضًا مع الناس من الدقيق ملء يديها، لم يُنبها غيره. ثم عجنته وشوته، فلما صار قرصة أخذتها معها، وتوصّلت إلى أحد أبواب القصر، ووقفت على مكان مرتفع، ورفعت القرصة على يديها بحيث يراها الناس، ونادت بأعلى صوتها:

يا أهل القاهرة، ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه حتى تقوّمت عليّ هذه القرصة بألف دينار.

٥٠٦ - «أيسر محفوظاته: كتاب الأغاني»

حدّث الوزير الأندلسي أبو بكر محمد ابن الوزير أبي مروان عبد الملك ابن زهر، قال:

بينما أنا قاعد في دهليز دارنا وعندي رجل ناسخ أمرته أن يكتب لي كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، إذ جاء الناسخ بالكراريس التي كتبها، فقلت له:

أين الأصل الذي كتبتَ منه لأقابل[٢] معك به؟.

قال: ما أتيت به معي.

---

(١) **الكُلاّب**: حديدة معطوفة الرأس كالمخلب. (٢) يراجع.

فبينا أنا معه في ذلك إذ دخل الدهليز علينا رجل بذُّ الهيئة[١] . عليه ثياب غليظة أكثرُها صوف، وعلى رأسه عمامة قد لاثها[٢] من غير إتقان لها، فحسبته لما رأيته من بعض أهل البادية، فسلَّم وقعد، وقال لي:

يا بنيّ، استأذن لي على الوزير أبي مروان.

فقلت له : هو نائم، هذا بعد أن تكلّفتُ جوابه غاية التكلف، حملني على ذلك نزوةُ الصبا، وما رأيت من خشونة هيئة الرجل.

ثم سكت عني ساعة ، وقال : ما هذا الكتاب الذي بأيديكما؟.

فقلت له : ما سؤالك عنه؟.

فقال: أحب أن أعرف اسمه، فإني كنت أعرف أسماء الكتب.

فقلت : هو كتاب الأغاني.

فقال : إلى أين بلغ الكاتب منه؟.

قلت : بلغ موضع كذا.

وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به. فقال: وما لكاتبك لا يكتب ؟.

قلت: طلبتُ منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق، فقال: لم أجيء به معي. قال: يا بني، خذ كراريسك وعارض.

قلت : بماذا ؟ وأين الأصل؟.

قال: كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباي.

فتبسَّمتُ من قوله، فلما رأى تبسُّمي قال: يا بنيّ، أمسك عليّ.

فأمسكت عليه، وجعل يقرأ، فوالله إن أخطأ واوًا ولا فاءً، قرأ هكذا نحوًا من كراستين، ثم أخذت له في وسط السِّفر[٣] وآخره، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء.

فاشتد عجبي، وقمت مسرعًا حتى دخلت على أبي فأخبرته بالخبر، ووصفت له

---

(١) رديء الملبس. (٢) لفّها.

(٣) السِّفر: الكتاب.

الرجل، فقام كما هو من فَوره. وكان ملتفًا برداء ليس عليه قميص، وخرج حاسر الرأس، حافي القدمين ، لا يرفُقُ على نفسـه، وأنا بين يديه، وهو يُوسعني لومًا، حتى ترامى على الرجل وعانقه، وجعل يقبّل رأسه ويديه، ويقول:

يا مولاي، اعذرني، فوالله ما أعلمني هذا الجِلْف إلا الساعة.

وجعل يـسبّني، والرجل يُخَـفِّض عليه، ويقـول: ما عرفـني، وأبي يقول: هَبْـه ما عرفك، فما عُذره في حسن الأدب؟.

ثم أدخله الدار وأكرم مـجلسه، وخلا به فتحـدثا طويلاً. ثم خرج الرجل وأبي بين يديه حافيًا حتى بلغ الباب . وأمر بدابته التي يركبها فأُسْرِجت، وحلف عليه لَيَرْكَبَنَّها ثم لا ترجع إليه أبدًا.

فلما انفصل قلت لأبي : من هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم؟.

قال لي: اسكت ويحك، هذا أديب الأندلس وإمامها وسيّدها في علم الآداب، هذا ابن عبدون، أيسرُ محفوظاته كتاب الأغاني.

٥٠٧ - «من آداب مخاطبة الملوك»

دخل الأصمعي يومًا على هارون الرشيد بعد غيبة كانت منه.

فقال له الرشيد : يا أصمعي، كيف كنتَ بعدي؟.

فقال : ما لاقَتْني بعدك أرض.

فتبـسم الرشيد. فلمـا خرج الناس. قال للأصمـعي: ما معنى قولك : «مـا لاقتني أرض»؟. قال: ما اسـتقرّت بي أرض. كما يقال فـلان لا يليق شيئًا ، أي: لا يستقـر معه شيء.

فـقـال الرشيـد : هذا حـسن . ولكن لا ينبـغي أن تكلمـني بين يدي الناس إلا بما أفهمـه. فإذا خَلَوت فعلِّمني، فـإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالمًا، إما أن أسكت فـيعلم

الناس أني لا أفهم إذا لم أُجِب، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلتَ.

قال الأصمعي: فَعَلَّمَني الرشيد يومها أكثر مما عَلَّمْتُه.

٥٠٨ - «وإن أحد من المشركين استجارك»

كان الخوارج إذا أصابوا في طريقهم مسلمًا على خلاف معتقدهم، قتلوه؛ لأنه عندهم كافر، وإذا أصابوا نصرانيًا استوصوا به، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

وقد حكي أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة[١] فأحسّوا بالخوارج.

فقال واصل لأهل الرفقة:

إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلوا ودعوني وإياهم.

وكانوا قد أشرفوا على العطب[٢]، فقالوا: شأنك.

فخرج واصل إلى الخوارج، فقالوا له: ما أنت وأصحابك؟.

قال: قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده.

قالوا: قد أجرناكم. قال: فعلِّمونا.

فجعلوا يعلِّمونه أحكامهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معي.

قالوا: فامضوا مصاحَبين[٣] فقد صرتم إخواننا.

فقال: بل تبلغوننا مأمننا؛ لأن الله تعالى يقول: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾**.

فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذلك لكم. فساروا معهم بجَمْعِهم حتى أبلغوهم المأمن.

(١) أي: مع رفاق له.　　(٢) كادوا يهلكوا.
(٣) صحبتكم السلامة.

٥٠٩ - «مات دينارك في النفاس»

قال أشعب: جاءتني جارية بدينار، وقالت : هذا وديعة عندك، فجعلته بين ثِنْي[(١)] الفِراش، فجاءت بعد أيام ، وقالت : بأبي أنت ! الدينار.

فقلت : ارفعي فراشي وخذي ولده ؛ فإنه قد ولد.

وكنتُ قد تركت إلى جنبه درهمًا، فأخذت الدرهم وتركت الدينار . وعادت بعد أيام فوجدت معه درهمًا آخر فأخذته، وفي الثالثة كذلك. وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتُها بكيت. فقالت : ما يُبكيك؟.

قلت: مات دينارك في النفاس.

فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟.

قلت: يا فاسقة ، تُصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالنفاس؟!.

٥١٠ - «قصة العطار والعقد»

قدم رجل إلى بغداد في طريقه إلى الحج، وكان معه عِقد يساوي ألف دينار، فاجتهد في بيعه فلم يجد له مشتريًا ، فجاء إلى عطّار موصوف بالخير، فأودعه إياه.

ثم حج وعاد. وأتاه بهدية. فقال له العطار: من أنت ؟ وما هذا؟

فقال: أنا صاحب العقد الذي أودعتك.

فما كلمه حتى رفسه العطار رفسة رماه عن دكانه. وقال : تدّعي عليّ مثل هذه الدعوى! فاجتمع الناس وقالوا للحاج: ويلك! هذا رجل خير، ما وجدتَ من تدّعي عليه إلا هذا؟!.

---

(١) في طيّاته.

فتحيّر الرجل. وتردد إليه. فما زاده إلا شتمًا وضربًا.

فقيل للحاج: لو ذهبت إلى عضد الدولة، فله في هذه الأشياء فراسة.

فكتب الحاج قصته، ورفعها إلى عضد الدولة، فصاح به فجاء. فسأله عن حاله، فأخبره بالقصة. فقال عضد الدولة: اذهب إلى العطار بكرة، واقعد على الدكّة أمام دكانه، فإن منعك فاقعد على دكة تقابله من الصبح إلى المغرب، ولا تكلمه، وافعل هكذا ثلاثة أيام؛ فإني أمرّ عليك في اليوم الرابع، وأقف، وأسلّم عليك، فلا تَقُم لي، ولا تزدني على ردّ السلام وجواب ما أسألك عنه.

فجاء الحاج إلى دكان العطار ليجلس فمنعه. فجلس بمقابلته ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع. اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم. فلما رأى عضد الدولة الحاج وقف. وقال: سلام عليكم.

فقال الحاج دون أن يتحرك: وعليكم السلام.

قال عضد الدولة: يا أخي. تقْدُم إلى بغداد. فلا تأتي إلينا، ولا تعرض حوائجك علينا ؟!.

قال الحاج: كما اتّفق(١).

ولم يشبعه الكلام(٢)، وعضد الدولة يسأله ويهتمّ، وقد وقف ووقف العسكر كله، والعطار قد أغمي عليه من الخوف، فلما انصرف الموكب، التفت العطار إلى الحاج فقال:

ويحك! متى أودعتني هذا العقد ؟ وفي أي شيء كان ملفوفًا؟ فَذَكِّرْني لعلّي أذكره.

فقال: من صفته كذا وكذا.

فقام العطار وفتش، ثم نقض جرَّة عنده فوقع العقد، فقال: قد كنتُ نسيت، ولو لم تذكّرني في الحال ما ذكرت!.



---

(١) هكذا كان.

(٢) أي: لم يُطِل الكلام معه.

٥١١ - «انْطَلِقْ فَخَاصِمْه»

يُحكى أن ابنًا لشُرَيْح القاضي قال لأبيه: إن بيني وبين قوم خصومة، فانظر في الأمر. فإن كان الحق لي خاصمْتهم[١] وإن لم يكن لي الحق لم أخاصم.

ثم قص قصته عليه، فقال شريح: انطلق فخاصمهم.

فانطلق إليهم فخاصمهم. فقضى شريح على ابنه فقال ابنه له لما رجع إلى أهله: والله، لَو لَم تقدّم إليك بطلب النُّصح لم أَلُمْك ، فضَحْتَني.

فقال شريح: يا بُنيّ، والله لأنتَ أحبُّ إليّ من مِلْءِ الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعزّ عليّ منك. خشيتُ أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم على مال فتذهب ببعض حقّهم.

٥١٢ - «إن للبخل سببًا»

قيل للمتنبي: قد شاع عنك من البخل في الآفاق، ما قد صار سمرًا بين الرفاق. وأنت تمدح في شعرك الكرم وأهله، وتذم البخل وأهله، ألستَ القائل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ومعلوم أن البخل قبيح، ومنك أقبح، فإنك تتعاطى كبر النفس، وعُلو الهمة ، وطلب الْمُلك ، والبخل ينافي ذلك.

فقال: إن للبخل سببًا ، وذلك أني أذكر أني وردتُ في صباي من الكوفة إلى بغداد، فأخذتُ خمسة دراهم بجانب منديلي، وخرجت أمشي في أسواق بغداد، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، ورأيت عنده خمسة من البطّيخ باكورة، فاستحسنتها، ونويت أن

---

(١) أي: قاضيتهم.

أشتريها بالدراهم التي معي. فتقدمت إليه وقلت:

بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ؟.

فقال بغير اكتراث: اذهب، فليس هذا من أكلك.

فتماسكتُ معه، وقلت: يا هذا، دع ما يغيظ واقصد الثمن.

قال: ثمنها عشرة دراهم.

فلِشدَّة ما جبهني(١) به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة، فوقفت حائراً، ودفعت له خمسة دراهم، فلم يقبل، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان(٢) ذاهباً إلى داره، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان، ودعا له. وقال: يا مولاي، هذا بطيخ باكورة. بإجازتك(٣) أحمله إلى البيت؟.

فقال الشيخ: ويحك. بكم هذا؟.

قال: بخمسة دراهم.

قال: بل بدرهمين. فباعه الخمسة بدرهمين، وحملها إلى داره، ودعا له، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل.

فقلت: يا هذا، ما رأيت أعجب من جهلك. اسْتمْتَ(٤) عليّ في هذا البطيخ. وفعلت فعلتك التي فعلت، وكنتُ قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم. فبِعْتَه بدرهمين محمولاً.

فقال: اسكت! هذا يملك مائة ألف دينار.

فعلمتُ أن الناس لا يُكرِمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون: إن أبا الطيِّب قد ملك مائة ألف دينار.

***

---

(١) **جبهني**: صدمني.

(٢) **الخان**: مكان كالفندق.

(٣) **بإجازتك**: بعد إذنك.

(٤) أي: غاليت في الثمن.

٥١٣ - «السفاح وزوجته وخالد بن صفوان»

دخل خالد بن صفوان على الخليفة أبي العباس السفاح فوجده خاليًا، فقال:

يا أمير المؤمنين، أنا أترقّب مُذ تقلّدت الخلافة أن أجدك خاليًا فأُلقي إليك ما أريده.

قال: فاذكر حاجتك.

قال: يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك، فلم أر مَن هو في مثل قدرك أقل استمتاعًا بالنساء، وقد ملّكْتَ على نفسك امرأة واحدة، واقتصرتَ عليها، فإن مرضَتْ مرضْتَ، وإن غابتْ غبْتَ، وإن غضِبَتْ حُرِمت، وإنما التَّلذُّذُ باستطراف الجواري، ومعرفة اختلاف أحوالهن، والاستمتاع بهن، فلو رأيتَ الطويلة البيضاء، والسمراء اللَّفّاء. والصفراء العجزاء، والغَنجَة الكحلاء، والمولّدات من المدنيات، والمِلاح من القُنْدُهاريّات، ذوات الألسن العذبة، والقُدود المهَفْهَفة، والثُّدي الْمُحَقَّقة.

وجعل خالد بعذوبة لفظه واقتداره على الوصف يزيد في قوله، فلما فرغ من كلامه، قال السفاح له: والله يا خالد ما سلك سمعي قطُّ كلام أحسن من هذا، لقد حرّك مني ساكنًا.

وبقي السفاح مفكرًا عامة نهاره، ثم دخلت عليه زوجته أم سلمة، فلما رأته دائم الفكر، كثير السهو، قليل النشاط. قالت: إني أُنكِرُك يا أمير المؤمنين، فهل حدث ما تكرهه؟.

ولم تزل به حتى حدّثها بخبر خالد بن صفوان.

قالت: فما قلتَ لابن الفاعلة؟.

قال لها: سبحان الله! رجل نصحني تسبّينه؟!.

فخرجت من عنده متميزة غضبًا، وأرسلت إلى خالد بجماعة من غلمانها العجم ومعهم العصي، وأمرتهم ألا يتركوا فيه عضواً صحيحًا.

أما خالد فقد انصرف من عند السفاح وهو على غاية السرور بما رأى الخليفة عليه من الإعجاب بحديثه، وقعد على باب داره يتوقع جائزته . فلم يشعر إلا بالغلمان، وتحقّق مجيئهم بالجائزة. فلما وقفوا على رأسه سألوه عن ابن صفوان. فقال: هأنذا. فأهوى بعضهم بهراوته إليه.

فوثب خالد ودخل داره، وغلّق بابه واستتر، وعرف هفوته وزلّتَه في فعله وكلامه، وعلم من أين أُتِي.

ثم إنه مكث أيامًا مستترًا. فلم يشعر ذات يوم إلا بجماعة من خدم السفاح قد هجموا عليه ، فقالوا: أجب أمير المؤمنين !

فأيقن بالهلكة، وركب معهم وهو بلا دم. فلما دخل عليه وسلم فرد عليه، سكنت نفسه بعض السكون، وأومأ إليه بالجلوس فجلس.

ونظر خالد فإذا خلف ظهر السفاح باب عليه ستور قد أرخيت، وأحسّ بحركة خلفه. ثم قال الخليفة : يا خالد ، لم أرك منذ أيام.

فاعتلّ عليه، فقال له : ويحك، إنك وصفتَ لي آخر يوم كنت عندي فيه من أمر النساء والجواري، ما لم يخرِق سمعي قطُّ مثله، فأعِدْه عليّ.

قال: نعم. أعلمتك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقّت اسم الضَّرَّتين من الضُّرّ. وأن أحدهم لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جُهد وكَد.

قال السفاح: ويحك ، لم يكن هذا في كلامك.

قال: بلى. وأخبرتُك أن الثلاث من النساء كأثافيّ القِدر تغْلِي عليهن.

قال السفاح: برئتُ من قرابتي من رسول الله إن كنتُ سمعتُ هذا منك في حديث.

قال: بلى، وأخبرتك أن الأربع من النساء شرٌّ مجموع لمن كُنّ عنده، يُهْرِمْنَه ويُنَغِّصْنَ عليه عَيْشه، ويُشَيِّبْنَهُ قبل حينه.

قال السفاح: والله ما سمعتُ هذا قط منك ولا من غيرك.

قال: بلى يا أمير المؤمنين، لقد قلتُ.

قال: ويلك تكذِّبني؟

قال: يا أمير المؤمنين، فتريد قتلي؟.

فسُمع ضحك شديد وراء الستر. فقال خالد:

وأعْلَمْتُك أن عندك ريحانة قريش، وأنه لا يجب أن تطمح نفسُك إلى غيرها من النساء. فسُمع من وراء الستر صوت يقول: صدقت والله يا عمّاه، ولكن أمير المؤمنين غيّر وبدّل، ونطق عن لسانك بغير ما ذكرتَه.

وخرج خالد إلى منزله ، فلم يصل إليه حتى وجّهت إليه أم سلمة ثلاثة تُخوت فيها أنواع الثياب، وخمسة آلاف درهم.

٥١٤ - «أبو حنيفة وزوجة المنصور»

وقع في يوم من الأيام خلاف بين أبي جعفر المنصور وبين زوجته الحرة، أدى إلى شقاق بسبب ميله عنها، وطلبت العدل منه، فقال لها : بمن ترضين في الحكومة بيني وبينك؟ فقالت : بأبي حنيفة ، فرضي هو به أيضًا، فأحضره ، وقال له : الحرة تخاصمني فأنصفني منها.

قال أبو حنيفة : ليتكلم أمير المؤمنين، فقال : كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء فيجمع بينهن؟ قال : أربع، قال: وكم يحل له من الإماء؟ قال: ما شاء، ليس لهن عدد، قال: وهل يجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟ قال: لا.

قال أبو جعفر: قد سمعتَ -يعني سمعت مقالتي وحجتي- فقال أبو حنيفة: إنما أحل الله هذا لأهل العدل، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغي ألا يجاوز الواحدة . قال الله تعالى: ﴿**فإن خِفْتُم ألا تعدلوا فواحدة**﴾ [سورة النساء: ٣].

فينبغي لنا أن نتأدب بأدب الله، ونتعظ بمواعظه، فسكت أبو جعفر وطال سكوته، فخرج أبو حنيفة ، فلما وصل منزله أرسلت إليه زوجة الخليفة خادمًا، ومعه مال وثياب وجارية وحمار، فردّها ، وقال للخادم : أقرئها سلامي، وقل لها : إنما ناضلت عن

ديني، وقمت ذلك المقام لله، لم أرد بذلك تقرّباً إلى أحد، ولا التمست به دنيا.

٥١٥ - «لا خير لك فيها»

قال الشعبي: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما غلبني أحد قط إلا غلام من بني الحارث بن كعب، وذلك أنني خطبت امرأة من بني الحارث، وعندي شاب منهم، فأصغى إليّ. فقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها.

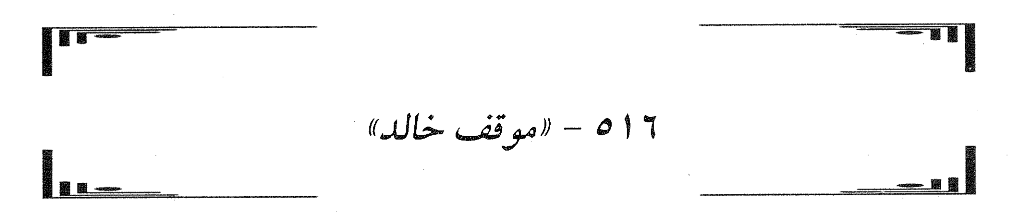
قلت: يا ابن أخي، وما لها؟.

قال: إني رأيت رجلاً يقبلها.

قال: فبرئت منها، فبلغني أن الفتى تزوجها.

قلت: ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟!.

قال: بلى، رأيت أباها يقبلها.



٥١٦ - «موقف خالد»

تحكي كتب التاريخ أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري، فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار، فأنكره الزوج، فجاءت ببينة، تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا؟.

فلما صمموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا، هي صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر. هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة.

ما أجمله من موقف، يتجلى فيه الحرص على الزوجة، أن تبقى درة مصونة وجوهرة

محفوظة لا يراها أحد، إنها شهامة الرجال وإنها النخوة والغاية في الشرف وكرم الأخلاق.

وموقف المرأة لا يقل روعة وجمالاً عن موقف زوجها، فإنها لما علمت مقصده وغيرته عليها، بادلته بما يعبّر عن حبها له وتقديرها لموقفه فأبرأته من مهرها. وأن لا حق لها عليه. ترى هل في عالمنا اليوم من يقدر هذه القيم. ويعرف لمثل هذه المواقف قدرها ونبلها؟!.

٥١٧ - «حين تخطط حواء»

كان لرجل حائك أيام المعتمد والي دمشق، ولد صغير في آذانه حلق، فعدا عليه رجل من جيرانه فقتله غيلة، وأخذ ما عليه من الحليّ، ودفنه في بعض المقابر، فاشتكوا عليه فلم يقر، فبكت والدته من ذلك كثيراً، وسألت زوجها أن يطلقها، فطلقها، فذهبت إلى ذلك الرجل وسألته أن يتزوجها وأظهرت له أنها أحبّته، فتزوجها.

ومكثت عنده حينًا ثم سألته في بعض الأوقات عن ولدها الذي اشتكوا عليه بسببه، فقال: نعم أنا قتلته.

فقالت: أشتهي أن تريني قبره حتى أنظر إليه، فذهب بها إلى المكان الذي دفنه فيه، ففتحه، فنظرت إلى ولدها فاستعبرت، وقد أخذت معها سكينًا أعدّتها لهذا اليوم، فضربته حتى قتلَتْه ودفنته مع ولدها في ذلك القبر، فجاء أهل المقبرة فحملوها إلى الوالي المعتمد، فسألها، فذكرت له خبرها، فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن إليها.

٥١٨ - «أم سليم.. ودروس في الصبر»

أم سليم -زوجة أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما- يمرض ابنهما أبو عمير وكان غلامًا صبيحًا يحبه أبوه حبّاً جمّاً، فتوفي الغلام، فهيأته أمه، وغسلته وكفنته، وسجت

عليه ثوبًا، ونحّته جانبًا من البيت، ثم هيأت نفسها وتزينت، استعدادًا لاستقبال زوجها، فلما جاء:

قال لها: كيف الغلام؟.

فقالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح.

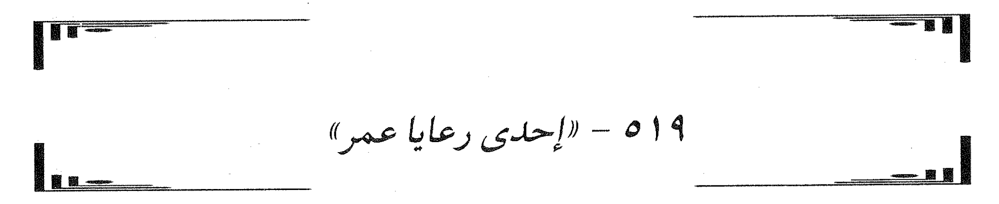
وظن أبو طلحة - رضي الله عنه- أن هدوء الغلام من تماثله للشفاء، وهو ما حرصت الزوجة المؤمنة أن تلقيه في روعه، تفاديًا من إزعاجه وتكدير صفوه، وقد أمسى الليل، وأبو طلحة في أمس الحاجة إلى الراحة والاستقرار، وحقّاً قالت أم سليم، بأن الغلام هدأت نفسه فعلاً بالموت: واستراح من متاعب الدنيا وأسقامها.

وأعدت أم سليم لزوجها العشاء، وتصنعت له كأجمل ما كانت تتصنع له قبل ذلك، حتى قضى ليلته كأحسن ما يكون سعادة وابتهاجًا، فلما أصبح الصباح وتهيأ للخروج لصلاة الصبح خلف رسول الله ﷺ، قالت له: يا أبا طلحة، أرأيت إلى قوم أعاروا أهل بيت عارية، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟.

قال: لا. قالت: فإن الله استرد عاريته إلينا، فاحتسب ابنك.

وصلى أبو طلحة مع النبي ﷺ، ثم أخبره بما كان من زوجته فقال ﷺ: «**ولعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما**» رواه البخاري.

وحقّاً قال رسول الله ﷺ، فقد جزى الله تلكم السيدة المؤمنة على حسن صبرها، وجميل وفائها بحق زوجها، خير الجزاء، فولدت عبد الله بن أبي طلحة، ورزقه الله أولادًا حمل العلم والقرآن منهم سبعة، هم إسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، وعمر، ومحمد، وعبد الله، وقاسم.



٥١٩ - «إحدى رعايا عمر»

خرج عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ذات ليلة يَعُسّ بالمدينة ويتفقد أحوال الرعية، فمر بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها وهي تقول:

تطاول هـذا الليل واخـضلّ جـانبُـه وأرقنـي أن لا خلـيل ألاعـبـه
فـوالله لولا الله لا رب غـيـره لحـرك من هـذا السـرير جـوانبـه
مـخـافـة ربي والحـيـاء يصـدّني وأكـرم بَعْلي أن تُـنال مـراكـبـه

ثم تنفّست الصُّعداء ، وقالت : لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني، وعمر واقف يسمع، فضرب باب الدار فقالت : من هذا الذي يأتي إلى امرأة مغيبة هذه الساعة؟ فقال : افتحي ، فأبت فلما أكثر عليها، قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك.

فلما رأى عفافها، قال: افتحي فأنا أمير المؤمنين، قالت: كلا ما أنت أمير المؤمنين، فرفع بها صوته وجهر بها، فعرفت أنه هو، فـفتحت له، فقال : هيه كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت ، فقال : أين زوجك؟ قالت: في بعث كذا وكذا.

فبعث إلى عامل ذلك الجند أنْ سرّح فلانًا، فلما قدم عليه، قال: اذهب إلى أهلك ، ثم دخل على حفصة ابنته، فقال : أي بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحيت.

قال: فإن الله لا يستحي من الحق .

قالت : شهرًا. واثنين وثلاثة . وفي الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلاً للبعث، وكتب : أن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر أي: لا يغيب جندي عن أهله وعياله أكثر من أربعة أشهر.

٥٢٠ - «سيدتي ... هل تعلمين؟»

* أن عدد اللواتي ينتحـرن من النساء كل سنة لا يزيد على ثلث عدد الرجال الذين ينتحرون.

* أنه ليس بين النساء اللواتي اشتهرن بالعلم، من كانت مشهورة بجمالها.

* أن النساء الجميلات قلما يعمرن طويلاً.

* أن الإماء اللواتي قتلتهن كليوباترا، لتجربة فعل السموم تزيد على بضع مئات.

* أن المرأة أكثر احتمالاً للحزن من الرجل.

* أن المرأة أكثر نومًا من الرجل.

* أن السهر يؤثر في جسم المرأة، أكثر من تأثيره في جسم الرجل.

* أن الحنان في قلب المرأة أقوى منه في قلب الرجل.

* أن تأثير الأم في الأولاد، أقوى من تأثير الأب.

* أن المرأة الشرقية أرق عاطفة من المرأة الغربية.

* أن الرجال يستيقظون من نومهم عادة قبل النساء.

* أن الرجل أكرم من المرأة.

* أن منتهى مطامع المرأة أن تكون جميلة في عيون الرجال.

* أن دماغ الرجل أثقل من دماغ المرأة.

* أن معدة الرجل أسرع هضمًا من معدة المرأة.

* أن شعر المرأة الشرقية أكثف من شعر المرأة الغربية.

* أن المرأة أصبر على الجوع من الرجل.

* أن الفتاة القصيرة النظر هي عادة شديدة البكاء.

* أن تعدد الزوجات كان مباحًا بين اليهود قديمًا.

* أن أسنان المرأة أقل تعرضًا للعطب من أسنان الرجل.

* أن المرأة أقل ميلاً إلى أكل اللحوم من الرجل.

* أن المرأة أشد تقلبًا في آرائها من الرجل.

* أن المرأة أشد حبّاً للمجازفات من الرجل.

* أن علماء الآثار وجدوا في بلاد الكلدانيين أدوات لتقليم الأظافر، وتزجيج

الحواجب، وتكحيل العيون، وتحمير الشفاه، كان نساء العصور القديمة يستعملنها في بلاد الشرق.

* أن المرأة المتزوجة تعيش أكثر من العازبة.

* أن جمال المرأة يزددا كثيراً جداً بعد زواجها.

٥٢١ - «بين الزرقاء الهمدانية ومعاوية»

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدي بن غالب بن قيس الهمدانية ، وكانت شهدت مع قومها صفين:

فقال : أيكم يحفظ كلامها؟.

قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين.

قال : فأشيروا علي في أمرها.

فقال بعضهم: نشير عليك بقتلها.

قال: بئس الرأي أشرتم به عليّ، أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها.

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاءً ليناً، ويسترها بستر خصيف، ويوسع لها في النفقة، فأرسل إليها عامله، فأقرأها الكتاب.

فقالت : إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إليّ فإني لا آتيه، وإن كان حتم فالطاعة أولى، فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به.

فلما دخلت على معاوية.

قال: مرحبًا وأهلاً، قدمت خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك؟.

قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة.

قال: كيف كنت في مسيرك؟.

قالت: ربيبة بيت، أو طفلاً ممهدًا.

قال: بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت إليك؟.

قالت: أنى لي بعلم ما لم أعلم؟.

قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين الناس على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك .

قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال لها معاوية : صدقت، أتحفظين كلامك يومئذ؟ .

قالت: والله لا أحفظه، ولقد أنسيته.

قال: لكني أحفظه، لله أبوك حين تقولين:

أيها الناس ، ارعووا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم أبدًا، ومثلك أعطى من غير مسألة ، وأدى من غير طلبة .

قال: صدقت! ، وأمر لها وللذي معها بجوائز وكساء.

٥٢٢ - «ابنة الإمام أحمد»

كان الإمام أحمد كثيرًا ما يحدث ابنته عن فضل الإمام الشافعي وعلمه وتقواه فدعاه الإمام أحمد يومًا لزيارته، فلما تناول طعام العشاء، توجه الشافعي إلى فراشه واستلقى عليه .. ونام .

فقالت بنت الإمام أحمد : يا أبتاه ، أهذا هو الشافعي الذي كنت تحدثني عنه؟ .
قال لها: نعم، قالت: لقد لاحظت عليه ثلاثة أمور انتقدته فيها: إنه عندما قدّمنا له الطعام

أكل كثيرًا. . وعندما دخل الغرفة لم يقم ليصلي قيام الليل والتهجد. . وقد صلى بنا الفجر من غير أن يتوضأ!. فذهب أحمد للشافعي مستفسرًا عن هذه الأمور.

فقال له الشافعي: يا أحمد لقد أكلت كثيرًا لأنني أعلم أن طعامكم من حلال وأنت كريم، وطعام الكريم دواء، وطعام البخيل داء، وما أكلت لأشبع، وإنما أكلت لأتداوى بطعامك.

وأما أنني لم أقم الليل، فلأني عندما وضعت رأسي لأنام، نظرت كأن كتاب الله وسنة نبيه أمام عيني، فاستنبطت اثنتين وسبعين مسألة فقهية ينتفع بها المسلمون، فلم يكن هناك فرصة لقيام الليل.

وأما أنني صليت بكم الفجر بغير وضوء، فوالله ما ذاقت عيني طعم النوم حتى أجدد الوضوء، فلقد بقيت طول الليل يقظانًا، فصليت بكم الفجر بوضوء العشاء!.

٥٢٣ - «المرأة المظلومة»

بينما الوزير فخر الملك يمشي إذ بامرأة تعترضه وترفع إليه شكايتها، وذكرت له أن بعض غلمانه قد قتلوا زوجها، فجعل الوزير لا يلتفت إليها!.

فقالت له ذات يوم: أيها الوزير أرأيت القصص التي رفعتها إليك فلم تلتفت إليها؟ قد رفعتها إلى الله عز وجل!! وأنا أنتظر التوقيع عليها!!.

فلم تمض أيام حتى قبض سلطان الدولة على الوزير فجرده من كل أمواله ثم قتله، وعندها قال الوزير بحرقة وأسى: قد والله خرج توقيع المرأة!.

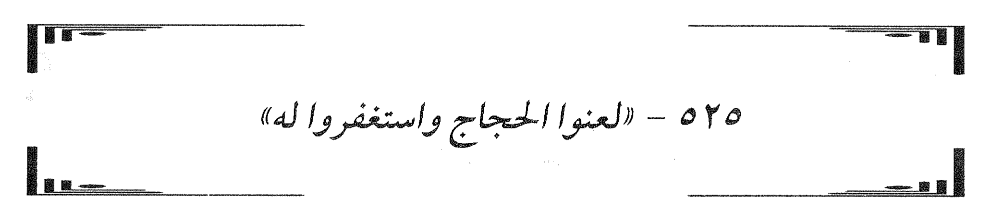
اتهزأ بالدعاء وتزدريه؟ ... وما تدري بما صنع الدعاء

سهامُ الليل نافذة ولكنْ ... لها أمدٌ وللأمد انقضاء

فيمسكُها إذا ما شاء ربي ... ويرسلُها إذا نفذ القضاءُ

٥٢٤ - «درس في الورع»

تروي كتب الأدب والتاريخ أن أخت بِشر الحافي ذهبت إلى الإمام أحمد فقالت: إنا قوم نغزل بالليل ومعاشنا منه، وربما يمر بنا مشاعل الظاهرية - حرس بني ظاهر ولاة بغداد- ونحن على السطح فنغزل في ضوئهـا الطاقة والطاقتين، أفتحلّه لنا أم تحـرّمه... ؟! فقال لها: مَـنْ أنت..؟ قالت: أخت بِشْـر.. فقال: آه يـا آل بشر .. لا عدمـتكم.. لا أزال أسمع الـورع الصافي من قِبَـلكم .. ! ويروى أن أحمـدْ - رحمه الله - بكـى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق .. لا تغزلي في شعاعها.



٥٢٥ - «لعنوا الحجاج واستغفروا له»

كان لرجل من المعتزلة جار يرى رأي الخوارج ، كثير الصلاة والصيام، حسَن العبادة، فقال المعتزلي لرجلين من أصحابه:

مُرا بنا إلى هذا الرجل فنكلِّمه ، لعل الله يهديه من الضلالة .

فأتوه وكلَّمـوه ، فأصغى إلى كـلامهم ، فلما سكتـوا لبس نعله، وقام ومعـه القوم حتى وقف على باب المسجد، فـرفع صوته بالقراءة ، واجتمع إليه الناس فقـرأ ساعة حتى بكى الناس، ثم وعظ فأحسن، ثم ذكر الحجاج فقال:

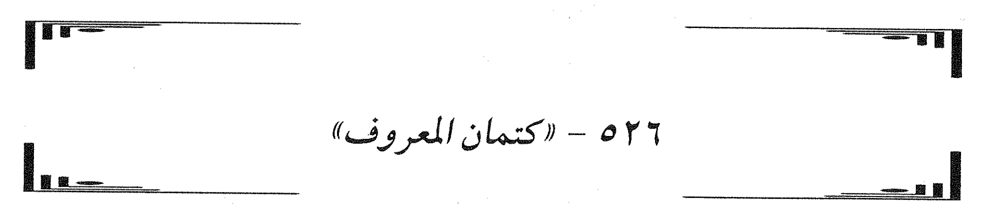
أحرق المصـاحف ، وهدم الكعبة ، وفـعل وفعل، فـالعنوه لعنه الله ، فلعنه الناس ورفعوا أصواتهم .

ثم قال: يا قوم ، وما علينا من ذنوب الحجاج ومن أن يغفر الله له ولنا معه فإنا كلنا مذنبون ، لقد كان الحجاج غيوراً على حُرَم المسلمين، تـاركًا للغدر، ضابطًا للسبيل، عفيفًا عن المال، لم يتخـذ صنيعة، ولم يكن له مال، فـما علينا أن نترحم عليه، فـإن الله رحيم

يحب الراحمين! .

ثم رفع يده ، ودعا بالمغفرة للحجاج ، ورفع القوم أيديهم، وارتفعت الأصوات بالاستغفار .

فلما فرغ الخارجي وانصرف، ضرب بيده إلى منكب المعتزلي، وقال: هل رأيت مثل هؤلاء القوم؟ لعنوه واستغفروا له في ساعة واحدة! أَتَنْهَى عن دماء أمثال هؤلاء؟! والله لأجاهدنهم مع كل من أعانني عليهم! .



٥٢٦ - «كتمان المعروف»

أراد جعفر البرمكي يومًا حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيسًا فيه ألف دينار، وقال له:

سأنزل إلى الأصمعي، وسيحدثني ويضحكني، فإذا رأيتني قد ضحكت فضع الكيس بين يديه .

فلما دخل رأى جرَّة مكسورة العروة . وقصعة مُشَعَّبة ، ورآه على مصلًّى بالٍ. وعليه بركان أجرد ، فغمز جعفر غلامه بعينه ألا يضع الكيس بين يديه، ولا يدفع إليه شيئًا، فلم يدع الأصمعي شيئًا مما يُضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه، فما تبسم جعفر .

فقال له إنسان: ما أدري من أي أمريك أعجب: أمن صبرك على الضحك وقد أورد عليك ما لا يُصبر على مثله. أم من تركك إعطاءه ، وقد كنت عزمت على إعطائه؟ .

قال جعفر: ويلك ! إني والله لو علمتُ أنه يكتم المعروف بالفعل لما احتفلتُ بنشره له باللسان، وأين يقع مديح اللسان من مديح آثار الغنى على الإنسان؟ فاللسان قد يكذب، والحالُ لا تكذب، فلستُ بعائد إلى هذا بمعروفٍ أبدًا! .



٥٢٧ - «الجواسيس والخليفة»

مشى الخليفة القادر بالله ذات ليلة في أسواق بغداد. فسمع شخصًا يقول لآخر: لقد طالت دولة هذا المشؤم، وليس لأحد عنده نصيب.

فأمر خادمًا كان معه أن يحضره بين يديه، فلما سأله عن صنعته قال: إني كنت من السُّعاة(١) الذين يستعين بهم أرباب الدولة على معرفة أحوال الناس، فمذ ولي أمير المؤمنين أقصانا وأظهر الاستغناء عنا، فتعطّلت معيشتنا وانسكر جاهُنا.

فقال له: أتعرف مَن في بغداد من السعاة مثلك ؟ .

قال : نعم .

فأحضر كاتبًا ، وكتب أسماءهم ، وأمر بإحضارهم، ثم أجرى لكل واحد منهم معلومًا، ونفاهم إلى الثغور القاصية ، ورتبهم هناك عيونًا على أعداء الدين.

ثم التفت القادر إلى من حوله وقال: اعلموا أن هؤلاء قد ركَّب الله فيهم شراً ، وملأ صدورهم حقدًا على العالم، ولابد لهم من إفراغ ذلك الشرّ. فالأولى أن يكون ذلك في أعداء الدين ، ولا نُنَغِّص بهم المسلمين.

٥٢٨ - «أمير الأندلس وجاريته»

كتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم صاحب الأندلس إلى الفقهاء يستدعيهم إليه. وكان عبد الرحمن قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حبّاً شديدًا، فعبث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها. ثم ندم ندمًا شديدًا.

فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته. فقال يحيى بن يحيى الليثي: يكفّر ذلك

(١) **السعاة**: العيون والجواسيس.

بصوم شهرين متتابعين.

فلما بدر يحيى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء. حتى خرجوا من عند الأمير، فقالوا ليحيى: ما لَكَ لم تفته بمذهب الإمام مالك، فعنده أنه مخيّر بين العتق، والطعام، والصيام؟.

فقال: لو فتحنا له هذا الباب سَهُل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة. ولكن حملتُه على أصعب الأمور؛ لئلا يعود.

٥٢٩ - «سارقو البطيخ»

حكى ابن حمدون النديم أن الخليفة المعتضد العباسي كان قد شرط علينا أنا إذا رأينا منه شيئًا ننكره نقول له، وإن اطّلعنا على عيب واجهناه به، فقلت له يومًا:

يا مولانا، في قلبي شيء أردت سؤالك عنه منذ سنين.

قال: ولم أخّرته إلى اليوم؟.

قلت: لاستصغاري قدري ولهيبة الخلافة.

قال: قل ولا تخف.

قلت: اجتاز مولانا ببلاد فارس، فتعرّض الغلمان للبطيخ الذي كان في تلك الأرض، فأمرتَ بضربهم وحبسهم، وكان ذلك كافيًا. ثم أمرت بصلبهم، وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصلب.

فقال: أوَتحسب أن المصلَّبين كانوا أولئك الغلمان؟ وبأي وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة لو صلبتهم لأجل البطيخ؟ وإنما أمرت بإخراج قوم من قطّاع الطريق كان وجب عليهم القتل، وأمرتُ أن يُلْبَسوا أقبية[1] الغلمان وملابسهم إقامة للهيبة في قلوب العسكر، ليقولوا: إذا صلب أخصّ غلمانه على غَصْب البطيخ، فكيف يكون على غيره؟ وكنت قد

(١) **القباء**: ثوب يُلبس فوق الملابس.

أمرت بتلثيمهم ليستتر أمرهم على الناس.

٥٣٠ - «الآن ما أرى شيئًا»

تبصّر الناس هلال شهر رمضان، فلم يره أحد غير أنس بن مالك الأنصاري ، وقد قارب المائة سنة من العمر، فشهد بذلك عند القاضي إياس بن معاوية. فقال إياس:

أشِرْ لنا إلى موضعه. فجعل يُشير ولا يرونه. فتأمّل إياس، وإذا شعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه، فمسحها إياس وسوّاها ، ثم قال له : أرِنا موضع الهلال. فنظر فقال: ما أرى شيئًا.

٥٣١ - «من ذاقه لم يفلح»

دخل شريك النخعي على الخليفة المهدي يومًا. فقال المهدي له : لابد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال.

قال: وما هن ياَ أمير المؤمنين؟.

قال : إما أن تلِي القضاء، أو تحدّث ولدي وتعلّمهم، أو تأكل عندي أكلة.

ففكر ساعة ثم قال : الأكلة أخفها على نفسي.

فأجلسه المهدي، وتقدّم إلى الطباخ أن يُصلح له ألوانًا من المخ المعقود بالسكّر والعسل وغير ذلك.

فلما فرغ شريك من الأكل ، قال الطباخ : والله يا أمير المؤمنين، ليس يُفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبدًا.

وكان أن قبل شريك بعد ذلك أن يحدّثهم، وأن يعلّم أولادهم، وأن يلي القضاء لهم.

٥٣٢ - «الحل هو الزواج»

حدّث شيخ يُعرف بأبي عبيدة كان ينادم إسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، قال:

استدعاني إسحاق المصعبي ذات ليلة في نصف الليل، فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره، فأُدخِلْتُ من دار إلى أخرى إلى أن أُدخلت دار الحرم ، فاشتد جزعي، وسمعت في الدهليز بكاء امرأة متخافتًا . وكان إسحاق جالسًا على كرسي. وبين يديه سيف مسلول.

فقال : اجلس يا أبا عبيدة. فسكن روعي، وجلست. فرمى إليّ برقاع أصحاب الشُّرط في الأرباع، يخبر كل واحد منهم بخبر يومه، وفي أكثرها كبسات وقعت، بنساء من بنات الوزراء والرؤساء من الكتّاب وبنات القُوّاد والأمراء، مع رجال على رِيب، وإنهن مُحَصَّلات في الحبوس، ويُستْأذن في أمرهن.

فقلت : قد وقفتُ على هذه الرقاع، فما يأمرني الأمير؟ .

فقال : إن هؤلاء كلهن أجَلُّ آباء مني، وأكثر حسبًا ومالاً، وقد أفضى بهن الدهر إلى ما قد رأيت. وقد وقع لي أن بناتي سيبلغن إلى هذا . وقد جمعتهن -وهن خمس- بالقرب من هذا الموضع لأقتلهن كلهن الساعة وأستريح . فما ترى في هذا ؟.

فقلت : أيها الأمير ، إن آباء هؤلاء المحبسات أخطأوا في تدبيرهن، لأنهم خلّفوا عليهن النِّعم، ولم يحفظوهن بالأزواج، فخلون بأنفسهن ففسدن، ولو كانوا علّقوهن على الأكفاء ما جرى هذا منهن. والذي أراه أن تستدعي فلانًا القائد ، فله خمسة بنين ، كلهم جميل الوجه، حسن النشأة ، فتزوّج كل واحدة منهن بواحد . فتُكْفَى العار والنار.

فقال : أحسنتَ يا أبا عبيدة، أنفذوا الساعة إليه.

فراسلتُ الرجل، فما طلع الفجر حتى حضر وأولاده ، وعقدت النكاح لهم على بنات إسحاق في خطبة واحدة.

٥٣٣ - «إني أرى في الكتاب ما لا ترون»

كـان سديد المُلـكِ، وهو أول من ملك قلعـة شَيْـزَرَ من بني منقـذ، موصوفًـا بقوة الفطنة، وتنقل عنه حكاية عجيبة، وهي أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملّكه شيزر، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك مـحمود بن صالح بن مرداس، فجرى أمـر خاف سديد الملك على نفسه منه، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام.

فتقدّم محمود بن صالح إلى كاتبه أن يكتب إلى سـديد الملك كتابًا يتشوّقه ويستدعيه إليه، ففهم الكاتب أنه يقصد له شراً . وكان صـديقًا لسديد الملك. فكتب الكتاب كما أُمِر إلى أن بلغ إلى «إن شاء الله تعالى» ، فشدد النون وفتحها.

فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على من بمجلسه من خواصه، فاستحسنوا عبارة الكتاب، واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه. فقال سديد الملك :

إني أرى في الكتاب ما لا ترون.

ثم أجابه عن الكتاب بما اقـتضاه الحال، وكتب في جملة الكتـاب : «أنا الخادم المقر بالإنعام» . وكـسر الهمزة من أنا، وشـدد النون. فلما وصل الكتاب إلى محـمود، ووقف عليه الكاتب ، سُرَّ الكاتب بما فيه، وقال لأصدقائه:

قد علمتُ أن الذي كتبتُه لا يخفى على سديد الملك، وقد أجاب بما طيَّب نفسي.

وكان الكاتب قد قصـد قول الله تعالى: ﴿**إن الملأ يأتمرون بك ليـقتلوك**﴾ ، فأجاب سديد الملك بقوله تعالى: ﴿**إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها** ﴾ .

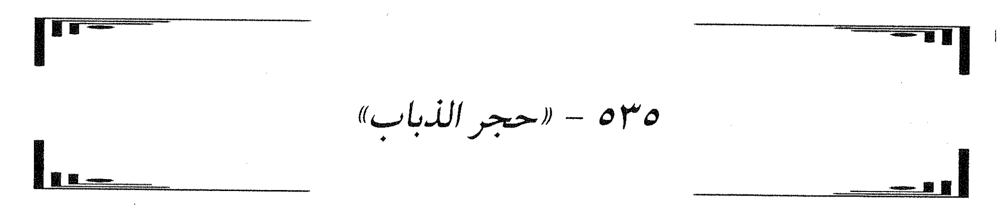
٥٣٤ - «يقولون : لولا ذلك العلاج »!

خبّرني ثمامة عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال:

قال لي بختيشوع بن جبريل الطبيب: إن الذباب إذا دُلك به موضعُ لَسْعةِ الزنبور سكَن.

فلسعني زنبور، فحككْتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن إلا في قَدْر الزمان الذي كان يسكُنُ فيه من غير علاج. فلم يبق إلا أن يقول بختيشوع: كان هذا الزنبور حتفًا قاضيًا، ولولا هذا العلاج لقتلك.

وكذلك الأطباء: إذا سقَوا دواء فضرّ، أو قطعوا عِرقًا فضرّ، قالوا: أنت مع هذا العلاج الصواب تجد ما تجد، فلولا ذلك العلاج كنت الساعة في نار جهنم.



٥٣٥ - «حجر الذباب»

حدّث رجل خراساني من بعض أصحاب الصنعة، ممن كان يعرف بالأحجار الخواصية[1]. قال:

اجتزت ببائع في الطريق بمصر، فرأيت عنده حجرًا أعرفه، يكون وزنه خمسة دراهم، مليح المنظر. وكنت أعرف أن خاصيته في طرد الذباب، وكنت في طلبه منذ سنين كثيرة. فحين رأيته ساومته فيه، فاستام عليّ به خمسة دراهم، فلم أماكسه[2] ودفعتها إليه. فلما حصلت في يده، وحصل الحجر في يدي، أقبل يسخر مني ويقول: يجيء هؤلاء الحمير لا يدرون إيش يعطون، ولا إيش يأخذون، هذه الحصاة رأيتها منذ أيام مع صبي، فوهبت له دانق فضّة وأخذتها، وقد اشتراها هذا الأحمق مني بخمسة دراهم.

فرجعت إليه وقلت له: يجب أن أعرّفك أنك أنت الأحمق، لا أنا.

قال: كيف؟. قلت: قم معي حتى أعرّفك ذلك. فأقمته ومضينا حتى اجتزنا ببائع يبيع التمر في قصعة، والذباب محيط بها. فنحيّت الرجل بعيدًا من القصعة، وجعلت الحجر عليها، فحين استقر عليها طار جميع الذباب، وتركته ساعة وهي خالية من الذباب. ثم أخذت الحجر، فرجع الذباب، ثُم رددته فطار، وفعلت ذلك ثلاث مرات،

---

(١) الخواصية: التي تنفرد بخصائص معينة. (٢) أي: لم أناقشه.

ثم خبأت الحجر. وقلت : يا أحمق، هذا حجر الذباب ، وقد قدمت في طلبه من خراسان، يجعله الملوك عندنا على موائدهم فلا يقربها الذباب، ولا يحتاجون إلى مذبّة[١] ولا إلى مروحة. والله لو لم تبعني إياه إلا بخمسمائة دينار لاشتريته منك.

فشهق شهقة قدّرت أنه تلف، ثم أفاق منها بعد ساعة وافترقنا.

٥٣٦ - «أبو نوّاس مع شاعر الأندلس»

كان عباس بن ناصح، الشاعر الأندلسي، لا يَقْدم من المشرق قادم إلا سأله عمن نجم[٢] هناك في الشعر، حتى أتاه رجل من التجار فأعلمه بظهور أبي نواس، وأنشده من شعره قصيدتين، إحداهما قوله :

جرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجُمُوح

والثانية :

أما ترى الشمس حَلَّت الحملا

فقال عباس: هذا أشعرُ الجن والإنس، والله لا حبسني عنه حابس.

فتجهز إلى المشرق، فلما حل بغداد نزل منزلة المسافرين ، ثم سأل عن منزل أبي نواس، فأُرشد إليه، فإذا بقصر على بابه الخُدَّام. فدخل مع الداخلين، ووجد أبا نواس جالسًا في مقعد نبيل، وحولَه أكثر متأدّبي بغداد، يجري بينهم التمثل والكلام في المعاني ، فسلّم عباس وجلس حيث انتهى به المجلس ، وهو في هيئة السفر.

فلما كاد المجلس ينقضي ، قال له أبو نواس : مَن الرجل؟.

قال : باغي أدب.

قال: أهلاً وسهلاً. من أين تكون؟.

قال: من المغرب الأقصى، وانتسب له إلى قرطبة.

(١) أي: المنشَّة.

(٢) نَجَم: أي: ظهر.

فقال له : أتروي من شعر أبي المخشي شيئًا؟ .

قال: نعم.

قال: فأنشِدني.

فأنشده شعره في العمى. فقال أبو نواس:

هذا الذي طَلَبَتْه الشعراء فأضَلَّتْه . أنشِدني لأبي الأجرب.

فأنشده. ثم قال : أنشدني لبكْر الكنانيّ.

فأنشده . ثم قال أبو نواس: شاعر البلد اليوم عباسُ بن ناصح؟.

قال عباس : نعم.

قال : فأنشِدني له. فأنشده :

فأدْتُ القَريض ومَن ذا فأدْ

فقال أبو نواس: أنت عباس؟.

قال : نعم. فنهض أبو نواس إليه فاعتنقه إلى نفسه، وانحرف له عن مجلسه. فقال له من حضر المجلس: من أين عرفتَه أصلحك الله ؟.

قال أبو نواس: إني تأمّلته عند إنشاده لغيره، فرأيته لا يبالي ما حدث في الشعر من استحسان أو استقباح، فلما أنشدني لنفسه استَبَنْتُ عليه وَجْمَةً، فقلت: إنه صاحب الشعر.

٥٣٧ - «نعل رسول الله ﷺ»

قعد الخليفة المهدي قعودًا عامًا للناس، فدخل رجل وفي يده نعل في منديل، فقال : يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك.

فقال : هاتها . فدفعها إليه، فقبّل المهدي باطنها ووضعها على عينيه، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم، فلما أخذها وانصرف، قال المهدي لجلسائه: أترون أني لم أعلم أن

رسول الله ﷺ لم ير النعل هذه، فضلاً عن أن يكون لبسها ؟ غير أننا لو كذّبناه قال للناس: أتيتُ أمير المؤمنين بنعل رسول الله فردّها عليّ، وكان من يصدّقه أكثر ممن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها ، بالنصرة للضعيف على القوي، وإن كان الضعيف ظالمًا، فاشترينا لسانه، وقبلنا هديته، وصدَّقنا قوله، ورأينا الذي فعلناه أنجح وأرجح.

٥٣٨ - «أكثر الناس يقرأها بالفتح»

قرأ الخليفة المتوكل يومًا، وبحضرته وزيره الفتح بن خاقان : ﴿**وما يُشْعِرُكُم أنَّها إذا جاءت**﴾ . فقال له الفتح : يا سيدي ، ﴿**إنها إذا جاءت**﴾ بالكسر.

ووقعت المشاجرة ، فتراهنا على عشرة آلاف دينار، وتحاكما إلى يزيد بن محمد المهلَّب الشاعر -وكان صديقًا للمبرّد- فلما وقف يزيد على ذلك خاف أن يسقطَ أحدهما ، فقال : والله ما أعرف الفرق بينهما، وما رأيت أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالم متقدم. فقال المتوكل : فليس ها هنا من يُسأل عن هذا ؟.

قال: ما أعرف أحدًا يقدم فتى بالبصرة يُعرف بالمبرّد.

فقال : ينبغي أن يُشخَص.

فلما أُدْخِل المبرّد على الفتح بن خاقان . قال له : يا بصريّ، كيف تقرأ هذا الحرف: ﴿**وما يُشعرِكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾ بالكسر ، أو ﴿**أنها إذا جاءت**﴾ بالفتح؟.

قال المبرد: ﴿**إنها**﴾ بالكسر. وذلك أن أول الآية : ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يُشْعِرِكم**﴾ ، ثم قال تبارك وتعالى: يا محمد ﴿**إنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾ باستئناف جواب الكلام المتقدم.

قال الفتح : صدقت. ثم ركب إلى دار أمير المؤمنين، وعرفه بقدوم المبرد، وطالبه بدفع ما تخاطرا عليه .

فأمر المتوكل بإحضار المبرد، فلما وقعت عينه عليه قال : يا بصريّ كيف تقرأ هذه

الآية : ﴿وما يشعركم إنها إذا جاءت﴾ بالكسر، أو ﴿أنها إذا جاءت﴾ بالفتح؟ .

قال المبرّد: يا أمير المؤمنين، أكثر الناس يقرأها بالفتح .

فضحك المتوكل وضرب برجله اليسرى، وقال : أحضر يا فتحُ المال .

فقال : إنه والله يا سيدي قال لي خلاف ما قال لك .

فقال المتوكل : دعني من هذا. أحضر المال .

وخرج المبرّد ، فلم يصل إلى الموضع الذي كان أنزِلَه حتى أتته رسل الفتح. فلما أتاه قال له : يا بصريّ ، أول ما ابتدأنا به الكذب .

قال المبرد: ما كذبتُ .

فقال : كيف وقد قلتَ لأمير المؤمنين إن الصواب : ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت﴾ بالفتح ؟ .

فقال : أيها الوزير، لم أقل هكذا، وإنما قلت : أكثر الناس يقرأها بالفتح. وأكثرهم على الخطأ، وإنما تخلَّصتُ من اللائمة، وهو أمير المؤمنين، فقال الفتح : أحسنت .

٥٣٩ - «الأخَوَان والحيّة»

حج الخليفة عبد الملك بن مروان في بعض أعوامه ، فخطب في أهل المدينة وقال : مَثَلُنا ومَثَلُكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة. فلما دنا الرواح خرجت إليهما حية تحمل ديناراً فألقته إليهما .

فقالا : إن هذا لَمِن كنز .

فأقاما عليها ثلاثة أيام، كل يوم تُخرج إليهما ديناراً. فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال له : ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال .

فأبى عليه، وأخذ فأسًا معه، ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها. فثارت الحية فقتلته، ورجعت إلى حجرها.

فقام أخوه فدفنه، وأقام حتى إذا كان من الغد، خرجت الحية معصوبًا رأسها ليس معها شيء.

فقال لها : يا هذه، إني والله ما رضيتُ ما أصابك، ولقد نهيتُ أخي عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضرّيني ولا أضرّك ، وترجعين إلى ما كنت عليه؟.

قالت الحية : لا.

قال : ولِمَ ذلك؟.

قالت: إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدًا وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبدًا وأنا أذكر هذه الشجة.

فيا أهل المدينة، ولِيَكُم عمر بن الخطاب فكان فظّاً غليظًا مُضَيِّقًا عليكم. فسمعتم له وأطعتم. ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ليّنًا كريمًا فعَدَوْتم عليه فقتلتموه.

وبعثنا عليكم مسْلمًا يوم الحَرَّة فقتل منكم من قتل فنحن نعلم أنكم لا تحبوننا أبدًا وأنتم تذكرون يوم الحَرَّة. ونحن لا نحبّكم أبدًا ونحن نذكر مقتل عثمان.

٥٤٠ - «سُرقت إن شاء الله !»

خرج رجل إلى السوق يشتري حمارًا، فلقيه صديق له ، فسأله أين هو ذاهب ؟ فقال : إلى السوق لأشتري حمارًا.

فقال : قل إن شاء الله .

قال: ليس ها هنا موضع إن شاء الله ، الدراهم في كمّي، والحمار في السوق.

فبينما هو يطلب الحمار، سُرقت منه الدراهم، فرجع خائبًا ، فلقيه صديقه فقال له:

ما صنعت؟. قال: سُرِقت الدراهم إن شاء الله.

٥٤١ - «الصبي الغريق»

لما انتصر جيش الخليفة المعتضد على هارون الشاري ، نُصبت القِباب ببغداد ، وزُيِّنت الطرقات ، وتكاثف الناس على الجسور، فانخسف بهم الجسر الأعلى وسقط على زورق مملوء ناسًا ، فغرق في ذلك اليوم نحو من ألف نفس، واستُخرج الغرقى من نهر دجلة بالكلاليب وبالغاصة، وارتفع الضجيج ، وكثر الصراخ من الجانبين جميعًا.

فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغاصة صبيّاً عليه حلي فاخرة من ذهب وجوهر، فبصر به شيخ من النظارة ، فجعل يلطم وجهه حتى أدمى أنفه، ثم تمرّغ في التراب، وجعل يصيح : ابني ! لم تَمُتْ إذ أخرجوك صحيحًا سويّاً لم يأكلك السمك ! ليتني يا حبيبي كحلت عيني بك مرة قبل الموت. وأخذه فحمله على حمار، ثم مضى به.

فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا. حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار ، حين بلغه الخبر ، وهو لا يشك إلا أن الصبي في أيديهم، وليس يهمه ما كان عليه من حليّ وثياب، وإنما أراد أن يكفِّن ابنه ويصلِّي عليه ويدفنه، فخبّره الناس بالخبر، فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين، وسألوا عن الشيخ المحتال واستبحثوا فإذا لا عين ولا أثر.

٥٤٢ - «إلى بيتنا والله يذهبون!»

قال ابن درّاج الطُّفَيلي: مرّت بي جنازة ومعي ابني ، ومع الجنازة امرأة تبكي الميت ، وتقول: بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء[1] ، ولا ضيافة ولا غطاء. ولا خبز

---

(١) أي: ما تفترشه.

فيه ولا ماء. فقال لي ابني: يا أبة، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة.

٥٤٣ - «المعتضد والمال المسروق»

مما ذكر من خبر الخليفة المعتضد وحزمه في الأمور وحيله، أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بِدَر[١]، فحملت إلى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم، فنُقب[٢] منزله في تلك الليلة. وأُخِذت العشر بدر فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال، فأمر بإحضار صاحب الحرس، وقال له: إن هذا المال للسلطان والجند، ومتى لم تأت به أو بالذي نقبه وأخذ المال، ألزمك أمير المؤمنين غُرمَه.

فجدّ في طلبه، وأحضر التوابين والشرط (والتوابون هم شيوخ اللصوص الذين كبروا وتابوا، فإذا جرت حادثة علموا من فِعْل مَن هي، فدلّوا عليه، وربما يتقاسمون واللصوص ما سرقوه). فتقدم إليهم في الطلب، وتهدّدهم وأوعدهم فتفرّق القوم في الدروب والأسواق والمواخير[٣] ودور القمار، فما لبثوا أن أحضروا رجلاً نحيفًا ضعيف الجسم، رث الكسوة، فقالوا: يا سيدي، هذا صاحب الفعلة، وهو غريب من غير هذا البلد.

فأقبل عليه صاحب الحرس، فقال له: ويلك، من كان معك؟ ما أظنك تقدر على عشر بِدَر وحدك في ليلة. فما زاده على الإنكار شيئًا، فأقبل يترفق به، ويعِدُه أن يرزقه ويعظم جائزته، ويتوعده بكل مكروه، وهو على إنكاره. فلما غاظه ذلك ويئس من إقراره، أخذ في عقوبته، وضربه بالسوط على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه، حتى لم يكن للضرب فيه موضع، وبلغ به ذلك إلى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق، ولم يقرّ بشيء. وبلغ ذلك المعتضد، فأحضر صاحب الجيش، وقال له: ويلك، تأخذ لصّاً قد سرق من بيت المال عشر بدر، فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال؟! فأين حِيَل الرجال؟ أحضرني الرجل. فأتى به، وسأله فأنكر، فقال له:

---

(١) بدر: كيس به عشرة آلاف درهم. (٢) **نقب الحائط**: خرقه.

(٣) **المواخير**: دور الفسوق والفجور.

ويلك، إن متَّ لم ينفعك ، وإن برئت من هذا الضرب ونجوت لم أدعك تصل إليه. فلك الأمان والضمان على ما تُصلح به حالتك.

فأبى إلا الإنكار ، فقال المعتضد : عليّ بأهل الطِّب. فأُحضروا . فقال : خذوا هذا الرجل إليكم، فعالجوه بأرفق العلاج، وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء ، واجتهدوا أن تُبرئوه في أسرع وقت. فأخذوه إليهم، حتى صح وقوي جسمه، وظهر لونه، ورجعت إليه نفسه. ثم أمر المعتضد بإحضاره ، فلما حضر بين يديه، سأله عن حاله، فدعا وشكر، وقال : أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين.

ثم سأله عن المال ، فعاد إلى الإنكار، فقال له : لستَ تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله، أو وصل إليك بعضه. فإن كنت أخذته كله فإنك تنفقه في أكل وشرب ولهو، ولا أظنك تفنيه قبل موتك، وإن مت فعليك وزره، وإن كنتَ أخذتَ بعضه سمحنا لك به، فأقرّ لنا به وأقر على أصحابك، فإني أقتلك إن لم تقرّ، ولا ينفعك بقاء المال بعدك ، ولا يبالي أصحابك بقتلك ، ومتى أقررت دفعت إليك عشرة آلاف درهم، ورسمتك من التوابين ، وأجريت لك في كل شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك، وتنجو من القتل، وتتخلص من الإثم.

فأبى إلا الإنكار فاستحلفه فحلف، وأظهر له مصحفًا واستحلفه فحلف عليه. فقال المعتضد: إني سأظهر على المال[1] فإن أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتُك فأبى إلا الإنكار. فقال له : فضع يدك على رأسي واحلف بحياتي.

فوضع يده على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه، وأنه مظلوم متهم، وأن التوابين قد تبرءوا به، فقال له المعتضد : فإن كنتَ قد كذبتَ قتلتك وأنا بريء من دمك؟. قال : نعم.

فأمر الخليفة بإحضار ثلاثين أسود، وأمرهم أن يتناوبوا في ملازمته، فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكئ ولا يتسند ولا يستلقي ولا يضطجع ، وكلما خفق[2] خَفْقة لُكِم في فكّه وضُرب على رأسه، حتى إذا ضعف وقارب التلف، أمر المعتضد بإحضاره، فأعاد عليه ما كان خاطبه به ، فحلف أنه ما أخذ المال، ولا يعرف من أخذه ، فقال المعتضد لمن حضر : قلبي يشهد أنه بريئ ، وأن ما يقوله حق .

---

(١) أي: سأجده.

(٢) أي: كلما نعس.

ثم أمر بإحضار مائدة عليها طعـام، وأحضر بارد الشراب ، وأمره بالجلوس . فأقبل يأكل ويشرب ، ويُحَثّ على الأكل ويُلقم ويعاد الشراب عليه ويكرّر ، حتى لم يبق للأكل والشرب مـوضع. ثم أمر ببخـور وطيب. فبُخِّـر وطُيِّب، وأُتي له بحشيـة ريش فوطِّئ له ومُهِّد . فلمـا استلقى واستراح وغفـا، أمر المعتضـد بإزعاجه وسرعة إيقـاظه ، فحُمل من موضعه حـتى أُقعد بين يديه وفي عينيه الوَسَن ، فقال له : حـدثني كيف صنعت ؟ وكيف نقبت ؟ ومن أين خرجت؟ وإلى أين ذهبت بالمال ؟ ومن كـان معك؟ . قال: ما كنت إلا وحدي، وخرجتُ من النقب الذي دخلت منه، وكان مقابل الدار حمّام له كوم شوك يوقد به، فأخذت المال، ورفعت ذلك الشوك فوضعته تحته، وغَطَّيْتُهُ، وهو هنالك.

فأمر بردّه إلى فراشـه ، فردّوه وأضجعوه عليه. ثم أمر بإحضـار المال، فأُحضر عن آخره. وأحـضر صـاحب الحـرس والوزير والجلساء، وقـد غطى المال بالبسـاط ناحيـة من المجلس، ثم أمر بإيقاظ اللص وقـد اكتفى من النوم وذهب عنه الوَسَن ، فقـال له بحضرة الجميع مثل قوله الأول، فجحد وأنكر. فأمر بكشف البساط ، وقال له : أليس هذا المال ؟ ألم تفعل كذا وكـذا ؟ يصف له ما حدثه به . فأسقط في يد اللص ، ثم أمـر فقبض على يديه ورجليـه وأوثق، ثم أمر بمنفـاخ فنفخ في دُبُره ، وأتي بقطن فـحشى في أذنيـه وفمـه وخيشومه، وأقبل ينفخ وقد خلّى عن يديه ورجليه من الوثاق ، وأمسك بالأيدي وقد صار كأعظم مـا يكون من الزِّقاق المنفوخـة، وقد ورم سائر أعضـائه وعظم جسمه، وعـيناه قد امتلأتا وبَرَزتـا. فلما كاد أن ينشق ، أمر بعض الأطبـاء فضربه في عرقين فـوق الحاجبين، فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير، إلى أن خمد ومات.

٥٤٤ - ذكر رؤيا ذي النورين

يروي ابن عمر -رضي الله عنهما- فيقول: إن عثمان أصبح يحدث الناس ، ال: رأيت النبي ﷺ الليلة في المنام، فـقال : «**يا عثمان ، أفطر عندنا**» فأصبح صائمًا ، وقُتِل من يومه. وقُتِل -رضي الله عنه- والمصحف بين يديه.

٥٤٥ - «إني لا أصافح النساء»

عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة يبايعنه فقلنا : نبايعك يا رسول الله ، على أن لا نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف، فقال رسول الله ﷺ : «**فيما استطعتن وأطقتن**» فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلمّ نبايعْك يا رسول الله، فقال : «**إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة**».

٥٤٦ - «أبشري بالولد العتيق»

اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : وعيشك يا رسول الله ، ما سجدتُ لصنم قط، فغضب عمر بن الخطاب، وقال : تقول : وعيشك يا رسول الله ما سجدتُ لصنم قط، وقد كنتَ في الجاهلية كذا وكذا سنة ؟ فقال أبو بكر: ذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع الأصنام، فقال لي : هذه آلهتك الشمّ العوالي فاسجد لها، وخلاّني وذهب.

فدنوت من الصنم، وقلت له : إني جائع فأطعمني، فلم يجبني، فقلت : إني عطشان فاسقني ، فلم يجبني، فقلت له : إني عار فاكسني، فلم يجبني، فأخذت صخرة، وقلت : إني مُلْقٍ هذه الصخرة عليك، فإن كنت إلاهًا فامنع نفسك فلم يجبني ، فألقيت عليه الصخرة، فخرَّ لوجهه، فأقبل والدي، وقال : ما هذا يا بني؟ فقلت : هو الذي ترى.

فانطلق بي إلى أمي، فأخبرها، فقالت : دَعْه فهذا الذي ناجاني به الله فقلت : يا أماه، ما الذي ناجاك به الله ؟ فقالت : ليلة جاءني المخاض لم يكن عندي أحد، فسمعت هاتفًا يهتف ، فأسمع الصوت ولا أرى الشخص، وهو يقول: يا أمَةَ الله، أبشري بالولد

العتيق ، اسمه في السماء صدّيق.

٥٤٧ - «إن أحسنت فأعينوني»

أخرج ابن سعد عن عروة قال : لما ولي أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ، خطب الناس ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد أيها الناس : قد وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسن النبي ﷺ السنن، فعلمنا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحمق الحُمق الفجْور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متَّبع ، ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زُغت فقوِّموني، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم.

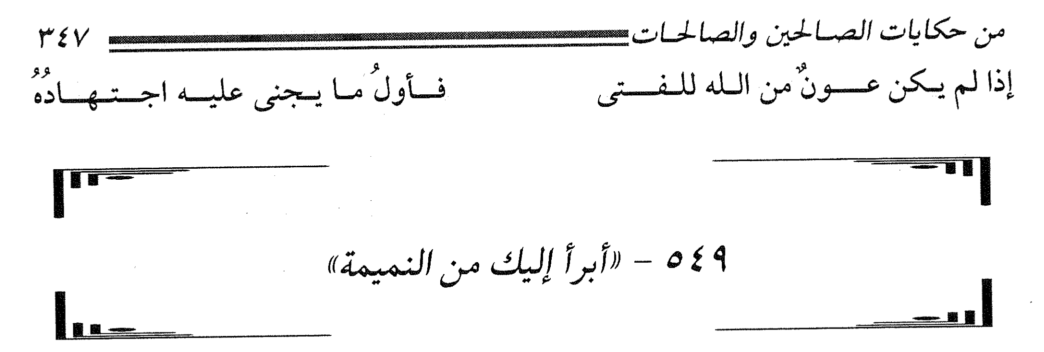
٥٤٨ - «إن للمحن أوقاتًا»

قصد أعرابي أمير المؤمنين علياً -كرم الله وجهه- فقال : إني ممتحَنٌ، فعلمني شيئًا أنتفع به.

فقال : يا أعرابي إن للمحن أوقاتًا، ولها غايات ، فاجتهاد العبد في محنته قبل إزالة الله تعالى إياها، زيادة فيها، يقول الله عز وجل : **﴿إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾** [سورة الزمر: ٣٩] ولكن ، استعن بالله واصبر، وأكثر من الاستغفار ، فإن الله عز وجل وعد الصابرين خيرًا، وقال : **﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾** [سورة نوح : ١٠ - ١٢] فانصرف الرجل.

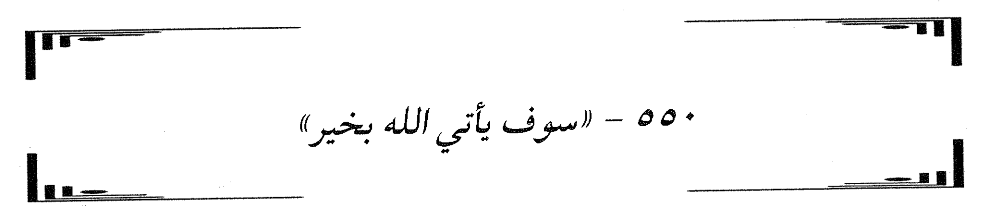
فقال أمير المؤمنين علي -كرم الله وجهه- :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأولُ ما يجنى عليه اجتهادُهُ



٥٤٩ - «أبرأ إليك من النميمة»

باع رجل من رجل غلامًا له، وقال : أبرأ إليك من النميمة فاشتراه على ذلك، فجاء إلى مولاته، فقال : إن زوجك ليس يحبك، وهو يتسرّى عليك ويتزوج، أفتريدين أن يعطف عليك ؟ قالت : نعم، قال : خذي موسى فاحلقي به شعرات من باطن لحيته، وبخِّريه بها، وجاء إلى الرجل ، قال : إن امرأتك تبغي ، وتصادق وهي قاتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك قال : نعم، قال : تناوم لها ، فجاءت بموسى تحلق الشعر، فأخذها فقتلها ، فأخذه أولياؤها فقتلوه .



٥٥٠ - «سوف يأتي الله بخير»

كان ابن شهاب الزهري من أسخى الناس ، كان يُعطي كل من جاءه وسأله، حتى إذا لم يبق شيء تسلَّف من أصحابه، فيعطونه، حتى إذا لم يبق معهم شيء حلفوا له أنه لم يبق معهم شيء فيستسلف من عبيده فيقول لأحدهم : يا فلان، أسلفني كما تعرف ، وأُضَعّف لك كما تعلم فيُسلفونه، ولا يرى بذلك بأسًا، وربما جاءه السائل فلا يجد ما يعطيه فيتغيّر عند ذلك وجهه، فيقول للسائل: أبشر فسوف يأتي الله بخير، قال: فيقيِّض الله لابن شهاب على قدر صبره واحتماله.

٥٥١ - «إذا رأيتم الخير فخذوا به»

أخرج ابن جرير أن أول خطبة خطبها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حين

استُخلف حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عز وجل أنزل كتابًا هاديًا بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير، ودعوا الشر، الفرائض أدوها لله سبحانه يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حُرمًا غير مجهولة، وفضّل حرمة المسلم على الحُرم كلها، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة، فإن الناس أمامكم، وإنما من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس آخرهم، اتقوا الله في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى البقاع والبهائم أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه، واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض.

٥٥٢ - «لا بد أن تشير عليّ»

أراد نوح بن مريم أن يزوج ابنته واستشار جارًا له مجوسياً، فقال المجوسي: سبحان الله، الناس يستفتونك وأنت تستفتيني! ، قال: لا بد أن تشير عليّ، فقال: إن رئيس الفرس كِسْرى كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال، ورئيس العرب كان يختار الحَسَب، ورئيسكم محمد كان يختار الدين، فانظر لنفسك بمن تقتدي.

٥٥٣ - «عاقبة سوء الفهم»

كان الشافعي -رحمة الله عليه- رجلاً عَطِرًا، وكان يجيء غلامُه كل غداة بغالية[١] فيمسح بها الأسطوانة التي يجلس إليها، وكان إلى جنبه إنسان من الصوفية وكان يسمى الشافعي البطال[٢]، ويقول: هذا البطال، وهذا البطال، قال: فلما كان ذات يوم عَمَدَ إلى شاربه فوضع فيه قَذَرًا، ثم جاء إلى حَلْقَةِ الشافعي، فلما شم الشافعي الرائحة أنكرها،

---

(١) **الغالية**: أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر. (٢) **رجل بطّال**: ذو باطل.

وقال: فتشوا نعالكم، فقالوا: ما نرى شيئًا يا أبا عبد الله! ، قال: فليشم بعضكم بعضًا، فوجدوا ذلك الرجل، فقالوا: يا أبا عبد الله، هذا، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: رأيت تحرُّكَ، فأردت أن أتواضع لله - عز وجل- ، قال: خذوه فاذهبوا به إلى عبد الواحد -وكان على الشرطة- فقولوا له: قال لك أبو عبد الله: اعتقل هذا إلى وقت تنصرف، قال: فلما خرج الشافعي دخل إليه فدعا به فضربه ثلاثين دِرَّة أو أربعين دِرَّة، قال: هذا بما تخطيت المسجد بالقَذَرة، وصلَّيت على غير الطهارة.

٥٥٤ - «حسن الإنصات»

كان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام، ويقول: إذا جالست الجهال فانصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم؛ فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم.

٥٥٥ - «الصمت يستر العيِّ»

حُكي عن أبي يوسف الفقيه أن رجلاً كان يجلس إليه، فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تسأل؟ قال: بلى، متى يُفطر الصائم، قال: إذا غربت الشمس، قال: فإن لم تغرب إلى نصف الليل؟ قال: فتبسم أبو يوسف -رحمه الله- وتمثل ببيتي الخَطَفَي جَدِّ جرير:

عجبت لإزراء العييِّ بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت سترٌ للعيي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما



---

(١) مسوك: جلود.

٥٥٦ - «كيف أُنْسكَ بالصديق»

قيل لأعرابي : كيف أُنسك بالصديق؟ فقال: وأين الصديق؟ بل أين الشبيه به ؟ بل أين الشبيه بالشبيه بالصديق؟ والله ، ما يوقد نار الضغائن إلا الذين يدّعون الصداقة ، ويعانون النصيحة ، وهم أعداء مُسوك[1] الأصدقاء.

٥٥٧ - «فعلهم أحسن من شعرك»

خرج داود بن سَلْم إلى حرب بن خالد فلما قدم عليه قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحطّوا عن راحلته، فلما دخل أنشده:

ولما دُفِعْتُ لأبوابهم ... ولاقيت حربًا لقيت النجاحا

وجدناه يحمده المعتفون[1] ... ويأبى على العُسْر إلا سماحا

ويُغْشَوْن حتى ترى كلبهم ... يهاب الهرير[2] وينسى النُّباحا

فأمر له بجوائز كثيرة، ثم استأذنه في الانصراف، فأذن له، وأعطاه ألف دينار، فلما خرج من عنده، وغلمانه جلوس، لم يَقُمْ أحد منهم ولم يُعِنْه ، فظنّ أن حربًا ساخط عليه، فرجع إليه وقال : أواجد[3] أنت عليَّ؟ قال: لا ، ولِمَ ذلك؟ فأخبره خبر الغلمان، قال: ارجع إليهم فَسَلْهُم، فرجع إليهم فسألهم، فقالوا: إننا ننزل الضيف ولا نرحّله.

فلما قدم المدينة سمع الغاضريُّ بحديثه، فأتاه، فقال : إني أحب أن أسمع هذا الحديث منك، فحدثه، فقال: والله إن فِعْلَ الغلمان أحسن من شعرك.

---

(١) **المعتفى**: كل طالب فضل أو رزق.

(٢) **الهرير**: صوت الكلب دون النباح.

(٣) **أواجد**: أغاضب.

٥٥٨ - «تذكر ما توعظ به»

قال جعفر بن برقان : إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كتب إلى بعض عماله فقال في آخر كتابه: «أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضى والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة فتذكر ما توعظ به لكيما تنهى عما يُنهى عنه، وتكون عند التذكرة والموعظة من أولي النهى».

٥٥٩ - «إنه لكما قلت!»

قال الأعمش : قال لي محارب بن دِثار : وليت القضاء فبكى أهلي، وعُزلتُ عنه فبكوا، فما أدري مم ذاك؟ فقلت له : وليت القضاء فكرهته، وجزعت منه فبكى أهلك، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك، فقال : إنه لكما قلت.

٥٦٠ - «هذا أثر فأسك»

حُكي أن أخوين كانا في إبل لهما، فأجدبتْ بلادهما، وكان بالقرب منهما واد خصيب، وفيه حية تحميه من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أني أتيت هذا الوادي المُكلئ[1] فرعيتُ فيه إبلي وأصلحتها فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحيَّة، ألا ترى أن أحدًا لا يهبط ذلك الوادي إلا أهلكته؟ قال : فوالله لأفعلن، فهبط الوادي ورعى به إبله زمنًا، ثم إن الحية نهشته فقتلته، فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير فلأطلبن الحية

(١) كثير العشب.

ولأقتلنها أو لأتبعن أخي، فهبط ذلك الوادي وطلب الحية ليقتلها ، فقالت الحية: ألست ترى أني قتلت أخاك فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت ؟ قال : أوَ فاعلة أنت ؟ قالت : نعم، قال : إني أفعل، وحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها، وجعلت تُعطيه كل يوم ديناراً، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً، ثم إنه ذكر أخاه، فقال : كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ ثم عمد إلى فأس فأخذها، ثم قعد لها فمرت به فتبعها، فضربها فأخطأها، ودخلت الجُحر ووقعت الفأس فوق جحرها فأثرت فيه، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرجل شرها وندم، فقال لها : هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه؟ فقالت : كيف أعاوِدُك وهذا أثر فأسك؟!.

٥٦١ - «قومي إلى اللبن فامذقيه[١] »

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال : بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعسُّ المدينة[٢] إذ أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فقالت لها : يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنية ؟ قالت : إنه أمر مناديًا ، فنادى ألا يُشاب اللبن بالماء، فقالت لها : يا بنية ، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه ، ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

وعمر يسمع كل ذلك، فقال : يا أسلم ، علِّم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى في عسيسه حتى أصبح، فلما أصبح قال : يا أسلم امض إلى الموضع ، فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ؟ وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع ، فنظرت فإذا الجارية أيمٌ لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وإذا ليس لهم رجل، فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته ، فدعا عمر وُلْدَه ،

(١) امزقيه: اخلطيه بالماء.

(٢) عس الرجل: طاف بالليل يحرس الناس، ويكشف عن أهل الريبة.

فجمعهم، فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة، فقال عبد الله : لي زوجة، وقال عبد الرحمن : لي زوجة، وقال عاصم : يا أبتاه، لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية ، فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتًا وولدت البنت بنتًا وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز .

٥٦٢ - «أضرار النميمة»

قال عطاء بن السائب: قدمت من مكة فلقيني الشعبي فقال : يا أبا زيد، أطرفْنا مما سمعت، قلت : سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم، ولا آكل ربا، ولا مشَّاء بنميم، فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدماء وأكل الربا، فقال الشعبي : وما يعجبك من هذا، وهل تُسفك الدماء وتُركب العظائم إلا بالنميمة؟ .

٥٦٣ - «الحجاج وغلام الخوارج»

بينما الحجاج بن يوسف الثقفي جالسًا في منظرة له وعنده وجوه أهل العراق، أُتِي بصبي من الخوارج يبلغ من العمر نحو بضع عشرة سنة، وله ذؤابتان -ضفيرتان- مرخيتان قد بلغتا خصره، فلما أُدْخِلَ عليه لم يعبأ بالحجاج، ولم يكترث به، وإنما صار ينظر إلى بناء المنظرة وما فيها من العجائب، ويلتفت يمينًا وشمالاً ، ثم اندفع يقول : **﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون ۞ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون۞ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ۞ فاتقوا الله وأطيعون﴾** [سورة الشعراء: ١٢٨ - ١٣١].

وكان الحجاج مُتَّكِئًا فاستوى في مقعده، وقال للغلام: يا غلام، إني أرى لك عقلاً وذهنًا، أحَفِظْتَ القرآن؟ .

قال: الغلام: أو خفت عليه من الضياع حتى أحفظه، وقد حفظه الله تعالى.

قال الحجاج : أفجمعت القرآن؟.

فقال الغلام: أوَ كان مفرقًا حتى أجمعه؟.

قال الحجاج : أفأحكمت القرآن؟.

قال الغلام : أليس الله أنزله محكمًا؟.

قال الحجاج: أفاستظْهَرْت القرآن؟.

قال: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري.

فقال الحجاج -وقد ثار غضبًا- : ويلك ! قاتلك الله ! ماذا أقول؟.

قال الغلام : الويل لك ولقومك، قل : أوَعِيتَ القرآن في صدرك؟.

فقال الحجاج : فاقرأ شيئًا.

فاستفتح الغلام : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس** ﴾ **يخرجون من** ﴿**دين الله أفواجًا**﴾ .

فقال الحجاج: ويْحَك! إنهم ﴿**يدخلون**﴾ .

فرد عليه الغلام قائلاً : كانوا يدخلون أما اليوم فقد صاروا يخرجون.

قال الحجاج : ولِمَ؟!.

قال الغلام : لسوء فعلك بهم.

قال الحجاج: ويلك يا غلام، وهل تعرف مَن تُخَاطِب؟.

قال الغلام: نعم، شيطان ثقيف : الحجاج.

قال الحجاج: ويلك ، مَن ربَّاك؟.

قال الغلام: الذي زرعك.

قال الحجاج: فمن أمك؟.

قال الغلام: التي ولدتني.

قال الحجاج: فأين وُلِدْتَ؟.

قال الغلام: في بعض الفلوات[١] .

قال الحجاج: فأين نشأْتَ؟.

قال الغلام : في بعض البراري.

قال الحجاج: أمجنون أنت فأعالجك؟.

قال الغلام: لو كنتُ مجنونًا لما وصلتُ إليك، ووقفتُ بين يديك، كأنني ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك.

قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين؟.

قال الغلام : رحم الله أبا الحسن[٢] -رضي الله تعالى عنه- وأسكنه جنان خلده.

قال الحجاج: ليس هذا عنيت، إنما أعني عبد الملك بن مروان.

قال الغلام : على الفاسق الفاجر لعنة الله.

قال الحجاج: ويحك! بم استحق اللعنة أمير المؤمنين.

قال الغلام : أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض.

قال الحجاج: ما هي؟.

قال الغلام : استعماله إياك على رعيَّته ، تستبيح أموالهم، وتستحل دماءهم.

فالتفت الحجاج إلى جُلسائه ، وقال : ما تشيرون في هذا الغلام؟.

قالوا: اسفك دمه، فقد خلع الطاعة، وفارق الجماعة.

فقال الغلام : يا حجاج، جُلَسَاء أخيك فرعون خير من جُلَسَائك؛ حيث قالوا لفرعون عن موسى عليه السلام وأخيه ﴿**أرجه وأخاه**﴾ [سورة الأعراف : ١١١]، وهؤلاء يأمرون بقتلي، إذن والله تقوم عليك الحجة بين يدي الله ملك الجبارين، ومُذِلّ المستكبرين.

فقال له الحجاج: هَذِّب ألفاظك ، وقصِّر لسانك، فإني أخاف عليك بادرة الأمر وقد أمرتُ لك بأربعة آلاف درهم.

(١) الفلوات: الصحراء. (٢) أي: علي -رضي الله عنه.

فقال الغلام : لا حاجة لي بها . . بَيَّض الله وجهك، وأعلى كعبك.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه، وقال : هل علمتم ما أراد بقوله : بيَّض الله وجهك وأعلى كعبك؟.

قالوا: الأمير أعلم.

قال : أراد بقوله : بيض الله وجهك، العمى والبرص. . وبقوله : أعلى كعبك : التعليق والصلب.

ثم التفت إلى الغلام وقال : ما تقول فيما قلتُ؟.

قال الغلام : قاتلك الله، ما أفهَمَك!.

فاستشاط الحجاج غضبًا، وأمر بضرب عنقه، وكان الرقاشي حاضرًا، فقال : أصلح الله الأمير ، هبه لي.

قال الحجاج: هو لك، لا بارك الله لك فيه.

فقال الغلام : والله لا أدري أيكما أحمق من صاحبه؟ الواهب أجَلاً قد حضر، أم المستوهب أجلاً لم يحضر؟!.

فقال الرقاشي: استنقذتك من القتل، وتكافئني بهذا الكلام؟!.

فقال الغلام: هنيئًا لي الشهادة إن أدركتني السعادة، والله إن القتل في سبيل الله أحبُّ إليّ من أن أرجع إلى أهلي صفر اليدين.

فأمر له الحجاج بجائزة ، وقال : يا غلام قد أمرنا لك بمائة ألف درهم، وعفونا عنك لحداثة سِنِّك، وصفاء ذهنك، وحُسن توكلك على الله ، وإياك والجرأة على أرباب الأمر، فتقع مع من لا يعفو عنك.

فقال الغلام: العفو بيد الله لا بيدك، والشكر له، لا لك، ولا جمع الله بيني وبينك.

ثم هَمَّ بالخروج فابتدره الغلمان، فقال الحجاج: دعوه، فوالله ما رأيتُ أشجع منه قلبًا، ولا أفصح منه لسانًا، ولعمري ما وجدت مثله قط، وعسى هو لا يجد مثلي، فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصره.

٥٦٤ - «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»

عن عامر بن سعد أن أباه سعدًا، كان في غنم له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه.

قال: يا أبة أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك، والناس يتنازعون في الملك بالمدينة.

فضرب صدر عمر، وقال: اسكت؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي»[١].

٥٦٥ - «ذلك أحب إلي»

عن أم بكر، عن أبيها المسور، قال: لما ولي عبد الرحمن بن عوف الشورى، كان أحب الناس إليّ أن يليه، فإن ترك، فسعد، فلحقني عمرو بن العاص، فقال: ما ظن خالك عبد الرحمن بالله، إن ولّى هذا الأمر أحدًا، وهو يعلم أنه خير منه؟ فأتيتُ عبد الرحمن فذكرتُ ذلك له.

فقال: والله لأن تُؤْخَذَ مِدْيَة[٢]، فتوضع في حلقي، ثم يُنفَذَ بها إلى الجانب الآخر أحبُّ إليَّ من ذلك.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) المدية: السكين.

٥٦٦- «اللهم إن كان كذلك فأمتني قبله»

عن أبي عبيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أزهر، عن أبيه، عن جده أن عثمان اشتكى رُعافًا، فدعا حُمْران، فقال: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدي، فكتب له، وانطلق حُمْران إلى عبد الرحمن، فقال: البشرى، قال: وما ذاك؟ قال: إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده، فقام بين القبر والمنبر، فدعا، فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا الأمر، فأمتن قبله، فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله.

٥٦٧- «اللهم اقبضني ولا تفتني»

وعن إبراهيم بن شبيب بن شيبة، قال: كنا نتجالس في الجمعة فأتى رجل عليه ثوب واحد مُلتحف به فجلس إلينا فألقى مسألة فما زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا. ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله فقال: أنزل الحربية فسألناه عن كنيته فقال: أبو عبد الله. فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس فقه، فمكثنا بذلك زمانًا ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامرًا بأبي عبد الله، وقد صار موحشًا فوعد بعضنا بعضًا إذا أصبحنا أن نأتي الحربية فنسأل عنه، فأتينا الحربية وكنا عددًا فجعلنا نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتّاب فقلنا: أبو عبد الله، فقالوا: لعلكم تعنون الصيّاد؟ قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته الآن يجيء. فقعدنا ننتظر، فإذا هو قد أقبل مؤتزرًا بخرقة وعلى كتفه خرقة ومعه أطيار مذبحة وأطيار أحياء، فلما رآنا تبسم إلينا، وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت غمرت مجلسنا فما غيّبك عنا؟ قال: إذًا أصدقكم، كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذلك الثوب الذي كنتُ آتيكم فيه، وكان غريبًا فخرج إلى وطنه فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا

منزله ، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً ، ثم دخل فأُذِن لنا فدخلنا فإذا هو قد أتى بقطع من البواري فبسطها لنا فقعدنا فدخل إلى المرأة فسلم إليها الأطيار المذبحة وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال : أنا آتيكم إن شاء الله عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا، وقد صنعت المرأة ذلك الطير، وهيأته ، فقدم إلينا خبزًا ولحم طير، فأكلنا فجعل يقوم فيأتينا بالملح، والماء فكلما قام قال بعضنا لبعض : رأيتم مثل هذا ؟ ألا تُغيّرون أمره، وأنتم سادة أهل البصرة ؟ فقال أحدهم : عليّ خمسمائة ، وقال الآخر : عليّ ثلثمائة. وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذي جمعوا في الحساب خمسة آلاف درهم فقالوا : قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا ونسأله أن يُغَيِّر بعض ما هو فيه.

فقمنا فانصرفنا على حالنا رُكبانًا فمررنا بالمربد[١] فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة[٢] له فقال : يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم. فجئت فدخلت عليه فسألني عن قصتنا ومن أين أقبلنا فصدقْتُه الحديث. فقال : أنا أسبقكم إلى بره، يا غلام ، ائتني ببدرة دراهم فجاء بها ، فقال : ائتني بغلام ، فرّاش فجاء فقال : احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعا فلما أتيت الباب سلّمت فأجابني أبو عبد الله ، ثم خرج إليّ فلما رأى الفرّاش والبَدْرة على عُنقه كأني سفيت[٣] في وجهه الرماد وأقبل عليّ بغير الوجه الأول، فقال : ما لي ولك يا هذا ؟ أتريد أن تفتنني؟ فقلت : يا عبد الله ، اقعد حتى أخبرك أنه من القصة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أحد الجبارين، يعني محمد بن سليمان، ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى أرجعت إليه فأخبرته أني قد وضعتها، فالله الله في نفسك فازداد عليّ غيظًا وقام فدخل منزله وأصفق الباب في وجهي، فجعلت أقدّم وأؤخر ما أدري ما أقول للأمير. ثم لم أجد بدًا من الصدق فجئتُ فأخبرته الخبر، فقال : حروري[٤] والله، يا غلام عليّ بالسيف، فجاء بالسيف فقال له : خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتني برأسه.

(١) المربد: من أسواق العرب المشهورة في البصرة.

(٢) المنظرة: الشرفة.

(٣) سفيت: نثرت.

(٤) حروري: أي: من الخوارج.

قال إبراهيم : فقلت : أصلح الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج ولكني أذهب فآتيك به وما أريد بذلك إلا افتداء منه . قال : فضمَّنَّنيه فمضيت حتى أتيت الباب فسلَّمت فإذا المرأة تحنّ وتبكي، ثم فتحَتْ الباب، وتوارت فأذنت لي فدخلت فقالت : ما شأنكم وشأن أبي عبد الله ؟ فقلت : ما حاله؟ قلت : دخل فمال إلى الرُّكى فنزع منها ماء فتوضأ ثم سمعته يقول: اللهم اقبضني إليك، ولا تفتنِّي. ثم تمدد وهو يقول ذلك.

فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت. فقلت : يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تحدثوا فيه شيئًا. فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر فقال : أنا أركب فأصلي على هذا، قال : وشاع خبره بالبصرة فشهده الأمير وعامة أهل البصرة رحمة الله عليه.

٥٦٨- «ظرف معاوية»

وكان بين يديّ معاوية ثريدة كثيرة السَّمْن، ورجلٌ يواكله، فخرَقَه إليه، فقال له : ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ [سورة الكهف : ٧١] . فقال : ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ [سورة فاطر: ٩].

٥٦٩- «ما الحدث يا أبا هريرة»

روَى سعيد المَقْبُري ، عن أبي هريرة ، أنه قال : لا يزال العبد في صلاة ما لم يُحْدِث» فقال رجل من القوم أعجمي: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: الصوت، قال : وما الصوت؟ فجعل أبو هريرة يضرط بفيه حتى أفهمه.



٥٧٠- «ذكاء المغيرة بن شعبة»

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله عنهم، فخافوا أن يرده ، فقال دِهْقَانُهُم: اجمعوا مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر وأقول له : إن المغيرة اختان هذا ودفعه إليّ، ففعلوا ، فأتى عمر، وقال : إن المغيرة اختان هذا ودفعه إليّ، فدعا عمر المغيرة ، وقال : ما يقول هذا ؟ قال : كذب ، إنما كانت مائتي ألف، قال : فما حملك على ذلك ؟ قال: العيال والحاجة. فقال عمر للعِلْج: ما تقول؟ قال : والله لأصْدُقَنَّك، والله ما دفع إليّ قليلاً ولا كثيرًا، فقال عمر للمغيرة: ما أردتَ إلى هذا ؟ قال : الخبيث كذب عليّ، فأحببت أن أخزيه.

٥٧١- «ذلك هو سبب خروجي من البصرة»

قال أبو العيناء: كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها، أني مررت بسوق النخاسين[1] يومًا، فرأيت غلامًا ينادَى عليه وقد بلغ ثلاثين دينارًا وهو يساوي ثلاث مائة دينار، فاشتريته، وكنتُ أبْنِي دارًا، فدفعتُ إليه عشرين دينارًا على أن ينفقها على الصنّاع، فجاءني بعد أيام يسيرة، فقال : قد نفَدَت النفقة، قلتُ : هاتِ حسابك، فرفع حسابًا بعشرة دنانير، قلتُ: فأين الباقي ؟ قال : اشتريت به ثوبًا مصمتًا وقطعته، قلت : ومَن أمرك بهذا ؟ قال: يا مولاي، لا تعجل ؛ فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود بالزَّيْن على مواليهم، فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعي ولم أعلم.

قال : وكانت في نفسي امرأة أردت أن أتزوجها سراً من ابنة عمي، فقلت له يومًا: أفيك خير؟ قال: إي لعمري، فأطلعته على الخبر، فقال: أنا نِعم العون لك، فتزوجْتُ

(١) **النخاسون**: بائعوا الدواب والعبيد.

ودفعتُ إليـه دينارًا فقلتُ له: اشـتر لنا كذا وكـذا ويكون فيمـا تشتـريه سمَكٌ هازِبَى[١]، فمضى، ورجع وقد اشترى ما أردت، إلا أنه اشترى سمكًا مارْماهَى[٢]، فغاظني، فقلت: أليس أمرتُك أن تشـتري هازِبى؟ قـال: بلى، ولكني رأيتُ بقْراط يقـول: إن الهازِبَى يولِّد السـوداء ويصف المارْماهى، ويقـول: إنه أقلُّ غـائلة. فقلـت: أنا لم أعلم إني اشتـريت جالينوس؟ وقمت إليه، فضربته عشر مقارع، فلما فَرَغْتُ من ضربه، أخذني وأخذ المقرعة، وضربني سبع مـقارع، وقال: يا مولاي، الأدب ثلاث، والسبع فـضل، ولذلك قصاص، فضـربتك هذه السبـع خوفًا عليـك من القصاص يـوم القيامـة، فغـاظني جدًا، فـرميـته، فشججتـه، فمضى من وقته إلى ابنة عمي، فقال لها: يا مـولاتي، الدين النصيحة، وقد قال النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» وأنا أعلمك أن مولاي قد تزوج واستكتمَني، فلما قلتُ له: لابد من إعـلام مولاتي، ضَرَبَنـي بالمقارع، وشجَّني، فـمنعتْني بنـتُ عمِّي من دخول الدار، وحـالَتْ بيني وبين مـا فيـها، فلَم أر الأمـرَ يصلح إلا بأن طلَّقْتُ المرأة التي تزوجتهـا، فصلح أمري مع ابنة عمي وسـمّتِ الغلام، الناصح، فلم يتهيـأ لي أن أكَلِّمَه، فقلت: أعتقه وأستريح، لعله أن يمضي عنِّي، فـأعْتَقْتُهُ، فلَزِمَني، قال: الآن وجب حَقُّك عليّ، ثم إنه أراد الحج، فجـهَّزْتُه وزوَّدْتُهُ، وخرج، فـغاب عليّ عشـرين يومًا، ثم رجع، فقلت له: لِمَ رجَعْتَ؟ قال: قُطِعَ الطريق، وفكَّرْتُ، فإذا الله تعالى يقول: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليـه سبيلاً**﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]. وكنتُ غـير مستطيع، وفكَّرت، فإذا حـقُّك عليّ أوجب، فرجعتُ، ثم أراد الغزو، فـجهَّزْتُه، فشـخص، فلما غاب عني بعت كل ما أملكه بالبصرة من عقار وغيره، وخرجت عنها خوفًا أن يرجع.

٥٧٢ - «لعن الله من لعن الصحابة»

عن عبد الرزاق، عن أبيـه، أن حُجْرًا المَدَرِيّ أمره محمـد بن يوسف أن يلعن علياً، فقال: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً، فالعَنُوه، لعنه الله. قال: فعمّاها على أهل المسجد، فما فطن لها إلا رجل واحد.

(١) نوع من السمك. (٢) نوع من حيات الماء.

٥٧٣- «الحارث بن مسكين والمحنة»

امتحن ابن أبي دؤاد الحارث بن مسكين أيام المحنة، فقال له : اشهد أن القرآن مخلوق، فقال الحارث : أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة ، وبسط أصابعه وقال : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فتخلَّص.

٥٧٤- «دائمًا لا يحيق المكر السيء إلا بأهله»

بلغنا أن رجلين سعيا بمؤمن إلى فرعون ليقتله، فأحضرهم فرعون، فقال للساعيين : من ربكما؟ قالا: أنت فقال للمؤمن: من ربُّك؟ فقال : ربي ربُّهما، فقال لهما فرعون: سعيتُما برجل على ديني لأقْتُلَه، فقتلهما.

٥٧٥- «الأدب مع الملوك»

بلغنا عن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب بالحمام ، فتسابق هو وخادم له، فسبقه الخادم، فبعث الأمير إلى وزيره يستعلم الحال، فكره الوزير أن يكتب إليه: إنك قد سُبِقْتَ، ولم يدر كيف يكْنِي عن تلك الحلال، فقال كاتب: ثم إن رأيت أن تكتب:

يا أيها المَوْلَى الذي جدُّه ... لكل جَدٍّ قاهرٌ غالبٌ
طائرك السابق لكنه ... أتى وفي خدمته حاجبُ

فاستحسن ذلك، وأمر له بجائزة ، وكتب به.

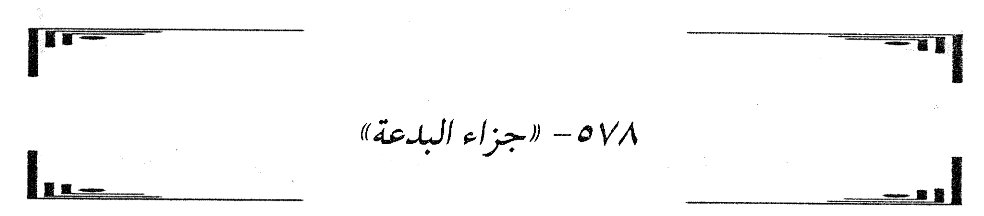


٥٧٦- «لأني فيه مالك وأنا هنا مملوك»

قال أبو الفضل الرَّبَعِي: حدثني أبي، قال: قال المأمون لعبد الله بن طاهر: أيُّما أطْيَبُ: مَجْلِسِي أو منزلك؟ قال: ما عدلْت بك يا أمير المؤمنين، فقال: ليس إلى هذا ذهبتُ، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة، قال: منزلي يا أمير المؤمنين. قال: ولِمَ ذاك؟ قال: لأني فيه مالك وأنا ههنا مملوك.

٥٧٧- «اشهدوا أني قد طلقت ثلاثًا»

قال شُمَير: إن رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى، فقالوا: لا نزوجك حتى تُطَلِّق، فقال: اشهدوا أني قد طلَّقْتُ ثلاثًا، فزوجوه، فأقام على امرأته، فادَّعى القوم الطلاق، فقال: أما تعلمون أنه كانت تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى، وكانت تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى. وكانت تحتي فلانة فطلقتها؟ قالوا: بلى. قال: فقد طلقْتُ ثلاثًا. فبلغ إلى عثمان، فجعلها نيَّتَه.



٥٧٨- «جزاء البدعة»

قال عثمان بن سعيد الرازي: حدثني الثقة من أصحابنا، قال: لما مات بشر المريسي لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلا عبيد الشونيزي، فلما رجع من الجنازة لاموه، فقال: أنظروني حتى أخبركم، ما شهدت جنازة رجوت فيها من الأجر ما رجوتُ في شهود جنازته، إنني لما قمتُ في الصف، قلت: اللهم، عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك في الآخرة، اللهم فاحْجُبه عن النظر إلى وجهك يوم ينظر إليك المؤمنون، اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر، اللهم فعذِّبْه اليوم في قبره عذابًا لم تعذِّبْه أحدًا

من العالمين، اللهم عبدك هذا كان ينكر الميزان، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة، اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة ، اللهم فلا تُشَفِّعْ فيه أحدًا من خلقك يوم القيامة، فسكتوا عنه وضحكوا.

٥٧٩- «احلف للشيطان كما حلفت لي»

جاء رجل إلى أبي حازم القاضي، فقال : إن الشيطان يأتيني، فيقول: إنك قد طلَّقْت امرأتك، فيُشكِّكني، فقال له : أوَليس قد طلَّقْتَها ؟ قال : لا، قال : ألم تأتني أمس فتُطَلِّقها عندي ؟ فقال : والله ما جئتك إلا اليوم، ولا طلقتها بوجه من الوجوه، قال: فاحلف للشيطان كما حلفت لي، وأنت في عافية.

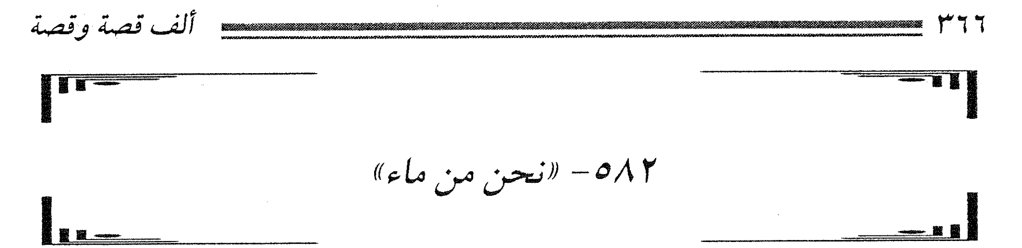
٥٨٠- «فطنة حكيم فارسي»

كتب بعض ملوك فارس على بابه: تحتاج أبواب الملوك إلى عقل ومال وصبر، فكتب بعض الحكماء تحته : «من كان عنده واحدة من هذه الثلاث لم يحتج إلى أبواب الملوك فرُفع خبره إلى الملك . فقال : زِه[1] وأمر بإجازته ومحو الكتابة من الباب.

٥٨١- «ذكاء أبي بكر -رضي الله عنه-»

عن أنس قال : لما هاجر رسول الله ﷺ كان يركب ، وأبو بكر رديفه، وكان أبو بكر يُعرف لاختلافه إلى الشام، فكان يمر بالقوم ، فيقولون : من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هذا يهديني.

(١) زه: كلمة استحسان.



٥٨٢- «نحن من ماء»

قال محمد بن إسحاق : لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، خرج هو ورجل آخر تبعه ، فرأيا رجلاً، فسألاه عن قريش وعن محمد وصحابه، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال رسول الله ﷺ : «**إذا أخبرتنا أخبرناك**» فقال الشيخ : بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا، فإنْ كان صدق الذي أخبرني فهُم اليوم بمكان كذا، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا، فإنْ كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا، ثم قال : مِمَّن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ : «**نحن من ماء**» وكان العراق يسمى ماءً، فأوهمه أنه من العراق، وإنما أراد أنه خُلِق من نطفة.

٥٨٣- «قل كم مضى من عمرك»

قال المُبَرّدُ: قال رجل لهشام بن عمرو الفُوَطِي : كم تعُدّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف، قال : لم أُرِدْ هذا، قال : فما أربتَ ؟ قال : كم تعُدّ من السنِّ؟ قال: اثنان وثلاثون، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل، قال : لم أُرِد هذا، قال : فما أردت؟ قال: كم لك من السنين ؟ قال : ما لي منها شيء، كلها لله عز وجل، قال : فما سنك ؟ قال : عظم، قال : فابنُ كم أنت ؟ قال : ابن اثنين : أب وأم، قال : فكم أتى عليك ؟ قال: لو أتى عليّ شيءٌ لقتلني، قال : فكيف أقول؟ قال: قل: كم مضى من عمرك؟.

٥٨٤- «ردوه، نعم له زوجة»

عن زكرياء بن أبي زائدة، قال : كنت مع الشعبي في مسجد الكوفة، إذ أقبل حمال على كتفه كودَن[١] فوضعه، ودخل إليه، فقال : يا شعبي، إبليس كانت له زوجة؟ قال :

(١) الفرس الهجين.

ذاك عُرْسٌ ما شهدته، قال : هذا عالم العراق يُسألُ عن مسألة فلا يجيب، فقال : ردوه، نعم له زوجة، قال الله عز وجل : ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ولا تكون الذرية إلا من زوجة. قال : فما كان اسمها؟ قال: ذاك إملاك ما شهدته.

٥٨٥- «الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة»

عن عبد الله بن عياش ، قال : جلس الشعبي على باب داره ذات يوم، فمر به رجل، فقال : أصلحك الله ، إني كنتُ أصلي ، فأدخلتُ إصبعي في أنفي، فخرج عليها دم، فما ترى : أحتجم أم أفتصد ؟ فرفع الشعبي يديه ، وقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

٥٨٦- «وقع منكم أكبر منها»

قال يهودي لأمير المؤمنين عليّ: ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال له عليّ : أنتم ما جفّت أقدامكم من البحر حتى قلتم : اجعل لنا إلهًا.

٥٨٧- «خالد بن الوليد وعقلاء الحيرة»

لما حاصر خالد بن الوليد أهل الحيرة، قال : ابعثوا لي رجلاً من عقلائكم ، فبعثوا عبد المسيح بن عمرو، وكان نصرانياً ، فجاء، فقال لخالد : أنعِم صباحًا أيها الملك، فقال: قد أغنانا الله عن تحيتك هذه، فمن أين أقصَى أثرِك أيها الشيخ ؟ قال: من ظهر أبي، قال: فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي، قال : فعلام أنت ؟ قال: على الأرض، قال : ففيم أنت ؟ قال: في ثيابي ، قال : أتعقل؟ قال : إي والله، وأقيِّد، قال : ابن كم أنت؟

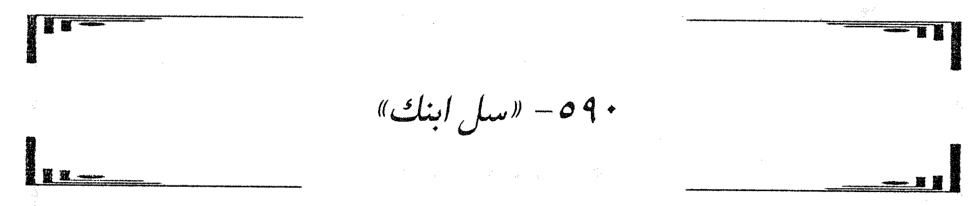
قال : ابن رجل واحـد، قال خالد : ما رأيت كـاليوم، أسألك الشيء وتنحو فـي غيره، فقال : ما أنبأتك إلا عما سألتني.

٥٨٨- «أدب العباس»

عن أبي رزين، قال : سُئل العباس : أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ قال : هو أكبر مني، وأنا وُلِدتُ قبله.

٥٨٩- «نسي عكرمة واحدة، ونسيت أنا الأخرى»

قال نسيم الكاتب : قيل لأشعب : جالستَ الناس وطلبتَ العلم، فلو جلستَ لنا؟ فجلس ، فـقالوا : حـدِّثنا ، فقال : سـمعت عكرمـة يقول: سمـعتُ ابن عبـاس يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**خلتان لا يجتـمعان في مؤمن**» . ثم سكت ، فقـالوا : ما الخِلتان ؟ فقال : نَسِي عكرمة واحدة ، ونسيت أنا الأخرى.



٥٩٠- «سل ابنك»

قال حفص بن غـياث : رأيت إدريس الأوْدي جاء بابـنه عبد الله إلـى الأعمش ، فقـال: يا أبا محمد، هذا ابـني ، إن من علمه بالقرآن ، إن من علمـه بالفرائض، إن من علمه بـالشعر، إن من علمـه بالنحو، إن من علمـه بالفقـه، والأعمش سـاكت، ثم سأل الأعمش عن شيء، فقال : سل ابنك.



٥٩١- «يا عدو الله ! أخذت مال الله ؟!»

قال محمد بن عبيد الله بن صبيح : ولّى الحجاج رجلاً من الأعراب بعض المياه، فكسر عليه بعض خراجه، فأحضره ، ثم قال له : يا عدو الله، أخذتَ مال الله ، قال : فمالَ مَن آخذ ، أنا والله مع الشيطان أربعين سنة حتى يعطيني حبة ما أعطاني.

٥٩٢- «قصة الشيطان مع أبي هريرة»

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ . قال : إني محتاج وعليّ عيال وبي حاجة شديدة فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة. فقلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته ، فخليت سبيله فقال : أما إنه قد كذبك وسيعود . فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته فجاء يحثو من الطعام (يأخذ من الطعام) فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : **«يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»** قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، فقال: **«إنه قد كذبك وسيعود»** فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو (يأخذ) من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود. فقال: دعني فإني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلتُ: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح . فخليت سبيله، . . . فقال النبي ﷺ : **«أما إنه قد صدقك ، وهو كذوب. تعلم من تُخاطب مُذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة ؟ »** قال : لا . قال : **«ذاك شيطان»**[1] .

---

(١) رواه البخاري تعليقًا ووصله غيره.

٥٩٣- «من خشيتك يا رب»

قال ﷺ : «كان رجل لم يعمل حسنة قط قال لأهله: إذا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه -أي: حكم والمراد حاسبني- ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين. فلما مات الرجل فعلوا به ما أمرهم. فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر أن يجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت هذا -ما حملك على ما صنعت- قال: من خشيتك يا رب، وأنت أعلم، فغفر الله تعالى له».

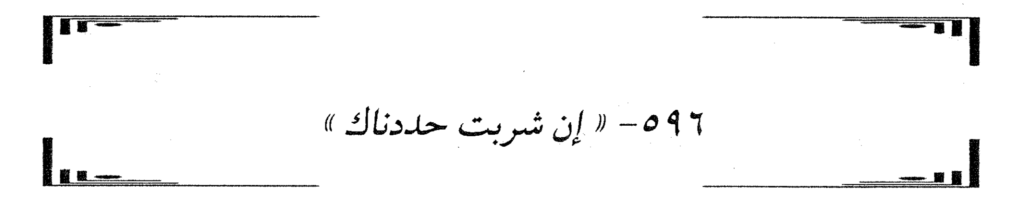
٥٩٤- «العفو وكظم الغيظ»

روي أن غلامًا لجعفر الصادق -رضي الله عنه- سكب الماء على يديه في الطست فطار الماء على ثوبه، فنظر إليه جعفر نظرة منكرة، فقال العبد: يا مولاي ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾ قال: كظمتُ غيظي. فقال الغلام: ﴿**والعافين عن الناس**﴾ قال له: قد عفوت عنك، فقال الغلام: ﴿**والله يحب المحسنين**﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤] فقال: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى، ولك من مالي ألف دينار.

٥٩٥- «أربع دعوات»

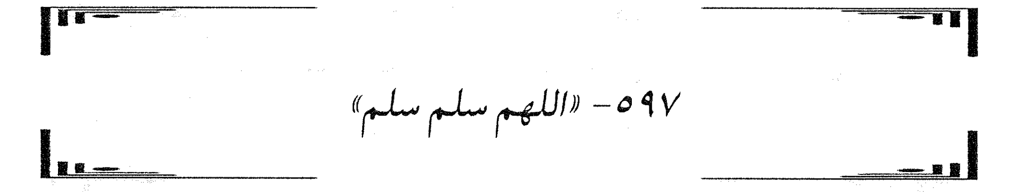
كان هناك رجل سكير دعا قومًا من أصحابه ذات يوم فجلسوا ثم نادى على خادمه ودفع إليه أربعة دراهم وأمره أن يشتري بها شيئًا من الفاكهة للمجلس، وفي أثناء سير الخادم مر بالزاهد منصور بن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات. فأعطاه الغلام الدراهم الأربعة فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك.

فقال الغلام : لي سيد قاس أريد أن أتخلص منه ، والثانية أن يخلف الله على الدراهم الأربعة، والثالثة أن يتوب الله على سيدي، والرابعة أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم، فدعا له منصور بن عمار، وانصرف الغلام، ورجع إلى سيده الذي نهره، وقال له : لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقص عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات. فسكن غضب سيده، وقال : وما كانت دعوتك الله ؟ قال : سألت لنفسي العتق من العبودية . فقال السيد : قد أعتقتك فأنت حر لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية ؟ قال : أن يخلف الله عليّ الدراهم الأربعة. قال السيد : لك أربعة آلاف درهم. قال : وما كانت دعوتك الثالثة ؟ قال : أن يتوب الله عليك. فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كؤوس الخمر وكسرها، وقال : تبت إلى الله لن أعود أبدًا وقال : فما كانت دعوتك الرابعة ؟ قال : أن يغفر الله لي ولك وللقوم، قال السيد : هذا ليس إليّ، وإنما هو للغفور الرحيم.



٥٩٦- « إن شربت حددناك »

قال الضحاك بن مزاحم لنصراني : لماذا لم تسلم ؟ قال : لحب الخمر . قال : أسلم ثم شأنك بها فلما أسلم النصراني. قال له : إن شربت حددناك -أقمنا عليك الحد- وإن ارتددت قتلناك فثبت الرجل على إسلامه.



٥٩٧- «اللهم سلم سلم»

وقال سفيان الثوري : رأيت رجلاً متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم سلم سلم، فقلت : يا أخي، ما قضيتك. فقال : كنا أربعة إخوة مسلمين فتوفي منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ، ولم يبق إلا أنا فما أدري بم يختم لي.

٥٩٨- «أين الطريق إلى حمام منجاب»

احتضر بعض العصاة. وكان كلما قيل له : قل : لا إله إلا الله يقول هذا البيت:

يا رُبَّ قائلة يومًا وقد تعبت   أين الطريق إلى حمام منجاب

وسبب ذلك أن امرأة عفيفة حسناء خرجت إلى حمام معروف باسم حمام منجاب فلم تعرف طريقه وتعبت في المشي فرأت رجلاً على باب داره فسألته عن الحمام فقال : هو هذا وأشار إلى باب داره، وكان باب داره يشبه باب هذا الحمام ، فلما دخلت أغلق عليها الباب. فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه قد خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه، وقالت خدعة منها وتحليلاً لتتخلص مما أوقعها فيه وخوفًا من فعل الفاحشة : يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا اشتر لنا شيئًا من الطيب وشيئًا من الطعام وعجل العودة إلينا فقال لها : الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها ؛ لأنه كان واثقًا بها وبرغبتها فاشترى الرجل ما يليق ورجع المنزل فوجدها قد خرجت وذهبت فهام الرجل بها وأكثر لذكرها وصار يمشي كالمجنون في الطرق والأزمة وهو يقول:

يا رُبَّ قائلة يومًا وقد تعبت   أين الطريق إلى حمام منجاب

فبينما يقول ذلك : إذا بجاريته تقول له :

هلا جعلت سريعًا إذ ظفرت بها   حرزًا على الدار أو قفلاً على الباب

فازداد هيامه بها واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان هذا البيت -.... أين الطريق إلى حمام منجاب- هو آخر كلامه من الدنيا وكان كلما قيل له : قل : لا إله إلا الله، يقول هذا البيت. فانظر كيف منعته هذه الخطيئة عن الإقرار بالشهادتين عند الموت مع أنه لم يصدر منه إلا إدخال المرأة.

٥٩٩- «مؤذن يموت على غير الإسلام»

كان بمصر مؤذن عليه علامات الصلاح ، وذات يوم صعد المنارة ليؤذن فرأى نصرانية

من المنارة ، فافتتن بها ، فذهب إليها فامتنعت أن تجيبه إلى ريبة وشبهة، فقال لها : أتزوجك، فقالت : أنت مسلم ، وأنا نصرانية ، فلا يرضى أبي . قال : أتنصر. فقالت : الآن يجيبك ويرضى . فتنصر الرجل والعياذ بالله ، ووعدوه أن يدخلوه عليها. وفي أثناء ذلك اليوم رقى سطحًا لحاجة فزلت قدمه فوقع ميتًا فلا هو ظفر بها ولا هو ظفر بدينه ، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

٦٠٠ - «يحشر المرء على ما مات عليه»

حكي أن أخوين كان أحدهما عابدًا، والآخر مسرفًا على نفسه، فسولت للعابد يومًا نفسه أن يتبع شهواتها ترويحًا لما ضيع من سني عمره في العبادة ثم يتوب بعد ذلك لعلمه أن الله غفور رحيم، فقال العابد في نفسه : أنزل إلى أخي في أسفل الدار، وأوافقه على الهوى واللذات بعض الوقت ثم أتوب وأعبد الله فيما تبقى من عمري، فنزل على هذه النية. وقال أخوه المسرف : قد أفنيت عمري في المعصية وأخي العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار، والله لأتوبن وأصعد إلى أخي وأوافقه في العبادة ما بقي من عمري ، فلعل الله يغفر لي، فطلع على نية التوبة ونزل أخوه على نية المعصية ، فزلت رجله فوقع على أخيه فمات الاثنان معًا، فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة.

٦٠١ - «احمل نصف ما أملك»

حبس معاوية عن الحسين بن علي صِلاته[١] حتى ضاقت عليه حاله، فقيل له : لو وجّهت إلى ابن عمك عبيد الله بن العباس ؛ فإنه قدم بنحو من ألف ألف درهم.

فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله، فوالله لهو أجود من الريح إذا

---

(١) صلاته: أعطياته.

عصف، وأسخى من البحر إذا زخر، ثم وجه إليه مع رسـوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية صِلاته عنه وضيق حاله، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم. فلمـا قرأ عبيد الله كتابه -وكان من أرق الناس قلبًا، وألينهم عطفًا- انهملت عيناه، ثـم قال: ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الإثم حين أصبحت ليِّن المهاد، رفيع العمـاد، والحسين يشكو ضيق الحال، وكثرة العيال. ثم قال لقهرمانه[1]: احمل إلى الحـسين نصف ما أملكه من فـضة وذهب، وثوب ودابة، وأخبره أني شـاطرته مالي، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحـمل إليه الشطر الآخر، فقال له القيِّم: فهذه المُؤن التي عليك من أين تقوم بها؟. قال: إذا بلغنا ذلك دللتك على أمر تقيم به حـالك. فلما أتى الرسول برسالته إلى الحـسين، قال: إنا لله! حمَلت والله على ابن عمي، وما حسـبته يتسع لنا بهذا كله، فأخـذ الشطر من ماله، وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

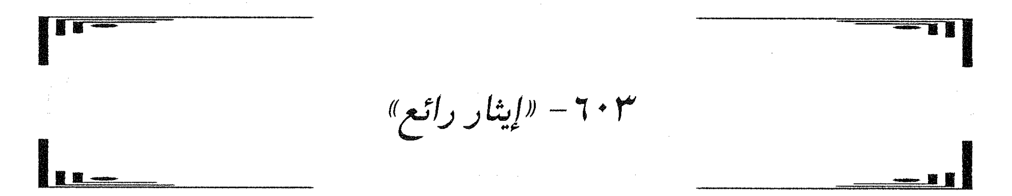
«والله لابد من ذلك»

تراهن ثلاثة نفر من الأجواد، فقال بعضهم: أجود الناس في عصرنا قيس بن سعد بن علقمة، وقـال آخر: أجود الناس في عصرنا عـبد الله بن جعفر، وقـال آخر: أجود الناس في عصرنا هذا عرابة الأوسي، فتشاجروا في ذلك فأكثروا، فقال لهم الناس: يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله، حتى ننظر مـا يعطيه ونحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله بن جعفر فصادفه وهو يجهِّز لبعض أسفاره على راحلته، فقال: يا ابن عم رسول الله، أنا ابن سبيل منقطع أريد رفدك[2] لأستعين به، وكان قد وضع رجله على ظهر دابته، فأخرج رجله، وقـال: خذها -أي الدابة- بما عليها، فأخذها، فـإذا عليها مطارف[3] خز وألفا دينار، ومضى صاحب قيس بن سعد فصادفه نائمًا فقرع الباب، فخرجت إليه جارية، فقـالت: ما حـاجتك، إنه نائم، قـال: أنا ابن سبـيل منقطع، أتيتُ إليه يعـينني على طريقي، فقالت الجـارية: حاجتك أهون عليّ من إيقاظه، ثم أخرجت له صـرّة فيها ثلاث

(١) القهرمان: كالخازن والوكيل.

(٢) أي: عطاؤك. (٣) أي: رداء من حرير ذو أعلام.

مائة دينار، وقالت له : امض إلى معاطن[1] الإبل، فاختر لك منها راحلة، فاركبها وامض راشدًا، فمضى الرجل فأخذ المال والراحلة، ولما استيقظ قيس من منامه أخبرته الجارية بالخبر، فأعتقها. ومضى صاحب عرابة فوجده قد عمي، وقد خرج من منزله يريد المسجد، وهو يمشي بين عبدين، فقال : يا عرابة، ابن سبيل منقطع يريد رِفْدَك، فقال : واسوأتاه؟ والله ما تركت الحقوق في بيت عرابة الدرهم الفرد، ولكن يا ابن أخي ، خذ هذين العبدين، فقال الرجل : ما كنت بالذي أقصَّ جناحيك، فقال : والله لابد من ذلك، وإن لم تأخذهما فإنهما حران، فنزع يديه من العبدين ورجع إلى بيته، وهذا الجدار يلطمه، وهذا الجدار يصدمه حتى أثَّر في وجهه، فلما اجتمعوا حكموا لصاحب عرابة بالجود.



٦٠٣ - «إيثار رائع»

قال الواقدي : كان لي صديقان ، أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد، فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطّعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم، وهم على هذه الحال من الثياب الرثّة، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم. فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ، فوجّه إليّ كيسًا مختومًا ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجّهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد ، فأقمت فيه ليلي مستحييًا من امرأتي. فلما دخلت عليها استحسَنَتْ ما كان مني، ولم تعنفني عليه.

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي : اصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك؟ فعرَّفته الخبر على وجهه، فقال: إنك وجَّهت إليّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبتُ إلى صديقنا أسأله المواساة فوجَّه إليّ بكيس ، فتواسينا الألف أثلاثًا.

(١) أي: مبارك الإبل.

ثم نُمِي الخبر إلى المأمون فـدعاني، فشرحت له الخبر، فأمـر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد ألفا دينار ، وللمرأة ألف دينار.

٦٠٤ - «أي الناس أبلغ»

سـأل معـاوية زيادًا : أيُّ الناس أبلغ ؟ قـال : أنت يا أمـير المؤمنين، قـال : أعزم عليك، قال : إذا عزمت عليّ، فعائشة. فقال معاوية : ما فتحت بابًا قط تريد أن تغلقه إلا أغلقْته، ولا أغلقت بابًا قط تريد أن تفتحَه إلا فتحته.

٦٠٥ - «الأدب أدب الدين»

وصف أعرابي الأدب في مجلس معتمر بن سليمان فقال : الأدب أدب الدين ، وهو داعية إلى التوفيق ، وسبب إلى السعادة، وزاد من التقوى ، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظها من الـنافلة ، وتزيد ذلك بصحة النية، وإخلاص النفس، وحب الخير، منافسًا فيه، مبغـضًا للشر، نازعًا عنه، ويكون طلبك للخير رغبة في ثوابه، ومجـانبتك للشـر رهبة من عقـابه، فتفـوز بالثواب، وتسلم من العـقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات.

٦٠٦ - «عظني يا طاووس»

قدم هشام بن عبـد الملك حاجاً إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحـرم قال : ائتوني برجل من الصـحابة، فقـيل : يا أمير المؤمـنين، قد تفانوا ، قـال : فمن التـابعين، فأُتِي بطاووس اليماني.

فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ، ولم يُسَلِّمْ بأمير المؤمنين ولم يُكنِّه، وجلس إلى جانبه بغير إذنه، وقال : كيف أنت يا هشام ؟ . فغضب من ذلك غضبًا شديدًا حتى هَمَّ بقتله، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله، وحرم رسول الله ﷺ ، لا يكون ذلك. فقال : يا طاووس ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال: وما صنعت؟ قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تُسَلِّم عليّ بيا أمير المؤمنين، ولم تكنّني وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت : يا هشام ، كيف أنت ؟.

فقال له طاووس: أما خلع نعلي بحاشية بساطك؛ فإني أخلعها بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات، فلا تُعاتبني ولا تغضب عليّ، وأما قولك : لم تُسَلِّم عليّ بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذبًا ، وأما قولك : لم تكنِّني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه فقال : يا داود،يا يحيى، يا عيسى، وكنَّى أعداءه، فقال : ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ وأما قولك : جلست بإزائي؛ فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام، فقال له : عِظني، فقال له : إني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول: إن في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته، ثم قام فخرج.

٦٠٧ - «ما يبكيك؟»

عن مسعر بن كدام قال: كنت أمشي مع سفيان الثوري، فسأله رجل ، فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقال له : ما يبكيك؟ قال: وأيُّ مصيبة أعظم من أن يؤمِّل فيك رجل خيرًا فلا يصيبه عندك.

٦٠٨ - «الرسول يستعيذ بالله من الطمع»

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من طمع في غير مَطْمَع، ومن طمع يقود إلى طبع.

قال عمر بن الخطاب: ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع.

وفي حديث آخر أن عمر أو ابن الزبير قال لكعب : ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه ؟ قال : الطمع، وطلب الحاجات إلى الناس وقال كعب : الصَّفا الزَّلَّال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء : الطمع.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

قال عمرو بن عبيد : في المؤمن ثلاث خلال: يسمع الكلمة التي توذيه فيضربُ عنها كأن لم يسمعها، ويحبُّ للناسا ما يحبُّ لنفسه، ويقطع أسباب الطمع من الخلق.

قال أبو العتاهية:

أطعْتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حُرّاً

٦٠٩ - «ارفق بنفسك قليلاً»

عن بهيم العجلي قال: ركب معنا شاب من بني مرة البحر، فجعل يبكي الليل والنهار، فعتبه أهل المركب على ذلك ، وقالوا: ارفق بنفسك قليلاً ، قال : إنه أقل ما ينبغي لي أن يكون لنفسي عندي أن أبكيها وأبكي عليها أيام الدنيا لعلمي بما يمر عليها في ذلك اليوم غدًا، قال: فما بقي في المركب أحد إلا بكى.

٦١٠ - «لا تغالوا بالأكفان»

عن خالد بن الربيع قال: لما ثُقل[١] حذيفة -رضي الله عنه- سمع بذلك رهطه

(١) شارف على الموت.

والأنصار، فأتوه في جوف الليل، أو عند الصبح، فقال : أي ساعة هذه ؟ قلنا : جوف الليل، أو عند الصبح، فقال : أعوذ بالله من صباح إلى النار، قال: جئتم بما أُكفنُ به؟ قلنا : نعم. قال: لا تغالوا بالأكفان؛ فإنه إن يكن لي عند الله خير بدلت خيرًا منه، وإن كانت الأخرى سلبت سلبًا سريعًا.

٦١١ - «اختر إحدى ثلاث»

قام رجل إلى سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين عندي نصيحة ، قال : وما نصيحتك هذه ؟ قال : كان فلان عاملاً ليزيد والوليد وعبد الملك فخانهم فيما تولاه، واقتطع أموالاً جليلة فمُره باستخراجها منه، فقال: أنت شر منه وأخْون، حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا أني أنفّر أصحاب النصائح لعاقبتكم، ولكن اختر مني خصلة من ثلاث . قال: اعرضهنّ يا أمير المؤمنين، قال: إن شئت فتّشتُ عما ذكرت، فإن كنت صادقًا مقتناك، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن شئت أقلناك، قال : بل تقيلني يا أمير المؤمنين، قال: قد فعلتُ فلا تعودن بعدها إلى أن تظهر من ذي مروءة ما كتمه الله وستره.

٦١٢ - «الذي يظن أن الله لا يغفر لهم»

عن عبد الله بن المبارك قال: كنت آتي سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاث على ركبتيه ، وعيناه تهملان فبكيتُ، فالتفت إليّ فقال : ما شأنك؟ فقلت : من أسوأ أهل الجمع حالاً ، قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم.

٦١٣ - «أسماء خطيبة الأنصار»

بينما كان رسول الله ﷺ بين أصحابه أتت إليه امرأة تدعى أسماء بنت يزيد

الأنصارية فقـالت له : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النسـاء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنسـاء كافة ، فآمنّا بك وبإلهك ، وإنا معشر النسـاء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم ومقضى شـهواتكم وحاملات أولادكم، وإنكم -معشر الرجال- فُضِّلتم علينا بالجُمع والجماعات وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبـيل الله، وإن الرجل إذا خرج حاجّاً أو معتمـرًا أو مجاهدًا، حفظنا لكم أموالكم، وغـزلنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أولادكم، أفما نشـاركم في هذا الأجر؟ فالتفت الرسول صلوات الله عليه إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مـساءلتها في أمـر دينها من هذه ؟ !» . فقالوا: يا رسـول الله، ما ظننا أن امرأة تهـتدي إلى مثل هذا! فـالتفت النبي إليهـا وقال : «**افهـمي أيتهـا المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء أن حُـسْن تبعّل المرأة لزوجهـا وطلبها مرضـاته، واتباعهـا موافقتـه، يعدلُ ذلك كله**» . فانصرفت المرأة وهي تهلّل.

٦١٤ - «يا ابن أم عمارة، أمك ! أمك!»

قالت أم عمارة نسـيبة المازنية : رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فـما بقي إلا في نفر ما يُتمُّـون عشرة ، وأنا وابناي وزوجي بين يديه، نَذُبُّ عنه، والناس يمرون منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً موليًا ومعه ترس، فقال : ألْقِ تُرسك إلى من يقاتل، فألقاه، فأخذته، فجعلت أُترِّس به عن رسول الله ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كـانوا رجّالة مثـلنا أصبناهم، إن شاء الله، فـيُقبل رجـل على فرس فيـضربني، وترَّست له، فلم يضع شيئًا وولى ، فأضربُ عُرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح : يا ابن أم عمارة، أمَّك أمَّك» قالت : فعاونني عليه حتى أوردته شعوب[1] .



(١) شعوب: اسم من أسماء الموت.

٦١٥- «لا تقربني بعد هذا يا خائن»

استودع رجل أمينَ إياسٍ مالاً، وخرج المودِع إلى الحجاز، فلما رجع طلبه فجحده، فأتى إياسًا القاضي فأخبره، فقال له إياس: أعلَمْتَه أنك أتيتني؟ قال: لا، قال: أفنازعته عند غيري؟ قال: لا، قال: فانصرف واكتم سرك ثم عد إليّ بعد يومين.

فمضى الرجل ودعا إياس أمينه، فقال: قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسَلِّمَه إليك، أفَحَصينٌ منزلك، قال: نعم، قال: فأعِدَّ موضعًا للمال وقومًا يحملونه وعاد الرجل إلى إياس فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك وإن جحد، فقل له: إني أخبر القاضي بالقصة. فأتى الرجل صاحبه، فقال: تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي وأخبره بالحال، فدفع إليه المال، فرجع الرجل وأخبر إياسًا. ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به، فزجره، وقال له: لا تقربني بعد هذا يا خائن.

٦١٦- «لا عُدمت اسمك يا أمير المؤمنين»

أقبل على سليمان بن عبد الملك فتى من بني عبس وسيم، فأعجبه، فقال: ما اسمك؟ قال: سليمان، قال: ابن مَن؟ قال: ابن عبد الملك، فأعرض عنه وجعل يُفْرِضُ لمن دونه، فعلم الفتى أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه، فقال: يا أمير المؤمنين، لا عدمت اسمك، ولا شقي اسمٌ يوافق اسمك، فارض، فإنما أنا سيف بيدك، إن ضربتَ به قطعت، وإن أمرتك أطعتُ، وسهم في كنانتك، أشتدُّ إن أُرْسلتُ، وأنفُذُ حيث وجِّهت. فقال له سليمان وهو يختبره: ما قولك يا فتى لو لقيت عدوًا؟ قال: أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، قال سليمان: أكنت مكتفيًا بهذا، لو لقيت عدوك دون ضرب شديد؟ قال الفتى: إنما سألتني يا أمير المؤمنين: ما أنت قائل؟ فأخبرتك، ولو سألتني: ما أنت فاعل؟ لأنبأتُك إنه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى يتعقف[1] ولطعنت بالرمح حتى يتقصف.

(١) يتعوج.

فأعجب به سليمان وألحقه في العطاء بالأشراف وتمثل:

إذا مـا اتـقى الله الفـتى ثم لـم يكن على قـومـه كـلاً فـقـد كَـمُلَ الفـتى

٦١٧- «يحيى وعيسى عليهما السلام والكلمات الخمس»

عن الحارث الأشعري -رضي الله عـنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تبارك وتعالى أمـر يحيى بن زكـريا عليهـما السـلام بخمس كلمـات أن يعمل بها وأن يـأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهـا، وأنه كاد أن يبطيء بها فقال له عيسى عـليه السلام : إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بها وتأمر بها بني إسـرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم بها ، وإما أن آمرهم أنا بها. فـقال يحيى عليه السلام : أخشى إن سبـقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشُّرف، فقال : إن الله أمرني بخـمس كلمات أن أعمل بهن وأن آمـركم أن تعملوا بهن، أولهن أن تعـبدوا الله لا تشركوا به شيئًا ، فإن مثل من أشرك بالله كـمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، وقال : هذه داري وهذا عمل فاعمل وأدِّ إليّ -فكان يعمل ويؤدي لغير سيده - ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك. وإن الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهـه لوجه عبـده في صلاته ما لم يلتفـت . وأمركم بالصيام فـإن مثل ذلك كمثل رجل في عصـابة صرة فيها مسك وكلهم يعجبـه ريحها،وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقـة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العـدو فأوثقوا يديه إلى عنقه، وقـدموه ليضربوا عنقـه فقال : أنا أفدي نفـسي منكم بالقليل والكثير ، فـفدى منهم. وأمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعـالى» . وقال ﷺ : «**وأنا آمركم بـخمس ، الله تعالـى أمرني بهن: السمـع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهليـة فهو في جهنم**» . فقال رجل : وإن صام يا رسول الله ؟ قـال: «**وإن صـام وصلى فادعـوا بدعوى الله -الشـهـادة- الذي سمـاكم المسلمين والمؤمنين عباد الله**»[١] .

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع».

٦١٨- «ما حملك على ما فعلت»

قيل: إن ملكًا من ملوك الفرس قرب إليه طباخه طعامًا فوقعت منه نقطة على المائدة على الملك ، فأعرض الملك عنه إعراضًا تحقق به الطباخ قتله، فأمسك الطباخ بالإناء وكفأه، وألقاه على المائدة وعلى الملك ، فقال الملك : ما حملك على ما فعلت وقد عملت سقوط النقطة أخطأت بها يدك قد تؤدي إلى قتلك ؟ فقال الطباخ: استحييت أن الناس تسمع عن الملك أنه استوجب قتلي واستباح دمي مع قديم خدمتي ولزومي حرمته في نقطة واحدة أخطأت بها يدي فأردت أن يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي ويعذر في قتلي، من فعل مثل فعلي، فعفا عنه الملك وأمر بإعطائه جائزة.

٦١٩- «عمرو بن لحي والأصنام»

كان عمرو بن لحي يطعم الناس ويكسوهم في المواسم وربما نحر في الموسم الواحد عشرة آلاف ناقة، وكسا عشرة آلاف شخص، كان كريمًا والعرب تمدح هذه الصفة وكان شجاعًا والعرب تمدح هذه الصفة. ومن هنا أحبه الناس ، وحرصوا على إرضائه، والاستجابة لما يأمر به، فلا يبتدع للعرب بدعة إلا اتخذوها شريعة، خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، وكان العماليق يومئذ بالشام ، فرآهم يعبدون الأصنام ،فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ فقال العماليق: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم : أفلا تعطوني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنمًا يقال له :«هبل»، فقدم به إلى مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه واستجاب الناس له؛ لأنه فيهم مطاع الكلمة بصير بشئون العبادة حتى أنه كانت بمكة صخرة يصنع عليها الخبز رجل من ثقيف ويقدمه للحجاج وكانت هذه الصخرة تسمى «صخرة اللات» أي الذي يلت العجين ويصنعه فلما مات هذا الرجل اللات. قال

عمرو بن لحي : إنه لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة، وأمر قريشًا بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتًا يسمى اللات، ففعلوا. ثم جاء الإسلام وعرف النبي هذه الحقيقة ، وعرف أن عمرو بن لُحي هو الذي جلب الصنم «هبل» من بلاد الشام وهو الذي أمر قريشًا فاتخذت بيت اللات بل عرف أكثر من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه : **«يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قُصْبه في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه»** . فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : **«لا ، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام»**.

٦٢٠- «الأخ يستأجر حاسدًا لأخيه»

ورد أن رجلاً ترك ولدين بعد مماته وخلف لهما مالاً لا بأس به فاقتسماه وتصرف كل منهما في حقه فاشتغل الابن الأصغر في التجارة وأخلص لله في عمله وكان كثير التصدق لا يبخل على عباد الله بنعمة فنمت تجارته وازدادت أمواله وأصبح ذا ثروة طائلة ولم يكن له أعداء لذلك كانت أمواله محصنة لا يؤثر فيها حسد. أما الابن الآخر فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته في الخمر والميسر والزنا، فنفدت أمواله عن آخرها وأصبح فقيرًا لا يجد ما يقتات به ومع ذلك كان أخوه كثير العطف عليه يئويه ويقدم له من المأكل والملبس ما يكفيه. ولم يكتف هذا بعطف أخيه عليه ، بل أخذ الحسد يتمكن من قلبه لأخيه، وفكر في طريقة يُضيع بها ثروة أخيه ، حتى يسير مماثلاً له في الفقر، وبذلك يطمئن قلبه فلا يعايره الناس بفقره ويشيدون بسمعة أخيه فصار يجتهد للوصول إلى تنفيذ غرضه الدنيء وأخيرًا اهتدى بوحي من إبليس إلى رجل حسود اشتهر بحسده ، وقليل من القوم من نجا من حسده، وكان الحاسد ضعيف البصر لا يكاد يرى إلا عن قُرب، فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده ، وطلب منه حسد أموال أخيه مقابل أجر يدفعه عند هلاك ثروته وأخذه إلى طريق كانت تمر منه تجارة أخيه فنبه الأخ الأكبر الرجل الحسود إليها -التجارة- قائلاً : استعد فقد قربت تجارة أخي ، وصارت على بُعد ميل واحد منا. فقال

الرجل الحسود : يا لقوة بصرك ، أتراها على هذا البُعد ، يا ليت لي بصر قوي مثل بصرك ،فشعر صاحبنا بألم في رأسه، وأظلمت عيناه وعمي في الحال ومرت تجارة أخيه سالمة لا يمسها سوء.

٦٢١- «تبيت في بعض المساجد»

تغير هارون الرشيد يومًا على زوجته زبيدة، فقال لها : أنت طالق ثلاثًا إن بت الليلة في مملكتي، فاستفتوا في ذلك القاضي أبا يوسف ، فقال : تبيت في بعض المساجد ؛ فإن المساجد لله، فولاه الرشيد القضاء بجميع مملكته.

٦٢٢- «أعد عليَّ»

وحكي عن مسروق -رضي الله عنه- أنه سمع قارئًا يقرأ : ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا**﴾ فاضطرب وأخذ يبكي وقال للقارئ: أعد عليّ ، فما زال يعيد عليه هذه الآية وهو يبكي حتى وقع ميتًا -رحمه الله- فكان من قتلى القرآن.

٦٢٣- «كم أقول ارجعي»

وروي أن مضر القارئ كان يقرأ هذه الآية : ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق**﴾ فبكى عبد الواحد بن زيد حين سمعها حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال : «وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدي أبدًا فأعني بتوفيقك على طاعتك» . ثم سمع قارئًا يقرأ : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية**﴾ فاستعادها من القارئ، وقال: «كم أقول

ارجعي»، وأغـمي عليه خـوفًا من الله وعـذابه، وتاب إلى الله وصلح حالـه بعد ذلك . وصدق اللـه إذ يقول : «**لو أنزلنا هذا القرآن على جـبل لرأيته خاشعًا مـتصدعًا من خـشية الله**» .

٦٢٤ - «أنتِ طالق إن صعدتِ»

ونظر رجل إلى امـرأته وهي صاعـدة في السلم فقـال لها : أنت طالق إن صـعدت وطالق إن نزلت وطالق إن وقفت، فـرمت نفسها من على السلم وسط الدار، فـقال لها : فداك أبي وأمي ، إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

٦٢٥ - «أنا أحوج لما صنعت»

قال ﷺ :«بينما رجل فيمن كان قبلكم - كان في ملكه فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه، وأنه قد شغله عن عبادة ربه عز وجل فتـسرب فانساب ذات ليلة من قصره ، فأصبح في مملكة غيره ، فـأتى ساحل البحر فكان به يضـرب اللبن بالأجر -الطوب النيء- ويأكل ويتصدق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقى -وصل- أمره إلى ملكهم ، وعبادته وفضله، فأرسل إليـه ملكهم أن يأتي فأبى ، ثم أعاد عليـه، فأبى أن يأتيه، وقال: مـا لي وما له ؟ قـال: فركب الملك فلمـا رآه ولى هاربًا، فلمـا رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركـه فناداه : يا عبد الله، إنه ليس عليك مني بأس فأقام حـتى أدركه، فقال : من أنت رحمك الله ؟ قال: أنا فلان صاحب ملك كذا وكذا تفكرت فـي أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع وأنه قد شغلني عن عبادة ربي فتركته وجئت ها هنا أعبد الله عز وجل ، قال له الملك : ما أنت بأحوج إلى ما صنعت مني . قال : ثم نزل عن دابته وسيبها فتبعه فكانا الملكان جميعًا يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعًا»[1] .

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

٦٢٦- «لأننا صلينا العشاء في جماعة»

عن عبيد الله القواريري -شيخ البخاري ومسلم- -رضي الله عنه- قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط. فنزل بي ليلة ضيف، فشغلت بسببه، وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد، فرجعت إلى بيتي وقلت: قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فصليت العشاء سبعًا وعشرين مرة، ثم نمت فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا أيضًا على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض بفرسي فلا ألحقهم فالتفت إليّ أحدهم فقال لي: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا. قلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك، فانتهيت من منامي وأنا مغموم حزين لذلك.

٦٢٧- «أول من يقضى بينهم يوم القيامة»

قال ﷺ: «إن أول ناسٍ يقضى بينهم يوم القيامة رجل استشهد فأُتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جريء، وقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيه؟ قال: تعلمت العلم، وعلمت وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، وقد قيل. ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد -كريم- وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

(١) رواه مسلم.

٦٢٨ - «لقاء إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه آزر يوم القيامة»

قال ﷺ : «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة -سواد وظلمة- وغبره. فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب ، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد -الأبعد من رحمتك- . فيقول الله عز وجل : إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال له : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار -يعني ينظر إبراهيم عليه السلام فيجد آزر قد مسخ ضبعًا متلطخًا وأراد بالتلطخ التلوث بأقذاره والحكمة في مسخه ضبعًا أن الضبع أحمق الحيوانات ، فلما خالف نصيحته أخلص الناس له واتبع إغواء الشيطان مُسخ كأحمق حيوان-»[1] .

٦٢٩ - «سبحان المدبر الحكيم»

ويحكى أن أحد الصالحين كان إذا أصيب بشيء أو ابتلي به يقول خيرًا، وذات ليلة جاء ذئب فأكل ديكًا له، فقيل له به فقال : خيرًا، ثم ضُرب في هذه الليلة كلبه المكلف بالحراسة فمات، فقيل له ، فقال : خيرًا، ثم نهق حماره فمات، فقال : خيرًا إن شاء الله، فضاق أهله بكلامه هذا ذرعًا، ونزل بهم في تلك الليلة عرب أغاروا عليهم فقتلوا كل من بالمنطقة ولم ينجُ غيره ويسلم هو وأهل بيته. استدل العرب النازلون على الناس بصياح الديك ونباح الكلب ونهيق الحمير وهو قد مات له كل ذلك فكان هلاك هذه الأشياء خيرًا وسببًا لنجاته من القتل، فسبحان المدبر الحكيم.



(١) رواه البخاري.

٦٣٠- «كيف أنتِ والصبر»

قال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلدًا ولا أنضر منها ولا أحسن وجهًا منها، فقلت : تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور، فقالت : كلا، والله إن لدي أحزان وخلفي هموم، وسأخبرك: كان لي زوج ، وكان لي منه ابنان فذبح أبوهما شاة في يوم عيد الأضحى ، والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة. قال : نعم، فذبحه، فلما نظر إلى الدم جزع ففزع نحو الجبل فأكله الذئب فخرج أبوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشًا فأفردني الدهر فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقال: لو دام لي لدمت له ، ولكنه كان جرحًا فاندمل.

٦٣١- «لا يثقل مع اسم الله شيء»

قال ﷺ : «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مد البصر. فيقول : أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول : لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله عز وجل : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم فيُخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله . فيقول : احضر وزنك. فيقول: يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لن تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت -خفت- السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»[1] .

***

(١) صححه الألباني ، وانظر تخريجه في «تحفة الذاكرين» بتخريجنا. ط/ التوفيقية.

٦٣٢ - «قصة ذبح الموت»

قال ﷺ : «يؤتى بالموت كـهيئـة كبش أملح فينادى منادٍ، يـا أهل الجنة فيشـرئبون -يمدون أعناقهم- وينظرون ، فـيقول : هل تعـرفون هذا ؟ فيـقولون : نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه ، ثم ينادى: يا أهل النار ، فيشرئبـون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيـقولون : نعم ، هذا الموت. وكلـهم قد رآه، فيـذبح ثم يقول : يا أهل الجنـة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فـلا موت، وفي رواية : «فيزداد أهل الجنة فرحًـا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم » . ثم قرأ: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون**﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا[١] .

٦٣٣ - «الرحمة بالحيوان من أسباب المغفرة»

قال ﷺ : «بينما رجل يمشي بطريق اشـتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العـطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كـان قد بلغ مني، فنزل البئـر فملأ خفـه ماءً ثم أمسكه بفمـه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له »[٢] .

٦٣٤ - «لأطوفن الليلة على مائة امرأة»

قال ﷺ : «قال سلـيمان بن داود عليهـما السلام : لأطوفن الليلة على مـائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله. فلم يقل :

---

(١) أصله في الصحيحين. (٢) رواه البخاري ومسلم.

إن شاء الله . فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفسي بيده ، لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون»(١) .

٦٣٥ - «أريد هذه الشجرة»

عن الحسن قال: كانت شجرة تعبد من دون الله ، فجاء إليها رجل فقال : لأقطعن هذه الشجرة. فجاء ليقطعها غضبًا فلقيه إبليس في صورة إنسان، فقال : ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله. قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال: لأقطعنها. فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك. قال: فمن أين لي ذلك. قال: أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته، وقال : ما تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى. قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبل. فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله، قال: أتدري من أنا؟ أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضبًا لله، فلم يكن لي عليك سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سلطت عليك.

٦٣٦ - «خشيت أن تكون معهم»

وقيل: كان هناك شخص يلعن إبليس كل يوم ألف ، فبينما هو ذات يوم نائم أتاه شخص وأيقظه، وقال له : قم ؛ فإن الجدار سيسقط عليك ، فقال له : من أنت الذي أشفقت علي هذه الشفقة ؟ فقال له : أنا إبليس. فقال له : كيف هذا، وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة؟! فقال : هذا لما علمت من منزلة الشهداء عند الله تعالى، فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم كما ينالون.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

٦٣٧ - «قصة جريج العابد»

عن أبي هريرة قال : قال ﷺ : «كان جريج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعه، فكان فيها، فأتتـه أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جـريج. فقال : يا رب ، أمي وصلاتي. فـأقبل على صلاته، فانصـرفت. فلما كان من الغد أتتـه وهو يصلي، فقالت : يا جـريج . فقال : يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته، فانصرفت فلـما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج. فـقال : يا رب أمي وصلاتي، فـأقبل على صـلاته. فقالت : اللهم لا تُمـته حتى ينظر إلى وجـوه المومسات. فتـذاكر بنو إسرائيل جُـريجًا وعبادته. وكـانت امرأة بغي يُتمثل بحسنـها فقالت : إن شئتم لأفتنه. فـتعرضت له فلم يلتفت إليها. فـأتت راعيًا كان يأوي إلى صومـعته فأمكـنته من نفسهـا فوقع عليهـا فحملت فلمـا ولدت قالت : هو من جُريج. فأتوه فـاستنزلوه وهدموا صومعتـه، وجعلوا يضربونه، فقال : مـا شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البـغي ، فولدت منك. قـال: أين الصبي؟ فجـاءوا به ، فقال : دعـوني حتى أصلي ، فـصلى ، فلما انصـرف أتى الصبي فـطعن في بطنه، وقال : يا غـلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي. فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتـمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا»[1] .

٦٣٨ - «صدقة مقبولة»

قال ﷺ:«قال رجل: لأتصـدقن بصدقة. فخرج بصـدقته فوضعـها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدق الليلة على سـارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فـأصبحوا يتحدثون: تُصُدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فأصبحوا

(١) رواه البخاري ومسلم.

يتحدثون: تُصُدق الليلة على غني فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني. فأُتِي -أي: في المنام- فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته. وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها. وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما آتاه الله»[1] .

٦٣٩ - «الرضيع الذي كلم أمه»

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : كانت امرأة ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه ، فنظر إليه، فقال : اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع، قال : فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة يجعلها في فمه، فجعل يمصها قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زنيت سرقت. وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاعة ونظر إليها. وقال : اللهم اجعلني مثلها. فهناك تراجعا الحديث -حديث الرضيع وحديثها- فقالت : مر رجل حسن الهيئة فقلت : اللهم اجعل ابني مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله. ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: سرقت زنيت. فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها . فقلت : اللهم اجعلني مثلها ! . قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون لها : زنيت سرقت، ولم تسرق ، فقلت: اللهم اجعلني مثلها»[1] .

٦٤٠ - «أنكحا الغلام الجارية»

قال ﷺ : «اشترى رجل من رجل عقارًا، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر الذهب، وقال الذي له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل . فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لي غلام، وقال الآخر : لي جارية . قال: أنكحا الغلام الجارية ، وأنفقا على أنفسهما منه»[(١)] .

٦٤١ - «ابكي على نفسك حتى الممات»

دخل سعيد بن المسيب -رضي الله عنه- مسجد رسول الله ﷺ فجعل يلتفت في أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك أصحاب النبي ﷺ ، ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحماةُ وأسلموني فوا أسفا على فَقْدِ الحُماةِ
تولوا للقبور فأسقموني فوا أسفا على فَقْدِ الثقاتِ

فأجابه هاتف من ركن المسجد بصوت محزون من كبد مشجون وهو يقول:

فَدَعْ عنك الثقاتَ فقد تولوا ونفسك فابكها حتى المماتِ
فكل جماعةٍ لابد يومًا يُفَرِّق بينهم وَقْعُ الشتاتِ

فقال سعيد : مَن أنت فقد زدتني حزنًا؟. فقال: أنا من مؤمني الجن، كنا في هذا المسجد سبعين رجلاً، فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك، ولم يبق منهم غيري، كما لم يبق من الإنس غيرك، وإنا بهم لاحقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٦٤٢ - «زهد وورع»

عندما زار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مدينة حمص بالشام،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

جاءه أهلها يشكون إليهم، سعيد بن عامر وعابوا عليه أربع خصال ، لا يخرج إليهم حتى يتعالى النهار، ولا يجيب أحدًا بليل، ويعتزل الناس يومًا في الشهر، ويأتيه إغماء بين حين وحين ،ويسأله عن ذلك ، فيعلم أنه يعجن كل صباح خبزه ، ويخبزه بنفسه، ثم يخرج ، وأنه جعل نهاره للناس ، وليله لله، يعبده فيه، وأنه يغسل ثيابه مرة في الشهر، وينتظر حتى تجف، وأما عن الإغماء فقد قال سعيد : كنت مشركًا ، وشهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضعت[1] قريش لحمه، ثم حملوه على جذع، وقالوا له : أتحب أن يكون محمد مكانك؟ فقال : والله ما أحب أن أكون معافى في نفسي وأهلي وولدي، وأن محمدًا شيك بشوكة، ثم نادى : يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم، وتَرْكي نصرة خبيب، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي أبدًا، فيصيبني ما يصيبني يا أمير المؤمنين.

٦٤٣- «قصة الأبرص والأقرع والأعمى»

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا ، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني[2] الناس ، فمسحه[3] فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنًا، فقال -أي الملك- فأي المال أحب إليك؟ قال : الإبل -أو قال : البقر شك الراوي- فأعطي ناقة عشراء[4] فقال : بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس ، فمسحه فذهب عنه ، وأعطي شعرًا حسنًا. قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، فأعطي بقرة حاملاً، قال : بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى ، فقال: أي شيء أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأُعطي شاة والدًا، فأنتج هاذان وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم. ثم إنه - أي : الملك -

(١) أي: قطعت.
(٢) كرهني.
(٣) أمرَّ يده عليه.
(٤) حامل.

أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال[1] في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال : الحقوق كثيرة. فقال -أي الملك-: كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر . فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا . فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك: شاة أتبلغ بها في سفري ؟ فقال : قد كنت أعمى ، فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[2] .

٦٤٤- «أنت الذي قيل فيك كذلك؟»

عن أبي الفضل الربعي عن أبيه قال : قال المأمون يومًا وهو مغضب لأبي دلف: أنت الذي يقول فيك الشاعر:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومُحتضرِه

فإذا ولّى أبو دلف ... ولّت الدنيا على أثرِه

فقال : يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول عزور ، وملق معتاف ، وطلب عرف، وأصدق منه ابن أخت لي حيث يقول:

دعيني أجوبُ الأرض في طلب الغِنى ... فلا الكرخ الدنيا ولا الناسَ قاسم

فضحك المأمون وسكن غضبه.

---

(١) الأسباب.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

٦٤٥ - «غفر الله لك يا عبد الله»

عن ابن أبي الزناد قال: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص رسول الله ﷺ ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب ، وفيما انتهت، فقالت أسماء: لَلقميص أشد عليّ من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال : لا أرده أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها : قالت كيف أستغفر لقاتل عبد الله . قالوا: أفليس يرد القميص. قالت: قولوا له فليجئ. فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت : ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه، فقالت : قبضت القميص يا عبد الله ؟ قال : نعم . قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة.

٦٤٦ - «لو قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار»

قال المبارك : بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب الخلق أفجع ذو غدر بيِّن، فلما رآه الحجاج قال : مرحبًا بأبي غادية، فلم يرحب به حتى أجلسه على سريره، ثم قال له : أنت قاتل ابن سمنة ؟ قال : نعم، قال : كيف ؟ قال : صنعت كذا وفعلت كذا حتى قتلته. قال الحجاج لأهل الشام: من سره أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة، فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمنة، ثم ساره أو غادية، فسأله شيئًا فأبى عليه، فقال أبو غادية : نعطي لهم الدنيا، ثم نسألهم منها شيئًا فلا يعطونا، وتزعم أنه عظيم الباع يوم القيامة، قال: أجل. والله إن من كان ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل وقان، وساقه البيضاء، ومجلسه ما بين المدينة إلى الزبيد لعظيم الباع يوم القيامة، والله لو أن عمار بن سمنة قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار.



٦٤٧ - «أعطوه عشرة آلاف درهم»

عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه قال : بعث إليّ الرشيد، فدخلت فإذا صبية، فقال : من هذه الصبية ؟ فقلت : لا أدري. قال : هذه مواسة بنت أمير المؤمنين، فدعوت لها وله . قال : نعم، فقبّل رأسها. فقلت : إن أطعته أدركته الغيرة، فقتلني، وإن أنا عصيته قتلني بمعصية، فوضعت كمي على رأسها وقبلت كمي، فقال : والله يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك . أعطوه عشرة آلاف درهم.

٦٤٨ - «أين حق الاسترسال»

لقي الحجاج أعرابياً بفلاة فسأله عن نفسه، وعن عماله وسعاته، فأخبره بكل ما يكره، فقال له : أنا الحجاج قتلني الله إن لم أقتلك، قال : فأين حق الاسترسال؟ قال : أولى لك! ما أحسن ما تخلصت!. وخلى سبيله.

٦٤٩ - «هؤلاء لم يخلفوا شيئًا»

كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن من العلوم شيئًا إلا ما شاء الله، وكان مطبوعًا يتكلم على مذهب الصوفية ، فكتبت إليه رقعة: ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا ؟ ففتحها فتأملها فقرأ : ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات، فلما رآها في الفرائض رماها من يده، وقال : أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئًا، فعجب الحاضرون من حدة خاطره.

٦٥٠ - «رأيت ذلك في المنام»

ويحكى أن مزيداً كان يدخل على بعض ولاة المدينة ، فأبطأ عليه ذات يوم، ثم جاء فقال : ما أبطأك عني؟ قال : جارة لي كنت أهواها منذ حين، فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها، فغضب الوالي ، وقال : والله لآخذنك بإقرار ، فلما رأى الجد منه، قال: فاسمع تمام حديثي، قال : وما هو ؟ قال : فلما أصبحت خرجت أطلب مفسراً يفسر لي رؤياي، فلم أقدر عليه إلى الساعة. قال : ذلك في المنام رأيت؟ قال : نعم . فسكن غضبه.

٦٥١ - «القاضي وزوجته»

قال القاضي أبو الحسين بن عتبة : كانت لي ابنة عم موسرة وتزوجتها، فلم أوثرها لشيء من الجمال، ولكني كنت أستعين بمالها وأتزوج سراً، فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني، وضيقت عليّ إلى أن أطلق من تزوجتها، ثم تعود إليّ، فطال ذلك عليّ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري ، فمكثت معي مدة يسيرة وسعي بها إلى ابنة عمي، فأخذت في المناكدة والتضييق عليّ، فلم يسهل عليّ فراق تلك الصبية ، فقلت لها : استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها، حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال، وتبخري بالعنبر واذهبي إلى ابنة عمي ، فابكي بين يديها، وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها، فإذا سألتك عن حالك ، فقولي لها : إن ابن عمي قد تزوجني، وفي كل وقت يتزوج عليّ واحدة ، وينفق مالي عليها ، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه ، فإني أقدمه إليه، فإنها سترفعك إليّ ففعلت ، فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها، وقالت لها : فالقاضي شر من زوجك، وهكذا يفعل بي ، وقامت فدخلت عليّ، وأنا في مجلس لي ، وهي غضبى ، ويد الصبية في يدها، فقالت : هذه المشؤومة حالها مثل حالي، فاسمع مقالها واعتمد إنصافها، فقلت : ادخلا، فدخلتا

جميعًا، فقلت لها : ما شأنك؟ قالت : فذكـرت ما وافقها عليه، فقلت لها : هل اعترف ابن عمك بأنه قـد تزوج عليك؟ فقالت : لا، والـله. وكيف يعتـرف بما يعلم أني لا أقاره عليه. قلت : فشـاهدت أنت هذه المرأة وقفت على مكانها وصورتهـا؟ فقالت : لا والله. فقلت : يا هذه ، اتقي الله، ولا تقبلـي شيئًا سمعتـه ، فإن الحساد كثيـر والطلاب لإفساد النساء كثير، والحيل والتكذيب ، فهذه زوجـتي قد ذكر لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثًا، فقامت ابنة عـمي ، فقبَّلت رأسي، وقالت : قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي، ولم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي.

٦٥٢- «الانتقام عدل والتجاوز فضل»

قال الأصمعي : أتي المنصور بـرجل ليعاقبه على شيء بلغه عنه، فقـال له : يا أمير المؤمنين، الانتقـام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعـيذ أمير المؤمنين بالله أن يـرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه.

٦٥٣- «أحبهما إلي صاحبة الدينار»

قال رجل من بني نوفل بن عبد مناف : لما أصاب نصيب من المال ما أصاب، وكان عنده أم محجن وكانت سوداء اشـتاق إلى البياض، فتزوج امرأة سرية بيـضاء، فغضبت أم محجن وغارت عليه، فـقال لها : والله يا أم محجن ما مثلي يغار عليـه. إني شيخ كبير، وما مثلك يغار ، إنك لعـجوز كبيرة، وما أحد أكرم عليّ منك ولا أوجب حـقاً، فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه عليّ. فرضيت وقرت ثم قال لها بعد ذلك : هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة ، فـهو أصلح لذات البين، وألم للشعث وأبعد للشمـاتة، فقالت : نعم ، افعل وأعطاها دينار، وقال لها : إني أكره أن ترى بك خـصاصة أن تفضل عليك، فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداً بهذا الدينار، ثم أتى زوجـته الجديدة، فقال لها : إني أردت أن

أجمعك إلى أم محجن غدًا، وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن، فخذي هذا الدينار فأعدي لها به إذا أصبحت عندها غدًا ؛ لئلا ترى بك خصاصة، ولا تذكري لها الدينار، ثم أتى صاحبًا له يستنصحه، فقال : إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غدًا، فأتني مسلمًا، فإني سأستجلسك للغداء، فإذا تغذيت فسلني عن أحبهما إليّ، فإني سأنفر وأعظم ذلك، فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فاحلف عليّ، فلما كان الغد زارت زوجته الجديدة لأم محجن ، ومر به صديقه، فاستجلسه، فلما تغذيا أقبل الرجل عليه، فقال : يا أبا محجن، أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك. فقال : سبحان الله، أتسألني عن هذا ؟ وهما يسمعان ما سأل عن مثل هذا أحد. قال : فإني أقسم عليك لتخبرني، فوالله لا عذرتك ولا أقبل إلا ذاك. قال: أما إذا فعلت فأحبهما إليّ صاحبة الدينار والله لا أزيد على هذا شيئًا، فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة، وهي تظن أنه عناها بذلك القول.

٦٥٤ - «أعطوهم أخاهم»

قال ابن الجوزي: إن مزينة أسرت ثابتًا أبا حسان الأنصاري، وقالوا: لا نأخذ فداءه، إلا تيسًا فغضب قومه، وقالوا: لا نفعل هذا، فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا، فلما جاؤوا بالتيس، قال: أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم، فسموا مزينة التيس، فصار لهم لقبًا وعبثًا.

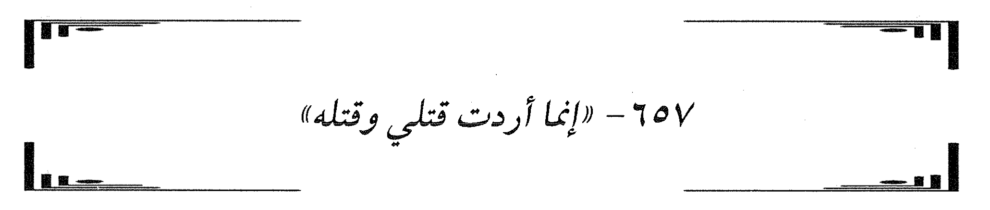
٦٥٥ - «وجدت أقبح من خطي»

قال أبو بكر الخطاط: كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة ، فكان الفقهاء يعيبونه بخطه، ويقولون : لا يكون خط أردأ من خطك، فيضجر من عيبهم إياه، فمر يومًا بمجلد يباع فيه خط أردأ من خطه، فبالغ في ثمنه، فاشتراه بدينار وقيراط، وجاء به ليحتج عليهم إذا قرأوه فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه، فقال لهم : قد وجدت أقبح من

خطي وبالغت في ثمنه، حتى أتخلص من عيبكم، فأخرجه فتصفحه، وإذا في آخره اسمه وأنه كتبه في شبابه، فخجل من ذلك.

٦٥٦ - «ما كان هذا جزائي منك»

وعن الأصمعي عن أبيه قال: أتي عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهُزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك، فضحك وخلى سبيله.



٦٥٧ - «إنما أردت قتلي وقتله»

وذكر ابن جرير وغيره أن المنصور دفع عبد الله بن علي إلى عيسى بن موسى سراً بالليل قال: يا عيسي، إن هذا أراد أن يزيل نعمتي ونعمتك، وأنت ولي عهدي بعد المهدي، والخلافة صائرة إليك، فخذه فاضرب عنقه، وإياك أن تخور أو تضعف، ثم كتب إليه: ما فعلت فيما أمرتك به، فكتب إليه: قد أنفذت ما أمرتني به، فلم يشك في أنه قتله، وكان عيسى قد أخبر كاتبه بالحال، فقال: إنما أراد قتلك وقتله لأنه أمرك أن تقتله سراً ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به، قال: فما الرأي؟ قال: أن تستره في منزلك، فإن طلبه منك علانية أظهرته علانية.

ثم إن المنصور دس على عمومته من يحركهم على مسألة عن عبد الله بن علي ويطمعهم في أنه سيفعل وكلموه ورافعوه، فقال: عليّ بعيسى بن موسي، فأتاه، فقال: يا عيسى، قد علمت أني دفعت إليك عبد الله بن علي، وقد كلموني فيه، فأتني به، فقال: يا أمير المؤمنين، ألم تأمرني بقتله؟ ثم قال لعمومته: قد أقر لكم بقتل ابن أخيكم فادعى

أني أمرته بقتله وكذب، قالوا: فادفعه إلينا نقيده، قال: شأنكم به فخرجوه إلى الرحبة، واجتمع الناس ، فشهر أحدهم سيفه، وتقدم إلى عيسى ليضربه، فقال له عيسى: أقاتلي أنت ؟ قال: إي والله، قال : ردوني إلى أمير المؤمنين ، فردوه، فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني، هذا عمك حي سوي فأتاه به.

٦٥٨ - «الباقلاني وملك الروم»

عن الحسين بن عثمان وغيره أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم، فأفكر الملك في أمره، وعلم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبِّل الأرض بين يدي الملك ، فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه، إلا راكعًا ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضًا من تفكيره بين يديه، فلما وصل القاضي إلى المكان فطن بالقصة، فأدار ظهره وحنى رأسه، ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذ إلى الملك ، فعلم الملك من فطنته وهابه.

٦٥٩ - «أما من قِبلك فلا»

لما أسن معاوية اعتراه أرق ، وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس، فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه، قال : يا معشر العرب، هل فيكم من يفعل ما آمره به وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع ؟ فقام فتى من غسان فقال : أنا يا أمير المؤمنين ،قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صرت على بساطه أذنت قال : ثم ماذا؟ قال: فقط. قال: لقد كلفت صغيرًا وأعطيت كثيرًا، فلما خرج وصار على بساط قيصر أذن، فحارت البطارقة واخترطوا سيوفهم، فسبق إليه ملك الروم، فجثى عليه وجعل يسألهم بحق عيسى

وبحقه عليهم حتى كفوا، ثم ذهب إلى سريره حتى صعد به، ثم جعله بين رجليه، فقال : يا معشر البطارقة إن معاوية قد أسن ومن أسن أرق، وقد آذته النواقيس ، فأراد أن يقتل هذا على الأذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس، وبالله ليرجعن إليه على خلاف ما ظن فكساه وجمله، فلما رجع إلى معاوية قال له : أو قد جئتني سالمًا؟ قال: أما من قبلك فلا.

٦٦٠- «اشترى قتله بعشرة آلاف درهم»

قال المحسن: وقد روي قديمًا مثل هذا أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج،وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج ، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلي غناك أبدًا، فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج : مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاته، فعاد إلى بلال فقال : اعهد . قال : وما الخبر ؟ قال: إن الحجاج قال كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتًا قتلني، وعلم أني أردت الحيلة عليه، ولابد أن أقتلك خنقًا فبكى بلال، وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى، فأخذه السجان وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتًا قال : سلمه إلى أهله فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم، ورجعت الحيلة عليه.

٦٦١- «ملأت الأرض جورًا وظلمًا فاتق الله»

قال سفيان الثوري : أدخلت على أبي جعفر المنصور -أو قال : على المهدي- بمنى، فقال لي: ارفع حاجتك إلينا، فقلت له : قد ملأت الأرض ظلمًا وجورًا فاتق الله، وليكن

منك في ذلك عبرة. فطأطأ رأسه ، ثم رفعه ، وقال : أرأيت إن لم أستطع رَفْعَه؟.

فقلت : تخليه وغيرك. فطأطأ رأسه ثم رفعه، وقال : ارفع إلينا حاجتك.

فقلت : إنما أُنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعًا، وهم ومَن تبعهم بإحسان بالباب فاتَّقِ الله وأوصِل إليهم حقوقهم.

فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع إلينا حاجتك.

فقلت : وما أرفع ؟ حدثني إسماعيل بن أبي خالد قال : حج عمر بن الخطاب فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهمًا. وأرى هنا أمورًا لا تطيق الجِمال -أو الجبال- حملها.

٦٦٢ - «بل اهْنَئِي»

روي عن حبيبة العدوية ، أنها كانت إذا صلت صلاة العشاء، قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها ، ثم قالت : إلهي ، قد غارت النجوم ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها، فإذا طلع الفجر قالت : إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، أَقَبِلْتَ مني ليلتي فأهنأ، أم رددتها فأعزى؟ وعزتك وجلالك، لو انتهرتني عن بابك ما برحته، لما وقع في نفسي من جودك وكرمك.

٦٦٣ - «هكذا كان الصحابة»

عن أبي أراكة قال : صليت مع علي بن أبي طالب صلاة الفجر، فلما سلَّم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح، قال : وقلب يده: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد

كانوا يصبحون شُعْثًا صُفْرًا غُبْـرًا بين أعينهم أمثال رُكَب المعزى، قد باتوا لله سُجّدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله يراوحون[1] بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم. والله لكأن القوم باتوا غافلين ثم نهض فما رُئي مفترًا يضحك حتى ضربه ابن ملجم.

٦٦٤- «ناري ونوري»

قال إبراهيم اليسـار: كنت أماشي إبراهيم بن أدهم نريد الكوفـة إذ عـدل في بعض الطريق إلى قبر فترحَّم عليه وتأسَّف، فقلت: قبر مَن هذا؟ قال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدائن كلها، قلت: فما كان شأنه؟ قال: سُرَّ ذات ليلة بشيء من ملاهيه ثم نام فرأى في منامـه رجلاً قائـمًا على رأسه بيـده كتاب، فـتناوله منه وفَضَّـه فإذا فيـه مكتوب بالذهب: لا تُوثِرَنَّ ناري عل نوري، ولا يَغُرَّنَّ ما ملكت يداك في دنياك، فإنه يَصُدُّك عما ادَّخرته لك في عقباك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه وخيم، وهو ملك لولا أنه هلك، وهو فرح وسرور لولا أنه يعقبه هم وثبور، فحـذارك أن تستهويك هذه الزخارف فتلحقك بالهالكين، وسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

قال: فانتبه من منامه فزعًا مرعوبًا، وأقبل على ربه، وخرج عن مُلكه، وقصد هذا الجبل يتعبد فيه فسمعت به وأتيته فوجدته خير رجل، فكنت أختلف إليه حتى مات.

٦٦٥- «بئس العبيد أنتم!»

قال عبد الواحد بن زيد: ركبتُ البحر فعصفت بنا ريح دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحـر، فطلعنا إليهـا وإذا نحن برجل قد عكف على صنم يعبـده، فقلنا له: مـا معنا في المركب من يعمل مثل هذا، قال: فأنتم لمن تعبدون، قلنا: نعبد الله عز وجل، قال: ومن

(١) أي: كان قائمًا وساجدًا في الصلاة.

هو الله ؟ قلنا : الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه، قال : فكيف علمتم ذلك ؟ قلنا : أرسل إلينا رسولاً بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك، قال : فما فُعِل برسولكم؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله إليه، قال : أفما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : ترك فينا كتاب الله سبحانه وتعالى، قال : أروني إياه، فأتيناه بالمصحف، قال : ما أحسن قراءته، فقرأنا عليه منه شيئًا، فبكى وقال: ينبغي لمن هذا كلامه أن لا يُعْصَى ، فأسلم وحَسُنَ إسلامه، قال : ثم سألَنَا أن نحمله في المركب فحملناه وعلَّمناه سوراً من القرآن ، فلما جنَّ عليه الليل وأخذنا مضاجعنا لننام، فقال : يا قوم هذا الذي دللتموني عليه ينام؟ قلنا : هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، فقال : إن من سوء الأدب نوم العبد بين يدي سيده، ثم وثب قائمًا فلم يزل قائمًا باكيًا حتى أصبح.

قال: فلما قدمنا عبادان[1] قلت لأصحابي : هذا رجل غريب حديث عهد بالإسلام، ومن المصلحة أن نجمع له شيئًا ففعلوا ومددناه إليه، فقال : ما هذا ؟ قلنا له : نفقة ننفقها عليك، فقال : سبحان الله دللتموني على طريق لم تعرفوه، أنا كنت في جزيرة من جزائر البحر أعبد غيره ولم يُضيِّعني، فكيف يضيعني وأنا أعبده وهو الخالق الرازق ؟ !! ثم مضى وتركنا، قال : فلما كان بعد أيام أُخبِرْتُ أنه بموضع يعالج سكرات الموت، فأتيناه وهو بآخر رَمَق فَسَلَّمتُ عليه ، وقلت : ألك حاجة ؟ فقال لي : قد قضى حاجتي الذي جاء بكم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه، قال : فاستندت بإزائه وقصدت مؤانسته ساعة، فغلبتني عيني فنمت، فرأيت في مقابر عبادان روضة عليها قبة، وتحت القبة سرير، وعلى السرير جارية لم أر أجمل منها، وهي تقول بالله عجِّل في جهازه فقد طال شوقي إليه، فانتبهت فوجدته قد مات فغسلته وكفنته، فلما كان الليل نمت فرأيته وهو في هيئة حسنة والجارية على السرير تحت القبة، وهو إلى جانبها يكرر هذه الآية : ﴿**سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾ [سورة الرعد : ٢٤].

٦٦٦ - «أبو بكرة نفيع بن الحارث على فراش الموت»

لما حضرت أبا بكرة الوفاة قال: اكتبوا وصيتي، فكتب الكاتب : هذا ما أوصى به أبو

(١) بلدة بإيران اليوم.

بكرة صاحب رسول الله ﷺ . . . ،فقال أبو بكرة : أكتنى عند الموت؟ امح هذا ، واكتب: هذا ما أوصى به نفيع الحبشي مولى رسول الله ﷺ وهو يشهد أن الله عز وجل ربه، وأن محمداً ﷺ نبيه، وأن الإسلام دينه، وأن الكعبة قبلته، وأنه يرجوا من الله عز وجل ما يرجوه المعترفون بتوحيده، المقرون بربوبيته، الموقنون بوعده ووعيده، الخائفون من عذابه، المشفقون من عقابه ، المؤمِّلون لرحمته ، إنه أرحم الراحمين.

٦٦٧- «احسب ذنوبك»

ونقل عن توبة بن الصمة -وكان يحاسب نفسه- أنه نظر يومًا، فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال : يا ويلتي، ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ وكيف ولى في كل يوم عشرة آلاف ذنب ؟ ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى؟ .

٦٦٨- «فصاحة الأقوال، وفصاحة الأفعال»

حضر بعض علماء النحو مجلسًا لابن سمعون الواعظ الزاهد، فسمع في لسان ابن‌سمعون غلطًا في كلامه، فانقطع عن المجلس، فكتب إليه ابن سمعون : ما لي أراك من الإعجاب رضيت أن تقف دون الباب، أما سمعت رسالة بعض العارفين إلى بعض المتأدبين: كتبت إلى من اعتمد على ضبط أقواله، ولحن في أفعاله أنك رفعت وخفضت وجزمت ونصبت وانقطعت، ألا رفعت إلى الله جميع الحاجات ؟ ألا خفضت صوتك عن المنكرات ؟ ألا جزمت نفسك عن الشهوات ؟ ألا نصبت بين عينيك ميراث الممات؟ أماعلمت أنه لا يُقال غدًا للعبد : لِمَ لَم تكن معربًا ، وإنما يقال له : لِمَ كُنتَ مُذنبًا؟ يا هذا، ليس المرغوب الفصاحة في المقال، وإنما الفصاحة في الأفعال، ولو كانت الفصاحة

محمودة في المقال دون الأفعال لكان هارون أولى بالرسالة عن موسى عليه السلام، قال الله تعالى إخبارًا عن قول موسى : ﴿**وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا**﴾ [سورة القصص: ٣٤] فجعلت الرسالة لموسى عليه السلام لفصاحة أفعاله ، و﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤].

٦٦٩ - «منزلة التائبين عند الله»

عن بكر بن عبد الله المزني :

أن قصابًا وُلِع بجارية لبعض جيرانه .فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى. فتبعها، فراودها عن نفسها. فقالت : لا تفعل، لأنا أشد حبّاً لك منك لي، ولكنّي أخاف الله. قال : فأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟ فرجع تائبًا ، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه. فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل، فسأله، قال : ما لك ؟ قال : العطش. قال: تعالَ حتى ندعو الله حتى تظلّنا سحابة حتى ندخل القرية . قال : ما لي من عمل. قال : فأنا أدعو وأمِّن أنت. قال : فدعا الرسول، وأمّن هو. فأظلتهم سحابة حتى انتهوا إلى القرية ، فأخذ القصاب إلى مكانه، ومالت السحابة فمالت عليه، فرجع الرسول ، فقال : زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوتُ وأنت الذي أمّنْتَ ، فأظلّتنا سحابة ثم نتبعتك، لتخبِرنّي ما أمرك . فأخبره . فقال الرسول : التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

٦٧٠ - «لم أفضحه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني؟!»

رُوي أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا كليم الله، ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث، فقام معهم، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفًا أو يزيد. فقال موسى عليه السلام : إلهي ، اسقنا غيثك ، وانشر علينا

رحمتك، وارحمنا بالأطفال الرُضَّع، والبهائم الرتع، والمشايخ الركع، فما زادت السماء إلا تقشُّعًا، والشمس إلا حرارة، فقال موسى : إلهي إن كان قد خلق جاهي عندك، فبجاه النبي الأمي محمد ﷺ الذي تبعثه في آخر الزمان، [هذا التوسل لا يجوز ، فالتوسل لا يكون إلا باسم من أسماء الله ، أو التوسل بالعمل الصالح ، أو التوسل بدعاء الصالحين الأحياء فقط، أو التوسل بالإحسان السابق من الله على العبد المتوسل إليه راجع رسالة التوسل لفضيلة الشيخ الألباني - حفظه الله -] فأوحى الله إليه : ما خلق جاهُك عندي، وإنك عندي وجيه، ولكن فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي، فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم، فبه منَعتُكم. فقال موسى : إلهي وسيدي، أنا عبد ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفًا أو يزيدون ؟ فأوحى الله إليه : منك النداء، ومني البلاغ. فقام مناديًا وقال : يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة، اخرج من بين أظهرنا، فبكَ مُنعْنا االمطر. فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم ير أحدًا خرج. فعلم أنه المطلوب، فقال في نفسه : إن أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بني إسرائيل، وإن قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي، فأدخل رأسه في ثيابه نادمًا على فعاله، وقال : إلهي وسيدي عصيتُك أربعين سنة وأمهلتني، وقد أتيتُك طائعًا فاقبلني، فلم يستتم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القِرب، فقال موسى: إلهي وسيدي، بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال: يا موسى، سقيتُكم بالذي به منعْتُكم. فقال موسى إلهي، أرني هذا العبد الطائع. فقال : يا موسى، إني لم أفضحه وهو يعصيني، أأفضحه وهو يطيعني ، يا موسى، إني أبغض النمامين، أفأكون نمامًا؟.

٦٧١ - «الذين عبدوا العجل..!!»

عن الحسن ، قال : أقبل موسى -عليه السلام- يسأل ربه عز وجل أن يتوب على قومه من عبادة العجل. فقال : يا موسى، لا توبة لهم إلا أن يقتلوا أنفسهم. فرجع موسى -عليه السلام- إلى قومه، فقال : يا قوم، إن الله أبى أن يقبل منكم توبتكم إلا أن تقتلوا

أنفسكم، فتلك توبتكم ﴿**ذلكم خير لكم عند بارئكم**﴾ [سورة البقرة : ٥٤] يعني خالقكم. قالوا: يا موسى، نصبر لأمر الله عز وجل، وندم القوم على ما صنعوا ، فأخذ موسى -عليه السلام- منهم الميثاق ليصبرن للقتل والقضاء، فقالوا : نعم. فأصبحوا غدوة بأفنية البيوت، كل بني أب على حيالهم، فأمر موسى الذين لم يكونوا عبدوا العجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السيوف فيقتلوا من لقوا. فمشَوا في العسكر. فقالوا: رحم الله من لم يحل حبوته، ولم يرفع بصره، ولم يمتنع بيده ولا رجله، ولم يقم من مجلسه حتى يقضي الله قضاءه.

قال : فقتلوا حتى إن كان الرجل من بني إسرائيل ليأتي قومه وهم بأفنية بيوتهم جلوس، فيقول: إن هؤلاء إخوانكم أتوكم شاهرين السيوف، فاتقوا الله واصبروا، فإن لعنة الله وملائكته على رجل حل حبوته، أو قام من مجلسه، أو حدد إليهم طرفه، أو اتقاهم بيد أو رِجل[1] فيقولون : آمين.

وعن ابن عباس ، قال : قال القوم حين أمروا أن يقتل بعضهم بعضًا: يا رسول الله، كيف نقتل الآباء والأبناء والإخوة؟ قال: فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضًا فقتلوهم. فقالوا : يا موسى، ما آية توبتنا؟ قال: أن تقوم السيوف والسلاح فلا تقتل وتُرفَع عنكم الظلمة. قال : فقتلوا حتى بلغت الدماء المئزر وخاضوا فيها . وصاح الصبيان إلى موسى يقولون: يا موسى، العفو، وبكى موسى إلى الله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل الرحمة وقام السلاح. ونادى موسى أن ارفعوا عن إخوانكم فقد نزلت الرحمة وارتفعت عنهم الظلمة فتكشّفت عن القتلى. قال ابن عباس: فقتلاهم شهداء وأحياؤهم مغفور لهم.

٦٧٢ - «*توبة ملك من ملوك اليمن*»

وروي أنه احترب ملكان من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه، وزينت له السرور ودار الملك، وتلقّاه الناس ليدخل. فبينا هو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها، وقف له رجل كان ينسب للجنون، فأنشده :

(١) أي: دافع عن نفسه.

تَسمَّعْ من الأيام إن كنت حازمًا ... فإنك فيها بين ناهٍ وآمر
فكم مَلِكٍ قد رُكِّم التُّرْبُ فوقه ... وعهدي به بالأمس فوق المنابر
إذا كنت في الدنيا بصيرًا فإنما ... بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر

فقال له : صدقت ، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورقى الجبل وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به، وبقيت اليمن شاغرة[1] أيامًا حتى اختير لها من عقدوا له الملك عليها.

٦٧٣ - «ملك يستقي للناس الماء»

كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلا جبة صوف وقربة يستقي فيها الماء للناس. فلما حضره الموت، قال لأصحاب : إني لم أدع من الدنيا شيئًا إلا جبّتى وهذه القربة ما أطيق حملها يوم القيامة، فإذا مت فادفعوها إلى فلان الملك ليحملها مع ما تحمّل من دنياه، فلما مات العابد أخبروا الملك بما قاله. فقال الملك : هذا العابد عجز عن حمل جبة وقربة وأنا تحمّلت من الدنيا ما تحمّلته، فأخذ الجبة فلبسها وأخذ القربة وخرج من ملكه فجعل يستقي للناس الماء.

٦٧٤ - «هل رأيتم عيبًا؟»

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال : حدّثتُ عمر بن عبد العزيز بحديث، فكأن معناه وقع منه، حدثته أن ملكًا ممن كان قبلنا ابتنى بنية فتنوق في بنائها. ثم صنع طعامًا

---

(١) شاغرة: خالية.

ودعـا الناس إليه، وأقـعد علـى أبوابها ناسًـا يسألون كـل من خرج : هل رأيتم عـيبًـا ؟ فيقولون: لا، حتى جـاء ناس في آخر ما جاء، عليهم أكسية، فـسألوهم: هل رأيتم عيبًا؟ قـالوا : عيـبين اثنين. قـال: فحـبسوهم، ودخـلوا على الملك فقـالوا: قـد دخل الناس فسألناهم، فـذكروا أنهم لم يروا عيبًا، حتى جـاء قوم عليهم أكسية -أظنـه قال : شباب- ، فسألناهم ، فقالوا: رأينا عيـبين اثنين. قال : ما كنت أرضى بواحد، فائتنوي بهم، قال : فأدخلوهم عليه. قال : هل رأيتم عيبًا؟ قالوا: عيبين اثنين. قال : وما هما ؟ قالوا: تخرب ويموت صاحبـها. قال : وهل تعلمون دارًا لا تـخرب ولا يموت صاحبهـا ؟ -قالوا: نعم، قال : وما هي ؟ قالوا: دار الآخرة. قال: فدعوه، فاستجاب لهم، قال : فقال لهم : إن جئت معكم عـلانية لم يَدَعْني أهل مملكتي. ولكن ميعادكم موضـع كذا وكذا. قال: فكان معهم زمانًا. ثم قال لهم ذات يوم : عليكم السلام. قال: فقالوا: ما لك ؟ أرأيت منا شيئًا تكرهه؟ قال : لا . قـالوا: فما حـملك على هذا ؟ قال : أنتم تعـرفوني فأنتـم تكرمونني لحالـي التي كنت عليهـا. قال: فكأن مـعناه وقع من عمـر موقـعًا. فـذهبتُ إلى مسلـمة فأخـبرته. قال : فدخل مـسلمة على عمـر وقد كان حـدّثه بهذا الحديث. قال : فـقال : ويحك يا مسلمة ، أرأيت رجـلاً حُمّل ما لا يطيق ففر إلى ربه عـز وجل، فهل ترى عليه بذلك بأسًا؟ قال: فاتق الله، يا أمير الميؤمنين في أمة محمد ﷺ ، فوالله لئن فعلت ليقتتلن بأسيافـهم، قال: ويحك يا مسلمة، حُـمّلت ما لا أطيق، فرددها ، وجعل مـسلمة يناشده حتى سكن.

٦٧٥ - «أراد أن يوثقني فربطته»

عن عبد الواحد بن غياث قال : كان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيـفة يعرف ذلك، فأقـبل عليه ، فقـال : يا أبا حنيفة، إن أميـر المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسـعه أن يضرب عنقه؟ فقال : يا أبا العباس ، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو البـاطل ؟ قال : بالحق . قال: انفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

٦٧٦ - «ما رأيك في السويق؟!»

عن يحيى بن جعفر قال : سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية ، فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت : يا أعرابي، ما رأيك في السويق[1] ؟ فقال : هات، فأعطيته سويقًا ملتوتًا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال : شربة . قلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاسترددت الخمسة وبقي معي الماء.

٦٧٧ - «هل تنشط للقضاء ؟!»

عن عبد المحسن بن علي قال : ذكر أبو حنيفة وفطنته، فقال استودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة، فحج ثم رجع، فطلب وديعته، فأنكر المستودع وجعل يحلف له، فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره، فقال : لا تعلم أحدًا بجحوده، قال : وكان المستودع يجالس أبا حنيفة، فخلا به، وقال له : إن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يصلح للقضاء، فهل تنشط؟ فتمانع الرجل قليلاً، وأقبل أبو حنيفة يرغبه فانصرف على ذلك وهو طمع، ثم جاء صاحب الوديعة، فقال له أبو حنيفة : اذهب إليه وقل له : أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا. قال : فذهب الرجل فقال له : فدفع إليه الوديعة ، فلما رجع المستودع قال أبو حنيفة : إني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا .



(١) **السويق**: حلوى من الزيت والدقيق.

٦٧٨ - «من ذكاء أبي حنيفة»

عن محمد بن الحسن قال: دخل اللصوص على رجل ، فأخذوا متاعه ، واستحلفوه بالطلاق ثلاثًا أن لا يعلم أحدًا، قال : فأصبح الرجل وهو لا يرى اللصوص يبيعون متاعه، وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه، فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة : أحضرني إمام حيك والمؤذن والمستورين منهم، فأحضره إياهم، فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه ؟ قالوا: نعم. قال : فاجمعوا كل ذي فجر عندكم وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد، ثم أخرجوا واحدًا واحدًا، فقولوا : هذا لصك، فإن كان ليس بلصه، وإن كان لصه فليسكت، فإذا سكت فاقبضوا عليه، ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة، فرد الله عليه جميع ما سرق منه.

٦٧٩ - «هو كما قال لك »

عن حسين الأشقر قال : كان بالكوفة رجل من الطالبين من خيارهم، فمر بأبي حنيفة، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد ابن أبي ليلى قال : فإذا رجعت أحب أن أراك، وكانوا يتبركون بدعائه، فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام، وإذ رجع مر بأبي حنيفة، فدعاه وسلم عليه، فقال له أبو حنيفة: ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى، فقال : شيء كتمته الناس، فأملت أن يكون لي عنده فرج، فقال أبو حنيفة : قل ما هو . قال: إني رجل موسر وليس لي من الدنيا إلا ابن كلما زوجته امرأة طلقها، وإن اشتريت له جارية أعتقها، قال : فما لي ما عندي في هذا شيء، فقال أبو حنيفة : اقعد عندي حتى أخرجك من ذلك، فقرب إليه ما حضر عنده فتغدى عنده، ثم قال له : ادخل أنت وابنك إلى السوق ، فأي جارية أعجبته ونالت يدك ثمنها، فاشترها لنفسك لا تشترها له، ثم زوجها منه، فإن طلقها رجعت إليك، وإن أعتقها لم يجز عتقه، وإن ولدت ثبت نسبه

إليك، قال : وهذا جائز؟ قال: نعم، هو كما قلت، فمر الرجل إلى ابن أبي ليلى فأخبره فقال : هو كما قال لك .

٦٨٠ - «القضاء ليس بالسن»

ذكر أبو علي عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي سمعت أبي يقول: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنه عشرون أو نحوها، فقال له أحدهم : كم سنو القاضي ؟ قال : فعلم أنه قد استصغر فقال له : أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضيًا على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضيًا على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضيًا على أهل البصرة.

٦٨١ - «أما الزنى فمعاذ الله»

قال أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي : حدثني من أثق به أن قاضيًا من القضاة سألته زوجته أن يبتاع لها جارية ، فتقدم إلى النخاسين بذلك، فحملوا إليه عدة جوار، فاستحسن إحداهن، فأشار على زوجته بها قال : ابتاعها لك من مالي ؟ فقالت : ما لي إليه حاجة، ولكن خذ هذه الدنانير فابتعها لي بها، وأعطته مائة دينار، فأخذها فعزلها في مكان وخرج، فاشتراها لنفسه وأعطى ثمنها من ماله وكتب عهدتها باسمه ، وأعلم الجارية بذلك سراً واستكتمها، فكانت زوجته تستخدمها، فإذا أصاب خلوة من زوجته وطئ على الجارية ، فاتفق يومًا أنها صادفته فوقها، فقالت له : ما هذا يا شيخ سوء زان، أما تتقي الله ، أما أنت من قضاة المسلمين؟ فقال: أما الشيخ فنعم، وأما الزنا فمعاذ الله، وأخرج عهدة الجارية باسمه، وعرفها الحيلة، وأخرج دنانيرها بختمها، فعرفت صحة ذلك، ولم تزل تداريه حتى باعها.

٦٨٢ - «فطنة إياس بن معاوية»

عن صالح بن أحمد العجلي قال : حدثني أبي قال: دخل على إياس بن معاوية ثلاث نسوة، فقال : أما واحدة فمرضع ، والأخرى بكر، والثالثة ثيب، فقيل له : بم علمت ؟ قال : أما المرضع فإنها لم قعدت أمسكت ثديها بيدها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينها يمينًا وشمالاً.

٦٨٣ - «أريد دنانيري»

عن يزيد بن هارون قال: تقلد القضاء في واسط رجل ثقة كثير الحديث ، فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيسًا مختومًا ذكر أن فيه ألف دينار، فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة الرجل قدّر أنه قد هلك، فهمّ بإنفاق المال، ثم دبر وفتق الكيس من أسفله، وأخذ الدنانير، وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت. وقدّر أن الرجل وافى وطلب الشاهد بوديعته، فأعطاه الكيس بختمه، فلما حصل في منزله فضّ ختمه فصادف في الكيس دراهم.

فرجع إلى الشاهد، فقال له : عافاك الله، اردد عليّ مالي فإني استودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها، فأنكره ذلك واستعدى عليه القاضي المقدم ذكره، فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه، فلما حضرا سأل الحاكم : منذ كم أودعته هذا الكيس ؟ قال : منذ خمس عشرة سنة، فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها، فإذا هي دراهم إليها ما قد ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها، فأمره أن يدفع الدنانير إليه، فدفعها إليه وأسقطه وقال له: يا خائن، ونادى مناديه : ألا إن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد، فاعلموا ذلك ولا يغترن به أحد بعد اليوم.

فباع الشاهد أملاكه في واسط وخرج عنها هاربًا، فلم يعلم له خبر ولا أحس منه أثر.

٦٨٤ - «الوفاء بالعهد عند العرب»

عن الشعبي قال: خرج عمرو بن معد يكرب يومًا حتى انتهى إلى حي ، فإذا بفرس مشدودة ورمح مركوز، وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته، فقلت له : خذ حذرك فإني قاتلك. قال: ومن أنت ؟ قلت: عمرو بن معد يكرب، قال : ياءأبا ثور، ما أنصفتني ، أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهدًا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري، فأعطيته عهدًا أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس، فقلت له : ما هذا ؟ قال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك، فإن كنت نكثت عهدًا، فأنت أعلم، فتركته ومضيت، فهذا أحيل من رأيت.

٦٨٥ - «ها أنا مطلق»

عن ابن الأعرابي عن بعض مشايخه: أن رجلاً من بني تميم كانت له ابنة جميلة وكان غيورًا فابتنى لها في داره صومعة، وجعلها فيها، وزوجها من أكفائه من بني عمها، وإن فتى من كنانة مر بالصومعة ، فنظر إليها ونظرت إليه، فاشتد وجد كل واحد منهما بصاحبه، ولم يمكنه الوصول إليها، وأنه افتعل بيتًا من الشِّعر ودعا غلامًا من الحي، فعلمه البيت، وقال له : ادخل هذه الدار وأنشد كأنك لاعب، ولا ترفع رأسك ولا تصوبه ولا تومئ في ذلك إلى أحد، ففعل الغلام ما أمر به، وكان زوج الجارية قد أزمع على سفر بعد يوم أو يومين، فأنشد الغلام يقول:

لحى الله من يُلحي على الحب أهله ... ومَن يمنع النفس اللجوج هواها

قال: فسمعت الجارية ففهمت، فقالت :

ألا إنما بين التفرُّق ليلة ... وتُعطى نفوس العاشقين مناها

قال: فسمعت الأم ففهمت، فأنشأت تقول:

ألا إنما تعنون ناقة رحلكم ... فمَن كان ذا نُوق لديه رعاها

قال: فسمع الأب، فأنشأ يقول:

فإنا سنرعاها ونُوثِقُ قَيدها ... ونطردُ عنها الوحش حين أتاها

فسمع الزوج ففهم، فأنشأ يقول:

سمعت الذي قلتم فها أنا مُطَلِّق ... فتاتكم مهجورة لبلاها

قال: فطلقها الزوج، وخطبها ذلك الفتى وأرغبهم في المهر فتزوجها.

٦٨٦ - «اللهم علمنا أدب العيادة»

عن الجنيد قال: سمعت السري يقول: اعتللت بطرسوس علة الذرب، فدخل عليّ هؤلاء القراء يعودوني، فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله، فمددت يدي، فقلت: اللهم علمنا أدب العيادة.

٦٨٧ - «التواضع في العلم»

حكى الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي يملي علينا في صحن المسجد، فلحقته الشمس، فمر به بعض إخوانه فقال: يا أبا عبد الله، في الشمس!.

فأنشأ الشافعي يقول:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ... ولن تكرم النفس التي لا تهينها[1]

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله (١/ ١١٧)، وتذكرة السامع (ص٨٧).

٦٨٨ - «من توقير العلماء»

قال الربيع بن سليمان -راوية الشافعي-: والله ما اجترأت أن أشـر الماء والشافعي ينظر إليّ ؛ هيبة له.

وقال الإمـام أحمد بن حنبل : لزمت هشـيمًا أربع سنين، ما سـألته عن شيء إلا مرتين ؛ هيبة له.

وقال مغيرة بن مقسم: كنا نهاب إبراهيم -يعني النخعي- هيبة الأمير.

٦٨٩ - «ائتمنتك على فأرة فخنتني»

عن أبي الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قـيل لي: إن ذا النون يعرف اسم الله الأعـظم، فدخلت مصـر وخدمـته سنة، ثم قلت: يا أستاذي ، إني قد خدمـتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي : إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتني ولا تجد له موضعًا مثلي، فأحب أن تعلمني إياه.

قال : فسكت عني ذو النون، ولم يجبني وكأنه أومأ إليّ أنه يخبرني، قال : فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج لي من بيتـه طبقًا ومكبة مشدودًا في منديل، وكان ذو النون يسكن الجيـزة، فقال : تعرف فـلانًا صديقنا من الفسطاط؟ قلت : نعم. قـال : فأحب أن تؤدي هذا إليه.

قال : فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمـشي طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذي النون يوجه إلى فـلان بهدية ، ترى أي شيء هي ؟ فلم أصـبر إلى أن بلغت الجـسر، فحللت المـنديل ورفعت المكبة فـإذا فأرة قـفزت من الطبق ومرت. قـال : فاغتـظت غيظًا شديدًا، وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما

أن رآني عرف ما في وجهي، فقال : يا أحمق، إنما جربناك ، ائتمنتك على فأرة، فخنتني، أفأتمنك على اسم الله الأعظم ؟ مر عني، فلا أراك.

٦٩٠ - «هلا أتممت ليلتك شكرًا لله»

قال ابن الجوزي : وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة : ليس هذا فقهًا فأحتال لك فيه، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة ، فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى، ففعل الرجل ذلك ، فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره.

فقال : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكرًا لله عز وجل.

٦٩١ - «أتركها لمقامي بجانب أمير المؤمنين»

ومن المنقول عن عمارة بن حمزة، بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور، فجلس على مرتبته المرسومة له، فقام رجل فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين . فقال : من ظلمك؟ قال : عمارة غصبني ضيعتي.

فقال المنصور: قم يا عمارة فاجلس مع خصمك ، قال : ما هو لي بخصم. قال: وكيف وهو يتظلم منك؟ .

قال : إن كانت الضيعة له لم أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد تركتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين بالرفعة فيه، فأجلس في أدناه بسبب ضيعة.



٦٩٢ - «لو قوّى الله ضعفي، أهلكني»

قال عبد العزيز بن أبي رجاء: سمعت الربيع يقول: مرض الشافعي، فدخلت عليه، فقلت: يا أبا عبد الله: قوّى الله ضعفك. فقال: يا أبا محمد، والله لو قوّى الله ضعفي على قوتي أهلكني. قلت: يا أبا عبد الله، ما أردت إلا الخير، فقال: لو دعوت الله ما أردت إلا الخير، فقال: لو دعوت الله عليّ لعلمت أنك لم ترد إلا الخير.

٦٩٣ - «احتل واقترض حتى تدخل بأهلك»

كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده، فقال يومًا لأبي حنيفة: إني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة، وقد خطبت إليهم، وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي، وقد تعلقت نفسي بالتزويج، فقال أبو حنيفة: فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة، فقال له: إني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل، وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله، فماذا ترى؟ قال: احتل واقترض حتى تدخل بأهلك، فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم، ففعل ذلك وأقرضه أبو حنيفة فيمن أقرضه، فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة: ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد، وإنك تريد أن تسافر بأهلك معك، فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش، وأنه يريد حمل أهله معه، فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى أبي حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك، فقال لهم أبو حنيفة: له أن يخرجها إلى حيث شاء، قالوا له: ما يمكننا أن ندعها تخرج، فقال لهم أبو حنيفة: فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه، فأجابوه إلى ذلك. فقال أبو حنيفة للفتى: إن القوم قد سمحوا أن يردوا

عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه، فقال له الفتى : وأنا أريد منهم شيئًا آخر فوق ذلك، فقال أبو حنيفة : أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك ، وإلا أقرت المرأة لرجل بدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين، قال : فقال الرجل : الله الله لا يسمعوا بهذا، فلا آخذ منهم شيئًا، فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

٦٩٤ - «إن الموت مكتوب»

عن عباد بن عباد المهلبي قال:

إن ملكًا من ملوك أهل البصرة تنسك[١] ثم مال إلى الدنيا والسلطان ،فبنى دارًا ، وشيدها، وأمر بها ففرشت له ونجدت، واتخذ مائدة وصنع طعامًا ودعا الناس فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنيانه ويعجبون من ذلك ويدعون له ويتفرَّقون. قال : فمكث بذلك أيامًا حتى فرغ من أمر الناس. ثم جلس ونفر من خاصة إخوانه.

فقال: قد ترون سروري بداري هذه، وقد حدثت نفسي أن أتخذ لكل واحد من ولدي مثلها، فأقيموا عندي أيامًا أستمتع بحديثكم وأشاوركم فيما أريد من هذا البناء لولدي؛ فأقاما عنده أيامًا يلهون ويلعبون، ويشاورهم كيف يبني لولده، وكيف يريد أن يصنع.

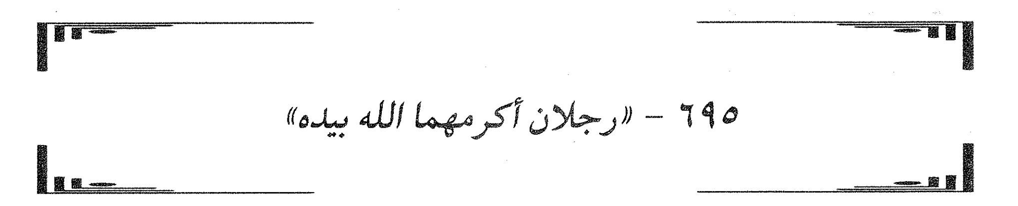
فبينا هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً من أقاصي الدار :

يا أيها الباني -و- الناسي منيَّته ... لا تأمُلنَّ فإن الموت مكتوبُ
على الخلائق إن سُرُّوا وإن فرحوا ... فالموت حتفٌ لذي الآمال منصوبُ
لا تبنين ديارًا لست تسكنها ... وراجع النسك كما يُغفر الحوبُ

(١) تنسك: اشتغل بالعبادة.

قال: فـفزع لذلك وفـزع أصحابه فـزعًا شديدًا وراعـهم ما سمـعوا من ذلك فـقال لأصحابه : هل سـمعتم ما سمعتُ؟ قـالوا: نعم. قال: فهل تجدون ما أجـد؟ قالوا: وما تجد؟ قال : أجـد والله مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت. قالوا: كـلا، بل البقاء والعافية.

قال: فـبكى، ثم أقبل عليـهم، فقال : أنتم أخـلائي وإخواني، فـماذا لي عندكم؟ قالوا: مرنا بما أحببت من أمرك. قال: فـأمر بالشراب فأهريق، ثم أمر بالملاهي فأخرجت، ثم قال : اللهم إني أشهدك ومن حضرني من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي، نادم على مـا فرطت في أيام مـهلتي. وإياك أسألك إن أقلتـني أن تتم نعمـتك علي بالإنابة إلى طاعتك، وإن أنت قبضتني إليك أن تغفر لي ذنوبي تفضلاً منك علي. واشتد به الألم. فلم يزل يقول: الموت والله، الموت واللـه . حتى خرجت نفسـه. فكان الفقهـاء يرون أنه مات على توبة.



٦٩٥ - «رجلان أكرمهما الله بيده»

وذكر الواقدي أمر طليـحة بن خويلد حين ادعى النبوة وقتالـه إلى أن كسر عسكره، قال: فحدّثني موسى بن محمد إبراهيم التميمي عن أبيه، قال :

لما رأى طليحة أن الناس يقتلون ويؤسرون أعـد فرسه وهيأ امرأته عنده، فوثب على فرسه وحمل امـرأته فنجا بها، وقال : من استطاع منكم أن يفعل كمـا فعلت فليفعل. ثم هرب حتى قـدم الشام، فأقـام عند بني جفنة الغـسانيين حتى فـتح الله أجنادين وتوفي أبو بكر.

فقدم في خـلافة عمر مكة مـحرمًا. فلما رآه عـمر قال : يا طلحة، لا أحـبك بعد قتلك الرجلين الصـالحين عكاشة وثابت بن أقرم. وكان قـتلهما هو وأخوه. قـال : يا أمير المؤمنين، رجلان أكرمـهما الله بيديّ ولم يهني بأيديهما، ومـا كل البيوت بنيت على الحب ولكن صفحة جميلة، فإن الناس يتصافحون على الشنآن.

وأسلم إسلامًا صحيحًا ولم يغمص عليه في إسلامه، وقال يعتذر، ويذكر ما كان منه:

ندمتُ على ما كان من قتلِ ثابت وعكاشة الغنمي ثم ابن معبدِ
وأعظم من هاتين عندي مصيبةً رجوعي عن الإسلام فعل التعمدِ
وتركي بلادي والحوادثُ جمةٌ طريدًا وقدمًا كنت غير مطردِ
فهل يقبل الصدِّيق أني مراجع ومعط بما أحدَثتُ من حدث يدي
وأنّي من بعد الضلالة شاهد شهادة حق لستُ فيها بملحدِ
بأنّ إله الناس ربي وأنني ذليل وأن الدين دينُ محمدِ[1]

٦٩٦ - «لص بني إسرائيل التائب»

قال وهيب بن الورد:

بلغنا أن عيسى -عليه السلام- مر هو ورجل من بني إسرائيل من حواريه بلص في قلعة له . فلما رآهما اللص. ألقى الله في قلبه التوبة. قال : فقال لنفسه : هذا عيسى بن مريم -عليه السلام- ، روح الله وكلمته وهذا حواريه، ومن أنت يا شقي؟ لص بني إسرائيل، قطعتَ الطريق، وأخذتَ الأموال، وسفكت الدماء، ثم هبط إليهما تائبًا نادمًا على ما كان منه.

فلما لحقهما. قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما؟ لست لذلك بأهل ، امش خلفهما كما يمشي الخطاء المذنب مثلك.

قال: فالتفت إليه الحواري فعرفه فقال في نفسه : انظر إلى هذا الخبيث الشقي ومشيه وراءنا، قال : فاطلع الله سبحانه وتعالى على ما في قلبه، من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواري إياه وتفضيله نفسه عليه. قال: فأوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أن مر

(١) وانظر قصته في «فتوح الشام» بتحقيقنا. ط/ التوفيقية.

الحواري ولص بني إسرائيل أن يستأنفا العمل جميعًا، أما اللص فقد غفرتُ له ما قد مضى لندامته وتوبته، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه ، وازدرائه هذا التوّاب.

٦٩٧ - «اللهم تب عليه وارض عنه»

عن طارق عن عمرو بن مالك الرؤاسي عن أبيه أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد، فقتلوا فيهم وعبثوا بالنساء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا عليهم ولعنهم، فبلغ ذلك مالكًا فغل يده، ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، ارض عني رضي الله عنك. فأعرض عنه النبي ﷺ . ثم دار إليه. فقال : ارض عني رضي الله عنك. فوالله إن الرب تعالى ليُترضى فيرضى. فأقبل عليه النبي ﷺ فقال : تبت مما صنعتَ واستغفرت الله؟ قال: نعم. قال: «**اللهم تب عليه وارض عنه**».

٦٩٨ - «سعيد بن المسيب يزوج ابنته من تلميذه»

عبد الله بن أبي وداعة، رجل هال عليه الفقر بعض ترابه وحفر على وجهه خطوطًا ترسم صورته على وجهه حتى إذا رآه أيُّ رجل لقال له : أنت فقير.

تعوَّد عبد الله بن أبي وداعة أن يرد مورد أستاذه وشيخه إمام مسجد النبي ﷺ وشيخ المدينة في عصره الإمام سعيد بن المسيب، فينهل من هذا المورد علوم القرآن والسنة، وكلما نهل من هذا النبع الصافي كلما ازداد عطشا، فزاد من ساعات الورود ومع ذلك لا يشبع أبدًا من العلم والحكمة وهما يتفجران على لسان الإمام الجليل سعيد بن المسيب، وينسابان شهدًا وسلسبيلاً يرتوي منه ابن أبي وداعة، ويغذي به براعم الحب بينه وبين شيخه الجليل.

وتمضي الأيام وسعيد بن المسيب يزيد بث العلم والحكمة إلى قلب تلميذه، فيسري نور كلام الله وحديث المعصوم ﷺ إلى قلب التلميذ، وأصبح ابن أبي وداعة يصحو من

نومه ليجد نفسه مسوقًا إلى لقاء شيخه، ويعود من عمله المتواضع إلى مجلس شيخه الجليل ليسمع درر القرآن والحديث وتعود الحياة باسمة سعيدة مشرقة.

والإمام الجليل وهبه الله مالاً وفيرًا ونسبًا رفيعًا إذ هو القرشي الأصل، ثم هو بعد ذلك يتمتع بالورع والزهد والتقوى مرتفعًا بذلك إلى قمة الصلاح والتقوى، عرف الناس عنه أنه قد حج بيت الله نيفًا وثلاثين حجة، ومكث أربعين سنة لم تَفُتْهُ تكبيرة الإحرام في المسجد مرة واحدة، ولم يتخلف عن الصف الأول في الصلاة مرة واحدة خلال هذه الأربعين عامًا.

ولم يحُل الفارق الاقتصادي -المادي- بين الشيخ الجليل وتلميذه، بل امتدت عاطفة الحب والأخوة في الله تعالى لتجمعهما معًا في سياج من نور، فأصبح كل منهما أخًا في الله للآخر.

كان للشيخ الجليل ابنة مؤمنة ذاع خبرها وشاع لشدة إيمانها وكثرة علمها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد سمع بها أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أو هشام بن عبد الملك فأراد الخليفة أن يخطب ابنة الشيخ الجليل لولده وولي عهده، ولا شك أن الخليفة قد فكر مليًا ليختار لولي عهده الزوجة التي تملأ عليه قصره، وتحفظ له اسمه وأسماء أجداده الملوك من بني أمية، ثم هي التي قد حظيت بعلم يرشحها لأن تكون زوجة لولي العهد، ويكون كل ذلك محوطًا بنسب يكون كالسور يحفظ حديقة علمها وأدبها، وقد وجد ضالته المنشودة في بنت أبي محمد سعيد بن المسيب.

وقد وصل رسول أمير المؤمنين إلى مدينة رسول الله ﷺ ليبلغ سعيد بن المسيب رغبة أمير المؤمنين في ذلك، فما كان من سعيد إلا أن قال لهذا الرسول : أبلغ أمير المؤمنين أني رافض لهذه الخطبة.

قال له رسول الخليفة : ولماذا؟.

قال سعيد : لأن ولي العهد رجل غير محمود السيرة فلجأ رسول الخليفة أولاً إلى أسلوب الترغيب، فقال : أترفض المُلك والعز والجاه، والغنى والمال؟ أترفض مُلك أمير المؤمنين ؟ فكان رد سعيد : إذا كانت الدنيا كلها عند الله لا تساوي جناح بعوضة، فكم يكون مُلك أمير المؤمنين في جناح هذه البعوضة؟.

فلجأ رسول الخليفة إلى أسلوب الترهيب، فقال : إني أخشى عليك بطش أمير المؤمنين وما لا يتحمله بشر من التعذيب والهوان، فقال سعيد : ﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾ [سورة الحج : ٣٨] . لم تلن لسعيد قناة ، ورفض في إباء هذا الزواج.

إن الإمام الجليل يدرك بذكاء العالِم وإشراقة العابد أن الخليفة يريد بخطبة ابنته إدخالها قفصًا ذهبيًا في القصر، وأن ابنته لن تكون مُنَعَّمة في القصر تنعم بالحرير والذهب والخدم، بل ستكون في سعير بني مروان تتلظى بألسنة نيرانهم، وأن الله سائله حتمًا عن ابنته في يوم يكون أمير المؤمنين وابنه وحاشيته يُسألون أمام الله عما قدمته أيديهم مع الغاصبين والظالمين وأهل البغي والفساد، من هنا قرر ألا يُزَوِّج السلطان، وألا يصاهر الصولجان.

جلس الشيخ الجليل في مسجد رسول الله ﷺ يلقي درس العصر، لم يجد بين الحاضرين تلميذه ابن أبي وداعة، لم يحضر التلميذ الدرس ثلاثة أيام متتالية . . لماذا ؟ لا يدري سعيد .

وعند عودة سعيد إلى بيته تلقته ابنته وعليها من أضواء علمه وقد أضافت هذه الأضواء إلى جمالها جمالاً ، فابتدرته بسؤال تستفسر منه عن معنى قول الله تعالى: ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة**﴾ [سورة البقرة: ٢٠١] فما حسنة الدنيا يا أبي ؟.

قال : يا بنية هي تصلح أن تُذْكَر مع حسنة الآخرة، وما أراها للرجل إلا الزوجة الصالحة، ولا للمرأة إلا -. . . . .- لم يكمل الشيخ الجليل كلامه، فقد سمع طرقات على الباب، وإذا بالطارق عبد الله بن أبي وداعة تلميذه وحبيبه في الله.

ابتدر الشيخ تلميذه بسؤال: أين كنت يا ابن أبي وداعة؟ فيرد التلميذ : تُوفِّيَت زوجتي وشغلني ذلك عنك ، فمعذرة.

قال الشيخ : فهلا أخبرتنا حتى نشهدها ونشاطرك العزاء؟ ثم أخذ يعظه ويفيض في الوعظ ووصف الجنة والنار وحساب القبر، حتى رسمت عبارات الشيخ صورة القبر الذي استودعه عبد الله بن أبي وداعة جسد زوجته ففاضت عيناه بالدموع.

وهنا اتصل الحوار مرة أخرى بين الشيخ وابنته، والذي كان قد قطعته طرقات ابن أبي وداعة على الباب عند قوله : «ولا للمرأة إلا . . . . فامتلأ الفراغ بكلمة «الرجل» ،

وتجسدت الكلمة في عبد الله بن أبي وداعة، فسأل الشيخ تلميذه : هل استَحْدَثْتَ امرأة؟ هل تَزَوَّجْتَ بأخرى؟.

قال ابن أبي وداعة : لا يا سيدي، ويرحمك الله، أين أنا من الدنيا اليوم؟ ومَن ذا الذي يُزَوِّجني ، وما أملك من الدنيا إلا ثلاثة دراهم؟!.

قال الشيخ : أنا.

يصف ابن أبي وداعة أحاسيسه في هذه اللحظة فيقول: ما أن سمعتُ من سعيد كلمة «أنا» حتى قلت لنفسي : ترى ماذا يقصد الشيخ؟ لعله يقصد أن يساعدني ببعض المال لأجد زوجة تناسب مالي وأنا رجل فقير ، لا مِلْك عندي ، ولا مال لي. أو لعله يريد أن يبحث لي بطريقته عن امرأة فقيرة ترضى بأن تتزوجني . يقول ابن أبي وداعة : بينما أنا في سبحات «أنا» حتى رأيت سعيدًا -رضي الله عنه- يضع يده في يدي على مرأى ومسمع من الحاضرين بمسجد رسول الله ﷺ ثم يُسَمِّي الله ويثني عليه، ويصلي على رسول الله ﷺ يقول: اشهدوا -جماعة المسلمين- أن سعيد بن المسيب قد زوَّج كريمته فلانة لعبد الله بن أبي وداعة، على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى مهر قدره ثلاثة دراهم، ثم ختم بالصلاة على رسول الله ﷺ وتمنى لنا التوفيق والرشاد.

وعند المغرب بينما كان عبد الله بن أبي وداعة في بيته المتواضع بعد طعام إفطاره من صيام، إذا به يسمع طرقات على الباب فيقول: مَن الطارق؟ فيجيب : سعيد ، يقول عبد الله : لقد ظننتُ أن أي سعيد قد يطرق بابي في تلك اللحظة إلا سعيد بن المسيب، فقمت لأفتح الباب وأنا على وجل وخوف، لعل الشيخ قد راجع نفسه، أو لعل العروس قد رفضت الزواج مني، ولكني حينما فتحت الباب إذا بسعيد ومعه كريمته مجلاة في ثوب عرسها ومعها الفتيات يحملن الهدايا من خيرات الله تعالى، قال الشيخ لعبد الله : إنك كنت رجلاً عزبًا فتزوجت، فكرهتُ أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، ثم ترك المكان وانصرف، وبقيت العروس في بيت زوجها.

قال ابن أبي وداعة: وكنتُ قد أحضرت طعامًا لأفطر عليه، وهو إدام من فول وزيت، وقرص من شعير، وكوب من الماء القراح. قال : فعمدتُ إلى هذا الطعام فواريته بعيدًا عن نظر العروس حتى لا يقع أول ما يقع على هذا الطعم المتواضع ثم صعدت إلى

سطح داري ، وناديت : يا فلان ، ويا فلان، فأطَلَّ عليّ بعض جيراني، وقالوا: ماذا تريد؟ قلت: أشهدكم أن سعيد بن المسيب قد زوجني كريمته وإنها لفي داري منذ الليلة -وذلك حتى لا يظن أحد بي السوء إذا سمع صوت امرأة معي في الدار- فقال لي بعضهم: أتهزأ يا ابن أبي وداعة ؟ . وقال البعض الآخر : لقد جُنَّ، كيف يزوجك سعيد كريمته التي رفضها لولي عهد أمير المؤمنين ؟ قلت : والله قد أنجز الشيخ وعده ، وإنها لفي داري بشحمها ولحمها، فأرسل الرجال من الجيران بنسائهم ليستطلعوا الأمر، فوجدن العروس في بيتي حقّاً، فعدن إلى رجالهن وأقسمن لهم أن كريمة سعيد باتت عروسًا لابن أبي وداعة حقّاً، وحضر الرجال والنساء جميعًا إلى داري، وقام النساء بزفاف العروس، وقام الرجال بزفافي إليها، وفي لمحة البرق كان العرس، وإن كان متواضعًا إنما عكس فرحة في القلب تغشى الأرض والسماء ولا يلد هذه الفرحة إلا الحب في الله.

ولما سُئل سعيد بن المسيب عن سبب تزويج ابنته من عبد الله قال : أما إني -علم الله- ما زوجت ابنتي رجلاً أعرفه غنياً أو فقيرًا، بل رجلاً أعرفه بطلاً من أبطال الحياة، يملك أسلحته من الدين والفضيلة ، وقد أيقنت حين زوجتها منه أنها ستعرف بفضيلة نفسها فضيلة نفسه فيتجانس الطبع والطبع، ولا مهنأ للرجل والمرأة إلا أن يجانس طبعه طبعها، وقد علمتُ وعلم الناس أن ليس في مال الدنيا ما يشترى هذه المجانسة، وإنها لا تكون إلا هدية قلب لقلب يأتلفان ويتحابان.

قال ابن أبي وداعة: وأمضيتُ مع عروسي أسبوعًا كاملاً كأني في الجنة، وبعد أن انقضى الأسبوع استأذنتها للخروج ، فقالت : إلى أين؟ .

قلت: لأحضر درس سعيد .

فقالت لي العروس: اجلس هنا أُعَلِّمُك علمَ سعيد.

٦٩٩ - «بم تلين القلوب؟»

قال عمر بن صالح: «سألت أبا عبد الله - يعني الإمام أحمد- : بم تلين القلوب؟

فأبصر إليّ ثم أطرق ساعة فقال: بأي شيء؟ بأكل الحلال ، فذهبتُ إلى أبي نصر، فقلت له: يا أبا نصر : بم تلين القلوب؟ ، فقال: «ألا بذكر الله تلين القلوب»، فقلت له: فإني سألت أبا عبد الله فتهلل وجهه وقال : سألته؟ قلت: نعم، قال: هيه. قلت: قال لي : بأكل الحلال، فقال: جاءك بالأصل كما قال.

٧٠٠ - «خشيت أن يخبرك الغلام»

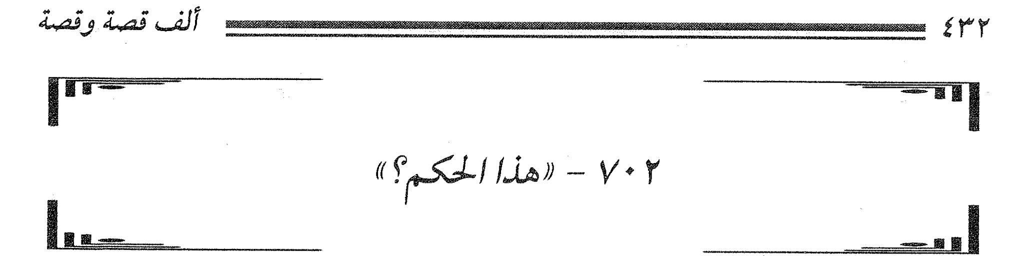
عن عوف بن مسلم النحوي، عن أبيه قال : خرج عمر بن محمد صاحب السند وأصحابه يسيرون في بلاد الشرك، فرأوا شيخًا ومعه غلام، وقد كان العدو ندر بهم، فهربوا، فقال عمر : يا شيخ، دلنا على قومك وأنت آمن، قال: أخاف إن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني، ولكن اقتل هذا الغلام حتى أدلك، فضرب عنق الغلام، فقال الشيخ : إنما كرهت إن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام، فالآن قد أمنت. والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها، فضرب عنقه.

٧٠١ - «الحيلة في طلب العلم»

عن الحسن بن عمارة قال : أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث، فقلت : إما أن تحدثني ، وإما أن أحدثك؟ فقال : حدثني.

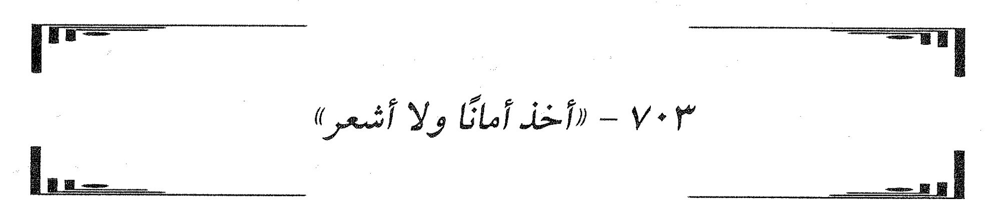
فقلت : حدثني الحكم بن عتبة، عن يحيى بن الجزار، قال: سمعت عليّاً -عليه السلام- يقول: ما أخذ الله -عز وجل- على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. قال : فحدثني أربعين حديثًا.

***



٧٠٢ - «هذا الحكم؟»

حدث ابن المدبر قال : انفرد الرشيد، وعيسى بن جعفر بن المنصور، والفضل بن الربيع في طريق الصيد، فلقوا أعرابياً فصيحًا، فولع به عيسى إلى أن قال له : يا ابن الزانية، فقال له : بئس ما قلت ، قد وجب عليك ردها أو العوض، فارض بهذين المليحين يحكمان بيننا. قال عيسى : قد رضيت، فقالا للأعرابي: خذ منه دانقين عوضًا من شتمك، فقال : هذا الحكم؟ قال: نعم. قال : فهذا درهم خذوه، وأمكم جميعًا زانية ، وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لي عليكم، فغلب عليهم الضحك، وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي، وضمه الرشيد إلى خاصته.



٧٠٣ - «أخذ أمانًا ولا أشعر»

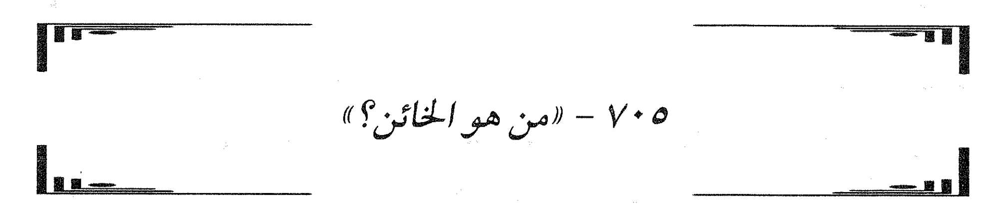
كان الهرمزان من أهل فارس ، فلما انقضى أمر جلولاء خرج يزد جرد من حلوان إلى أصبهان، ثم أتى أصطخر، ووجه الهرمزان إلى بلدة تستر، فضبطها وتحصن في القلعة، وحاصرهم أبو موسى، ثم نزل أهل القلعة على حكم عمر، فبعث أبو موسى بالهرمزان ومعه اثنا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب، فقدم بهم المدينة في زيِّهم ذلك، فجعل الناس يعجبون ، فأتوا بهم منزل عمر، فلم يصادفوه فجعلوا يطلبونه، فقال الهرمزان بالفارسية : قد ضل ملككم، فقيل لهم : هو في المسجد، فدخلوه فوجدوه نائمًا متوسدًا رداءه، فقال الهرمزان: إن هذا ملككم. قالوا: هذا الخليفة . قال : أما له حاجب ولا حارس ؟ قالوا: الله حارسه حتى يأتي عليه أجله. فقال الهرمزان : هذا الملك الهني، فقال عمر : الحمد لله الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام، فاستسقى الهرمزان، فقال عمر : لا يجمع عليك القتل والعطش، فدعا له بماء، فأمسك بيده، فقال عمر : اشرب لا بأس عليك، إني غير قاتلك حتى تشربه، فرمى بالإناء من يده، فأمر عمر بقتله، فقال : أو لم تؤمني؟ قال : وكيف ؟ قال: قلت لي : لا بأس

عليك، فقال الزبير وأنس وأبو سعيد : صدق. فقال عمر : قاتله الله أخذ أمانًا، ولا أشعر، ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان.

٧٠٤ - «خمس خصال بها تمام العمل»

قال أبو بكر عبد الله الباجي الزاهد -رحمه الله - : خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله - عز وجل - ، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة ، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل، وذلك إذا عرفت الله -عز وجل- ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تنتفع ، وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع.

وقال وهب بن الورد: لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل في بطنك من حلال أو حرام .



٧٠٥ - «من هو الخائن؟»

ذكر أن ملكًا كانت أسراره تظهر كثيرًا إلى عدوه فيبطل تدبيره على العدو، فبلغ ذلك منه، فشكا إلى أحد نصحائه ، وقال له : إن جماعة يطلعون على أسرار لي لابد من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن، فدعا بكتاب فكتب فيه أخبارًا من أخبار المملكة، وجعلها كذبًا كلها ثم دعا برجل ، رجل، كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره، فقال للملك : أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لا يظهر عليه سائر أصحابه، وأمر كل واحد بستر ما أسررت إليه، وأكتب

على كل خبر اسم صاحبه، فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أفشي إليهم ،وانكتمت أخبار الناصحين، فعرف الملك من يفشي سره فحذره.

٧٠٦ - «خذ من كل أدب طرفًا»

قال ابن الجوزي:

وبلغنا أن المنصور كان يعجب بيحيى بن خالد ويجود رأيه وكان يقول: ولد الآباء أبناء وولد خالد بن برمك آباء، وكان يحيى يقول لابنه جعفر : يا بني خذ من كل أدب طرفًا؛ فإنه من جهل شيئًا عاداه، وأنا أكره أن تكون عدو الشيء من الأدب، وكان يقول: مَن بلغ رتبة فتاه فيها أخبر أن محله دونها، وقال له رجل : والله لأنت أحلم من الأحنف، فقال : ما نقرب إليّ من أعطاني فوق حقي.

٧٠٧ - «ليست لي نية أن أحدثكم»

عن إبراهيم بن عبد الله قال : كنت في بيت عمتي ولها بنون، فسألت عنهم، فقالوا: قد مضوا إلى عبد الله بن داود فأبطؤا ثم جاؤوا يذمونه، وقالوا: طلبناه في منزله فلم نجده، وقالوا: هو في بُستينة له فقصدناه، وسلمنا عليه، وسألناه أن يحدثنا فقال : متعت بكم أنا في شغل عن هذا. هذه البستينة لي فيها معاش، وتحتاج أن تسقي وليس لنا من يسقيها.

فقلنا : نحن ندير الدولاب ونسقيها، فقال : إن حضرتكم نية فافعلوا، فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان، ثم قلنا له : حدثنا الآن، فقال : متعت بكم ليس لي نية في أن أحدثكم، وأنتم كانت لكم نية تؤجرون عليها.



٧٠٨ - «ظنوا أنني جائع»

عن عبد الواحد بن محمد الموصلي، حدثنا بعض فتيان الموصلي قال : لما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رايق الموصلي نهب الناس داره بالموصل، فدخلت لأنهب، فوجدت كيسًا فيه أكثر من ألف دينار، فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك، فيبصرني بعض الجند، فيأخذه مني، فطفت الدار ، فوقعت على المطبخ، فعمدت إلى قدرة كبيرة فيها طعام، فطرحت الكيس فيها، وحملتها على يدي، فكل من استقبلني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القدرة حتى سلمت إلى منزلي.

٧٠٩ - «اغتسلوا اليوم»

وروى ضمرة عن شوذب قال : كان لرجل جارية فوطئها سراً، ثم قال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ، فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله.

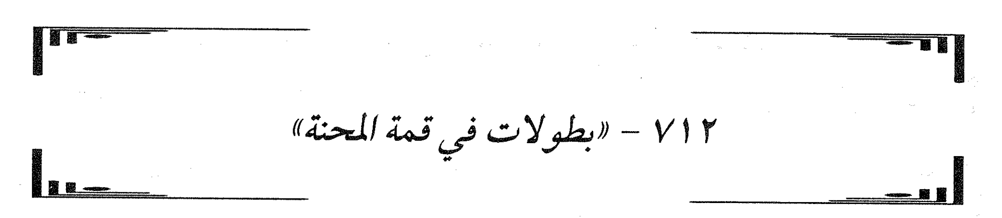
٧١٠ - «لا تقوم حتى تحدثني مائة حديث»

عن ابن أبي ذر قال : كان الحاج إذا ورد جلس سفيان بن عيينة بباب بني هاشم على موضع عالٍ ليرى الناس، فجاء رجل من أصحاب الحديث، فقعد بين يديه، فقال : يا أبا محمد، حدثني فحدثه أحاديث، فقال : زدني فزاده، فقال : زدني فزاده، فدفعه في صدره، فوقع إلى الوادي، فتفاشى ذلك، فاجتمع الحاج ، وقال : سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج، فلما كثر ذلك أشفق سفيان، فنزل إلى الرجل ، فترك رأسه في حجره، وقال : ما لك ؟ أي شيء أصابك ؟ فلم يزل يركض رجليه ويزيد من فيه. قال : وكثر

الضجيج : سفيان بن عيينة قتل رجلاً، فقال له : قم ويلك ، أما ترى الناس يقولون ؟ فقال له وهو يخفي صوته : لا والله لا أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار ففعل فقام.

٧١١ - «من يحفظ القرآن؟»

قال المحسن بن علي التنوخي ، عن أبيه قال : حججت في موسم فرأيت مالاً عظيمًا وثيابًا كثيرة تفرق في المسجد الحرام، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : بخراسان رجل صالح عظيم النعمة والمال يقال له : علي الزراد أنفذ عام أول مالاً وثيابًا إلى ههنا مع ثقة له، وأمره أن يعتبر قريشًا ، فمن وجده منها حافظًا للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثوبًا. قال : فحضر الرجل عام أول، فلم يجد في قريش البتة أحدًا يحفظ القرآن إلا رجلاً واحدًا من بني هاشم، فأعطاه قسطه، وتحدث الناس بالحديث ورد باقي المال إلى صاحبه، فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب ، فوجد خلقًا عظيمًا من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن، وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته، وأخذوا الثياب والدراهم، فقد فنيت وبقي منهم من لم يأخذ، وهم يطالبونه، قال : فقلت : لقد توصل هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له.



٧١٢ - «بطولات في قمة المحنة»

في غزوة أحد. فلقد التقى ستمائة مسلم بثلاثة آلاف من الكفار والمشركين، وكان الرسول ﷺ قد نظم صفوفهم، وحدد مواقعهم وأمر الرماة ألا يبرحوا أمكنتهم التي حددها لهم، حتى يأذن لهم مهما رأوا. نصرة كاملة للمسلمين ، أو هزيمة ماحقة لهم.

وانتصر المسلمون أول النهار ، فقال لهم بعضهم:

لمَ تقيمون ها هنا في غير شيء وقد هزم الله عدوكم؟ وهؤلاء إخوانكم يغنمون عسكرهم، فادخلوا فاغتنموا مع الغانمين.

ورد البعض : ألم يقل لكم رسول الله : لا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا.

وأجيب عليهم : لم يرد رسول الله أن نبقى بعد أن أذل الله المشركين.

واختلفوا وخطب أميرهم عبد الله بن جبير ألا يخالفوا أمر الرسول ،ولم يستجب له إلا نفر قليل، ونزل الباقي يغتنمون.

وانتهزت قريش الفرصة وكرت على المسلمين، الذين سارعوا إلى إلقاء ما في أيديهم من الغنائم، وأحلوا السيوف، وأخرجوا السهام ، ولكن هيهات ، فلقد تفرقت الصفوف وانفرطت الوحدة، وترك المقاتلون والرماة مواقعهم، فدارت الدائرة على المسلمين، وكيف لا ، وقد خالفوا أمر قائدهم، وزعيمهم ، ورسول الله إليهم.

واشتد الأمر ، حيث أصيب الرسول ﷺ ، بشج في وجهه، وكسر في رباعيته، ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته، بل وقع في حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون، واقترب الأعداء من الرسول.

وكانت أم عمارة الأنصارية قد خرجت مع المسلمين ومعها سقاء فيه ماء لتدور به على المقاتلين تسقي منهم من استسقى. فلما وجدت ما وصل إليه الحال ألقت سقاءها والتقطت سيفًا لمقاتل قُتل، ووقفت تدافع عن سيدنا رسول الله ﷺ وقد جلس جريحًا تنزف منه الدماء الطاهرة، وتحطم سيفها من كثرة ما ضربت به، وتناولت غيره، إلى أن استشهدت ، بثلاث عشرة ضربة في جسدها.

وكان أبو دجانة قد ترس بنفسه، دفاعًا عن رسول الله ، حيث حنى ظهره واستقبله بصدره، حتى لا تصيبه النبل المصوبة إليه، ولكنه يتلقاها عنه بظهره، وسعد بن أبي وقاص يقف في الجهة المقابلة يرمي الأعداء.

وأشاع الكفار أن محمدًا قد مات، وهنا عم البلاء، واستفحل الشر. ولم يدر المسلم ما يفعل، فلقد كان يقتل بالسيف كل من يراه ، في ثورة واضطراب لا يعلم أمسلم من

يقتله، أم كافر من يضربه.

وأما أبو بكر وعمر فعندما بلغهما خبر موت النبي ألقيا ما بأيديهما من سلاح، بل ألقيا بأنفسهما بجوار الجبل، وما دريا، ما يقولان، ولا ما يفعلان، بل لعل الحياة قد توقفت بكل ما فيها، في اعتقادهما.

ورآهما أنس بن النضر فقال لهما: ما يجلسكما؟.

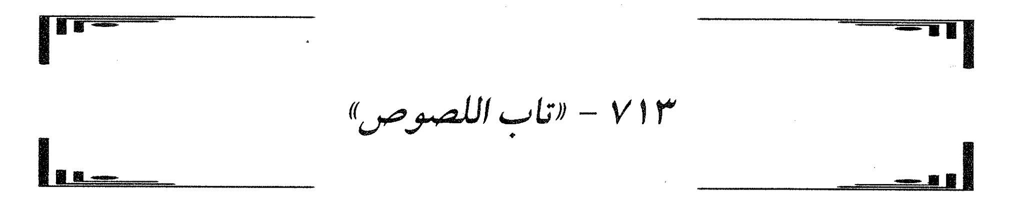
قالا: قُتِلَ رسول الله ﷺ.

قال: وما تصنعان بالحياة بعده؟ قوما فموتا على ما مات عليه.

وصاح في المسلمين وتقدم صفوفهم مهللاً مكبرًا.

وانتظم الجيش مرة أخرى. وقاتل أنس قتالاً شديدًا، حتى إنه لم يقتل إلا بعد أن تلقى سبعين ضربة بالسيوف، ولم يعرفه أحد إلا أخته، عرفته من بنانه حيث قطع جسده، قطعًا صغيرة لم تزد على حجم البنان.

ومات أنس سعيدًا باسمًا حيث استمع إلى البشير ينادي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله. وبعد أن سمع بأذنيه ذلك، رأى الملائكة، تنزل لتصاحب روحه، في طريقها إلى الجنة.



٧١٣ - «تاب اللصوص»

خرجت جماعة من اللصوص ذات ليلة تقطع الطريق على قافلة أتاهم خبرها، فلما جَدُّوا في السعي للقائها، وتوغل الليل ولم يعد لهم من جهد أو وسيلة لتبينها، فهي لا شك قد حطت رحالها حتى الصباح، حيث لم يستطع اللصوص تَبَيُّن مكانها، ووجدوا عن بُعْد منزلاً مهدمًا به أثرة من نار، فذهبوا إليه وطرقوا الباب، وقالوا: نحن جماعة من الغزاة المجاهدين في سبيل الله، أظلم علينا الليل، ونريد أن نبيت في ضيافتكم وأحسن الرجل استقبالهم، وأفرد لهم غرفته، وقام على خدمتهم، وقدم لهم أكل أهل بيته، وكان للرجل

ولد مقعد قد شلَّه المرض عن الحركة.

وفي الصباح خرج اللصوص، وقام الرجل وأخذ الوعاء الذي كان فيه فضل مياههم وباقي اغتسالهم، وقال لزوجته : امسحي لولدنا بهذا الماء أعضاءه، فلعله يشفى ببركة هؤلاء الغزاة المجاهدين في سبيل الله، فهذا الماء باقي وضوئهم واغتسالهم.

وفعلت الأم ذلك.

وفي المساء رجع اللصوص إلى دار الرجل وقد غنموا وسرقوا وانتهبوا ليقضوا ليلتهم في خفية عن أعين قد تكون ترصدهم، ووجدوا الولد المقعد يمشي سوياً، فقالوا لصاحب الدار وقد تعجبوا واندهشوا: أهذا الولد الذي رأيناه بالأمس وفي الصباح مقعدًا؟.

قال الرجل : نعم، فلقد أخذتُ فضل مائكم وبقية وضوئكم، ومسحته به، فشفاه الله ببركتكم، ألستم غزاة مجاهدين من أهل الله ؟ .

فأخذوا في البكاء، والنشيج ، وقالوا له : أيها الرجل ، اعلم أننا لسنا غزاة، وإنما نحن لصوص قُطَّاع طريق غير أن الله قد عافى ولدك بحسن نيتك، ولقد تُبنا إلى الله توبة نصوحًا.

وخرجوا يوزعون المال على الفقراء والمحتاجين، وتحللوا من الذنب، وتحرروا من الكذب، وتقدموا إلى جيش المسلمين يلتحقون به، ليكونوا فعلاً -كما كذبوا أولاً- غزاة مجاهدين في سبيل الله.

٧١٤ - «تجارة مع الله»

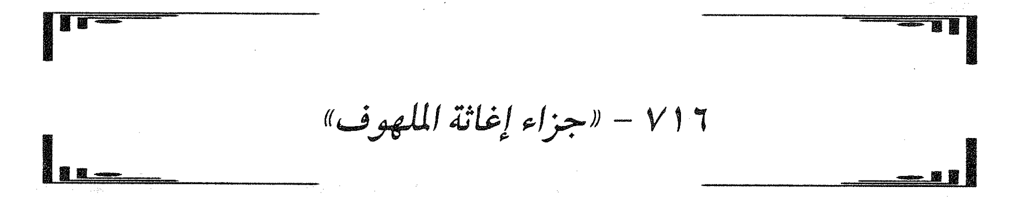
عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

حدث في خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أن أصاب الناس قحط، فلما اشتد بهم الأمر ذهبوا إلى الخليفة ، وقالوا له : يا خليفة رسول الله ، إن السماء لم تمطر ، والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك. فماذا تصنع؟ فقال لهم : انصرفوا واصبروا ، فإني أرجو ألا تمسوا حتى يفرّج الله عنكم فلما كان آخر النهار، وردت الأنباء بأن عيرًا

لعثمان بن عفان، قد قدمت من الشام، وتصبح بالمدينة، فلما جاءت ، خرج الناس يتلقونها، فإذا هي ألف بعير موسوقة برًا وزيتًا وزبيبًا، فأناخت بباب عثمان، فلما جعل أحمالها في داره، جاءه التجار، فقال لهم : ماذا تريدون؟ فقالوا: إنك لتعلم ما نريد . بعنا من هذا الذي وصل إليك، فإنك تعلم حاجة الناس إليه، فقال عثمان : حبًا وكرامة ، كم تربحونني على شرائي؟ قالوا: الدرهم درهمين، قال: أعطيت زيادة على هذا، فقالوا: أربعة ، قال : أعطيت أكثر . قالوا: نربحك خمسة. قال: أعطيت أكثر، فقالوا: ما في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا أحد إليك، فمن الذي أعطاك أكثر مما أعطينا ؟ قال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة، فهل عندكم زيادة ؟ قالوا: لا، قال: فإني أشهد الله ، أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين، ثم أخذ يُفرق بضاعته، فما بقي من فقراء المدينة أحد إلا أخذ ما يكفيه وأهله.

٧١٥ - «كيف تصلي يا حاتم؟»

دخل عصام بن يوسف على حاتم الأصم ، في مجلسه . فقال : يا حاتم تُحسن تصلي ؟ قال: نعم. قال: كيف تُصَلِّي؟ قال حاتم الأصم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأُكَبِّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأُسَلِّم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل الله مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت، قال: تكلم فأنت تحسن تصلي.



٧١٦ - «جزاء إغاثة الملهوف»

كان عبد الله بن المبارك يحج سنة، ويغزو أخرى، حدث عن نفسه قال:

لما كانت السنة التي أحج فيها، خرجت بخمسمائة دينار إلى موقف الجمال بالكوفة

لأشتري جملاً، فرأيت امرأة على بعض الطريق تنتف ريش بطة، أحسبها ميتة، فتقدمت إليها ، وقلت : لِمَ تفعلين هذا ؟ فقالت : يا عبد الله، لا تسألني عما لا يعنيك ، فوقع في خاطري من كلامها شيء، فألححت عليها .

فقالت : يا عبد الله، قد ألجأتني إلى كشف سري إليك. ثم قالت : يرحمك الله، ولي أربع بنات، مات أبوهن من قريب، وهذا اليوم الرابع ما أكلن شيئًا، وقد حلت لنا الميتة ،فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي، فقلت في نفسي ويحك يا ابن المبارك، أين أنت من هذه ؟ أبسطي حجرك، فصببت الدنانير في طرف إزارها، وهي مطرقة لا تلتفت، وقلت لها : عودي إلى بيتك، فاستعيني بهذه الدنانير على إصلاح شأنك، ونزع الله من قلبي شهوة الحج في هذا العام، ثم تجهزت إلى بلادي ، وأقمت حتى حج الناس وعادوا .

فخرجت أتلقى جيراني وأصحابي، فصار كل من أقول له : قبل الله حجتك، وشكر سعيك، يقول لي : وأنت قبل الله حجتك وسعيك، إنا قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا، وأكثر الناس عليّ في القول، فبتُّ مفكرًا في ذلك، فرأيت النبي ﷺ في المنام، وهو يقول: يا عبد الله لا تعجب ؛ فإنك أغثت ملهوفة من أمتي، فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكًا يحج عنك.

٧١٧ - «لماذا الهمُّ إذن؟»

رأى إبراهيم بن أدهم -رضي الله عنه- رجلاً مهمومًا فقال له : أيها الرجل، إني سائلك عن ثلاث فأجبني. قال الرجل : نعم، فقال له إبراهيم : أيجري في هذا الكون شيء لا يريد الله ؟ قال : كلا. قال إبراهيم : أفينقص من رزقك شيء قدَّره الله ؟ قال: كلا. فقال له إبراهيم : أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟ قال: كلا، فقال له إبراهيم : فعلام الهم إذن ؟ .



٧١٨ - «الوشاية والعقلاء»

كان محمد المنصور بن أبي عامر المعافري ، من ملوك العرب بالأندلس، وكان خطيبًا بليغًا، توفي سنة (٣٩٤) هجرية، قال يومًا لأبي عمر يوسف الرمادي الشاعر المشهور: كيف ترى حالك معي؟ فقال الرمادي : فوق قدري ودون قدرك، فأطرق الملك كالغضبان ، فانسلَّ الرمادي ، وقد ندم على ما بدر منه، وكان في المجلس من يحسده على مكانته من الخليفة ، فوجد فرصة فقال :

وصل الله لمولانا الظفر والسعد، إن هذا الصنف ، صنف زور وهذيان، لا يشكرون نعمة، ولا يرعون إلاً ولا ذمة، كلاب من غلب، وأصحاب من أخصب، وأعداء من أجدب، وحسبك منهم أن الله جل جلاله يقول فيهم : ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون**﴾ [سورة الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦] ، والابتعاد منهم أولى من الاقتراب، وقد قيل فيهم: ما ظنك بقوم، الصدق يستحسن إلا منهم.

فرفع الملك رأسه وكان محامي أهل الأدب والشعر، وقد اسودّ وجهه وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال في المجلس :

ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يُستشاروا فيه، ويسيئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون، أيُرضي أم يُسخط، وأنت أيها المنبعث للشر دون أن يُبعث، قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة، وحسدك لهم، لأن الناس كما قال القائل:

من رأى الناس له فضلاً عليهم حسدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة، ولسنا إن شاء الله نبلغ أحدًا غرضه في أحد، ولو بلغنا كم بلغنا في جانبكم، وإنك ضربت في حديد بارد، وأخطأت وجه الصواب، فزدت بذلك احتقارًا وصغارًا، وإني ما أطرقت من كلام الرمادي إنكارًا عليه، بل رأيت كلامًا يجل عن الأقدار الجليلة، وتعجبت من تهدّيه بسرعة، واستنباطه على قلة من الإحسان الغامر، ما لا يستنبطه غيره بالكثير، والله لو حكمته في بيت المال، لرأيت أنها لا

ترجح ما تكلم به ذرة، وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص، قبل أن يؤخذ رأيه فيه، ولا تحكموا علينا في أوليائنا ولو أبصرتم منا التغير عليهم، فإنا لا نتغير عليهم، بغضًا لهم وانحرافًا عنهم، بل تأديبًا وإنكارًا، فإنا من نريد إبعاده لم نُظهر له التغير، بل ننبذه مرة واحدة، فإن التغيير يكون لمن يُراد استبقاؤه، ولو كنت مائل السمع لكل واحد منكم في صاحبه، لتفرقتم أيدي سبأ، وجونبت مجانبة الأجرب، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري، فلا تعدلوا عن مرضاتي، فتجنبوا سخطي بما جنيتموه على أنفسكم ، ثم رد الرمادي ووصله.

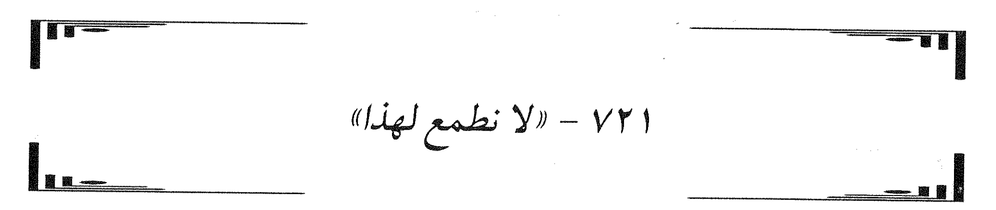
٧١٩ - «حذار الوشاية والنميمة»

حقد شيخ أشيب على أحد المقربين من فخر الملك فوشى به عنده في مقال رفعه، فوقع فخر الملك على المقال بما يأتي : السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتها مجرى النصح ، فخسرانك فيها أكثر من الربح، ومعاذ الله أن نقبل من متهوك في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبك لقابلتك بما يشبه مقالك، ويردع أمثالك، فاكتم هذا العيب واتق من يعلم الغيب ، والسلام.

٧٢٠ - «فطنة عبد العزيز بن مروان»

ولما تولى عبد العزيز بن مروان دمشق، ولم يكن في بني أمية من هو أفصح منه لسانًا، ولا أقوى منه بيانًا، طمع فيه أهل دمشق، وقالوا: صبي لا علم له بالأمور، وسيسمع كل ما نقول له، فقام إليه رجل وقال: أصلح الله الأمير، نصيحة، فقال : ليت شعري ، ما هذه النصيحة التي ابتدأتني بها، من غير يد سبقت مني إليك؟ هات نصيحتك.

قال : لي جار وهو عاص خالع للطاعة، وذكر له عيوبًا، فقال له عبد العزيز : إنك أيها الرجـل ، ما اتقيت الله تعـالى، ولا أكرمت جـارك، ولا حفظت جـوارك، إن شئت نظرنا فيمـا تقول، فإن كنت صادقًا، لم ينفعك ذلك عندنا، وإن كنت كـاذبًا عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك، فقال : بلى أقلني أيها الأمير، قال : اذهب حيث شئت، لا صحبك الله؛ إني أراك شر رجل.



٧٢١ - «لا نطمع لهذا»

ورفع إنسان إلى يحيى بن خالد بن برمك، قصة يقول فيها : إنه قد مات رجل تاجر غريب، وقـد خلف جارية حسناء وولدًا رضـيعًا، ومـالاً كثيـرًا، وأنت أحق بهذا، فكتب يحيى على رأس القـصة : أما الرجل فرحمـه الله، وأما الجارية فصانهـا الله، وأما الطفل فرعاه الله، وأما المال ، فثمره الله، وأما الساعي إلينا بذلك فلعنه الله.

٧٢٢ - «والله يعصمك من الناس»

اجتمع اثنان من قريش عند ستار الكعبة أحدهم يقال له : صفوان بن أمية، والآخر عمير بن وهب ، قال صفوان : ما رأيك يا عمـير، محمد قتل آباءنا وأعمامنا وإخواننا في بدر ، ما رأيك لو قتلته، أنا أقوم بأطفالك وأهلك.

الهدم هدمي ، والدم دمي ، والحياة حـياتي ، والموت موتي، فاتفقا ثم أخـذ عمير سيفه ودهنه بالسم حـتى أصبح أزرقًا وذهب إلى المدينة يريد أن يغتال محـمد ﷺ ناسيًا أن الله مع المتقين.

عناية الله أغنت عـن مضاعفـة ... من الدروع وعن عالٍ من الأطم

ووصل عمـير يريد الذبح، يريد الاغـتيال، يريد تنفـيذ خطة من أبشع خطط البـشر

فوصل إلى المسجد فرآه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وعمر عنده إلهام، عنده إشراقات إيمانية فقام عمر وما عنده سلاح وذاك عنده سيف، فأخذه عمر بسيفه وجلابيبه وبماسكه وقاده كما يُقاد التيس حتى أدخله على الرسول ﷺ في المسجد فقال ﷺ : «**يا عمير، ماذا جاء بك؟**» . قال عمير : جئت أفادي أسارنا في بدر، قال ﷺ : «**بل كذبت، جلست أنت وصفوان تحت ميزاب الكعبة قبل عشرة أيام ، فقال لك صفوان كذا وكذا ، وقلت له كذا وكذا، وجئت لتقتلني وما كان الله ليُسلطك عليّ**» . قال عمير بن وهب : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

٧٢٣ - «مَن لكعب بن الأشرف»

ومن المنقول عن محمد بن مسلمة، عن عمرو بن دينار سمع جابرًا يقول : قال رسول الله ﷺ : «**مَن لكعب بن الأشرف؛ فإنه قد أذى الله ورسوله؟**» فقال له محمد بن مسلمة : أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟ قال: «**نعم**» قال: أنا له ، يا رسول الله. فائذن لي أن أقول، قال : «**قل**» فأتاه محمد بن مسلمة، فقال : إن هذا الرجل قد أخذنا بالصدقة، وقد عنانا وقد مللنا منه. قال الخبيث لما سمعها، والله لتملنه أو لتملن منه، وقد علمت أن أمركم سيصير إلى هذا. قال : إنا لا نستطيع أن نسلمه حتى ننظر ما يفعل، وإنا نكره بعد أن تبعناه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، وقد جئت لتسلفني تمرًا. قال : نعم على أن ترهنوني نساءكم. قال محمد : أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال: فأولادكم. قال: فيعير الناس أولادنا بأنا رهناهم بوسق أو وسقين، وربما قال : فيسب ابن أحدنا، فيقال برهن وسق أو وسقين . قال : فأي شيء ترهنوني ؟ قال : نرهنك اللامة يعني السلاح. قال : نعم، فواعده أن يأتيه، فرجع محمد إلى أصحابه فأقبل وأقبل معه أو نائلة، وهو أخو كعب من الرضاعة، وجاء معه برجلين آخرين، فقال : إني مستمكن من رمّته فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل، فجاؤوه ليلاً فأمر أصحابه، فقاموا في ظل النخل، وأتاه محمد ، فناداه، فقالت امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ قال : إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي أبو نائلة، فنزل إليه ملتحفًا في ثوب واحد، وينفح منه ريح

الطيب، فقال محمد : مـا أحسن جسدك وأطيب ريحك! . قال: إن عندي ابنة فلان وهي أعطر العرب. قال : أفتـأذن لي أن أشمه ؟ قال: نعم. قال : فأدخل مـحمد يده في رأسه فشمه، ثم قال : أتأذن لي أن أشمه أصحابي ؟ قال: نعم، فأدخلها في رأسه ثم شبك يده في رأسه قـبضًا، ثم قـال لأصحابه : دونكم عـدو الله، فخرجـوا عليه فـقتلوه ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره.

٧٢٤ - «والله ، لهذا الشيخ أحب إليّ»

عن مسلم بن صبيح الكوفي قال : سمعت أبي يقول: خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى طريرًا جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة فقالت : إنكما خطبتماني ولست أجـيب أحد منكمـا دون أن أراه وأسمع كـلامه، فـاحضـرا إن شئـتمـا، فحـضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رآه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته ، يئس منها، وعلم أنـها لن تؤثره عليه، فـأقبل على الفتى، فـقال له : لقد أوتيت جـمالاً وحسنًا وبيـانًا، فهل عندك سوى ذلـك ؟ قال : نعم. فعـدد محاسنه ثم سكت، فـقال له المغيـرة : كيف حـسابك؟ قـال : ما يسـقط عليّ منه شيء، وإني لأسـتـدرك منه أدق من الخردلة، فقال له المغـيرة: لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقـها أهلي على ما يريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: والله ، لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إليّ من هذا الذي يحصي عليّ مثل صغير الخردل، فتزوجت المغيرة.

٧٢٥ - «أحسنت الدخول فأحسن الخروج»

ومن المنقـول عن عمـرو بن العاص : قـال ابن الكلبي : لما فتح عمـرو بن العاص قيـسارية سار حتى نزل على غـزة ، فبعث إليـه علجها أن أرسل إليّ رجلاً من أصـحابك أكلمه، فـفكر عمرو، فقـال : ما لهذا العلج أحـد غيري، فقـام حتى دخل على العلج ،

فكلمه، فسمع كلامًا لم يسمع مثله قط، فقال له العلج : حدثني هل من أصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هواني عندهم، إذ بعثوني إليك ، وعرضوني لما عرضوني، فلا يدرون ما تصنع بي، قال : فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه. فمر برجل من النصارى من غسان فعرفه، فقال : يا عمرو ، قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج، فرجع، فقال له الملك : ما ردك إلينا ؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيرًا من أن يكون عند واحد، قال: صدقت ، أعجل بهم، وبعث إلى البواب: خلِّ سبيله، فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمن قال : لا عدت لمثلها أبدًا، فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له : أنت هو ؟ قال: على ما كان من غدرك .

٧٢٦ - «نعيم بن مسعود والأحزاب»

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود قال: أخبرنا ابن إسحاق قال : بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى نعيم بن مسعود رسول الله ﷺ فحدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي، مرني أمرك. فقال له رسول الله ﷺ : «**إنما أنت منا رجل واحد، فحدّث عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة**» فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم : يا معشر قريظة، وكان لهم نديمًا في الجاهلية، إني لكم نديم وصديق، قد عرفتم ذلك. قالوا: صدقت. قال : تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة إن البلد لبلدكم به أموالكم ونساءكم وأبناءكم، وإن قريشًا وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاؤوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به، فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم تستوثقون به، ولا تبرحوا حتى تناجزوا محمد. فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح، ثم ذهب إلى قريش ، فأتى

أبا سفيـان وأشراف قريش، فقال : يا مـعشر قريش، إنكم قد عـرفتم ودِّي إياكم، وفراقي محـمد أو دينه، وإني قد جئـتكم بنصيحـة فاكتمـوا علي. فقالوا : نفـعل. ما أنت عندنا بمتهم. فـقال : تعلمون أن بني قـريظة من يهود قد ندموا على مـا صنعوا فيـما بينهم وبين محمد، فبعثوا إليه، ألا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهنًا من أشرافهم، فندفعهم إليك، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك ؟ فقال : بلى ، فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرًا من رجالكم فلا تعطوهم رجلاً واحـدًا ، فاحذروا، ثم جاء غطفان، فقال : يا معشر غطفان، قد علمتم أني رجل منكم. قالوا: صدقت، فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش، فلما أصبـحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بـن أبي جهل في نفر من قريش : إن أبا سفيان يـقول لكم : يا معشر يهود ، إن الكراع والخف قـد هلكا إنا لسنا بدار مقام، فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه، فبعـثوا إليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل مـعكم حتى تعطونا رهنًا من رجالكم نستـوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نـناجز محمدًا . فـقال أبو سفيـان: قد والله حذرنا نعيم، فبـعث إليهم أبو سفيان ، إنا لا نـعطيكم رجلاً واحدًا، فإن شئتم أن تخـرجوا فتقاتلوا وإن شئـتم فاقعدوا، فقالت يهود : هذا والله الذي قال لنا نعيم. والله مـا أراد القوم إلا أن يقاتلوا محمدًا، فإن أصابوا فرصة انتـهزوها وإلا مضوا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل، فبـعثوا إليهم : إنا والله لا نقاتل مـعكم حتى تعطونا رهنًا، فـأبوا، فبعث الله تـعالى الريح على أبي سفـيان وأصحابه وغطفان، فخذلهم الله عز وجل.

٧٢٧ - «والله ما أردت إلا ذلك»

وجه عبد الملك بن مروان عامر الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له، فاستكثر الشعبي فقال له : من أهل بيت الملك أنت ؟ قـال : لا ، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة ، وقال : إذا رجعت إلى صاحبك ، فأبلغـته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فـادفع إليه هذه الرقعة، فلما صـار الشعبي إلى عبد الملك ذكر مـا احتاج إلى ذكره ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة، فـرجع فقال : يا أمير المؤمنين، إنه حملني

إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حملني فدفعها إليه ونهض، فقرأها عبد الملك . قال: فأمر برده، فقال : أعلمت ما في هذه الرقعة ؟ قال: فيها عجبت من العرب، كيف ملكت غير هذا. أفتدري لِمَ كتب إلي بمثل هذا ؟ فقال : لا. فقال : حسدني عليك، فأراد أن يغريني بقتلك.

فقال الشعبي : لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني، فبلغ ذلك ملك الروم، ففكر في عبد الملك، فقال : لله أبوه، والله ما أردت إلا ذلك.

٧٢٨ - « أعطه ما وعدته»

عن يعقوب بن جعفر أنه قال: ومما يعرف ويؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل مدينة، فقال للربيع : اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس، فإني أحب أن أعرف ذلك، فجاء برجل يعرفه إلا أنه لا يبدؤه حتى يسأل المنصور ، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب بها الرجل الربيع، فقال : ما قال لي شيئًا وأنا أهب لك ألفًا من عندي وسيركب فاذكره ، فركب معه، فجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعًا للكلام، فلما أراد المنصور أن يفارقه قال له الرجل شعرًا:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم   ذرب اللسان يقول ما لا يفعل

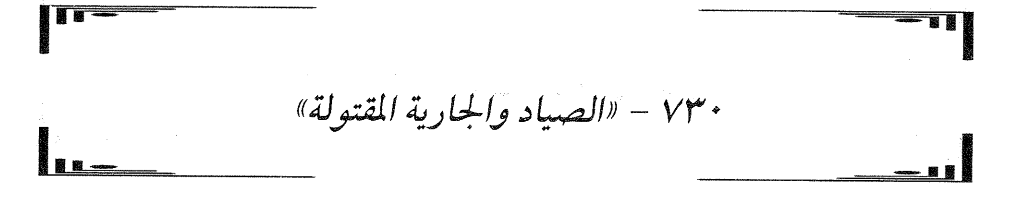
ثم إنه أراد الإمضاء، فضحك وقال : يا ربيع، أعطه الألف درهم الذي وعدته وألفًا آخر .

٧٢٩ - «هذا الطيب يذهب همَّك»

قال ابن الجوزي: وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته، فرأى رجلاً ملهوفًا مهمومًا يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره الرجل أنه

خرج في تجارة فأفاد مالاً ، وأنه رجع بالمال إلى منزله، فـدفعه إلى أهله، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتهـا، ولـم تر نقبًا ولا تسليقًا، فقال له المنصور: منذ كـم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة. قال : أفبكر هي تزوجتها؟ قال: لا. قال : فلها ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فشابة هي أم مـسنة ؟ قال: بل حديثة. فدعـا له المنصور بقارورة طيب كان يتـخذه له حادّ الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه، وقال له : تطيّب من هذا الطيب؛ فإنه يذهب همك، فلما خرج الرجل من عند المنصـور قال المنصور لأربعة من ثقاته: ليـقعد على كل باب من أبواب المدينة واحـد منكم. فمن مـر بكم فشـممت منه رائحـة هذا الطيب وأشمـهم منه، فليأتني به. وخرج الرجل بالطيب، فـدفعه إلى امرأته وقال لها : وهبـه لي أمير المؤمنين ، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبـه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له : تطيّب من هذا الطيب، فإن أميـر المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومر مجـتازًا ببعض أبواب المدينة ، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأخـذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الـطيب؛ فإن رائحته غريبة معـجبة؟ قال: اشتريتـه. قال: أخبرنا ممن اشتريته ، فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعـا المنصور صاحب شرطته، فقال له : خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فـخله يذهب حيث شاء، وإن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة.

فلما خـرج من عنده دعا صاحـب شرطته، فـقال : هول عليه وجـرده ولا تقدمن بضـربه حتى تؤامـرني، فـخرج صـاحب شرطـته فلمـا جرده وسـجنه أذعن برد الدنانيـر وأحضـرها بهيئـتها، فأعـلم المنصور بذلك، فدعـا صاحب الدنانير، فـقال له : رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهـيئتها أتحكمني في امـرأتك؟ قال: نعم. قال : فهـذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها.



٧٣٠ - «الصياد والجارية المقتولة»

قال الحسن : وبلغنا عن المعتضـد بالله أن خادمًا من خدمه جاء يومًا فـأخبره أنه كان قائمًا على شاطئ الدجلـة في دار الخليفة ، فرأى صيادًا وقد طرح شـبكته، فثقلت بشيء،

فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنـه قدره مالأ فأخذه وفتحه، فإذا فيه آجر وبين الآجر كف خضوبة بحناء، قال : فأحضر الجـراب والكف والأجر، فهال المعتضد ذلك، وقال : قل للصياد يعاود طرح الشـبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه، قال : ففـعل فخرج جراب آخر فيه رجل، قال : فطلبوا فلم يخرج شيء آخر، فاغتم المعتضد ، فقال : معي في البلد من يقتل إنسانًا ويقطع أعضاؤه ويفرقه ولا أعرف به ما هذا ملك. قال : وأقام يومه كله ما طعم طعامًا، فلمـا كان من الغد أحضر ثقة له، وأعطاه الجـراب فارغًا، وقال له : طف به على كل من يعمل الجرب ببـغداد، فإن عرفه منهم رجل، فـسله على من باعه، فإذا دلك عليه، فسل المشتري من اشتراه منه ، ولا تقـر على خبره أحدًا. قال : فغاب الرجل وجاءه بعـد ثلاثة أيام، فزعم أنه لم يزل يـتطلب في الدباغين ، وأصحـاب الجرب إلى أن عـرف صانعه، وسأل عنه فذكر أنه باعـه على عطار بسوق بحيى ، وأنه مضى إلى العطار وعرضه عليه.

فقـال : ويحك كيف وقع هذا الجراب في يـدك؟ فقلت : أوَ تعرفـه ؟ قال : نعم. اشتـرى مني فلان الهاشـمي منذ ثلاثة أيام عشـرة جرب لا أدري ، لأي شيء أرادها وهذا منهـا. فقـلت له : ومن فلان الـهاشـمي، فـقال : رجل من ولـد علي بن ريطة من ولد المهـدي، يقال له : فـلان عظيم، إلا أنه شـر الناس وأظلمـهم وأفسـدهم لحـرم المسلمين وأشدهم تشوقًا إلى مكائدهم ، وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد خوفًا من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال، ولم يزل يحدثني وأنا أسمع أحاديث له قبيحة إلى أن قال : فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنيـة جارية فلانة المغنية، وكانت كالدينار المنقوش وكالقمـر الطالع في غاية حسن الغناء فساوم مـولاتها فيها، فلم تقـاربه، فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشتر قد حضر بذل فيها ألوف دنانير، فوجه إليها : لا أقل من أن تنفذيـها إليّ لتودعني، فـأنفذتهـا إليه بعد أن أنفـذ إليهـا جذرها لثلاثـة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيبـها عنها، فما يعرف لها خبر وادعى أنها هربت من داره، وقالت الجيران : إنه قتلها وقال قوم : لا ، بل هي عـنده، وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابـه وسوّدت وجهها، فلم ينفـعها شيء، فلما سمع المعـتضد سجـد شكرًا لله تعالى على انكشاف الأمـر له، وبعث في الحال من كبس على الهـاشمي وأحضر المغنية، وأخرج اليد والرجل إلى الهاشـمي، فلما رآهما امتقع لونه، وأيقن بالهلاك

واعترف، فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال وصرفها، ثم حبس الهاشمي، فيقال : إنه قتله، ويقال : مات في الحبس.

٧٣١ - «درس من خادمة عابدة»

قال محمد بن أبي الفرج : احتجت إلى خادمة في رمضان، لتصنع لي الطعام، فرأيت في السوق جارية مصفرة اللون، نحيلة الجسم، يابسة الجلد، فرضيت أن تكون لي خادمة، رحمة بها، وأتيت بها إلى المنزل، وقلت لها : خذي وعاء وامضي معي إلى السوق، لنشتري حوائج رمضان، فتعجبت وقالت : يا سيدي، أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، فعلمت أنها من الصالحات، وكانت تقوم الليل كله في رمضان، فلما كانت ليلة العيد قلت لها : امضي بنا إلى السوق، لنشتري حوائج العيد، فقالت : يا سيدي، أي حوائج العيد تريد ؟ حوائج العوام أم حوائج الخواص ؟ فقلت لها : صفي لي حوائج كل، فقالت : يا سيدي ، حوائج العوام الطعام المعهود، وأما حوائج الخواص فهي الاعتزال عن الخلق والتفريد، والتفرغ للخدمة والتجريد ، والتقرب بالطاعة إلى الله، والتزام ذل العبيد، فقلت لها : إنما أريد حوائج الطعام، فقالت : أي طعام تعني؟ طعام الأجسام أم طعام القلوب ؟ فقلت لها : صفيهما لي، فقالت : أما طعام الأجساد ، فهو القوت المعتاد، وأما طعام القلوب فترك الذنوب، وإصلاح العيوب، والتمتع بمشاهدة المحبوب، والرضا بحصول المطلوب، وحوائجه الخشوع والتقوى، وترك الكبر والدعوى، والرجوع إلى الله، والتوكل عليه في السر والنجوى، ثم قامت تصلي في خشوع وخضوع، وما أن انتهت من صلاتها حتى وافاها الأجل ، رحمة الله عليها.

٧٣٢ - «وهل نام الله عز وجل»

تعلق قلب رجل بامرأة بدوية ، وقد ذهبت ذات ليلة إلى حاجة لها، فتبعها الرجل ،

فلما خلا بها في البادية والناس نيام حولهما، راودها عن نفسها، فقالت له : انظر أنام الناس جميعًا؟

ففرح الرجل ، وظن أنها قد أجابته إلى ما ابتغى، فقام وطاف حول مضارب الحي، فإذا الناس نيام، فرجع مسرورًا وأخبرها بِخُلُوِّ المكان إلا من النيام، فقالت : ما تقول في الله تبارك وتعالى ؟ أنائم هو في هذه الساعة ؟ قال الرجل : إن الله لا ينام ولا تأخذه سنة، فقالت المرأة: إن الذي لم ينم ولا ينام ، ويرانا وإن كان الخلق لا يروننا، فذلك أولى أن يُخاف، فاتّعظ الرجل وتركها وتاب خوفًا من الله تعالى، ولما مات رُئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي لخوفي منه وتوبتي إليه.

٧٣٣ - «رَكْضًا إلى الله »

ما كان المسلمون يتعجلون شيئًا قدر تعجلهم الجنة. فهم يعرفون أن الشهادة في سبيل الله هي أسرع الطرق إليها، لذلك كانوا يقاتلون قتال الحريصين على الاستشهاد بعد أن يستوفوا بذل أرواحهم، ودمائهم، كثرة من أرواح الأعداء ودمائهم.

ومثلهم في ذلك عمير بن الحمام خرج للقتال في غزوة بدر. وتهيأ للقتال واستعد له، وأخرج من ردائه تمرات قليلة يأكلها، فسمع سيدنا رسول الله ﷺ يحض على القتل ويبشر الشهداء بالجنة.

وأسرع عمير يلقي التمرات من يده، ويقول : أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ووالله إنها لطويلة يقصد الفترة التي سيأكل فيها تمراته التي لم تكن تزيد على ثلاث ، واتجه إلى الميدان يقتحمه مقاتلاً وهو ينشد قائلاً:

ركضًا إلى الله بغير زادِ — إلا التقى وعمل المعادِ

والصبر في الله على الجهادِ — وكل زاد عرضة النفادِ

غير التقى والبر والرشادِ

وظل عـمـيـر يقتل من الأعـداء ما شـاء الله له أن يقتل، حـتى حقق اللـه رجاءه، واستجاب دعاءه وذهب ركضًا إلى الله، شهيدًا إلى الجنة.

٧٣٤ - «ينزع درعه ليقاتل حاسرًا»(١)

في معـركة بدر، فلقـد أبلى المسلمون بلاءً حـسنًا، وقاتلوا قـتالاً بذلوا فيه جـهد طاقتهم، وحرصوا الحرص كله على أن ينصروا الله، بإعلاء كلمته، وفي سبيل ذلك قاتلوا راغبين في الشهادة، مرحبين بكل دم يبذلونه في سبيل الله.

وكان المقاتل منهم بعـد أن يؤدي واجبه تمامًا، يتوجه إلى سـيدنا رسول الله ﷺ إما ليحكي له مـا كان، وإما ليسـأله الرأي فيما سـيكون، وكل ذلك التماسـًا منهم ليروه، أو يسمعوه أو يسألوه الدعاء.

ولقد ذهب إليه مع من ذهبوا من المقاتلين عوذ بن الحارث وقال:

يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده ؟. يقصد ما يرضيه غاية الرضا من عبده.

فقال ﷺ: «**غمسه يده في العدو حاسرًا**»

فأسـرع عوذ فنزع الدرع من عليـه وألقى بها بعيـدًا، وأخذ سـيفه وهرع إلى مـيدان المعركة، ليقاتل أعداء الله حاسرًا.

وقاتل بشجاعة نادرة، وببطولة فائقة، إلى أن حقق الله أمله، واستشهد حاسرًا في سبيل الله، بعد أن قتل من المشركين عددًا كبيرًا.

٧٣٥ - «كلٌّ آثر زميله على نفسه»

انطلق حذيفـة العدوي يوم موقعة اليـرموك إلى ميدان المعركة وقد احـتدم القتال بين

(١) بلا درع يقيه ويحميه.

المسلمين والمشركين ، لتلبية نداء ابن عمه إذ بعث في طلبه بعد أن سقط جريحًا في الميدان، وحمل حذيفة معه بعض الماء، إذ لا يحتاج المقاتل الجريح إلا إلى الماء أولاً ليعالج جفاف حلقه، ويرطب لسانه، ويخفض بعض حرارته.

وأخذ حذيفة يبحث عن ابن عمه حتى وجده، وقد نزف أكثر دمه، وتدهور حاله، وعلت البسمة وجه الجريح المقاتل ، وقد وجد ابن عمه، فأخذ يسأله عن أخبار زملائه المقاتلين، وما هي نتيجة المعركة ؟ وهل نصرهم الله ؟ أم ما زالوا في القتال ؟ وسأل عمن كان يقاتله فلقد أصابه وأغلب الظن أنه قُتل، إذ رآه يرتد جريحًا، وقد أفزعه التكبير والتهليل، وازداد الأمر على الجريح سوءًا ، فأقام حذيفة وعاء الماء، يبلل شفتيه، ويسقيه قطرات من الماء، وفرح ابن عمه بالماء فرحًا شديدًا، وقبل أن يستعد لاستقبال الماء، نحاه جانبًا، ودفعه عنه ، إذ سمع أنينًا قريبًا منه فقال لحذيفة : انطلق بالماء إليه، ليشرب أولاً، فليست نفسي بأعز من أي نفس تقاتل في سبيل الله.

واتجه حذيفة مسرعًا إلى حيث أشار ابن عمه، فوجد هشام بن العاص يعاني سكرات الموت، من جراحه، فقال له حذيفة : أسقيك من الماء؟ فقال هشام مسرعًا فرحًا شوقًا إلى الماء: نعم يرحمني ويرحمك الله ، وينصر رجالنا الله، وما كاد يرفع حذيفة له الإناء ليشرب حتى أشار له هشام على جريح يتأوه بالقرب منه، وقال : انطلق به إليه، فلعله أكثر حاجة إليه مني.

وانطلق حذيفة إلى حيث كان الجريح ، فوجده قد لفظ أنفساه، إلى الجنة، وبكى حذيفة وعاد إلى هشام ليجده هو الآخر قد سكن قلبه شهيدًا ، واشتد بكاؤه عندما وصل إلى ابن عمه ليجده قد لحق برفيقيه إلى الله .

لقد آثر كلٌّ زميله على نفسه.

٧٣٦ - «بلى والله قد آن»

كان الفضيل يقطع الطريق وحده، فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق ، فإذا هو بقافلة قد

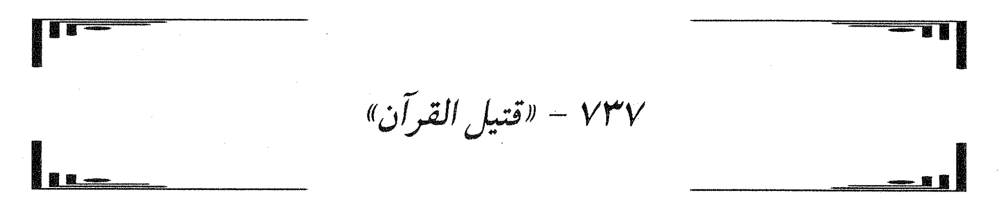
انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض : اعدلوا بنا إلى هذه القرية ، فإن أمامنا رجلاً يقطع الطريق يقال له : الفضيل، قال : فسمع الفضيل ، فأرعد ، فقال : يا قوم، أنا الفضيل، جوزوا، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبدًا، فرجع عما كان عليه.

وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة، وقال : أنتم آمنون من الفضيل، وخرج يرتاد لهم علفًا ، ثم رجع فسمع قارئًا يقرأ : **﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** [سورة الحديد : ٦] قال: بلى واللهِ قد آن، فكان هذا مبتدأ توبته.

وقال إبراهيم بن الأشعث : سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية : **﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾** [سورة محمد : ٣١] وجعل يقول : ونبلو أخباركم ، ويردد ويقول: وتبلو أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا وهتكتَ أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذّبتنا.

وسمعته يقول: تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيأت لهم، ولم تزل ترائي حتى عرفوك، فقالوا: رجل صالح، فقضوا لك الحوائج، ووسعوا لك في المجلس، وعظّموك، خيبة لك، ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك.

وسمعته يقول: إن قدرتَ أن لا تُعرف فافعل، وما عليك أن لا تعرف، وما عليك إن لم يُثن عليك، وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت عند الله محمودًا.



٧٣٧ - «قتيل القرآن»

كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه -يعني في الصلاة- مر ولم يقف، ولم يخوّف، وإذا علم أنه ليس خلفه تنوّق في القرآن وحزّن وخوّف، فظن يومًا أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية : **﴿ربَّنا غلبتْ علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين﴾** [سورة المؤمنون : ١٠٦] ، قال : فخر عليّ مغشيّاً عليه. فلما علم أنه خلفه وأنه قد سقط تجوّز في القراءة، فذهبوا إلى أمه فقالوا : أدركيه. فجاءت فرشّت عليه ماءً، فأفاق ، فقالت لفضيل : أنت قاتل هذا الغلام علي فمكث ما شاء الله. فظن أنه ليس خلفه، فقرأ :

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [سورة الزمر : ٤٧] فخر ميتًا. وتجوّز أبوه في القراءة، وأُتيت أمُّه فقيل لها : أدركيه ، فجاءت فرشَّت عليه ماءً، فإذا هو ميت -رحمه الله-.

٧٣٨ - «ما أحسن هذا الصوت، لو كان بقراءة القرآن»

وروي عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه مر ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة فإذا فتيان فسّاق قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغنٍّ يقال له : زاذان يضرب ويغنِّي، وكان له صوت حسن.

فلما سمع ذلك عبد الله قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله، وجعل الرداء على رأسه ومضى، فسمع زاذان قوله فقال : من كان هذا ؟ قالوا: عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله ﷺ قال : وأيُّ شيء قال ؟ قالوا: إنه قال : ما أحسن هذا الصوت، لو كان بقراءة كتاب الله تعالى. فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدركه وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود، فاعتنقه عبد الله بن مسعود، وجعل يبكي كل واحد منهما. ثم قال عبد الله : كيف لا أحب من قد أحبه الله - عز وجل- فتاب إلى الله - عز وجل - من ذنوبه، ولازم عبد الله بن مسعود حتى تعلم القرآن، وأخذ حظًا من العلم حتى صار إمامًا في العلم، وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان وغيرهما.

٧٣٩ - «إني في هذا البيت منذ عشرين سنة ، ما نظرت إلى السقف»

كان بدء توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

مُقيمٌ إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يُرجى وأنت قريبُ

تزيدُ بِلى في كل يوم وليلة وتُسلى كما تَبلى وأنت حبيبُ

وقال أبو نعيم : قدم داود من السواد ولا يفقه، فلم يزل يتعلَّم ويتعبد حتى ساد أهل الكوفة. وقال يوسف بن أسباط : ورث داود عشرين دينارًا فأكلها في عشرين سنة، قال أبو نعيم : كان داود يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز، وقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية، ودخل إليه يومًا رجل، فقال : إن في سقف بيتك جذعًا قد انكسر، فقال : يا ابن أخي، إني في هذا البيت منذ عشرين سنة ، ما نظرت إلى السقف، وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام.

٧٤٠ - «أسمعني بعض كلامك -يرحمك الله-»

قال عبد الحميد : كنت في مجلس جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أعرض عليه متاع مصر، وهو في قبة من عاج مركب قد غشاها بملحم، إذ دخل عليه محمد بن السماك. فقال : أسمعني بعض كلامك -يرحمك الله- فقال : يا أبا الفضل، لا أحد أحدثك عن الماضين، ولا عن الملوك السابقة ولا الأكاسرة، ولكن أخبرك بما شهدتُ وعاينت منذ أعوام من ابن عم لأمير المؤمنين موسى بن محمد بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس، وحدثه في هذا الحديث، فرأيت جعفرًا جعل يبكي ويكثر البكاء، ويقول : هذا كله من توفيق الله تعالى إياه وسعادته له، اللهم فكما أسعدته بطاعتك ووفقته لرضاك وعصمته حتى نال ذلك كله بإرادتك، وفقنا للعمل الصالح برحمتك، واختم لنا بعفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين، ثم إنه في مجلسه ذلك تصدّق بمائة ألف على أهل الحاجة والمسكنة. فما لبث بعد ذلك إلا القليل حتى غضب عليه هارون أمير المؤمنين وأمر بقتله وأن يُجعل أربعًا ويُصلَب ، ففُعل به ذلك، فكان يرجى لجعفر ذلك الدعاء لعل الله تعالى استجاب له، لأنه مثِّل به. وكان كثير الصنائع المحمودة، معطيًا للمال، قاضيًا للحوائج، حسن العشرة، عارفًا بحق الإخوان -رحمه الله-.



٧٤١ - «يا رب، قد اشتريت نفسي منك بهذا»

كان سبب إقبال حبيب أبي محمد على الآجلة وانتقاله عن العاجلة حضوره مجلس الحسن فوقعت موعظته في قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه ثقة بالله ومكتفيًا بضمانه، فاشترى نفسه من الله، فتصدق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات : تصدق بعشرة آلاف درهم في أول النهار، فقال : يا رب ، قد اشتريت نفسي منك بهذا، ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى، فقال : هذه شكرًا لما وفقتني له .

ثم أخرج عشرة آلاف أخرى فقال : يا رب، إن لم تقبل مني الأولى والثانية فاقبل مني هذه ، ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال : يا رب، إن قبلت مني الثالثة فهذه شكرًا لها.

٧٢٤ - «كيف بنار الآخرة؟»

روى أبو سعيد بإسناد له أن عبد الله بن مرزوق كان مع المهدي في دنيا واسعة ، فشرب ذات يوم على لهو وسماع، فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب ، وفي كل ذلك تنبِّهه جارية حظية عنده، فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله، فانزعج ، وقال : ما هذا ؟ قالت : جمرة من نار الدنيا، فكيف تصنع بنار الآخرة ؟ فبكى بكاءً شديدًا، ثم قام إلى الصلاة.

ووقع في نفسه مما قالت الجارية، فلم ير شيئًا ينجيه إلا مفارقة ما هو فيه من ماله، فأعتق جواريه وتحلل من معامليه وتصدق بما بقي، حتى صار يبيع البقل، وتبعته على ذلك الجارية، فدل عليه سفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض فوجدا تحت رأسه لَبِنَة وليس تحته شيء، فقال له سفيان : إنه لم يَدَعْ أحد لله شيئًا إلا عوَّضه الله منه بدلاً، فما عوّضك مما

تركت له ؟ قال : الرضى بما أنا فيه.

٧٤٣ - «اللهم بلى»

وذكر أبو القاسم التنوخي عن أبيه أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان، وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة في غاية الوفور، ومنزلته بحالها في الجلالة، فسمع رجلاً يقرأ : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ [سورة الحديد : ١٦] فصاح : اللهم بلى، فكررّها دفعات، وبكى.

ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه، ودخل إلى دجلة واستتر بالماء، ولم يخرج منه حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه وردها وتصدق بالباقي. فاجتاز رجل فرآه في الماء قائمًا -وسمع بخبره- فوهب له قميصًا ومئزرًا، فاستتر بهما وخرج، وانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات.

٧٤٤ - «لا تغترَّنَّ بملكك»

عن إبراهيم بن بشّار ، قال :

كنت يومًا مارًا مع إبراهيم -يعني ابن أدهم- في صحراء ، فأتينا على قبر مسنَّم، فترَّحم عليه وبكى. فقلت : قبرُ من هذا ؟ فقال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غارقًا في بحار الدنيا، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه. ولقد بلغني أنه سُرّ يومًا بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته، ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله ، فرأى في منامه رجلاً واقفًا على رأسه، بيده كتاب ، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرون فانيًا على باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذّاتك وشهواتك؛ فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو مُلك

لولا أن بعده هُلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يُوثَق له بغد، فسارع إلى أمر الله تعالى ، فإن الله تعالى قال : ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**﴾ [سورة آل عمران : ١٣٣].

قال: فانتبه فَزِعًا، وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة فخرج من ملكه لا يُعلم به، وقصد هذا الجبل، فتعبد فيه، فلما بلغني قصّته وحُدِّثت بأمره، قصدته ، فسألته، فحدثني ببدء أمره، وحدثته ببدء أمري، فما زلت أقصده حتى مات، ودُفن ها هنا، فهذا قبره -رحمه الله-.

٧٤٥ - «ليس لذا خلقت»

إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم يقول: قلت : يا أبا إسحاق، كيف كان أوائل أمرك ؟ قال: كان أبي من أهل «بلخ» ، وكان من ملوك خراسان، وحبب إلينا الصيد، فخرجت راكبًا فرسي وكلبي معي، فبينما أنا كذلك، ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكتُ فرسي فسمعت نداءً من ورائي: ليس لذا خُلقتَ، ولا بذا أمرت. فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحدًا، فقلت : لعن الله إبليس، ثم حرّكت فرسي ، فأسمع نداءً أجهر من ذلك: يا إبراهيم ، ليس لذا خُلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنة ويسرة ، فلا أرى أحدًا، فقلت : لعن الله إبليس ، ثم حرّكت فرسي فأسمع نداءً من قربوس سرجي: يا إبراهيم ، ما لذا خُلقت ، ولا بذا أمرت، فوقفت ، فقلت : أنبَهْتَ أنبَهْت، جاءني نذير من رب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي.

٧٤٦ - «مهرِّب في سبيل الله»

كان رجل يقال له : مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة ويتسلل بهم حتى يأتي المدينة. قال مرثد -رضي الله عنه- : وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها :

عناق ، كانت صديقة له، وكان قد وعد رجلاً من أسارى مكة يحتمله، قال : فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط، من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي عند الحائط، فلما انهت إليّ عرفَت، فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد، فقالت : مرحبًا وأهلاً ، هلم فبت عندنا الليلة ؟ قلت : يا عناق ، حرم الله الزنا، قالت : يا أهل الخيام ، هذا الرجل يحتمل أسراكم. قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة -أحد جبال مكة- فانتهيت إلى غار أو كهف، فدخلت فجاؤوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا فظل بولهم على رأسي، وعمّاهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر ففككت عن أكبله، فجعلت أحمله ويعيني، حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أنكح عناقًا؟ وكررتها مرتين فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليّ شيئًا، حتى نزلت : ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مُشرك**﴾ [سورة النور: ٣].

فقال رسول الله ﷺ : «**يا مرثد ، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، فلا تنكحها**».

هذا الصحابي كان في مكة لا يعرفه أحد ، والرسول ﷺ بعيد عنه، وفي ظلمة لا يراه أحد، وتقابله فتاة يحبها حتى إنه كان يريد الزواج منها وقد فعلت ما فعلت ، ولكن مع كل ذلك ابتعد عنها ، ولم يتعد حدود الله ، فرزقه الله المخرج ، وهكذا يفعل الله بالمتقين.

٧٤٧ - «من فوائد صحبة الأخيار»

قال شقيق البلخي يومًا لتلميذه حاتم الأصم: ما الذي تعلمته مني منذ صحبتني ؟ فقال حاتم الأصم : ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس في شك من أمر الرزق، وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده حريص عليه، فتوكلت على الله ؛ لقوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله**

رزقها ....﴾ [سورة هود : ٦] ، لأنـي من جملة الدواب ، فلم أشغل قلبي بما تكفل به القوي المتين، فقال له : أحسنت.

الثاني: رأيت لكل إنسان صديقًا يفشي إليه سره، ويشكو إليه أمره، ولكنهم لا يكتمون الأسرار، ولا يدفعون مصادمة الأقدار، فجعلت صديقي العمل الصالح، ليكون لي عونًا عند الحساب ، ويثبتني بين يدي الله عز وجل ، ويرافقني في مروري على الصراط، فقال له : أحسنت.

الثالث : رأيت لكل واحد من الناس عدواً، فنظرت فإذا الذي اغتابني ليس عدوي، ولا مَن ظلمني ولا مَن أساءني؛ لأنه إنما يهاديني بحسناته، ويتحمل عني من سيئاتي، ولكن عدوي هو الذي إذا كنت في طاعة الله تعالى أغراني معصيته، فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى، فاتخذتهم أعداء، واحترست منهم، وأعددت العدة لمحاربتهم، فلا أدع واحدًا منهم يقربني، فقال : أحسنت.

الرابع: رأيت أن كل حي مطلوب، وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب، ففرغت نفسي لملاقاته، حتى إذا ما جاء بادرت معه بلا عائق ، فقال له : أحسنت.

الخامس: نظرت إلى الناس، متحابين ومتباغضين ، ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئًا، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الحسد، فنفيته عني بنفي العلائق التي بيني وبينه وهي الشهوات، فأحببت الناس كلهم، فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسي، فقال له: أحسنت.

السادس : رأيت أن كل ساكن لابد له من مفارقة سكنه، وأن مصير كل ساكن إلى القبر، فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التي تسرني في ذلك المسكن الجديد الذي ما وراءه إلا الجنة أو النار، فقال له شقيق البلخي : يكفيك ذلك ، واعمل عليه إلى الموت.

٧٤٨ - «نوع خاص من الرجال»

كان عبد الله بن حذافة من القادة المسلمين الذين اشتركوا في فتح بلاد الشام، وقد

أوكلت إليـه مهمـة محـاربة أهل قيسـارية المدينة الفلسطينيـة الحصـينة على شاطئ البـحر المتوسط، ولكن قدَّر الله أن يفشل عبد الله بن حذافة في إحدى المعارك، وأن يقع أسيرًا بيد الروم.

ووجدها هرقل فرصة مناسبة لإيذاء المسلمين، والانتـقام منهم، فأحضر عبد الله بن حذافة أمامه وأراد أن يفتنه عن دينه ويبعده عن إسلامـه، فبدأ معه بسلاح الإغراء والمساومة فقدم له عروضًـا مغرية، قال له : ادخُل النصرانية ولك مـا تشاء من الأموال. ورفض ابن حذافة هذا العرض، ثم قال له هرقل : ادخل النصرانية وأُزَوِّجك ابنتي. ورفض ابن حذافة العرض الثاني. ثم قال له هرقل : ادخل النصرانية وأشركك في ملكي، ورفض ابن حذافة العرض الثالث.

وعرف هرقل أنه أمام نوع خاص من الرجال، فعرض عليه العرض الرابع، قال له : ادخل النصرانية وأعطيك نصف ملكي ونصف مالي، فأجابه ابن حذافة إجابة ثابتة قاطعة : لو أعطيتني جمـيع ما تملك وجميع مـا يملك العرب ما رجعت عن دين محـمد ﷺ طرفة عين، لجـأ هرقل -بعد فـشله في عروضـه ومسـاوماته وإغـراءاته- إلى سلاح الاضطـهاد والتعذيب والـتهديد والوعيد، فـقال له : إذن أقتلك ؟ وما درى هرقل أن من ينـتصر على سلاح الإغـراء والمساومة ينتصـر على سلاح الاضطهاد والتـعذيب، وأن الذي يدوس على الدنيا بقدميه لن يبخل عن تقديم روحـه فداءً لدينه، فقال لهرقل : أنت وذاك ، فوضع ابن حذافـة في السجن، ومنع عنه الطعام والـشراب ثلاثة أيام، ثم قدَّم له الخـمر ولحم الخنزير ليـأكله، ولكن ابن حـذافـة رفض أن يذوقـه ، وقال له : مـا منعك أن تأكل مـن الخمـر والخنزير، وأنت مضطر جائع؟ فقال له : أما إن الضرورة قد أحلتها لي، لا حرمة عليّ لو أكلتـها، ولـكني آثرتُ أنا لا آكل، حـتى لا أجعلك تـشمت بالإسـلام، ثم أمـر هرقل به فصلبوه، وأوثقوه على الخـشبة، وصار الرماة يرمون السهـام قريبًا من بدنه ، وهو ثابت ، وهرقل يعـرض عليه التنصـر، وهو يأبى، ثم أنزله، وأمـر بوضع ماء في قـدر عظيمـة ، وإشعال النار تحتها، ولما صار ماء القدر يغلي، جيء بأسيـر مسلم، فأكفي فيها فذاب لحمه في الماء، وتحول إلى هيكل عظمي، ثم ألقي فيها أسير مسلم ثان، وابن حذافة ينظر.

ثم أمر هرقل بإلقـاء ابن حذافة في الماء الذي يغلي، فلما أخذوه ليلقـوه بكى، فقيل

لهرقل : إن ابن حـذافة بكى، فظن هرقل أن بكاء ابن حـذافة لخـوفه من الموت، وأنه يدل على تراجعه عن مـوقفه، وتنازله عن ثباته، وأنه لخوفـه من الموت ، وأنه يدل على تراجعه عن موقفه، وتنازله عن ثباته، وأنه سيستجيب له، فدعاه. وعرض عليه التنصر فأبى، فقال له : إذن لماذا بكيت ؟ فأجـابه جوابًا عجيـبًا أعجزه، وأثبت له فـشله معه وهزيمتـه أمامه: بكيت، لأني لا أملك إلا نفسًا واحدة أبذلها فـداءً لديني في سبيل الله، وتمنيت لو كان لي بعدد شعري أنفسًا أبذلها فداءً لديني، وتموت كلها في سبيل الله، وأيقن هرقل بهزيمته أمام ابن حذافة ، هزيمته -وهو يملك المال والجاه والسلطان والقوة والدنيا- أمام رجل مسلم أعزل مجرد من كل هذه المظاهرة فـعرض عليه العرض الأخير الانهزامي -حـفظًا لماء وجهه-: يا ابن حذافة ، هـل لك أن تُقَبِّل رأسي، وأخلي عنك، وأطلق سراحك؟ قال ابـن حذافة : نعم، على شرط أن تطلق معي سـراح جميع الأسرى المسلمين في سجونكـم -وكانوا أكثر من ثلاثمائة أسيرًا- وقبّل ابن حذافـة رأس هرقل، وخرج بإخوانه إلى عمر بن الخطاب في المدينة ، وأخبره قصته مع هرقل، وتحرج بعض الصحابة من تقبيل ابن حذافة رأسَ هرقل، ولاموه عليه، ولم يـلتفتوا للثمن الكبـير من الأسرى الذين أطلقت سراحـهم تلك القُبلة ، ووافق عمـر ابن حذافـة على تصرفه ، وقـال له : حق على كل مسلـم أن يُقَبِّل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ بذلك. وقام عمر إلى ابن حذافة وقبَّل رأسه، وتبعه باقي الصحابة.

٧٤٩ - «علاج عجيب»

قيل لأحد الصالحين : إني أشـكو من مرض البعد عن الله فما العلاج؟ فـقال العبد الصالح للسائل : يا هذا، عليك بعروق الإخلاص، وورق الصـبر، وعصير التواضع، ضع هذا في إناء التـقوى، وصب عليه مـاء الخشـية، وأوقد علـيه بنار الحزن، وضـعه بمصـفاة المراقبـة، وتناوله بكف الصدق، واشـربه من كأس الاستـغفار، وتمضـمض بالورع، وابعد نفسك عن الحرص والطمع تشفى من مرضك بإذن الله.



٧٥٠ - «لماذا الزهد في الدنيا؟»

جاء رجل إلى الحسن البصري -رحمه الله- فقال : ما سر زهدك في الدنيا يا إمام؟.

فقال : أربعة أشياء : علمت أن رزقي لا يأخذه غيري ، فاطمأن قلبي. وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري، فاشتغلت به وحدي. وعلمت أن الله مُطلع عليّ، فاستحييت أن يراني على معصية. وعلمت أن الموت ينتظرني ، فأعْدَدْتُ الزاد للقاء ربي.

٧٥١ - «جندي مجهول»

حاصر مسلمة بن عبد الله حصنًا، فندب الناس إلى نقب[١] منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة : أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى : إني قد أمرتُ الآذن -الحاجب- بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء، فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير، فقال له : أنت صاحب النقب ؟ فقال : أنا أخبركم عنه، فأتى مسلمة فأخبره، فأذن له، فقال الرجل : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا، ألا تُسَوِّدوا -تكتبوا- اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو، قال مسلمة : فذاك له، قال : أنا هو، فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة، إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

٧٥٢ - «سبحان مغيِّر الأحوال»

حكي أن رجلاً جلس يومًا يأكل هو وزوجته، بين أيديهما دجاجة مشوية، فوقف سائل يطرق الباب ويقول: منقطع وابن سبيل، فخرج إليه الرجل غاضبًا ونهره وزجره، ورده

(١) أي: إحداث فتحة في جداره ؛ ليسهل اقتحامه.

رداً غير كريم، فانصرف السائل كاسف البال، كئيبًا حزينًا، ودارت الأيام، وإذا ذلك الرجل قد افتقر بعد غنى، وزالت عنه النعمة، واحتاج إلى السؤال، فلم يطق على ذلك صبراً، فرحل عن بلده ، يضرب في الأرض، ويعيش على إحسان المحسنين، وصدقات المتصدقين، وكان قد طلق زوجته قبل رحيله، ثم إنها تزوجت من رجل آخر، في بلد غير بلدها، وقد اتفق أن جلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشوية، وبعض أرغفة، وإذا بسائل يطرق الباب، ويقول : منقطع وابن سبيل، فقال الرجل لزوجته: احملي هذه الدجاجة وادفعيها إليه، ومعها هذان الرغيفان، فخرجت بجميع ذلك إليه، فإذا هو زوجها الأول، فدفعت إليه الدجاجة والرغيفين، ورجعت إلى مكانها باكية ، فسألها زوجها، فأخبرته أن السائل كان زوجها الأول، وذكرت له قصته مع ذلك السائل الذي انتهره وزجره، ورده أقبح رد، فهز الرجل رأسه، وأطرق قليلاً ثم قال : والله لقد كنت أنا ذلك السائل .

٧٥٣ - «يا ليت قومي يعلمون»

كان أحد الصالحين قد اعتاد أن يقرأ كل يوم عشرة أجزاء من القرآن الكريم، وذات يوم كان يقرأ في سورة يس، حتى إذا ما وصل إلى قوله تعالى: ﴿**إني إذًا لفي ضلال مبين**﴾ صعدت روحه إلى السماء، فَتَعَجَّب أصحابه من حوله ، وقالوا: كان هذا الرجل صالحًا فكيف يُختم له بهذه الآية: ﴿**إني إذًا لفي ضلال مبين** ﴾ ؟! فرآه أحد الصالحين في المنام، بعد دفنه . فقال له : يا فلان إنك قد خُتم لك بقوله تعالى: ﴿**إني إذًا لفي ضلال مبين**﴾ فكيف حالك اليوم مع الله؟ فقال : لما دفنتموني وتركتموني جاءني الملكان وسألاني وقالا: من ربك ؟ فأكملت لهم القراء ، فقلت : ﴿**إني آمنت بربكم فاسمعون** ﴾ قيل : ﴿**ادخل الجنة**﴾ قال: ﴿**يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾ .

٧٥٤ - «ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه»

وقال سعيد بن أبي عروبة أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه : اقرأ. قال : ما أقرأ؟

قال : سورة ق. فقرأ حتى إذا بلغ : ﴿وجاءت سكرةُ الموت بالحق ذلك ما كنتَ منه تحيد﴾ بكى، ثم قال : اقرأ يا بني، قال : ما أقرأ؟ قال : اقرأ سورة ق . فقرأ حتى بلغ ذكر الموت، فبكى أيضًا بكاءً شديدًا، يفعل ذلك مراراً.

وقال أبو مودود : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم : ﴿**وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه**﴾ فبكى بكاءً شديدًا حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة، فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما. فجاء عبد الملك، فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون، فقال : يا أبت ما يبكيك ؟ ! قال: خير يا بني، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك. يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

٧٥٥ - «رجل تستحي منه الملائكة»

جاء فيما أخرجه مسلم: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيته، كاشفًا عن ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، فدخل وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان ، فجلس رسول الله ﷺ ، وسوَّى ثيابه. قالت عائشة : يا رسول الله ، دخل أبو بكر فلم تَهْتَشَّ له -أي: لم تظهر له حسن اللقاء- ولم تُبالِه، ثم دخل عمر ، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟! فقال رسول الله ﷺ : «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟**».

٧٥٦ - «الأصول السبعة»

قال أبو القاسم الأصبهاني : الأصول التي ضل بها الفرق سبعة أصول: القول في ذات الله سبحانه، والقول في صفاته، والقول في أفعاله، والقول في الوعيد، والقول في الإيمان، والقول في القرآن، والقول في الإمامة. فأهل التشبيه ضلت في ذات الله، والجهمية ضلت في صفات الله، والقدرية ضلت في أفعال الله، والخوارج ضلت في الوعيد، والمرجئة ضلت في الإيمان، والمعتزلة ضلت في القرآن، والرافضة ضلت في الإمامة.

٧٥٧ - «تلبية الدعوة»

يروى أن غلام المغيرة بن شعبة تزوج، فأرسل إلى عثمان بن عفان، وهو أمير المؤمنين، فلما جاء قال: أما إني صائم، غير أني أحببت أن أجيب الدعوة، وأدعو بالبركة.

٧٥٨ - «نَغّص علينا أمير المؤمنين الحياة منذ ولّى، فليته لم يَل»

قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه: أبا فلان، لقد أرقت الليلة مفكرًا، قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال: في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة -أو قال: ثالثة- في قبره، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتًا يجول فيه الهوام، ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان، مع تغير الريح، وبلى الأكفان، بعد حسن الهيئة وطيب الريح، ونقاء الثوب. قال: ثم شهق شهقة خر مغشيّاً عليه، فقالت فاطمة: ويحك يا مزاحم، أخرج هذا الرجل عنا، فلقد نغص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولي، فليته لم يل، قال: فخرج الرجل، وجاءت فاطمة، فجعلت تصب على وجهه الماء وتبكي، حتى أفاق من غشيته، فرآها تبكي، فقال: يا فاطمة ما يبكيك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، رأيت مصرعك بين أيدينا، فذكرت مصرعك بين يدي الله وللموت، وتخليك من الدنيا، وفراقك لها، فذاك الذي أبكاني، قال: حسبك يا فاطمة؟ فلقد أبلغت. ثم مال ليسقط، فضمته إلى صدرها -أو قال: إلى نفسها- فقالت: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، ما تستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا، فلم يزل على حاله تلك حتى حضرت الصلاة، فصبت على وجهه ماء ثم نادته: الصلاة يا أمير المؤمنين، فأفاق فزعًا.

وعن المغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز: يا مغيرة، إنه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصيامًا من عمر، وما رأيت أحدًا قط كان أشد فرقًا من ربه من عمر، كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده، ثم رفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه.

٧٥٩ - «كانت الهدية للنبي ﷺ هدية ، ولنا اليوم رشوة»

عن عمرو بن مهاجر، قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحًا، فقال : لو كان لنا -أو عندنا- شيء من التفاح؟ فإنه طيب الريح طيب الطعم. فقام رجل من أهل بيته، فأهدى إليه تفاحًا. فلما جاء به الرسول، قال عمر : ما أطيب ريحه وأحسنه! افرعه يا غلام، فأقرئ فلانًا السلام، وقل له : إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب، فقلت : يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، قال: ويحك! إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية ، وهي لنا اليوم رشوة.

٧٦٠ - «ما رأيته بعد ذلك متبسمًا حتى مات»

عن مولى لعمر بن عبد العزيز قال : استيقظ ذات ليلة باكيًا، فلم يزل يبكي حتى استيقظت ، قال : وكنت أبيت معه، وربما منعني النوم كثرة بكائه، قال: فأكثر ليلتئذ البكاء جدًا. فلما أصبح دعاني، فقال : أي بني ، ليس الخير أن يسمع لك ويطاع، إنما الخير أن تكون قد عقلت عن ربك ثم أطعته، يا بني، لا تأذن اليوم لأحد على حتى أصبح ويرتفع النهار، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني، قلت : بأبي أنت يا أمير المؤمنين، رأيتك الليلة بكيت بكاءً ما رأيتك بكيت مثله ؟ . قال : فبكى ثم بكى، ثم قال: يا بني ، إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله. قال : ثم أغمي عليه، فلم يفق حتى علا النهار. قال: فما رأيته بعد ذلك مبتسمًا حتى مات .

٧٦١ - «عمر بن عبد العزيز يدفن ولده»

وعن زياد بن حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك -رحمه

الله- وسوى عليه التراب، سووا قبره بالأرض وضعوا عند رأسه خشبتين من زيتون، إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه ، ثم جعل قبره بينه وبين القبلة واستوى قائمًا فأحاط به الناس فقال : والله ، يا بني، لقد كنت برًا بأبيك، والله ، ما زلت مذ وهبك الله لي مسرورًا بك، ولا والله ما كنت قط أشد سرورًا، ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيرك الله فيه، فرحمك الله وغفر ذنبك، وجزاك بأحسن عملك، ورحم الله لكل شافع لك بخير، من شاهد أو غائب، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمره، والحمد لله رب العالمين. وانصرف.

٧٦٢ - «تولوا وأعينهم تفيض من الدمع»

كان إذا دعا داعي الجهاد ، طلب الرسول ﷺ من القادرين على القتال المستعدين له الخروج، دون غيرهم، وكان يطلب ممن يعول والديه البقاء، ومن عليه أن يرعى أهله وداره ونساءه ألا يخرج. وقبل الإذن بالخروج فلقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يقوم باستعراض أصحابه ، ورفاقه الذين سيخوض بهم المعركة في سبيل الله، ليرى قدر استعدادهم ، وصلاحيتهم للقتال، فكان ﷺ كثيرًا ما لا يجيز عددًا كبيرًا، قد انخرط في صفوف المستعدين للقتال، إما لصغر سنهم، أو لعدم لياقتهم، ففي الاستعداد للخروج لغزوة بدر، وجد صبية دون السن المرغوبة في القتال، فلم يجزهم، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، ونفرًا جمّاً كثيرًا.

ولقد تحايل معظم هؤلاء للخروج، فما أن استبعدوا حتى عادوا، قد غيروا من أرديتهم، وقد يلبسون ما يظهرهم أكثر طولاً، أو عرضًا، أو قد يفدون مع ذويهم في رجاء وأمل أن يقبل الرسول منهم هذا الرجاء، ومن هؤلاء عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، الذي لم يجزه سيدنا رسول الله ﷺ لصغره، وقصره، فرجع مع أخيه سعد، لعل الرسول يقبل شفاعة له، فيخرج للقتال، فيأبى الرسول ثم يعاود عمير الكَرَّة، فيربط حمائل السيف، ويزيد من عقدته، حتى يرتفع، فلا يظهر ساقطًا، دالاً على قصر قامة حامله،

ويستجيب الرسول لبكائه ونحيبه، فيخرج ويقاتل حتى الاستشهاد.

ويأمر الرسول ﷺ بألا يخرج إلا من كان فرسه أو بعيره حاضراً معه، فيأتي له نفر كثير يستأذنونه في الخروج، بلا بعير فدوابهم خارج المدينة، وستلحق بهم فيما بعد ، ويرى الرسول بفراسته في عيونهم العزم على القتال، وفي نفوسهم اللهفة على الاستشهاد وفي أرواحهم الرغبة في الجهاد.

ويخرج النبي ﷺ ومعه أصحابه، فكان الاثنان والثلاثة، بل والأربعة والخمسة يتبادلون في الركوب بعيراً واحداً، وكان النبي ﷺ يتبادل ركوبة واحدة، مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد.

ويدخل المعركة كل هؤلاء الذين خرجوا رغبة في البذل والتضحية في سبيل الله، لم يتحايلوا على النكوص ، بل تحايلوا للخروج في سبيل الله.

أما الذين لم يوفقوا في التحايل للخروج، ولم يخرجوا فلقد ضجت الصحراء من نحيبهم، وارتوت الرمال من دموعهم، بل بلغ من أمرهم أن نزل فيه قرآنًا من الله، فلقد ذهب سبعة يطلبون من الرسول ﷺ أن يسمح لهم بالخروج للقتال، وأن يوفر لهم ما يركبونه، ويتسلحون به، فلما لم يجد لهم ما أرادوا، خرج مع صحابته وأتباعه ممن لديهم العدة والعتاد، فملأوا الأرض بكاءً. وساروا في اتجاه ركبه الكريم، تهفو إليه قلوبهم، وتطوف به أرواحهم، وتفرقوا والتقى اثنان منهم بابن عمير بن كعب النضري ، الذي ما أن عرف سبب ما هما فيه، حتى أعطاهما سوياً بعيراً، وجهزهما بالزاد والسلاح، وسابقا الريح لحاقًا بالركب.

أما من بقي ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل فيهم قرآنًا كريمًا، تزكية لما كانوا عليه وقبولاً لما كان منهم ، فلقد جاء في سورة التوبة بالنسبة لهم : **﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون﴾** [سورة التوبة : ٩٢].



٧٦٣ - «لو كان غير الجنة آثرتك بها»

عندما دعا سيدنا رسول الله ﷺ القادرين على القتال من المسلمين للخروج في غزوة بدر، فلقد كان من سعد بن خيثمة وأبيه الأمر العجيب، ولكنه ليس بالعجيب في مثل هذا الموقف، والشأن الغريب، ولكنه ليس بالمستغرب من المسلمين عندما كان ينادي للدفاع عن دين الله والجهاد في سبيل الله.

إذ قال خيثمة لابنه سعد : يا ولدي ، سأخرج للقتال، وتقم أنت في الدار ترعى النساء والأطفال.

فقال سعد: يا أبي، والله لا يكون ذلك، فأنا أكثر منك رغبة في قتالهم، وأنت أحوج مني للبقاء في الدار فلأخرجن ولتمكثن أنت يا أبي.

فغضب خيثمة وقال لابنه : أتعصاني يا سعد، فلا تطع أمري.

فقال سعد : كتب الله علي الجهاد، ودعاني رسوله للخروج للقتال وتطلب مني غير ذلك، فكيف ترضى لي أن أطيعك وأعصي الله ورسوله.

فرد خيثمة وقال : يا ولدي، إذا كان سيخرج منا واحدًا، إما أنا وإما أنت ، فآثرني بالخروج.

وأجاب سعد : والله يا أبي ، لو كان غير الجنة آثرتك بها.

ولم يرض خيثمة إلا أن يقترع بينه وبين ابنه سعد على الخروج وخرج سهم سعد دون سهم أبيه، وقاتل سعد في غزوة بدر حتى استشهد ، وحزن الأب حزنًا شديدًا لا على ابنه ولكن على نفسه، إذ لم يكن مكان ابنه فيموت شهيدًا. وخرج خيثمة بعد ذلك في غزوة أحد ولم يجزه سيدنا رسول الله ﷺ للخروج إلا بعد أن قال له وهو يبكي : يا رسول الله، لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت عليها حريصًا حتى بلغ من حرصي عليها أن ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم، وهو يقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، وقد والله يا رسول

الله ، أصبحت مشتاقًا إلى مرافقته ، في الجنة، وقد كبرت سني ورق عظمي، وأحببت لقاء ربي. وقاتل حتى استشهد ولحق بذلك بابنه، مرافقًا في الجنة.

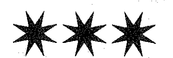
٧٦٤ - «مَضَيَا .. وتَرَدَّد .. ثُم مَضَى»

التقى ثلاثة آلاف من المسلمين، بمائتي ألف من المشركين، في غزوة مؤتة، وكان العتاد تزيد نسبته على ذلك، لصالح الأعداء، فإذا كان أمام كل ثلاثة من المسلمين مائتين يقاتلونهم من الأعداء، فإن ما كان لدى الأعداء من عدة وعتاد، يفوق ذلك، ولكن كل مسلم، يحرص الحرص كله على القتال، ليستشهد في سبيل الله، فالنتيجة الحتمية لا تعدو أن تكون نصرًا للمسلم، وهو ما يرجوه أو استشهادًا له وهو ما يرغبه فيه يذهب إلى الجنة.

وحمل راية المسلمين زيد بن حارثة وهي الراية التي سلمها له النبي ﷺ بيده، ولذلك فكان المسلمون يطلقون عليها راية النبي ، فيحافظون عليها، أكثر من حفاظهم على أرواحهم، وما يحافظون على أرواحهم، إلا ليظلوا رافعين هذه الراية.

واندفع زيد بالراية ، يقاتل وحوله المسلمون، وأمام كل مسلم واحد، ما يقرب من المائة من الأعداء، واستشهد زيد، وأسرع جعفر بن أبي طالب، يتلقى الراية الكريمة، يمسكها بيمينه، ويقاتل بيساره، حتى قطعت يمينه، فأمسك الراية بيساره، واندفع وسط الأعداء ، يقاتل بكل جسمه، وقطعت يساره، فاحتضن الراية بعضديه ، حتى قُتل بضربة شطرت جسمه إلى نصفين، وتقدم ابن رواحة، وأخذ الراية، وفكر أن يعود بها، فإن الأمر قد اشتد على المسلمين، ولكنها لم تكن إلا لحظة لا تُحسب ، فقد ألقى بنفسه في القتال فورًا، ومباشرة حتى قتل.

وأصبح الصباح، فإذا برسول الله ﷺ يقول لقومه قبل أن يصل إليه خبر من استشهدوا ، إنه رُفع إليه ﷺ فيما يرى النائم زيد وجعفر وابن رواحة على سرر من ذهب في الجنة، إلا أنه رأى في سرير ابن رواحة ازورارًا عن سريري صاحبيه ، فسأل الرسول ﷺ فقيل له : مَضَيا وتردد بعض التردد، ثم مضى.



٧٦٥ - «المسعود والمحروم»

عاد عتبة بن ربيعة المسعود من إحدى المعارك التي نشبت دفاعًا عن دين الله، وقد خاض غمارها وجاهد فيها حق الجهاد، حتى أُسِر، وفُكَّ أسره، وبمجرد عودته طاف بالكعبة الشريفة وهو يدعو الله ويقول: يا رب، اغفر للمحروم.

ولما تكرر منه هذا الدعاء، إذ لا يطوف بالبيت الحرام إلا ويدعو به، قال له أحدهم:

- يا عتبة بن ربيعة، مَن هو المحروم الذي تطلب له المغفرة؟ فرد عتبه: أنا هو المحروم.

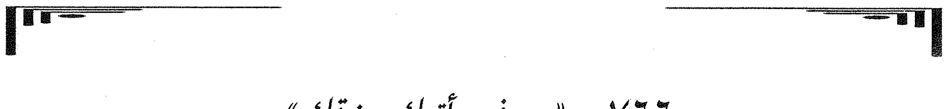
فقال له الرجل: ألست المسعود؟ فكيف أصبحت المحروم؟ فقال عتبة:

كنا عشرة فوارس، توجهنا لاستطلاع حال العدو، بعد معركة خضناها دفاعًا عن دين الله، وأبلينا فيها أحسن البلاء، إلا أن العدو أعد لنا كمينًا وحاصرنا بعدة مئات من جنوده، فوقعنا في الأسر.

وفي الأسر لم نستطع أن نقدم لمعركتنا شيئًا، سوى العبادة، والدعاء بأن ينصر الله جنوده على أعدائه، وبعد أيام تواتر إلى مسامعنا انتصار المسلمين، وقتلهم ابن عم ملك الروم الذي أساءه ذلك إساءة بالغة وأحزنه حزنًا شديدًا.

فلما كان صباح اليوم التالي أصدر ملك الروم قراره بإعدامنا جميعًا، وخرجنا إلى ساحة الإعدام، فصلينا أحسن ما تكون الصلاة، وذكرنا الله، بأقوى ما يكون الذكر، وبعد أن أتموا عصب أعيننا جاء الملك ليرى بنفسه إعدامنا، فقال له وزيره: أيها الملك، هلا فككنا عن أعينهم حتى يروا العذاب بقتل بعضهم بعضًا، ففكوا العصابات عن أعيننا، فوالله الذي لا إله إلا هو، ما أن فكوا العصابة عن عيني، حتى كنت أرى في كل ضربة سيف على عنق أسير مسلم، تفتح السماء، وتهبط الملائكة في نشوة وسرور، وتحمل روح الأسير في موكب وفرح، واستمر إعدام الأسرى حتى بلغوا تسعة، ولم يبق سواي، فقال الوزير: أيها الملك، من يبلغ المسلمون ما فعلنا، فيصيبهم الأسى والحزن؟ ألا نفك أسر

هذا الأسير الأخير ونطلقه ليبلغ قواده وجنوده المسلمين ما رأى، ووافق الملك ، وفك أسري، وعدت ، عدت أنا الوحيد من العشرة، وقد حُرمت الجنة، وحرمت الشهادة، وحرمت موكب الملائكة وهم يصحبون روح الشهيد إلى السماء ، ألست بحقٍ المحروم، بعد أن كنت المسعود ؟. يغفر الله له ، فلقد مات سعيدًا، إذ شارك في المعركة التالية، ونال ما تمنى واستشهد، ودخل الجنة تصحبه الملائكة في موكب النور.



٧٦٦ - «سوف يأتيك رزقك»

كان شيخ كريم، فقير في حاله لكنه لا يرد سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقي بردانُ يرتجف، فنزعها فدفعها إليه وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ السفرة من بين أولاده فيعطيها السائل، وفي يوم من أيام رمضان، وقد وضعت المائدة انتظارًا للأذان فجاءه السائل يُقسم أنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته، وفتح له وأعطاه الطعام كله، فلما رأت ذلك امرأته صرخت وأقسمت - من الغضب - أنها لا تبقى عنده بينما هو ساكن، ولم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب وجاء من يحمل الأطباق فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا : ما الخبر ؟ وإذا هو أن أحد الأغنياء، كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا، فغضب وحلف ألا يأكل أحد من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ الفقير الكريم.

٧٦٧ - «عفّ عن الباذنجانة فرزق المرأة»

كان في دمشق مسجد كبير اسمه جامع التوبة، وهو جامع مبارك، فيه أنس وجمال، وكان فيه منذ نحو سبعين سنة شيخ مرب عالم عامل اسمه الشيخ سليم المسوطي، وكان مضرب المثل في فقره وفي إبائه وعزة نفسه، وبذلها للآخرين. وكان يسكن في غرفة في المسجد، مرّ عليه يومان لم يأكل فيهما شيئًا، وليس عنده ما يطعمه ولا ما يشتري به طعامًا، فلما جاء اليوم الثالث أحس كأنه مشرف على الموت، وفكر ماذا يصنع، فرأى أنه بلغ حدّ الاضطرار الذي يجوز له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجة ، وآثر أن يسرق ما يقيم

صلبه - هذا ما رآه في حالته هذه- ، وكان المسجد يتصل سطحه ببعض البيوت، يستطيع المرء أن ينتقل من أولها إلى آخرها مشيًا على أسقفها، فصعد إلى سقف المسجد وانتقل منه إلى الدار التي تليه فلمح بها نساء ، فغض من بصره وابتعد، ونظر فرأى إلى جنبها دارًا خالية ، وشم رائحة الطبخ تصدر منها، فأحس من جوعه لما شمها كأنها مغناطيس تجذبه إليها، وكانت البيوت من دور واحد، فقفز فقزتين من السقف إلى الشرفة فصار في الدار، وأسرع إلى المطبخ فكشف غطاء القدر ، فرأى فيها باذنجانًا محشوًا، فأخذ واحدة ، ولم يبال من شدة جوعه بسخونتها وعض منها عضة ، فما كاد يبتلعها حتى ارتد إليه عقله ودينه، وقال لنفسه : أعوذ بالله، أنا طالب علم مقيم في المسجد ، ثم أقتحم المنازل وأسرق ما فيها ؟ ! وكبر عليه ما فعل ، وندم ، واستغفر ، ورد الباذنجانة وعاد من حيث جاء، فنزل إلى المسجد، وقعد في حلقة الشيخ، وهو لا يكاد من شدة الجوع يفهم ما يسمعه، فلما انقضى الدرس وانصرف الناس جاءت امرأة مستترة -ولم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة- فكلمت الشيخ بكلام لم يسمعه ، فتلفت الشيخ حوله فلم ير غيره فدعاه، وقال له : هل أنت متزوج ؟ قال: لا . قال : هل تريد الزواج؟ فسكت، فأعاد الشيخ سؤاله فقال : يا شيخ، ما عندي ثمن رغيف والله ، فلماذا أتزوج ؟ قال الشيخ : إن هذه المرأة خبرتني أن زوجها توفي، وأنها غريبة عن هذا البلد ، ليس لها فيه ، ولا في الدنيا إلا عم عجوز فقير، وقد جاءت به معها، وأشار إليه قاعدًا في ركن الحلقة، وقد ورثت دار زوجها ومعاشه ، وهي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها ؛ لئلا تبقى منفردة فيُطمع فيها. فهل تريد أن تتزوج بها ؟ قال : نعم، وسألها الشيخ ، هل تقبلين به زوجًا؟ قالت: نعم.

وإذا دجى ليلُ الخطوب وأظلمت ... سُبل الخلاص وخاب فيها الأملُ
وأيستَ من وجه النجاة فما لها ... سبب ولا يدنو لها متناولُ
يأتيك من الطافة الفرج الذي ... لم تحتسبه وأنت عنه غافلُ

فدعا الشيخ عمها ودعا شاهدين وعقدا العقد ودفع المهر عن التلميذ وقال له : خذ بيد زوجتك، فأخذ بيدها فقادته إلى بيتها، فلما أدخلته كشفت عن وجهها فرأى شبابًا وجمالاً، وإذا البيت هو البيت الذي اقتحمه، وسألته : هل تأكل؟ قال: نعم، فكشفت

غطاء القدر فرأت الباذنجانة، فقالت : عجبًا من الذي دخل الدار فعضها؟ فبكى الرجل وقص عليها الخبر ، فقالت له : هذه ثمرة الأمانة، عففت عن الباذنجانة الحرام، فأعطاك الله الدار كلها وصاحبتها بالحلال.

٧٦٨ - «الحقي بأهلك»

عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : لما شب إسماعيل تزوج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته، فقالت : خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت : نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه، فقال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يُغَيِّر عتبة بابه، فلما جاء فأخبرته. قال : ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك.

٧٦٩ - «أشرب ما بين الضفتين»

فمن المنقول عن لقمان، حدثنا مكحول أن لقمان الحكيم كان عبدًا نوبيًا أسود، وكان قد أعطاه الله تعالى الحكمة، وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونش، يعني نصف مثقال، وكان يعمل له، وكان مولاه يلعب بالنرد يقامر عليه، وكان على بابه نهر جار، فلعب يومًا بالنرد على أن من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدى منه، وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك، قال : فقُمِر سيد لقمان، فقال له القامر: اشرب ما في النهر وإلا فافتد منه، قال : فسلني الفداء. قال : عينيك أفقؤهما أو جميع ما تملك، قال: أمهلني يومي هذا، قال: لك ذلك، قال : فأمسى كئيبًا حزينًا ، إذ جاءه لقمان، وقد حمل حزمة على ظهره، فسلم على سيده ، ثم وضع ما معه ورجع إلى سيده، وكان سيده إذا رآه عبث به ويسمع منه الكلمة الحكيمة فيعجب منه، فلما جلس إليه قال لسيده : ما لي أراك كئيبًا حزينًا، فأعرض عنه، فقال له الثانية مثل ذلك فأعرض عنه،

ثم قال له الثالثة مثل ذلك فأعرض عنه، فقال له : أخبرني فلعل لك عندي فرجًا فقص عليه القصة، فقال له لقمان : لا تغتم؛ فإن لك عندي فرجًا، قال: وما هو؟ قال : إذا أتاك الرجل ، فقال لك : اشرب ما في النهر، فقل له : أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد، فإنه سيقول لك : اشرب ما بين الضفتين، فإذا قال لك ذلك ، فقل له : احبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، وتكون قد خرجت مما ضمنت له، فعرف سيده أنه نقد صدق، فطابت نفسه، فلما أصبح جاءه الرجل، فقال له : فِ لي بشرطي، قال له : نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد، قال : لا ، بل ما بين الضفتين، قال: فاحبس عني المد، قال: كيف أستطيع ؟ قال: فخصمه، قال: فأعتقه مولاه.

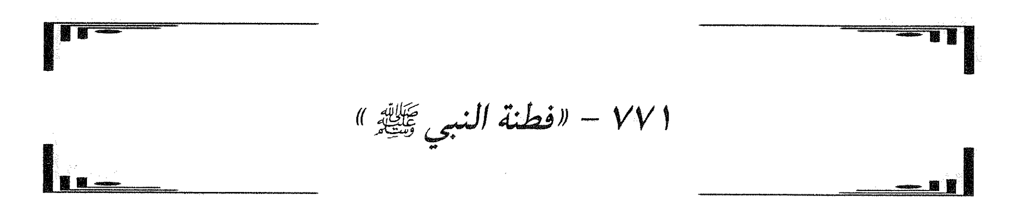
حدثنا محمد بن إسحاق قال: قال لقمان لابنه: يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه ، وإلا فاحذره.

٧٧٠ - «إذا شتمته فليلطمني»

عن ابن عباس : لقد كان لسبأ في مساكنهم آية، قال : كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاء ولا صيفًا، فكفروا ما أنعم الله عليهم، فأرسل عليهم سيل العرم فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جرذًا له مخاليب وأنياب من حديد، فأول من علم بذلك عبد الله بن عامر الأزدي، فانطلق نحو الردم، فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد، فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل إلى بنيه، فقال : هل ترون ما رأينا ؟ قالوا: نعم. قال : فإن هذا الأمر ليس لنا إليه سبيل اضمحلت الحيل فيه؛ لأن الأمر لله ، وقد أذن في هلاكه، فأتى بهرة والجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة، فلما رأت الهرة ذلك ولّت هاربة، فقال عبد الله : احتالوا لأنفسكم. قالوا: يا أبت كيف نحتال؟ قال: إني محتال لكم بحيلة، قال: فدعا أصغر بنيه ، ثم قال له : إذا جلست اليوم في المجلس ، وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون إلى رأيه، فإذا اجتمعوا أمرت أصغركم بأمر فليغفل عنه، فإذا شتمته فليهم إليّ فليلطمني ولا تغيروا أنتم عليه، فإذا رأى الجلساء أنكم

لم تتغيـروا على أخيكم لم يجسر أحـد منهم أن يتغير عليـه، فأحلف أنا عند ذلك يمينًا لا كفارة لها أن لا أقـيم بين أظهر قوم قام إليّ أصغر بني فلطمني، فلم يتـغيروا عليه لذلك ، قالوا : نفعل.

فلما راح الناس إليه أمر ابنه ببعض أمره فلهى عنه، ثم أمـره فلهى عنه فشتمه، فقام إليه فلطم وجهه، فـعجبوا من جرأة ابنه، فنكسوا رؤوسهم وظنوا أن وَلده يتـغيرون عليه، فلما لم يتغيـر أحد منهم قام الشيخ، فحلف أن يتحول عنهم، ويستـبدلوه بداره، فلا يقيم بين أظهر قوم لم يتغيروا على ابنه، فقـام القوم معتذرين، وقالوا: أما كنا ظننا أن ولدك لا يتغيرون، فذلك الذي منعنا، قال : قد سبق مني ما ترون ، وليس إلي غير التحويل سبيل، فعرض ضياعه على البـيع، وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقلـه وعياله فتحول عنهم، فلم يلبث القوم إلا قليلاً حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله، فلم يفاجئ القوم ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل قد أقبل، فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم.



٧٧١ - «فطنة النبي ﷺ»

عن علي -عليه السلام- قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر وجدنا عندها رجلين، رجلاً من قـريش، ومولى لعقـبة بن أبي مـعيط. فأمـا القرشي فأفلت، وأمـا مولى عقـبة فأخذناه، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ .

فيقول: هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتـهوا به إلى النبي ﷺ فـقال له : «**كم القوم ؟**»، فقال : هم والله كـثير عددهم، شديد بأسـهم، فجهـد النبي ﷺ أن يخبره كم هم ، فـأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله : «**كم ينحـرون من الجزر ؟**» فقـال : عشـرًا لكل يوم، فقـال رسول الله ﷺ : «**القـوم ألف كل جزور لمائة وتبعها**».



٧٧٢ - «أبو بكر أعلمنا»

حدثنا الحسن قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر في الناس، فقال : إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عز وجل . قال: فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به.

ومن المنقول عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : حدثنا أسلم، عن أبيه، قال: قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فقسمها بين الناس، فرأى فيها حلة رديئة ، فقال: كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحد لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها؟ قال : فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه، وأخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه، فجعل يقسم بين الناس. قال : فدخل الزبير بن العوام، وهو على تلك الحال قال : فجعل ينظر إلى تلك الحلة فقال له : ما هذه الحلة ؟ قال عمر : دع هذه عنك، قال: ما هيه ما هيه ، ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطينيها. قال: إنك لا ترضاها. قال: بلى قد رضيتها. فلما توثق منه، واشترط عليه أن يقبلها، ولا يردها رمى بها إليه، فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة ، فقال : لا أريدها. فقال عمر : هيهات قد فرغت منها، فأجازها عليه، وأبى أن يقبلها منه.

٧٧٣ - «بل أنا رجل من المسلمين»

عن بريد بن جرير، عن أبيه، عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم: سر بقومك، فما قد غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم غنائم جلولاء ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد إلى عمر بذلك، فكتب عمر : صدق جرير، قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله، وإن يكن إنما

قاتل لله ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم، فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جرير بذلك، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين ، لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين.

٧٧٤ - «فراسة عمر»

عن ابن عمر قال : بينما عمر -رضي الله عنه- جالس إذ رأى رجلاً، فقال : قد كنت مرة ذا فراسة وليس لي رأي ، إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيئًا ادعوه لي، فدعوه، فقال : هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئًا ؟ قال: نعم.

٧٧٥ - «أدب عمر»

قال ابن الجوزي :

وقد روينا عن عمر -رضي الله عنه- أنه خرج يعس المدينة بالليل، فرأى نارًا موقدة في خباء، فوقف وقال : يا أهل الضوء، وكره أن يقول : يا أهل النار.

٧٧٦ - «إنه يريد أن يعض أذني»

قال ابن الجوزي:

قرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل قال: لما جيء بابن ملجم إلى الحسن قال له : أريد أن أسارك بكلمة، فأبى الحسن، وقال : إنه يريد أن يعض أذني، فقال ابن ملجم : والله لو مكّنني منها لأخذتها من صماخه.

٧٧٧ - «قل والله والله والله»

ومن المنقول عن الحسين -عليه السلام-: أخبرنا إبراهيم بن رباح الموصلي قال : يروى أن رجلاً ادعى على الحسين بن علي مالاً وقدمه إلى القاضي، فقال الحسين : ليحلف على ما ادعى ويأخذه، فقال الرجل : والله الذي لا إله إلا هو، فقال : قل والله والله والله إن هذا الذي تدعيه لك قبلي، ففعل الرجل وقام ، فاختلفت رجلاه وسقط ميتًا، فقيل للحسن في ذلك، فقال : كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه.

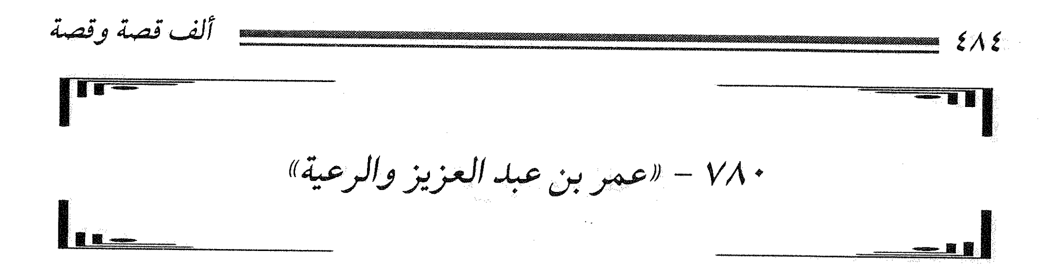
٧٧٨ - «أي الإخوة أنت ؟!»

قال ابن الجوزي :

وبلغنا أن رجلاً جاء إلى حاجب معاوية فقال له : قل له : على الباب أخوك لأبيك وأمك، ثم قال له : ما أعرف هذا، ثم قال : ائذن له فدخل، فقال له : أي الإخوة أنت ؟ فقال : ابن آدم وحواء. فقال : يا غلام، أعطه درهمًا، فقال : تعطي أخاك لأبيك وأمك درهمًا! فقال : لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا.

٧٧٩ - «جبار عنيد»

أمر الحجاج بن يوسف برجل كان جعل على نفسه إن ظفر به أن يقتله، فلما أُدخل عليه تكلم بشيء فخلى سبيله، فقيل له : أي شيء قلت ؟ قال: قلت : يا عزيز يا حميد، يا ذا العرش المجيد، اصرف عني شر كل جبار عنيد.



٧٨٠ - «عمر بن عبد العزيز والرعية»

عن مالك بن دينار قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- قالت رعاة الشاء في ذروة الجبال : من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس ؟ فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا: إنا إذا قام على الناس خليفة صالح، كفت الذئاب والأسد عن شاتنا.

٧٨١ - «الله سيسألك عني يوم القيامة»

عن رباح بن عبيدة الباهلي قال: كنت عند عمر بن العزيز فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين، جاءت بي إليك الحاجة[1] ، وانتهت بي الفاقة -أو قال الغاية- والله سائلك عني يوم القيامة، فقال: ويحك! أعد علي ، فأعاد عليه، فنكس عمر رأسه، وأرسل دموعه حتى ابتلت الأرض، ثم رفع رأسه، وقال : ويحك! كم أنتم؟ قال : أنا وثمان بنات. ففرض له على ثلاثمائة ، وفرض للبنات -أو قال لبناته- على مائة، وأعطاه مائة درهم، وقال : هذه المائة أعطيتك من مالي، ليس من مال المسلمين، اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

٧٨٢ - «ومن يضمن لك أن تعيش إلى الصلاة»

عن هشام بن حسان قال : قال عمر بن عبد العزيز : أروح إلى الصلاة . فأصعد

---

(١) الفقر والعوز.

المنبر فأرد ما أصبنا من أموال المسلمين على رؤوس الناس، فقال ابنه عبد الملك: ومن لك أن تعيش إلى الصلاة؟ قال : فمه؟[1] قال: الساعة. فخرج ، ونودي في الناس : الصلاة جامعة فصعد المنبر، فرده على الناس.

٧٨٣ - «جزاء من غيّر امرأة على زوجها»

كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله سلم، فإذا بلغ وسط الدار كبر، وكبَّرت امرأته، فإذا بلغ البيت كبر، فكبرت امرأته، فيدخل فينزع رداءه وحذاءه، وتأتيه بطعام يأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تُجبه، ثم أتى باب البيت فكبر وسلم وكبر، فلم تُجبه. وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا هي جالسة بيدها عود تَنْكُت به في الأرض، فقال لها : ما لك ؟ قالت : الناس بخير ، وأنت أبو مسلم، لو أنك أتيت معاوية ، فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئًا نعيش به ؟.

فقال : اللهم مَن أفسد عليّ أهلي ، فأعْمِ بصره. وكانت أتتها امرأة فقالت لها : أنت امرأة أبي مسلم، فلو كَلَّمْتِ زوجك يُكَلِّم معاوية ليخدمكم ويعطيكم؟.

فبينما هذه المرأة في منزلها والسراج يَزْهَر إذا أنكرت بصرها. فقالت : سراجكم طُفِئ؟ قالوا: لا. قالت : إنا لله ذهب بصري، فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم، فلم تزل تناشده الله وتطلب إليه، فدعا لها الله، فرد عليها بصرها، ورجعت امرأته إلى حالها التي كانت فيه.

٧٨٤ - «ما كان أغرَّه بالله»

كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن البصري فيؤذيهم، فقيل للحسن : يا أبا

---

(١) فمتى.

سعـيد، ألا تُكَلِّم الأميـر حتى يصرفه عـنا؟ فسكت الحسن عنهم، فـأقبل الرجل ذات يوم والحسن جالس مع أصـحابه، فلما وافى ، قال الحسن : اللهم قـد علمت أذاه لنا، فأكفناه بما شئت.

قال الراوي فخر -والله- الرجل من قامته، فـما حُمل إلى أهله إلا ميتًا على سرير، فكان الحسن إذا ذكره بكى، وقال للناس : ما كان أغرَّه بالله!.

٧٨٥ - «لا نهلك وأنت رجاؤنا»

قيل لإبراهيم بن أدهم : هذا السبع - الأسد - قد ظهر لنا، قال : أرونيه، فلما رآه قال : يا قسـورة، إن كنتَ أُمِرت فينا بشيء فامض لما أُمِـرْتَ به، وإلا فعَوْدُك على بدئك، قال : فَوَلّى السـبع ذاهبًا يضرب بذنبه، فتـعجبوا كيف فهـم السبع كلام إبراهيم بن أدهم، فأقبل إبراهيم عليـهم ، فقال : قولوا : اللهم احـرسنا بعينك التي لا تنام، واكنُفْنا برُكْنِك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا.

٧٨٦ - «أتاك الغوث أبا حفص»

أصاب الناس قـحط شديد على عهد عـمر، فخـرج بالناس، فصلَّى بهم ركـعتين، وخالف بين طرفي ردائه، فـجعل اليمين على اليـسار، واليسـار على اليمين، ثم بسط يده فقال : اللهم إنا نستغفرك ، ونستسقيك، فما برح مكانه حتى مُطر بها، فبينا هم كذلك إذا أعراب قد قدمـوا ، فأتوا عمر فقالوا: يا أميـر المؤمنين ، بينما نحن في بوادينا في يوم كذا في ساعة كذا، إذ أظلنا غـمام فسمعنا بها صوتًا: أتـاك الغوث أبا حفص، أتاك الغوث أبا حفص.



٧٨٧ - «حسبي الله»

وعن عمرو بن مالك قال : حدثني رجل من العشرة قال : كنا عِدَّة وخرجنا في سرية، فانكسرت فَخْذُ رجل منا، فتركناه وتركنا فرسه عنده، فلما ولَّيْنا قال : ﴿**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾ [سورة التوبة : ١٢٩]، فانبسطت رجلي، ثم قُلْتُها فقَبَضْتُها، فركب فرسه فلَحِقنا.

٧٨٨ - «أبو مسلم الخولاني»

قحط الناس على عهد معاوية ، فخرج يستسقي بهم، فلما صار إلى المصلى قال معاوية لأبي مسلم : قد ترى ما داخل بالناس، فادع الله ، قال : أفعل على تقصيري، فقام وعليه برنس ، فكشف البرنس ثم رفع يديه، فقال : اللهم إنا بك نستمطر، وقد ندبوني إليك فلا تخيبني، فما انصرفوا حتى سُقُوا.

قال أبو مسلم : اللهم إن معاوية أقامني مقام سُمعة، فإن كان عندك خير لي فاقبضني إليك، وكان يوم خميس، فمات يوم الخميس المقبل -رضي الله عنه-.

٧٨٩ - «رجل من أهل الجنة»

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه - قال : كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال : «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تقطر لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على

مثل حاله الأول. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إني لاحيت -خاصمت- أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيتَ أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يُحَدِّث أنه بات معه تلك الثلاث ليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تَعَارَّ -استيقظ- تقلَّب على فراشه ذكر الله -عز وجل- وكبّر حتى صلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث ليالي وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردتُ أن آوي إليك فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك.

٧٩٠ - «فضل التوحيد»

عن عمرو أبي السرايا قال: كنت أغزو في بلاد الروم وحدي، فبينا أنا ذات يوم نائم إذ ورد عليّ علج[1] فحركني، فانتبهت، فقال لي: يا عربي، اختر إن شئت مُطاعنة وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعة، فقلت: أما المسايفة والمطاعنة فلا طاقة لي بقتالها، ولكن مصارعة، فنزل فصرعني وجلس على صدري، وقال: أي قتلة أقتلك؟ فرفعت طرفي إلى السماء وقلت: أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل، غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه، ففرِّج عني، فأغمي عليّ، ثم أفقتُ، فإذا الرومي قتيل إلى جانبي.



(١) **العلج**: الواحد من كفار العجم.

٧٩١ - «أرجو أن يكون كلانا على خير»

حكي أن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك : إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجل فُتِح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد فنشْرُ العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتِح لي فيه، وما أظنٌّ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر .

٧٩٢ - «طلب العلم يقطع الوساوس»

وذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له : قال ابن وهب : كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم -عليه السلام- كيف خلقه الله تعالى؟ ونحو هذا، فشكوت ذلك إلى شيخ، فقال لي : ابن وهب، قلت : نعم، قال : اطلب العلم، فكان سبب طلبي العلم.

٧٩٣ - «الرؤيا تسر المؤمن لا تغره»

وعن المروذي قال: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله -وكان رجلاً صالحًا- فقال : إن أمي رأت لك منامًا، هو كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال : يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء. وقال : الرؤيا تسُرُّ المؤمن ولا تغُرُّه.

٧٩٤ - «هذا ليس لي»

لما فرغ عمر بن عبد العزيز، من دفن سليمان بن عبد الملك، سمع للأرض رجة، فإذا مراكب الخلافة، البراذين والخيل والبغال، ولكل دابة سائس، فقال : ما هذا ؟ قالوا: مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين، قربت إليك لتركبها، فقال : ما لي ولها، نحوّها عني، دابتي أوفق لي، ثم لمح صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة، فقال له : تَنَحَّ عني، ما لي وما لك، إنما أنا رجل من المسلمين.

وكان الخليفة إذا مات، فما لبس من الثياب أو مس من الطيب، كان لولده، وما لم يلبس من الثياب ما لم يمس من الطيب، فهو للخليفة بعده، فلما أن جاء عمر بن عبد العزيز قال له أهل سليمان : هذا لك، وهذا لنا، فقال لهم : وما هذا وما هذا ؟ قالوا : هذا ما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب، فهو لولده وما لم يمس وما لم يلبس فهو للخليفة بعده، وهو لك، فقال عمر : ما هذا لي ، ولا لسليمان، ولا لكم، ولكن يا مزاحم، ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين.

٧٩٥ - «أبيات تمثل بها عمر أمام الشعبي»

عن عبيد الله بن موسى قال : كان الشعبي واقفًا على رأس عمر بن عبد العزيز ، فأطال الوقوف فقال : إنك لواقف يا شعبي ؟ فقلت : إني لواقف، فقال : خذ إليك يا شعبي، فقال :

هب الدنيا تزف إليك زفا ... زفاف عرائس باكون قصفا

وقد ملكتها شرقًا وغربًا ... حويت بجمعها برًا وطَفّا

يجئن بألف ألف كل يوم ... ويتبع ألفها سبعون ألفا

إذا عــاديت قــومًـا فـي بلاد أتيت على جميع الناس عسفا

ألست ملاقيًا ، لا شك فيه وإن عُمرت طول الدهر حتفا

فما ترجو بدار قد تراها بكل سرورها أبدًا تكفا؟

٧٩٦ - «خليفة المسلمين يبكي»

عن قتادة قال : دخل على عمر بن عبد العزيز رجل يقال له : ابن الأهتم، فلم يزل يعظه، وعمر يبكي، حتى سقط مغشياً عليه.

وقال: رجل من بني ضبة شهدتُ رجلاً يقرأ عند عمر بن عبد العزيز، فلما انتهى إلى هذه الآية : ﴿فَمَنَّ اللَّهُ علينا ووقانا عذاب السَّمُوم﴾ [سورة الطور: ٢٧] بكى عمر حتى اشتد بكاؤه، ثم ازداد بكاء، فلم يزل يبكي حتى غشي عليه.

وعن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة قال: شهدت عمر بن عبد العزيز، ومحمد بن قيس يحدثه، فرأيت عمر يبكي حتى اختلفت أضلاعه.

وبكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكي هؤلاء فلما تجلى عنهم العسر قالت له فاطمة : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، مما بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة انصراف القوم بين يدي الله، فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه.

وكان عمر بن عبد العزيز يومًا ساكتًا، وأصحابه يتحدثون، فقالوا له : ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرًا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ثم بكى كأن عليه بث[1] هذه الأمة.

وعن ميمون بن مهران، قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا أيوب ، هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم

---

(١) **البث**: الحزن الشديد.

يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشتهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ؟ واستحكم فيهم البلى؟ وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلاً؟ قال: ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق ، فقال : انطلق بنا، فوالله ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد آمن من عذاب الله.

وعن عطاء قال : كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء يتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديه جنازة.

وقال عبد الله بن الزبير : سمعت القداح يذكر أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله.

قال محمد بن الحسين: قال : حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين وقرأ عنده رجل : ﴿**وإذا ألقوا منها مكانًا ضيِّقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا**﴾ [سورة الفرقان: ١٣] فبكى عمر حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه، فقام من مجلسه، فدخل بيته وتفرق الناس.

٧٩٧ - «لهم الله عز وجل»

دخل مسلمة بن عبد الملك ، على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ، فقال له :

يا أمير المؤمنين، إنك لتترك ولدك عالة على الناس، فأوص بهم إليّ أكفك أمرهم، فإنك لم تمولهم شيئًا، ولم تعطهم.

فقال عمر: يا أبا سعيد، إن ولدي لهم الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين، ثم دعاهم عمر، وهم أربعة عشر غلامًا، فنظر إليهم ، وقد لبسوا الخشن، فاغرورقت عيناه بالدموع، وقال لهم :

أوصيكم بتقوى الله العظيم، وليجل صغيركم كبيركم ، وليرحم كبيركم صغيركم.

ثم قال لمسلمة : يا أبا سعيد ، إنما ولدي على أحد أمرين : إما عامل بطاعة الله،

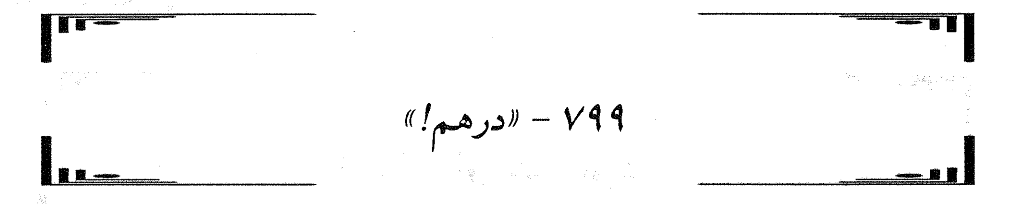
فلن يضيعه الله، وإما عامل بمعصيته، فلا أحب أن يعينه بالمال، قوموا عصمكم الله ووفقكم.

ثم دعا رجاء بن حيوة، فخلا به، وقال له: يا رجاء، إن الموت قد نزل، وأنا أعهد إليك عهدًا لا أعهده إلى غيرك، إذا أنا مت، فكن ممن يقبرني، فإذا سويت علي اللبن، فارفع لبنة، ثم اكشف عن وجهي، وانظر إليه، فإني قبرتُ ثلاثة رجال بيدي، وكشفت عن وجوههم، فنظرت وجوههم قد اسودت، وعيونهم قد برزت من وجوههم، فاكشف عن وجهي يا رجاء، وانظر إليه، فإن رأيت شيئًا من هذا، فاستر عليّ، ولا تعلم به أحدًا، وإن رأيت غير ذلك، فاحمد الله عليه.

قال رجاء: ففعلت ذلك، فلما سوينا عليه اللبن، رفعت لبنة، فإذا وجهه مثل القمر ليلة البدر.

٧٩٨ - «رحم الله امرأ عرف قدر نفسه»

وبلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنًا له اشترى خاتمًا له فص بألف درهم، فكتب إليه: أقسمت إليك أن تبيع الخاتم، وتطعم بثمنه ألف مسكين، واشتر خاتمًا بدرهم، وانقش عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه.



٧٩٩ - «درهم!»

عن عون بن المعمر، قال: دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال: يا فاطمة، عندك درهم أشتري به عنبًا؟ قالت: لا، قال: فعندك ثُمُنُه -يعني الفلوس- نشتري به عنبًا؟ فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم، ولا ثُمُنُه تشتري به عنبًا؟! فقال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال في جهنم.

٨٠٠ - «أفسدت علينا عسلنا»

عن رياح بن عبيدة قال: كان عمر بن عبد العزيز يعجبه أن يتأدم بالعسل، فطلب من أهله يومًا عسلاً فلم يكن عنده، فأتوه بعد ذلك بعسل فأكل منه فأعجبه، فقال لأهله: من أين لكم هذا؟ .

قالت امرأته: بعثت مولاي بدينارين على بغل البريد فاشتراه لي، فقال: أقسمت عليك لما أتيتني به، فأتته بكعكة فيها عسل، فباعها بثمن زهيد، ورد عليها رأس المال، وألقى بقيته في بيت مال المسلمين، وقال: نصبت[1] دواب المسلمين في شهوة عمر؟.

وعن فاطمة بنت عبد الملك قالت: اشتهى عمر بن عبد العزيز يومًا عسلاً، فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلاً على دابة من البريد إلى بعلبك فأتى بعسل، فقلنا يومًا: إنك ذكرت عسلاً، وعندنا عسل، فهل لك فيه؟ قال: نعم، فأتينا به، فقرب، ثم قال: من أين لكم هذا العسل؟ قالت: وجهنا رجلاً، على دابة من دواب البريد بدينارين إلى بعلبك، فاشترى بها لنا عسلاً.

قال: فأرسل إلى الرجل، فجاءه فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق، فبعه فاردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل، واجعله في بيت مال المسلمين علف دواب البريد، ولو ينفع المسلمين قيء لتقيأت.

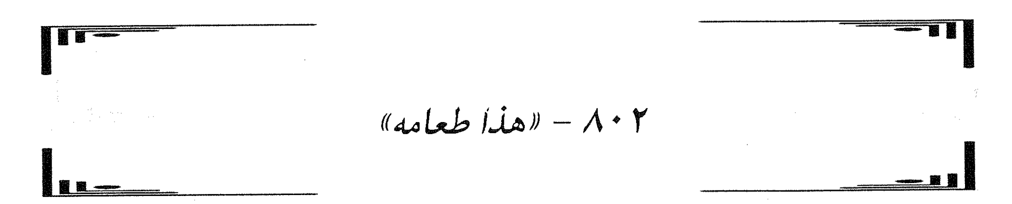
٨٠١ - «أو أمنت الموت»

وعن ابن أبي علية قال: جلس عمر بن عبد العزيز يومًا للناس، فلما انتصف النهار ضجر ومل وكل، فقال للناس: مكانكم حتى أنصرف إليكم، ودخل ليستريح ساعة، فجاء

---

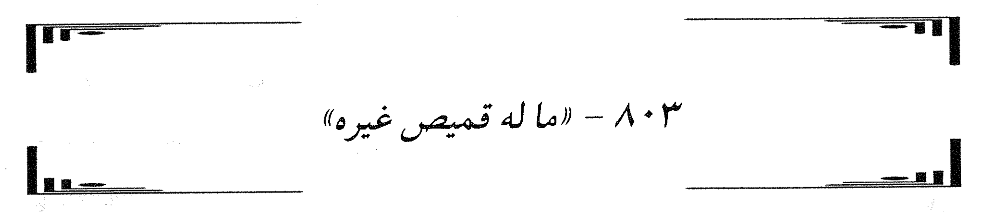
(١) تعبت.

ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا: دخل ، فاستأذن عليه. فأذن له، فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين، ما أدخلك ؟ قال : أردت أن أستريح ساعة، قال : أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك؟ وأنت تحتجب عنهم؟ فقام عمر من نومته وخرج للناس.



٨٠٢ - «هذا طعامه»

وقال أبو أمية غلام عمر بن عبد العزيز : دخلتُ يومًا على مولاتي فغدتني عدسًا، فقلت : كل يوم عدس؟ فقالت : يا بني، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.



٨٠٣ - «ما له قميص غيره»

عن مسلمة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمة، اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت : نفعل إن شاء الله، ثم غدوت فإذا القميص على حاله، فقلت : يا فاطمة، ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؛ فإن الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.

وقال عمارة بن أبي حفصة : دخل مسلمة على عمر في مرضه وعليه قميص قد اتسخ جيبه، وتخرق، فدخل فقال لأخته فاطمة امرأة عمر : ناوليني قميصًا غير هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين، فإن الناس يدخلون عليه، فقال عمر : دعها يا مسلمة، فما أصبح ولا أمسي لأمير المؤمنين ثوب غير الذي يرى عليه.

وعن مسلمة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه ، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه، فلما رأتني تحولت وجلست عند رجليه، وجلست أنا عند رأسه، فإذا عليه قميص وسخ، مخرق الجيب، فقلت لها: لو أبدلتم هذا

القمـيص، فسكتت ، ثم أعـدت القول عليـها مرارًا حـتى غلظت، فقالـت : والله ما له قميص غيره.

٨٠٤ - «خلفت قلبي يا عمر»

وعن الفضل بن الربيع قال : سمعت فضيل بن عياض يقول: بلغني أن عاملاً لعمر ابن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر :

يا أخي، أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء.

فلما قـرأ الكتاب طوى البـلاد حتى قدم على عـمر فـقال له : ما أقـدمك ؟ قال: خلعت قلبي بكتابك ، لا أعود إلى ولاية أبدًا حتى ألقى الله تعالى.

٨٠٥ - «اذكر يوم الحساب»

وجاء رجل من أهل أذربيـجان إلى عمر بن عبـد العزيز، فقام بين يديـه، فقال : يا أمير المؤمنين، اذكر بمقامي هذا مقامًا لا يشـغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب .

قال : فبكى بكاءً شديدًا، ثم قـال ويحك ، اردد علي كلامك هذا ، فجعل يردده عليه. وعمر يبكي وينتحب .

ثم قال : ما حاجتك؟ قال: إن عامل أذربيـجان عدا عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم، فجعلها في بيت مـال المسلمين فقال عمر : اكتبوا له الساعـة إلى عاملها حتى يرده إليه.

٨٠٦ - «كتاب الله أحق أن يتبع»

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمر سليمان[١]، صعد إلى المنبر فقال: إني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك، فنزل فدخل فأمر بالستور فهُتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت، وأمر ببيعها، وإدخالها -أو قال: إدخال ثمنها- بيت المال، ثم ذهب يتبوأ مقيلاً، فقال ابنه عبد الملك: تقيل[٢] ولا ترد المظالم ؟ قال: من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ فخرج ولم يقل، فأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك ؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي -والعباس جالس- فقال: ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سجلاً، فقال: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، اردد عليه يا عباس بيته، ولم يترك مظلمة من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة.

٨٠٧ - «لقد أبلغت إليك في الشكوى»

جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم أخذها الحياء فقالت: أقلني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاك الله خيراً؛ فقد أحسنت الثناء، قد أقلتك، فلما ولّت قال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال: ما اشتكت ؟ قال: زوجها. قال: عليَّ بالمرأة وزوجها، فجيء بهما،

---

(١) سليمان بن عبد الملك. (٢) ينام.

فقال لكعب : اقض بينهما. قال : أأقـضي وأنت شاهد ؟ قال: إنك قد فطنت ما لم أفطن إليه. قال : فإن الله يقول : ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾ [سورة النساء: ٣] ، صـم ثلاثة أيام وأفطر عندها يومًا، وقم ثلاث ليـال وبت عندها ليلة، فـقال عمر : لَهذا أعجب إليّ من الأول، فرحّله بدابة وبعثه قاضيًا لأهل البصرة.

٨٠٨ - «شريح والثعلب»

عن مجالد بـن سعيد قال : قلت للـشعبي: يقـال في المثل : إن شريحًـا أدهى من الثعلب وأحيل ، فما هذا ؟ فقال لي في ذلك : إن شريحًا خرج أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قـام يصلي يجيء ثعلب فيـقف تجاهه، فيـحاكيه ويـخيل بين يديه، فيـشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على قصبة، وأخرج كميه وجعل قلنسوته وعمـامته عليه، فـأقبل الثعلب فـوقف على عادته، فأتى شـريح من خلفه، فأخذه بغـتة، فلذلك يقال : هو أدهى من الثعلب وأحيل.

٨٠٩ - «ما أظن هذه إلا مظلومة»

عن الشعبي قـال: شهدت شريحًا وقد جـاءته امرأة تخاصم رجلاً، فأرسلت عينيها فبكت، فقلت : يا أبا أمية، ما أظن هذه البائسـة إلا مظلومة، فقال : يا شعبي ، إن إخوة يوسف ﴿**جاؤوا أباهم عشاءً يبكون**﴾ [سورة يوسف: ١٦].

٨١٠ - «فطنة ابن النسوي»

جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتهـما بالسرقة فأقامهـما بين يديه، ثم قال : شربة

ماء فجاء بها، فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمدًا فوقعت فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج : اذهب أنت، وقال للآخر : رد ما أخذت، فقيل له : من أين علمت ؟ فقال : اللص قوي القلب لا ينزعج وهذا المنزعج بريء؛ لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

٨١١ - «والله ما في الدنيا أحل من هذا»

ذُكر أن رجلاً من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس دخل على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطائف فقال له ابن النسوي : كُلْ ، فامتنع، فقال : كأنني بك وأنت تقول : من أين لابن النسوي شيء حلال؟، ولكن كُلْ، فما أكلت قط أحل من هذا. فقال بحكم المداعبة : من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال : إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم، فقال: كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدق، فقالت الجارية: من ؟ فقالت : امرأة تستأذن فأذن لها، فدخلت، فأكبت على قدمي تقبلها، فقلت: ما حاجتك؟ قالت : لي زوج، ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة، وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوج عليّ ، وما يقربني والأولاد يطلبونه، فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة، فقلت لها : ما صناعته؟ فقالت : خباز، قلت : وأين دكانه؟ قالت : بالكرخ، ويعرف بفلان بن فلان، فقلت : وأنت بنت من ؟ فقالت : بنت فلان، قلت : فما اسم بناتك؟ قالت فلانة وفلانة. قلت : أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى، فقالت : هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت : خذي شقتك وانصرفي، فمضت فبعثت إليه اثنين وقلت : أحضراه ولا تزعجاه، فأحضراه وقد طار عقله، فقلت : لا بأس عليك، إنما استدعيتك لأعطيك كرا طعام وعمالته تقيمه خبزًا للرحالة ، فسكن روعه ، وقال : ما أريد له عمالة . قلت : بلى. صديق مخسر عدو مبين، أنت مني وإليّ، كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال : بكل خير،قلت : الله الله ، لا أحتاج أن أوصيك بها لا تضيق صدرها فقبل يدي، فقلت : امض إلى دكانك وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف، فلما كان في

هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت، وهذا الصحن معها، وأقسمت عليّ بالله أن لا أردها، وقالت : قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من ثمن غزلي، فبالله لا ترده، فقبلته، فهل هو حلال ؟ فقال : والله ما في الدنيا أحل من هذا. قال : فكُلْ، فأكل.

٨١٢ - «استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب»

نظر بعض العمال في ديوانه إلى رجل يصغي إلى سره، فأمر بضربه وحبسه. فقال كاتب الحبس : كيف أكتب قصته ؟ قال: اكتب : استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب. ووجد أعمى مع عمياء فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتهما، فقال صاحب الربع : اكتب ظلمات بعضها فوق بعض.

٨١٣ - «السمكة كشفت اللصوص»

قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي قال: كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله، فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة، فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله، فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال، فتحير حتى كان يركب وحده، ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز يومًا في زقاق خال في بعض أطراف بغداد، فدخله فوجد فيه منكرًا ووجد فيه زقاقًا لا ينفذ، فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة، وعظم الصلب وتقدير ذاك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لواحد من أصحاب المسالخ : ويحك ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدر ثمنها؟ قال: دينار. فقال: أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة؛ لأنه زقاق بين الاحتلال إلى جانب الصحراء، لا ينزله من معه شيء يخافه، أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة ، وما هي إلا بلية يجب أن يكشف عنها، فاستبعد الرجل هذا، وقال : هذا فكر بعيد، فقال: اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها، فدق بابًا غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماءً،

فخرجت عجوز ضعيفة، فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم، والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله، وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها : فهذه الدار من يسكنها وأومأ إلى التي عليها عظام السمك؟ فقالت: والله ما ندري على الحقيقة من سكانها إلا أن فيها خمسة شباب أعفار، كأنهم تجار قد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهاراً إلا كل مدة طويلة، وإنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعًا، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد، ولهم صبي يخدمهم، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دار لهم في الكرخ، ويدعون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم. قال : فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز، وقال للرجل : هذه صفة لصوص أم لا ؟ فقال : توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها. قال : وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال، وأدخلهم إلى سطوح الجيران ، ودق هو الباب ، فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه، فما فاتهم من القوم أحد، وحملهم إلى مجلس الشرطة، وقررهم، فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها، ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم الواثقي، وكان يفتخر بهذه القصة.

٨١٤ - «هجوتنا بالشعر، ونحن نهجوك بالشعير»

عن أبي سهل بن زياد قال: كان شاعر له ضويعة فهجا عاملها ، وبلغه ذلك فأمسك عنه، فلما كان وقت الغلة ركب العامل إلى البيدر، فقسمها وحمل غلة الشاعر أصلاً، فجاء الشاعر إليه يشكو.

فقال : يا هذا، ليس بيننا، هجوتنا بالشعر ، ونحن نهجوك بالشعير، فقد استوت الحال بيننا وبينك.



٨١٥ - «عندك يا أمير المؤمنين»

وروي أن ابن شبيب المشرف بالمحرز أنه لقي الخليفة المستنجد فقال له الخليفة : أين شتيت ؟ قال : عندك يا أمير المؤمنين، وأراد الخليفة تصحيف ابن شبيب، وأراد هو تصحيف عبدك.

٨١٦ - «أين كنت؟»

كان بعض العمال واقفًا على رأس أمير، فأخذه البول، فخرج ، فلما جاء قال: أين كنت ؟ قال: أصوب الرأي ، يعني أنه لا رأي لحاقن.

٨١٧ - «أنت السارق»

قال ابن الجوزي:

حدثني بعض الشيوخ قال : سرق من رجل خمسمائة دينار، فحمل المتهمين إلى الوالي، فقال الوالي : أنا ما أضرب أحدًا منكم، بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم، فادخلوا فليمر كل منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره ويلف يده في كمه، ويخرج، فإن الخيط يلف على يد الذي سرق، وكان قد سود الخيط بسخام، فدخلوا فكلهم جرَّ يده على الخيط في الظلمة إلا واحد منهم، فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحد فألزمه بالمال، فأقر به.



٨١٨ - «علمت شغل قلبه»

وكان ابن طولون يبكر ويخرج، فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب، فدعا بعض أصحابه يومًا، وقال : امض إلى المسجد الفلاني، وأعط إمامه هذه الدنانير، قال: فمضيت فجلست مع الإمام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق، ولم يكن معه ما يصلح به شأنها، وأنه صلى فغلط مرارًا في القراءة، فعدت إلى ابن طولون ، فأخبرته، فقال : صدق، لقد وقفت أمس، فرأيته يغلط كثيرًا علمت شغل قلبه.

٨١٩ - «لا تقتصر على فن واحد»

عن سهل بن محمد السجستاني قال : وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلمًا عليه، فقال : يا سجستاني ، من أعلمكم بالبصرة ؟ قال: الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشادكوني أعلمنا بالحديث، وأنا -رحمك الله- أنسب إلى علم القرآن، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط.

قال: فقال لكاتبه: إذا كان غد فاجمعهم إليّ، قال : فجمعنا ، قال : أيكم المازني؟ قال أبو عثمان : ها أنا ذا -يرحمك الله- قال : هل يجزئ في الظهاري عتق عبد أعور؟ فقال المازني: لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية، فقال : يا زيادي، كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها ؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم هلال الرأي، قال: يا هلال ، كم أسند ابن عون عن الحسن ؟ قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم الشادكوني، قال : يا شادكوني ، من قرأ : ﴿**ألا إنهم يثنون صدورهم**﴾ ؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم. فقال : يا أبا حاتم ، كيف تكتب كتابًا إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة، وما أصابهم في

الثمـرة، وتسأله لهم النظر بالبـصرة ؟ قال: لست رحـمك الله صاحب بدعة وكـتابة ، أنا صاحب قرآن، قـال: ما أقبح بالرجل يتـعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعـرف إلا فنّاً واحدًا حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه، ولم يمر. لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

٨٢٠ - «لا تحكم على الظاهر حتى تعامل»

عن الأصمعي قال: وفد فلان بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز وهو بحاضرة، فلزم سارية من المسجد يصلي إليها يحسن الركوع والخشوع وعمر بن عبد العزيز ينظر إليه، فقال عمـر للعلاء بن المغيرة، وكان خصيصًـا لعمر : إن يكن سرّ هذا كعلانيتـه، فهو فعل أهل العراق غـير مـدافع عن فضل. فقـال له العلاء بن المغـيرة : أنا آتيك يا أمـير المؤمنين بخبره، فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فـقال له : اشفع صلاتك ؛ فإن لي حاجة، فلما سلم مـن صلاته قال له العـلاء: تعرف منزلتي وموضـعي من أميـر المؤمنين، فإني إن أشرت عليك أن يوليك العـراق ما تجعل لي ؟ قـال : عمالتي سنة، وكـان مبلغها عـشرين ومائة ألف، قال : فاكتب لي على ذلك خطّاً، فقام من وقته فكتب له خطّاً بذلك، فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وكان واليًا على الكـوفة ، أما بعد ، فإن بلالاً غرنا بالـله فكدنا نغتر به، ثم سبكناه فوجدناه خبثًا كله.

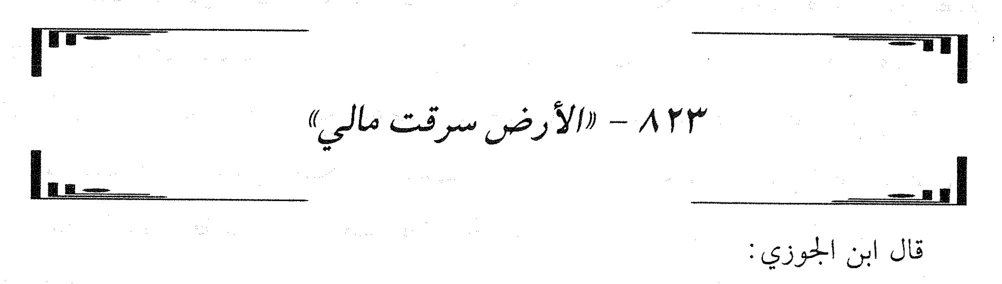
٨٢١ - «هذا يؤدب بالفعل لا بالقول»

قال ابن الجوزي :نقلت من خط أبي الوفـاء بن عـقيل قـال : دخل هاشـمي على المنصور فاستدناه ودعا بغدائه وقال : ادنه، فقال : قد تغديت، فكف عنه، فلما خرج دفع الربيع في قفـاه فوافقه الحجـاب، فدخل عمومـته فشكوا إلى المنصور، فـقال الربيع : هذا

الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف، فأدناه أمير المؤمنين واستجلسه، ثم أذن له في الغداء، فقال له : قد تغديت، قول من يظن أن الغداء عند أمير المؤمنين لا يصلح إلا لسد الخلة، ومثل هذا لا يكون أدبه بالقول ، ولكن بالفعل.

٨٢٢ - «فطنة ابن طولون»

ورأى ابن طولون يومًا حمالاً يحمل صندوقًا وهو يضطرب تحته، فقال : لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق، فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال : اصدقني عن حالها، فقال : أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة، فضرب الحمال مائتي ضربة بعصا، وأمر بقتل الأربعة.



٨٢٣ - «الأرض سرقت مالي»

قال ابن الجوزي:

وحدثت أن بعض التجار قدم من خراسان ليحج، فتأهب للحج ، وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال : إن حملتها خاطرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المودع، فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد ، فحفر المكان فلم يجد شيئًا، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال : الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له : لو قصدت عضد الدولة؛ فإن له فطنة، فقال : أوَ يعلم الغيب ؟ ! فقيل له : لا بأس بقصده، فأخبره بقصته، فجمع الأطباء ، وقال لهم : هل داويتم في هذه السنة أحدًا بعروق الخروع ؟ فقال أحدهم : أنا داويت فلانًا وهو من خواصك، فقال : عليّ به فجاء، فقال له : هل تداويت

في هذه السنة بعروق الخروع ؟ قال : نعم. قال : من جاءك به ؟ قال : فلان الفراش . قال : عليّ به ، فلما جاء قال : من أين أخذت عروق الخروع ؟ فقال : من المكان الفلاني، فقال : اذهب بهذا معك ، فأره المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال : من هذه الشجرة أخذت فقال الرجل: ههنا والله تركت مالي، فرجع إلى عضد الدولة فأخبره، فقال للفراش : هلم بالمال، فتلكأ فأوعده فأحضر المال.

٨٢٤ - «اقبضها وامض مصاحبًا السلامة»

وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي في تاريخه قال: حدثني بعض التجار وقال : كنت في المعسكر ، واتفق أن ركب السلطان جلال الدولة يومًا إلى الصيد على عادته، فلقيه سوادي يبكي، فقال : ما لك ؟ فقال : لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي ، وهو بضاعتي، فقال : امض إلى المعسكر فهناك قبة حمراء، فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك، فلما عاد السلطان، قال لبعض شرائه: قد اشتهيت بطيخًا ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه، ففعل وأحضر البطيخ، فقال : عند من رأيتموه؟ فقيل : في خيمة فلان الحاجب، فقال : أحضروه، فقال له : من أين هذا البطيخ ؟ فقال : الغلمان جاؤوا به، ، فقال : أريدهم الساعة، فمضى وقد أحس بالشر، فهرب الغلمان خوفًا من أن يقتلوا وعاد فقال : قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم، فقال : أحضروا السوادي. فأحضر فقال له : هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال : نعم. قال : فخذه وهذا الحاجب مملوك لي ، وقد سلمته إليك ووهبته لك حتى يحضر الذين أخذوا منك البطيخ، ووالله لئن أخليته لأضربن رقبتك. فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه ، فاشترى الحاجب نفسه بثلاثمائة دينار، فعاد السوادي إلى السلطان وقال : يا أيها السلطان ، قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار . فقال: قد رضيت بذلك ؟ قال: نعم. قال : اقبضها وامض مصاحبًا السلامة.

٨٢٥ - «اذهب في دعة الله»

قال ابن الجوزي :

بلغني عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركي، وكان يقف عند روزنة ينظر إلى امرأة فيها، فقالت المرأة لزوجها: قد حرم عليّ هذا التركي أن أتطلع في الروزنة، فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد، فلا يشك الناس أن لي معه حديثًا، وما أدري كيف أصنع، فقال زوجها : اكتبي إليه رقعة وقولي فيها : لا معنى لوقوفك فتعال إليّ بعد العشاء، إذا غفل الناس في الظلمة، فإني خلف الباب، ثم قام وحفر حفرة طويلة خلف الباب ووقف له، فلما جاء التركي فتح له الباب، فدخل ، فدفعه الرجل فوقع في الحفرة وطموا عليه، وبقي أيامًا لا يدري ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له : ما لنا فيه خبر، فما زال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدار، فأخذه أخذًا عنيفًا في الظاهر، ثم قال له : هذه مائة دينار خذها وامتثل ما آمرك إذا رجعت إلى مسجدك فأذن الليلة واقعد في المسجد، فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب إنفاذي إليك، فأعلمني به، فقال : نعم. ففعل ذلك، فكان أول من دخل ذلك الشيخ، فقال له : قلبي إليك، ولأي شيء أراد منك عضد الدولة ؟ فقال : ما أراد مني شيئًا وما كان إلا الخبر، فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال، فبعث إلى الشيخ فأحضره، ثم قال له : ما فعل التركي ؟ فقال : أصدقك ، لي امرأة ستيرة مستحسنة كان يراصدها ويقف تحت روزنتها، فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه ، ففعلت به كذا وكذا، فقال : اذهب في دعة الله، فما سمع الناس ولا قلنا.

٨٢٦ - «اللصوص والحلوى السامة»

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من

الأكراد يقطعون الطريق، ويقيمون في جبال شاقة، فلا يقدر عليهم، فاستدعى أحد التجار ودفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت بالسم، وأكثر طيبها، وترك في الظروف الفاخرة وأعطاه دنانير، وأمره أن يسير مع القافلة، ويظهر أن هذه هدية لإحدى نساء أمراء الأطراف، ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة ، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم إلى الجبل، وبقي المسافرون عراة، فلما فتح الصندوقين وجد الحلوى يضوع طيبها، ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها، فدعا أصحابه، فرأوا ما لم يروه أبدًا قبل ذلك، فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم، واستدروا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة ، محت أثر العاتين وحصدت شوكة المفسدين.

٨٢٧ - «من ترك شيئًا لله...!»

قال القاضي أبو بكر بن عبد الباقي بن محمد البزار الأنصاري المتوفى سنة (٥٣٥ هـ) ببغداد:

كنت مجاورًا بمكة حرسها الله تعالى، فأصابني يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدت كيسًا من أبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمس مائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يُردُّ علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت : أنا محتاج، وأنا جائع، فأخذ هذا الذهب فانتفع به، وأردُّ عليه الكيس.

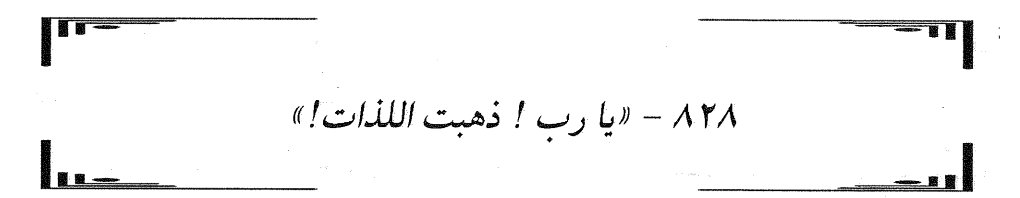
فقلت له : تعال إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إليّ خمس مائة دينار، فما أخذتها، وقلت : يجب عليّ أن أعيده إليك، ولا آخذ له

جزاءً، فقال لي : لابد أن تأخذ وألح عليّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه ، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني، فإني خرجتُ من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب ، فبقيت مدة في البحر لا أدري أين أذهب ؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علّمني القرآن، فحصل لي من أولئك شيء كثير من المال.

ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف ، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي : تحسن تكتب ؟ فقلت : نعم، فقالوا : علّمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلّمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك : عندنا صبية يتيمة، ولها شيء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لابد، وألزموني فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفّوها إليّ مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت : ما بكم؟ فقالوا : ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول : ما وجدت في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي رد عليّ هذا العقد. وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت فبقيت معها مدة، ورزقت منها بولدين. ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان، فحصل العقد لي، فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال.



٨٢٨ - «يا رب ! ذهبت اللذات!»

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يا رب ، ذهبت اللذات، وبقيت

التبعات، يا رب سبحانك، وعزتك إنك أرحم الراحمين، يا رب ، ما لك عقوبة إلا النار، فقالت صاحبة لها كانت معها: أُخيَّة، دخلت بيت ربك اليوم؟ فقالت : والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا؟.

٨٢٩ - «أبكتني ذنوبي»

كان رجل كثير البكاء، فقيل له في ذلك، فقال : أبكاني تذكري ما جنيت على نفسي حين لم أستح ممن شاهدني وهو يملك عقوبتي، فأخَّرني إلى يوم العقوبة الدائمة وأجلني إلى يوم الحسرة الباقية، والله لو خيرت أيما أحب إليك، تحاسَب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك : كن ترابًا ؟ لاخترت أن أكون ترابًا.

٨٣٠ - «رسالة لكل من غفل عن ذكر الله»

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبِّدين قد برز في الاجتهاد، فصلى حتى تورمت قدماه ، وبكى حتى مرضت عيناه، فاجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوج، فاشترى جارية وكانت تغني وهو لا يعلم، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلي، رفعت الجارية صوتها بالغناء، فطار لبه، فرام ما كان عليه من العبادة فلم يطق، فأقبلت الجارية عليه، فقالت : يا مولاي، لقد أبليتَ شبابك ورَفَضْت لذات الدنيا أيام حياتك، فلو تمتعت بي ، فمال إلى قولها واشتغل باللذات عما كان فيه من التعبد ، فبلغ ذلك أخًا له كان يوافقه على العبادة ، فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق، إلى مَن سُلب حلاوة الذِّكر، والتلذذ بالقرآن، والخشوع والأحزان، بلغني أنك اشتريت جارية بِعتَ بها من

الآخرة حظك، فإن كنت بعت الجزيل بالقليل والقرآن بالقيان، فإني محذرك هادم اللذات ومنغص الشهوات وموتم الأولاد ، فكأنه قد جاء على غرة فأبكم منك اللسان، وهدم منك الأركان، وقرّب منك الأكفان، واحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصيحة إذا جثت الأمم لهول ملك جبار، فاحذر يا أخي ما يحل بك من ملك غضبان.

ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه، فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغصّ بريقه وأذهله ذلك. فنهض مبادراً من مجلس سروره وكسر آنيته ، وتاب إلى الله.

٨٣١ - «والله ما يعني بهذا غيرنا»

عن ثابت البناني قال :

كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبان فيتعبد فيها. فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون. قال : فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً ، فجازوا النهار عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظهم قال: فمر بهم ذات يوم، فقال لهم هذه المقالة ، فقال شاب منهم : يا قوم، إنه والله ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتبع صلة، فلم يزل يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معه حتى ماتا، رحمهما الله.

٨٣٢ - «لا تدعُ عليه»

وحكي عن مالك بن دينار، قال : كان لي جار يتعاطى الفواحش، فأتى إليّ الجيران يشكون منه. فأحضرناه وقلنا له : إن الجيران يشكونك، فسبيلك أن تخرج من المحلة ، فقال : أنا في منزلي، لا أخرج قلنا : تبيع دارك، قال : لا أبيع ملكي، قلنا : نشكوك إلى السلطان، قال : أنا من أعوانه. قلنا : ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم.

قال : فلمـا أمسينا قمتُ وصليتُ ودعتُ علـيه، فهتف بي هاتف: لا تدعُ عليـه؛ فإنه من أولياء الله تعالى، فجئت إلى باب داره ودققت الباب، فخرج، فظن أني جئت لأخرجه من المحلة ، فتكلم كالمعتذر، فقلت : ماجئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال : إني تبت بعد ما كان هذا، ثم خرج من البلد، فلم أره بعد ذلك.

واتفق أني خرجت إلى الحج، فرأيت في المسجد الحرام حلقـة فتقدمتُ إليهم، فرأيته مطروحًا عليلاً، فلم ألبث أن قالوا: مات الشاب -رحمه الله-.

٨٣٣ - «مُنازل بن لاحق يتوب إلى الله»

عن يزيد بن محمد بن سنان عن أبيه عن جده قال : حدثني الحسن بن علي -رضي الله عنه- قـال: بينا أنا أطوف مع أبي حول البـيت في ليلة ظلماء، وقـد رقدت العـيون، وهدأت الأصوات، إذ سمع أبي هاتفًا بصوت حزين شجي، وهو يقول:

يا مَن يُجـيب دُعـا المضطر فـي الظلم ... يا كـاشف الضـر والبلوى مع السـقمِ

قـد نام وفـدك حـول البيت وانـتبهـوا ... وأنت عـــينُك يـا قــيـــوم لم تـنمِ

هب لي بجودك فضل العفو عن جُرمي ... يا من إلـيــه أشـار الخـلق في الحــرمِ

إنْ كـان عـفـوك لا يدركـه ذو سـرف ... فــمن يجـود عـلى العـاصـين بالكرمِ

قال : فقال أبي : يا بني، أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقبل لربه ؟ الحقه فلعل أن تأتيني به. فخرجت أسـعى حول البيت أطلبه، فلم أجده حتى انتـهيت إلى المقام، وإذا هو قـائم يصلي، فقلت : أجب ابن عم رسـول الله ﷺ ، فأوجـز في صلاته واتبـعني، فأتيت أبي ، فقلت : هذا الرجل يا أبت، فـقال له أبي : ممن الرجل ؟ قال : من العرب. قال : وما اسمك ؟ قال : منازل بن لاحق، قال : وما شأنك وما قصتك؟ قال: وما قصة من أسلمته ذنـوبه وأوبقته عيوبه فـهو مرتطم في بحر الخطايا. فـقال له أبي : عليّ ذلك، فاشرح لي خبرك.

قال: كنت شابًا على اللهو والطرب لا أفيق عنه، وكان لي والد يعظني كثيرًا ويقول: يا بني، احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب، فلما كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة، فأوجعته ضربًا، فحلف بالله مجتهدًا ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة، ويدعو عليّ، فخرج حتى انتهى إلى البيت، فتعلق بأستار الكعبة، وأنشأ يقول:

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا ... عرض المهامة من قربٍ ومن بُعدِ
إني أتيتك يا من لا يخيِّب من ... يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمدِ
هذا منازل لا يرتدُّ عن عققي ... فخذ بحقي يا رحمن من ولدي
وشل منه بحولٍ منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلدِ

قال: فوالله ما استتم كلامه حتى نزل بي ماترى، ثم كشف عن شقه الأيمن ، فإذا هو يابس، قال: فأبت ورجعت، ولم أزل أترضاه وأخضع له وأسأله العفو عني، إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا عليّ. قال: فحملته على ناقة عشراء[1] وخرجت أقفو أثره، حتى إذا صرنا بوادي الأراك طار طائر من شجرة، فنفرت الناقة، فرمت به بين أحجار، فرضخت رأسه، فمات، فدفنته هناك وأقبلت آيسًا، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعبير أني لا أعرف إلا بالمأخوذ بعقوق والديه. فقال له أبي : أبشر فقد أتاك الغوث، فصلى ركعتين، ثم أمره فكشف عن شقه بيده، ودعا له مرات يرددهن ، فعاد صحيحًا كما كان، وقال له أبي : لولا أنه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك . قال الحسن : وكان أبي يقول لنا : احذروا دعاء الوالدين؛ فإن في دعائهما النماء والانجبار والاستئصال والبوار.

٨٣٤ - «يا غافلاً والجليل يحرسه»

عن يوسف بن الحسين قال: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت

(١) حامل.

إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبَتْها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت، فقال ذو النون: إن هذه العقرب لشأنًا، فامض بنا، فجعلنا نقفوا أثرها، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصَعدت من ناحية سرّته إلى صدره وهي تطلب أذُنَه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها، فانقلبت وانفسخت. ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال : يا فتى، انظر مما نجاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك. ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليلُ يحرسه ... من كل سوء يدِبُّ في الظُّلمِ
كيف تنام العيون عن ملك ... تأتيه منه فوائدُ النِّعَمِ

فهنهض الشاب وقال : إلهي، هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك؟ ثم ولى، فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى البادية ، واللهِ لا عدت إلى المدن أبدًا.

٨٣٥ - «تاب الله عليك»

وروى أبو سعيد قال: حكى بعض الزهاد قال : قال لي أبو الحارث الأولاسي : تدري كيف كان بدء أمر توبتي؟ فقلت : لا ، فقال : كنت شابًا صبيحًا وضيئًا. فبينا أنا في غفلتي رأيت عليلاً مطروحًا على قارعة الطريق. فدنوت منه، فقلت : هل تشتهي شيئًا؟ قال: نعم، رمان، فجئته برمان. فلما وضعته بين يديه، رفع بصره إليّ ، وقال : تاب الله عليك. فما أمسيتُ حتى تغيّر قلبي عن كل ما كنت فيه من اللهو، ولزمني خوف الموت، فخرجتُ عن جميع ما أملك. وخرجت أريد الحج، فكنت أسير بالليل وأختفي بالنهار مخافة الفتنة. فبين أنا أسير بالليل إذا بقوم على الطريق يشربون، فلما رأوني ذهلوا، وأجلسوني ، وعرضوا عليّ الطعام والشراب. فقلت : أحتاج إلى البول، فأرسلوا معي غلامًا ليدلني على الخلاء. فلما تباعدتُ عنهم قلت للغلام : انصرف . فإني أستحي منك، فانصرف. ووقعتُ في غابة فإذا أنا بسبُع، فقلت : اللهم إنك تعلم ما تركتُ ومِن ماذا

خرجت، فاصرف عني شر هذا السبُع. فولى السبع ، ورجعتُ إلى الطريق فوصلت إلى مكة ، ولقيتُ بها من انتفعت بهم.

٨٣٦ - «بل عبد! بل عبد!»

وحكي أن بشرًا كان في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدقّ الباب. فخرجت إليه جارية. فقال : صاحب هذه الدار حر أو عبد ؟ فقالت : بل حر، فقال : صدقتِ، لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافيًا حاسرًا، وقد ولّى الرجل، فقال للجارية : ويحكِ ! من كلّمكِ على الباب ؟ فأخبرتْه بما جرى. فقال : أي ناحية أخذ الرجل ؟ فقالت : كذا، فتبعه بشر حتى لحقه، فقال له : يا سيدي، أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية ؟ قال : نعم. قال: أعد عليّ الكلام، فأعاده عليه. فمرّغ بشر خدَّيه على الأرض وقال : بل عبد، عبد ، ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عُرف بالحِفاء. فقيل له : لِمَ لا تلبس نعلاً؟ قال: لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ، فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات.

٨٣٧ - «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

عن بعض ولد القعنبي بالبصرة ، قال :

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث. فدعاهم يومًا. وقد قعد على الباب ينتظرهم، فمر شعبة على حماره، والناس خلفه يهرعون. فقال : من هذا ؟ قيل: شعبة. قال : وإيش شعبة ؟ قالوا: محدِّث.

فقام إليه وعليه إزار أحمر، فقال له : حدثني. فقال له : ما أنت من أصحاب الحديث فأحدِّثك. فأشهر سكينه، وقال : تحدّثني أو أجرحك؟ فقال له : حدثنا منصور

عن ربعي عن أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**[1] فرمى سكينه ورجع إلى منزله، فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه، وقال لأمه: الساعة أصحابي يجيئون، فأدخليهم وقدِّمي الطعام إليهم، فإذا أكلوا فخبّريهم بما صنعتُ بالشراب حتى ينصرفوا، ومضى من وقته إلى المدينة، فلزم مالك بن أنس، فأثر عنه. ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة، فما سمع منه غير هذا الحديث.

٨٣٨ - «لابد من التوبة»

عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر:

أن أبا عبد رب كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان في تجارة، فأمسى إلى جانب مرج ونهر فنزل به. قال أبو عبد رب : فسمعت صوتًا يكثر حمد الله في ناحية من المرج، فاتبعته. فوافيت رجلاً في حقير من الأرض ملفوفًا في حصير. فسلمت عليه، وقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من المسلمين. قال: قلت : ما حالك هذه؟ قال: حال نعمة يجب عليّ حمد الله فيها. قال : قلت : كيف وإنما أنت في حصير ؟ قال : وما لي لا أحمد الله أن خلقني فأحسن خلقي، وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني، وستر عليّ ما أكره ذِكره أو نَشره؟ ! فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه ؟ قال : قلت : رحمك الله ! إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل ، فإنا نزول على النهر. قال: ولمه؟ قلت: لتصيب من الطعام ولنعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير. قال: ما بي حاجة.

قال الوليد : فحسبت أنه قال : إن لي في أكل العشب كفاية عما قال أبو عبد رب، قال : فأردته على أن يتبعني، فأبى، قال : ما لي به من حاجة.

قال أبو عبد رب : فانصرفتُ وقد تقاصرتُ إليّ نفسي ومقتُّها أني لم أخلِّف بدمشق

---

(١) رواه البخاري.

رجلاً في الغنى يكاثرني وأنا ألتمس الزيادة فيه. وقلت : اللهم إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه. قال : فبتّ ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت به. فلما كان من السَّحَر رحلوا كنحو من رحيلهم فيما مضى، وقدّموا إليّ دابتي فركبتها وصرفتها إلى دمشق، وقلت : ما أنا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجري هذا، فسألني القوم فأخبرتهم، وعاتبوني على المضي فأبيت.

قال ابن جابر : فلما قدم تصدق بصامت ماله[1] وتجهز به في سبيل الله.

٨٣٩ - «أمن الجنة تفرون؟!»

وقال الواقدي : حدثنا عبد الله بن نافع، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح : يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار بن ياسر، هلمُّوا إليّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تذبذبُ وهو يقاتل أشد القتال.

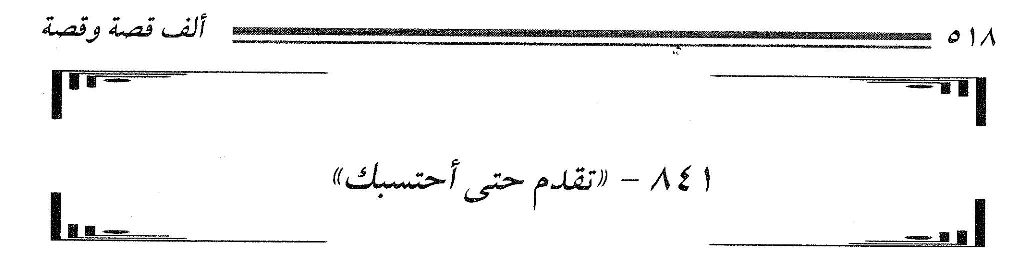
٨٤٠ - «شجاعة ابن أم مكتوم»

وعن ثابت البناني : عن ابن أبي ليلى أن ابن أم مكتوم قال: أي ربِّ، أنزل عذري. فأنزلت : ﴿غيرُ أولي الضرر﴾ [سورة النساء: ٩٥] .

فكان بعد يغزو ويقول: ادفعوا إليّ اللواء، فإني أعمى لا أستطيع أن أفِرَّ، وأقيموني بين الصفين.



(١) الصامت من المال والذهب والفضة.

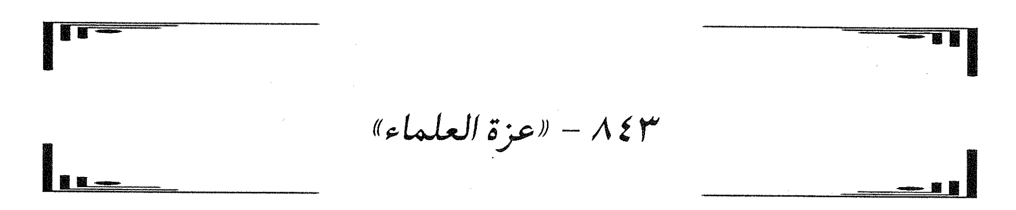


٨٤١ - «تقدم حتى أحتسبك»

وقال حماد بن سلمة: أخبرنا ثابت أن صِلَة كان في الغزو، ومعه ابنه، فقال: أي بُني، تقدَّم، فقاتِل حتى أحتسبك، فحمل، فقاتل، حتى قُتِل، ثم تقدم صلة، فقُتِل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحبًا إن كنتن جئتن لتهنِّئنني، وإن كُنْتُنَّ جِئتن لغير ذلك، فارجعن.

٨٤٢ - «لقد طلبت الموت من مظانه»

وروى عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل أظن قال: لما حضرت خالدًا الوفاة، قال: لقد طلبت القتل من مظانه فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتُّها وأنا متترس، والسماء تهلّني ننتظر الصبح حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا متُّ، فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله، فلما توفي، خرج عمر على جنازته، فذكر قوله: ما على آل الوليد أن يسفَحْن على خالد من دموعهن ما لم يكن نفعًا أو لقلقة.



٨٤٣ - «عزة العلماء»

وعن مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير، وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذا دق داق الباب. فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان. قال: قولي له يدخل وحده. فدخل فناوله

كتابًا فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته. وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها والسلام.

قال: يا صبية ، هلمّي الدواة. ثم قال لي : اقلب الكتاب واكتب:

أما بعد ، وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن كانت وقعت مسألة فأتِنا واسألنا عما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتِني إلا وحدك ، ولا تأتني بخيلك ورجِلك فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي والسلام.

فبينا أنا عنده دق الباب، فقال : يا صبية اخرجي فانظري من هذا ؟ فقالت : محمد بن سليمان. قال: قولي له ليدخل وحده. فدخل فسلّم ثم جلس بين يديه، فقال : ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأت رعبًا؟ فقال حماد: سمعت ثابتًا البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء**» . فقال : أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه ؟ قال: اردها على من ظلمته بها. قال: والله ما أعطيتك إلا ما ورثته. قال: لا حاجة لي فيها ازوها عني[1] زوى الله عنك أوزارك. قال: فتقسمها. قال: فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يُرزق منها. لم يعدل. ازوها عني زوى الله عنك أوزارك.

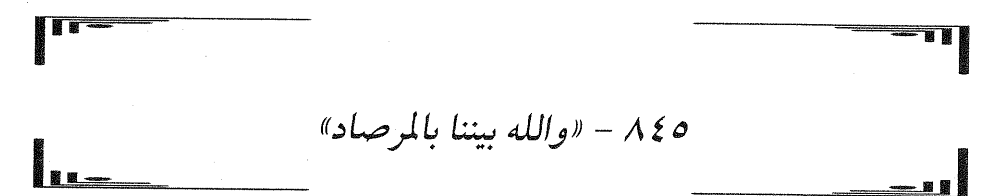
٨٤٤ - «هؤلاء تسأل عنهم كلهم»

وعن سعيد بن سليمان قال: كنت بمكة في زقاق الشطوي وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حج هارون الرشيد فقال له إنسان: يا أبا عبد الرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أخلى له المسعى. قال العمري للرجل : لا جزاك الله عني خيرًا، كلفتني أمرًا كنت عنه غنياً. ثم تعلق نعليه[2] وقام. فتبعته وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد

(١) **ازوها**: أبعدها واصرفها. (٢) يريد لبسهما.

الصفا فصاح به: يا هارون، فلما نظر إليه قال : لبيك يا عم قال: ارق الصفا. فلما رقيه، قال : ارم بطرفك إلى البيت. قال: قد فعلت . قال : كم هم؟ قال : ومن يحصيهم ؟ قال : فكم من الناس مثلهم ؟ قال : خلق لا يحصيهم إلا الله. قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون؟ قال: فبكى هارون وجلس وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع.

قال العُمري: وأخرى أقولها . قال: قل يا عم. قال: والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحَجر عليه. فكيف بمن يسرف في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي.



٨٤٥ - «والله بيننا بالمرصاد»

وقال الذهبي في ترجمته للإمام علي بن أبي الطيب : إنه حمل إلى السلطان محمود بن سبكتكين ليسمع وعظه فلما دخل جلس بلا إذن، وأخذ في رواية حديث بلا أمر، فتثمر له السلطان، وأمر غلامًا ، فلكمه لكمة أطرشته، فعرَّفه بعض الحاضرين منزلته في الدين والعلم، فاعتذر إليه، وأمر له بمال، فامتنع ، فقال : يا شيخ ،إن للملك صولة، وهو محتاج إلى السياسة، ورأيت أنك تعدَّيت الواجب، فاجعلني في حل، قال : الله بيننا بالمرصاد، وإنما أحضرتني للوعظ، وسماع أحاديث الرسول ﷺ ، وللخشوع لا لإقامة قوانين الرئاسة، فخجِل الملك، واعتنقه. ذكره ياقوت في تاريخ الأدباء، وقال : تُوفي في شوال سنة ثمان وخمسين وأربع مئة بسانْزُوار.

قال الذهبي : رُتبة محمود رفيعة في الجهاد وفتح الهند وأشياء مليحة، وله هنَاتٌ، هذه منها، وقد ندم واعتذر، فنعوذ بالله من كل متكبر جبار. وقد رأينا الجبارين المتمردين الذين أماتوا الجهاد، وطغوا في البلاد، فواحسرة على العباد.

وقال عبد الرحمن رُسْتة: سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله، أيترك الجماعة أيامًا؟ قال: لا، ولا صلاة واحدة، وحضرته صبيحة بُني على ابنته، فخرج فأذن ، ثم مشى إلى بابهما، فقال للجارية : قولي لهما : يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن : سبحان الله، أيُّ شيء هذا ؟ فقال: لا أبرح حتى يخرجا إلى الصلاة،

فخرجا بعدما صلَّى ، فبعث بهما إلى مسجد خارج من الدَّرب.

٨٤٦ - «شجاعة الإمام الأوزاعي»

وعن سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى حدثنا أبو خليد عُتبة بن حماد القارئ، حدثنا الأوزاعي، قال : بعث عبد الله بن علي إليّ، فاشتد ذلك عليّ، وقدِمت ، فدخلت، والناس سماطان، فقال : ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه ؟ قلت : أصلح الله الأمير، قد كان بيني وبين داود بن علي مودة قال : لتخبرني، فتفكرت ، ثم قلت: لأصْدُقنه ، واستبسلت للموت، ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث الأعمال، وبيده قصيب ينكت به، ثم قال : يا عبد الرحمن ، ما تقول في قتل أهل هذا البيت ؟ قلت : حدثني محمد بن مروان، عن مطرِّف بن الشخير، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : «**لا يحل قتلُ المسلم إلا في ثلاث** ....» وساق الحديث. فقال : أخبرني عن الخلافة، وصية لنا من رسول الله ﷺ ؟ فقلت : لو كانت وصية من رسول الله ﷺ ما ترى علي -رضي الله عنه- أحدًا يتقدمه، قال: فما تقول في أموال بني أمية ؟ قلت: إن كانت لهم حلالاً، فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حرامًا فهي عليك أحرم. فأمرني فأخرجت.

قال الذهبي : فقد كان عبد الله بن عليّ ملكًا جبارًا، سفاكًا للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى، لا كخَلق من علماء السوء، الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقّاً، -قاتلهم الله- أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق.

٨٤٧ - «وصية من ولد لأبيه»

وقال ابن الجوزي: دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال : يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة فأخلني، وعنده مسلمة بن عبد الملك، فقال عمر : أسِرٌّ دون

عمك؟ قال: نعم. فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه، فقال : يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك ، فقال : رأيتَ بدعة [لم] تُمتها أو سنة فلم تحيها؟ فقال له : يا بني ، أشيء حمّلك الرغبة إليّ أم رأي رأيته من قِبَل نفسك؟ قال: لا ، والله ولكن رأي رأيته من قِبَل نفسي، عرفت أنك مسئول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير. يا بني إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقًا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجة من دم، أوَ ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويُحيي فيه سنّة؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين.

٨٤٨ - «قد أبطلت دمها»

وعن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن عبد الله بن معقل قال: نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة كانت ترفقه، وتؤذيه في النبي ﷺ ، فتناولها فضربها، فقتلها، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ ، فقال هو : «أما والله ، إن كانت لترفُقني، ولكن آذتني في الله ورسوله» فقال النبي ﷺ : «**أبعدها الله، قد أبطلت دمها**».

٨٤٩ - «لا أحمل إثمهم»

وقال الذهبي في ترجمة الإمام قاضي مدينة بَرقة، محمد بن الحُبُلي : أتاه أمير برقة، فقال : غدًا العيد، قال: حتى نرى الهلال، ولا أفطر الناس، وأتقلد إثمهم، فقال : بهذا جاء كتاب المنصور -وكان هذا من رأي العبيدية يفطّرون بالحساب ، ولا يعتبرون رؤية- فلم يُر هلال، فأصبح الأمير بالطبول والبنود، وأهبة العيد، فقال القاضي : لا أخرج ولا أصلي، فأمر الأمير رجلاً خطب، وكتب بما جري إلى المنصور، فطلب القاضي إليه،

فأُحضِر، فقال له : تتصل ، وأعفو عنك، فامتنع فأمر ، فعُلّق في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطش، فلم يُسق، ثم صلبوه على خشبة، فلعنة الله على الظالمين.

٨٥٠ - «بل كتاب الله أولى»

وعن الحسن أن زيادًا بعث الحكم بن عمرو على خراسان، ففتح الله عز وجل عليهم وأصابوا أموالاً عظيمة فكتب إليه زياد : أما بعد، فإن أمير المؤمنين ، كتب إلي أن أصفي الصفراء والبيضاء، ولا تقسم بين الناس ذهبًا ولا فضة.

فكتب إليه : سلام عليك، أما بعد، إنك كتبت تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رتقًا على عبد فاتقى الله عز وجل لجعل الله له منهما فرجًا ومخرجًا والسلام عليك.

٨٥١ - «إن عبادة قد أفسد عليّ الشام»

عن يحيى بن سليم عن ابن خثَيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عنه أبيه : أن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة[1] وهو بالشام، تحمِل الخمر، فقال : ما هذه ؟ أزَيت؟ قيل: لا . بل خمر يباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها، فلم يذَر فيها راوية إلا بقرها -وأبو هريرة إذا ذاك بالشام- فأرسل فلان إلى أبي هريرة فقال : ألا تُمسك عنا أخاك عبادة، أما بالغدوات، فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشيّ، فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا.

قال : فأتاه أبو هريرة، فقال : يا عبادة ، ما لك ولمعاوية ؟ ذَرْه وما حُمِّل. فقال : لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا يأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة وكتب فلان إلى عثمان : إن عبادة قد أفسد عليّ

(١) أن تشد الإبل على نسق ، واحد خلف واحد.

الشام.

٨٥٢ - «التراب للمداحين»

وعن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن الوليد بن داود بن محمد بن عبادة بن الصامت عن ابن عمه عبادة بن الوليد، قال: كان عبادة بن الصامت مع معاوية، فأذَّن يومًا فقام خطيب يمدح معاوية، يُثني عليه، فقام عبادة بتراب في يده، فحشاه في فم الخطيب، فغضب معاوية، فقال له عبادة: إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله ﷺ بالعقبة، على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ومكسلنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في أفواههم التراب**».

٨٥٣ - «ابحث عما ينفعك»

عن المزني قال: قلت: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصِرْتُ إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون. أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجمًا في السماء؟ قلت: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفُوله، مم خلق؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرَّعها على أربعة أوجه، فلم أصِب في شيء منه، فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تَدَع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك

ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم* إن في خلق السموات والأرض**﴾ فاستدل بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك . قال: فتبت.

٨٥٤ - «اتركنا حتى نفهم مسألتك»

عن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته. فقال له : يرحمك الله، أما سمعت مسألتي ؟ قال : بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

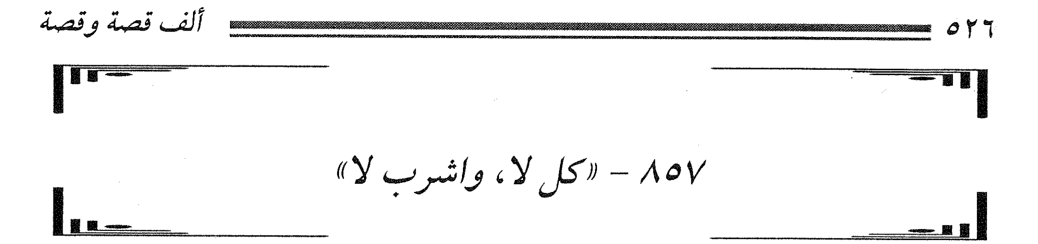
٨٥٥ - «ليس نطوي سراً»

عن يحيى المروزي قال: كنت آكل مع الرشيد يومًا، فرفع رأسه إلى خادم، فكلمه بالفارسية ، فقلت له : يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تسر إليه شيئًا فإني أفهم بالفارسية، فاستحسن الرشيد ذلك مني، وقال : ليس نطوي سراً.

٨٥٦ - «أنت لم تحسن القراءة»

قال مصعب بن عبد الله قال مالك بن أنس: صلى بعض الشطار خلف رجل، فلما قرأ ارتج عليه، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك مراراً، فقال الشاطر لمن خلفه : ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن تقرأ.



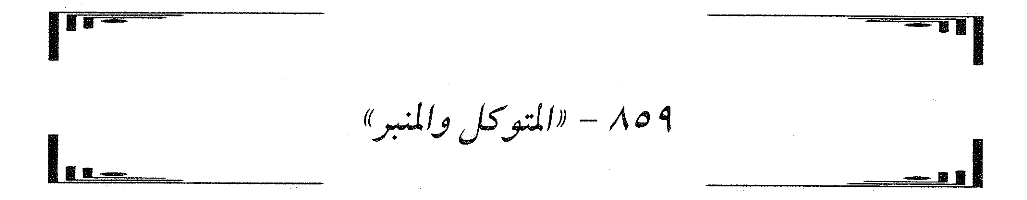


٨٥٧ - «كل لا، واشرب لا»

قال عيسى بن محمد الطوماري: سمعت أبا عمر محـمد بن يوسف القاضي يقول: اعتل أبي علة شـهورًا، فانتبـه ذات ليلة فدعا بي وبإخوتي وقـال لنا : رأيت في النوم كأن قائلاً يقـول: كُل لا، واشرب لا، فإنك تبـرأ، فلم ندر تفسـيره، وكان ببـاب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبـارة الرؤية، فجئنا به، فقص عليه المنام، فقال : ما أعـرف تفسيـره، ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن، فـأخلوني الليلة حتى أقـرأ رسمي وأتفكر، فلما كان من الغد جاءنا، فقال : مررت على هذه الآية : ﴿**لا شرقية ولا غربية**﴾ [سورة النور: ٣٥] فنظرت إلى «لا» وهـي تردد فيها. اسـقوه زيتًا وأطعـموه زيتًا، فـفعلنا وكانت سبب عافيته.

٨٥٨ - «لقد هممت أن أنبش عليه»

قال : مرض مولى لسـعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فلمـا أتاه قال له : ليس لي وارث غيرك، وههنا ثلاثون ألف درهم مدفونة، فإذا أنا مت فـخذها، فقال سعيد حين خـرج من عنده : ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده ، فتعاهده كل التعاهد ووكل به من يخدمه، فلما مات اشترى له كفنًا بثلاثمائة درهم وشهد جنازته، فلما رجع إلى البـيت حفر البيت كله، فلم يجد شيئًا، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن، فقال : لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه.



٨٥٩ - «المتوكل والمنبر»

قال المتوكل يومًـا لجلسائه: أتدرون ما الذي نقم المسلـمون من عثمـان ؟ قالوا: لا.

قال: أشياء منها أنه قام أبو بكر دون مقام الرسول بمرقاة، ثم ومقام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة، فصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد: ما أحد أعظم منه عليك يا أمير المؤمنين من عثمان. قال: وكيف ؟ ويلك . قال : لأنه صعد ذروة المنبر. فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر جلولاء، فضحك المتوكل ومن حوله.

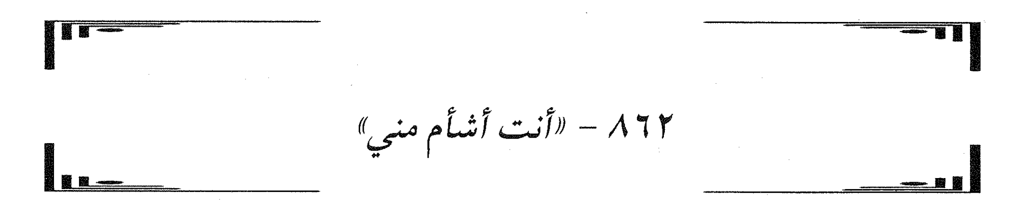
٨٦٠ - «ويلك وسوءة لك»

قال الربيع : كنت قائمًا على رأس المنصور إذ أُتي بخارجي قد هزم له جيوشًا، فأقامه ليضرب عنقه، ثم قال له : يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش، فقال له الخارجي : ويلك وسوءة لك، بيني وبينك أمس القتل والسيف، واليوم القذف والسب، وما كان يؤمنك أن أرد عليك، وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها أبدًا فاستحى المنصور وأطلقه.

٨٦١ - «أم هذا كانت في جُهد جَهيد»

قال الجاحظ : كنت مجتازًا ببعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكبًا على حمارة، فضرطت الحمارة .

فقالت إحداهما للأخرى: وي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها فاحتدت ثم قلت لها : إنه ما حملتني أنثى قط إلا وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت : كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.



٨٦٢ - «أنت أشأم مني»

لقي بعض الأكاسرة في موكبه رجلاً أعور، فحبسه، فلما نزل خلاه وقال : تطيرت

منك، قال: أنت أشـأم مني ؛ لأنك خرجت من منـزلك ولقيتني. فـما رأيت إلا خـيرًا، وخرجت من منزلي فلقيتك، فحبستني فلم يعد بعدها يتطير.

٨٦٣ - «غلبتني قبحك الله»

عن الأصمـعي قال: قـال الوليد بن عـبد الملك لبـديح: خذ بنا في المنى، فـوالله لأغلبنك.

قال: لا تغلبني، قال: بلى لأفـعلن، وقال: فستعلم. قـال الوليد: فإني أريد أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات.

قال: فإني أتمنى سبـعين كفلاً من العذاب، ويلعنني الله لعنًا كثيـرًا، فقال: غلبتني قبحك الله.

٨٦٤ - «أبشر سقطت عنك الجزية»

كان أبو الحسن المتيم الصوفي يسكن الرصافة، وكان مطبوعًا مضاحكًا، وكان يتولع برجل شاهد فيه غفلة يعرف بأبي عبد الله الكيا.

قال ابن المتيم: فلقيته يومًا فسلمت عليه وصحت به: اشهد علي.

فاجتمع الناس علينا، فقال: بم أشهد ؟ .

فقلـت: بأن الله إله واحد لا إله إلا هو، وأن مـحمـدًا عبده ورسـوله، وأن الجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

فقال: أبشر يا أبا الحسن، سقطت عنك الجـزية، وصرت أخًا من إخواننا، فضحك الناس، وانقلب الولع بي.

٨٦٥ - «لابد من الدفع»

شكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أمير المؤمنين، فقال لهم : أنتم تعتقدون أن هذا بقضاء الله، فكيف أدفع قضاء الله ؟ فقال له أحدهم : صاحب القضاء قال: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [البقرة : ٢٥١] فأفحم أمير المؤمنين.

٨٦٦ - «هذا رجل لُقن حجته»

عن رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمير قال : أخذ زياد رجلاً من الخوارج، فأفلت منه، فأخذ خاله، فقال : إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، قال : أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي، قال : نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى -عليهما السلام- ﴿أم لم يُنبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [سورة النجم: ٣٦ : ٣٨]. قال زياد : خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته.

٨٦٧ - «إنما أخذ على ما أحسن»

قال مالك بن سليمان : كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال، فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة ، فقال : لا أدري، فقالوا له : تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال : إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن، فأعجب الخليفة بجوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته.



٨٦٨ - «الأمر عندي على وجهين»

روى يعقوب الشحام قال : قال لي أبو الهذيل : بلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة، وقد قطع وغلب عامة متكلميهم، فقلت لعمي : امض إلى هذا اليهودي كلمه، فقال : يا بني، هذا قد غلب جماعة متكلمي البصرة، فقلت : لا بد، فأخذ بيدي، فدخلنا على اليهودي، فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى -عليه السلام-، ثم يجحد نبوة نبينا ﷺ ، فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى ، إلى أن نتفق على غيره فنقر به، فدخلت إليه، فقلت له : أسألك أو تسألني؟ فقال : يا بني، أو ما ترى ما أفعله بمشايخك؟ فقلت : دع عنك هذا، واختر، قال: بل أسألك، أخبرني أليس موسى نبيّاً من أنبياء الله قد صحت نبوته؟ وثبت دليله. تقر بهذا أو تجحده، فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين ، أحدهما: إني أقر بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد ﷺ وأمرنا باتباعه وبشّر بنبوته، فإن كان عن هذا تسألني، فأنا مقر بنبوته، وإن كان الذي سألتني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد ﷺ ولم يأمر باتباعه، ولا بشّر به، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته، وهو عندي شيطان مخزي، فتحير مما قلت له. فقال لي : فما تقول في التوراة؟ فقلت : أمر التوراة أيضًا عندي على وجهين: إن كانت التوراة التي أنزلت على موسى الذي أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ ، فهي التوراة الحق، وإن كانت الذي تدعيه، فباطل، وأنا غير مصدق بها، فقال : احتاج أن أقول لك شيئًا بيني وبينك، فظننت أنه يقول شيئًا من الخير، فتقدمت إليه فسارني، وقال: أمك كذا وكذا، وأم الذي علمك لا يكنى، وقد رأى أني أثب به، فيقول : وثبوا علي، فأقبلت على من كان في المجلس، فقلت : أعزكم الله. أليس قد أجبته ؟ قالوا: نعم، فقلت : أليس عليه أن يرد جوابي؟ فقالوا: نعم. فقلت: إنه لما سارني شتمني، بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني وأنه ظن أني أثب به، فيدعي أنا أثبناه، وقد عرفتكم شأنه، فأخذته الأيدي بالنعال، فخرج هاربًا من البصرة، وقد كان له بها دين كثير، فتركه وخرج هاربًا لما لحقه من الانقطاع.

٨٦٩ - «قد فعلت»

قال ابن الجوزي: وروينا أن معاوية قال لعبد الله بن عامر : إن لي عندك حاجة أتقضيها ؟ قال: نعم. قال: ولي إليك حاجة أتقضيها ؟ قال : نعم. قال : سل حاجتك. قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف. قال: فعلت . فسل حاجتك: قال: أن تردها عليّ قال: قد فعلت.

٨٧٠ - «انصرف راشدًا»

كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الإذن فيقول: إن كان فيكم أبو العباس الزجاج، وإلا انصرفوا، فحضروا مرة، ولم يكن الزجاج فيهم، فقال لهم ذلك، فانصرفوا ، وثبت رجل منهم، فقال عثمان للآذن: قل لأبي العباس انصرف القوم كلهم إلا عثمان، فإنه لا ينصرف، فعاد الآذن إليه وأخبره، فقال له : إن عثمان إذا كان نكرة انصرف، ونحن لا نعرفك ، فانصرف راشدًا.

٨٧١ - «هل سمعت كل العلم»

تكلم شاب يومًا عند الشعبي ، فقال الشعبي : ما سمعنا بهذا. فقال الشاب : كل العلم سمعت ؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا ، قال : فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.



٨٧٢ - «لا عدمت رجلاً عجل أباكِ إلى النار»

عن عبد الرحمن بن خبيب، عن أبيه، عن جده خبيب بن يسار، قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزوًا أنا ورجل من قومي ولم نسلم، فقلنا : إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهدًا لا نشهده معهم. قال : وأسلمتما؟ قلنا : لا. قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين. قال : فأسلمنا وشهدنا معه، فقتلت رجلاً وضربني ضربة ، فتزوجت ابنته بعد ذلك، فكانت تقول لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فأقول لها : لا عدمت رجلاً عجّل أباكِ إلى النار.

٨٧٣ - «عاقني عن ذلك أبوك»

عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأشهلي ، عن أبيه قال : كان حويطب بن عبد العزى قد بلغ مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب، فقال له مروان: ما نيتك؟ فأخبره فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث، قال : والله لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يغوقني عنه أبوك، وينهاني ويقول: تدع دين آبائك لدين محمد، فأسكت مروان وندم على ما كان.

٨٧٤ - «خذ معها هذه»

قال محمد بن زكريا : حضرت مجلسًا فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة التميمي ، وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي ، فقال لابن عائشة : ههنا آية نزلت في بني هاشم

خصوصًا، قال: وما هي ؟ قال قوله تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ [سورة الزخرف: ٤٤]، فقال ابن عائشة : قومه قريش، وهي لنا معكم : قال : بل هي لنا خصوصًا. قال: فخذ معها : ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ [سورة الأنعام : ٦٦] قال: فسكت جعفر ، فلم يجد جوابًا.

٨٧٥ - «ما يستحق من قتل سيده»

وثب رجلان على بعض الملوك ، في زمن الإسكندر، فقال الإسكندر: إن من قتل هذا عظيم الفعال، ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس، فلما بلغهما ذلك ظهرا، فقال الإسكندر: أنا مجازيكما بما تستحقان، فما يستحق من قتل سيده، ورافع قدره، فغدر به إلا القتل، وأما رفعكما على الناس؟ فإني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني.

٨٧٦ - «ليس المروزي ههنا»

عن إسحاق بن هانئ، قال: كنا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- في منزله ومعنا المروزي ، ومهنى بن يحيى الشامي، فدق داق الباب، وقال : المروزي ههنا؟ فكأن المروزي كره أن يعلم موضعه، فوضع مهنى بن يحيى إصبعه في راحته، وقال: ليس المروزي ههنا، فضحك أحمد، ولم ينكر عليه ذلك.

٨٧٧ - «ما أردت الخروج من بغداد»

قال ابن الجوزي: بلغني عن أبي بكر الخلال، قال أبو بكر المروزي: جاء مهنى بن

يحيى الشامي إلى أبي عبد الله ومعه أحاديث، فقال : يا أا عبد الله، معي هذه الأحاديث، وأريد أن أخرج، فحدثني بهـا، فقال : متى تريد أن تخرج؟ قال: الساعـة أخرج، فحدثه بها وخرج، فلما كان من الغد أو بعد ذلك جـاء إلى أبي عبد الله، فقال له أبو عبد الله : أليس قلت لي : أخرج الساعة ؟ قال : قلت لك : إني أخرج الساعة من بغداد إنما قلت : أخرج من زقاقك.

٨٧٨ - «ورطة تساوي وزنها ذهبًا»

دخل أحد السلف أحد المزارع وكان جائعًا متعبًا فشدته نفسه لأن يأكل وبدأت المعدة تقرقـر فأطلق عينيـه في الأشجار فـرأى تفاحة فـمد يده إليهـا ثم أكل نصفهـا بحفظ الله ورعايتـه، ثم شرب من ماء النـهر بجانب المزرعـة، لكن انتبه بعـد ذلك من غفلتـه بسبب الجوع، وقال لنفـسه : ويحك! كيف تأكل من ثمـار غيرك دون استئـذان وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعـة يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة، فـبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عن ما يريد. قال صاحبنا: دخلت بستانك الذي بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها ثم تذكرت أنها ليست لي وأريد منك أن تعـذرني في أكلها ، وأن تـسامـحني عن هذا الخطأ، فقـال الرجل : لا أسامحك ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد، قـال صاحبنا : وهو ثابت بن النعمان، : وما هو هذا الشرط ؟؟ قـال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتي. قال ثابت : أتزوجـها! قال الرجل : ولكن انتبه ، إن ابنتي عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، وصماء لا تسمع ، وبدأ ثابت بن النعمـان يفكر ويقدر -أنعم بهـا من ورطة- ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتـلاء بهذه المرأة وشأنهـا وتربيتها وخـدمتها خـير من أن يأكل الصديد في جهنم ، جـزاء ما أكله من التفاحـة وما الأيام وما الدنيا إلا أيامًا مـعدودات، فقبل الزواج على مـضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صـاحبنا كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع فاضطرب حالـه وتمنى أن لو تبتلعه الأرض قبل هذه الحادثة ، ولكنه توكل

على الله ، وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون. ودخل عليها يوم الزفاف، فإذا بهذه المرأة تقوم إليه، وتقول له : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة. قال بعد صمت: ما هذا ؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر فأخبرها بما قال عنها أبوها ، قالت : صدق أبي ، ولم يكذب، قال: اصدقيني الخبر، قالت : أبي قال عني : إنني خرساء ؛ لأنني لم أتكلم بكلمة حرام ، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي. وإنني صماء لأنني ما جلست في مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإنني عمياء لأنني لم أنظر إلى أي رجل لا يحل لي، فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقي وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما.

٨٧٩ - «ارتعاد المتقين»

ذكر أحد الإخوة عن إحد التجار في السعودية بداية رحلته مع التجارة حيث نقل عنه أنه كان يعمل في أحد ثغرات البلاد وكانت البضائع لابد أن تمر عليه حتى يوقع عليها فكان للمتلاعبين بالمرصاد ولكن علم أن رئيسه يأخذ الرشاوى ولقد بلغت برئيسه الوقاحة أن نصح صاحبنا بعدم التشدد وأخذ المال تسهيلاً للراشي. ولما سمع صاحبنا هذا الكلام ارتعدت فرائصه ، وأحس بالخوف فخرج من المكتب وهو يكاد يختنق من الحزن والأسى والتردد ومرت الأيام ، وكل يأتي إلى صاحبنا، فهذا يقول له : هذه هدية من مؤسستنا وهذا يقول: هذا المال إكرامية من شركتنا لمجهودك الطيب ، وهو يرد ذلك ويرفضه لكن إلى متى سيبقى على هذا الحال، وأحس بالخوف أن تضعف نفسه وأن يأخذ مالاً حرامًا، وأصبح بين أمرين، إما أن يتخلى عن منصبه وراتبه ، أو أن يتعدّ حدود الله ويأخذ الرشاوى، ولأن قلبه على الفطرة، ولأن قلبه يستشعر قول الله عز وجل : ﴿**وَمَن يتق الله يجعل له مخرجًا* ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [سورة الطلاق : ٢، ٣] . قدم استقالته.. يقول صاحبنا: ثم رزقني الله شاحنة صغيرة ، وبدأت بمتابعة النقل ثم رزقني الله شاحنة أخرى وبدأ بعض التجار يطلبوني لنقل بضائعهم لحرصي عليها ، وكأنها من مالي، ومن الحوادث التي مرت عليّ أن اصطدمت إحدى شاحناتي وتكسرت بسبب نوم السائق فلما اعتذر

عفوت عنه، فـاندهش رجل المرور من سماحتي وأصر على أن يتعـرف عليّ ، وبعد أعوام كبـر منصب رجل المرور وجاءت بضـاعة كبـيرة فمـا أراد هذا إلا أنا فاختـارني لحمل هذه البضاعة بنقلياتي دون مناقصة.

فانظر أخي القارى كـيف تفتحت له أبواب الرزق وهو الآن من أكبـر التجار وله من التبرع لوجوه الخير والإحسان إلى الفقراء النصيب الكبير وهكذا فلتُشكر النعم.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العُرف بين الله والناسِ

٨٨٠ - «جزاء عاجل»

يُحدّث أحد الشباب وهو من الذين ذهبوا للدراسة في أوروبا أن هناك رجلاً أسلم من الأوروبيين وحسن إسلامه وصـار حريصًا على تطبيق شعائر الإسـلام كلها حريصًا على أن يُظهر إسلامه ، ويعتز به أمـام الكفار دون خجل أو حياء أو تردد، حتى ولو لم يكن هناك مناسبـة فإنه يحرص على ذلك ، يقـول: فأعلن في إحدى المؤسـسات الكافرة عن فـرصة وظيفية فتـقدم لها هذا المسلم الفخور بإسلامه ، وكان لابد من المقابـلة الشخصية والتنافس قائم على هذه الوظيـفة فلما بدأت المقابـلة سألته اللجنة الخاصـة بالمؤسسة عدة أسـئلة كان منها: هل تشرب الخمر ؟ فأجاب قائلاً: لا أشرب الخمر؛ لأنني أسلمت، وديني يمنعني من معاقرة الخمر وشربها. قالت اللجنة : هل لك خليلات وصديقات؟ قال صاحبنا: لا ؛ لأن ديني الإسلام الذي انتسبت إليه يحرم عليّ ذلك ويقصر علاقتي على زوجتي، التي نكحتها بمقتضى شريعة الله عز وجل. وخـرج وهو شبه يائس من أن ينجح في هذه المسابقة ولكن النتيـجة أن جمـيع هؤلاء المتسابقين وكـان عددهم كـبيرًا فشـلوا ونجح هو وحده، في هذه المسابـقة ، فذهب إلى مـسئـول اللجنة ، وسأله قـائلاً : كنت أنتظر أن تحرمـوني من هذه الوظيفة عقـابًا لي على مخالفتي لكم في دينكم ، وعلى اعتناق الإسـلام، ولكني فوجئت بقبولي عـلى إخوانكم من النصارى، فمـا سر ذلك ؟! قال: إن المرشح لهذه الوظيـفة كان يشترط فيه أن يكون شخصًا منتبهًا في جميع الحالات حاضر الذهن والشخص الذي يتعاطى الخمـر لا يمكن أن يكون كذلك فكنا نتـرقب شخصًـا من الذين لا يشربون الخـمر، ونظرًا

لتوفر هذا فيك فلقد وقع الاختيار عليك في هذه الوظيفة، فما الذي منع هذا المسلم من أن يكذب أو يخفي أمره أو يتلاعب بالألفاظ، إنها التقوى فما كان من بركة الله للمتقين أمثاله إلا التيسير والرزق من حيث لا يحتسبون.

فما ضر ذا التقوى نصالُ أسنّة ... وما زال ذو التقوى أعز وأكرما

وما زالت التقوى تريك على الفتى ... إذا محض التقوى من العز ميسما

٨٨١ - «لا للشكوى من القدر»

ذكر أنه حدثت حادثة في عهد النبي ﷺ قيل: إنها سبب نزول قوله تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣].

وبدايتها أن رجلاً فقد ابنه حيث أسر فجزعت أمه جزعًا شديدًا مما أحزن الرجل، فانطلق مسرعًا إلى الرحيم بالمؤمنين اللين مع أصحابه الرفيق بهم ألا وهو رسول الله ﷺ.

جاء هذا الرجل واسمه عوف بن مالك - رضي الله عنه - إليه ﷺ، وقال: إن العدو أسروا ابني وجزعت الأم فبما تأمرني فصبره النبي ﷺ وقال له: «**استكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**». ففعل مع امرأته، وكان من الله الفرج بعد الشدة فقد غفل العدو عن ابن عوف بن مالك، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فجاء عوف مسرعًا إلى الحبيب ﷺ فرحًا، وقال: أيحل أن آكل مما أتى به ابني؟ فقال ﷺ: «**نعم**».

فبالتُّقى مخرجٌ من كل حادثة ... والحفظ من صولة الأعداء مع الظفر

٨٨٢ - «غنيمة برؤية إهانة»

ذكر أحد الإخوة أن بائع فواكه في مدينة الدمام حكى له قصته مع البيع والشراء، وكيف أنه كان يبيع البضاعة المغشوشة حتى لا يخسر ريالاً يمكن كسبه، ومن فعله أنه كان

يضع الفواكه الفاسدة في أسفل الصندوق ويخفيها ثم يضع فوقها فواكه جديدة فإذا جاء المشتري ورأى الثمار اليانعة أعلى الصندوق ، أخذه دون مساومة خاصة أن البائع يحلف يمينًا أن هذه البضاعة -على الشرط- . يقول هذا البائع:

وفي يوم من الأيام ، جاء رجل ليشتري صندوقًا من الطماطم، من جار له يغش مثلي أو أقل، قال الرجل له : كيف حال هذه البضاعة ؟ فقال البائع: نعم البضاعة ، أعلاها كأسفلها ، على الشرط فحملها المشتري ، فانقلب الصندوق فتساقط الطماطم وانكشف عوارها ، فما كان منه إلا أن أمسك جاري البائع وضربه ضربًا مبرحًا حتى صار لا يدري يمينه من شماله ، وذلك جزاءً لكذبه وغشه، كل ذلك حدث أمام عيني.

ثم يتابع قوله بأنه حاسب نفسه وكيف أنه سوف يهان أمام الخلق ليس بيد رجل وإنما بعذاب الله؛ لأنه يأكل من كسب حرام ويغش العوام، فعاهد نفسه على أن يتقي الله في بيعه. فكانت الإهانة بضرب جاره الغشاش غنيمة له بأن اعتبر ورجع إلى الله.

ويتابع البائع قوله : فأصبحت لا أبيع صندوق الثمار حتى أبعد عنه كل فاسد فبدأ الناس يقبلون على الشراء مني ويثقون بي، فأحسست بالبركة في رزقي ، ويعلم الله أنني كنت أيام الغش لا أجد ما يغطي المصاريف لهذا الدكان ، أما الآن فأحيانًا أوفر الألف والألفين، من الريالات شهريًا، فهل يعتبر أهل الدكاكين بذلك، إن كانت لجنة مراقبة الأسواق لم تر غشكم ، فإن الله الرقيب البصير العليم يراكم، ويعلم ما تسرون وما تعلنون، فهل من رجعة إلى الله ، وهل من توبة مما سبق؟.

والدهر يكبو بالفتى وتارة ينهضه من عثرة إذا كبا
لا تعجبن من هالك كيف هوى بل فاعجبن من سالم كيف نجا

٨٨٣ - «توبة عابد صنم وإسلامه»

وحكي عن عبد الواحد بن زيد، قال: كنت في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة ، وإذا فيها رجل يعبد صنمًا. فقلنا له : يا رجل، مَن تعبد؟ فأومأ إلى الصنم. فقلنا : إن

معنا في المركب من يسوَى مثل هذا، وليس هذا إله يعبد. قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الله. قال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه إلينا هذا الملك رسولاً كريمًا فأخبر بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أدّى الرسالة ثم قبضه الله. قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملك. فقال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا.

فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويبكي حتى ختمنا السورة، فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى، ثم أسلم، وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام وسورًا من القرآن، وكنا حين جنّنا الليل وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يا قوم، هذا الإله الذي دللتموني عليه، إذا جنّه الليل ينام؟ قلنا: لا، يا عبد الله، هو عظيم قيّوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام؟ فأعجبنا كلامه. فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام. فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها. فقال: لا إله إلا الله، دللتموني على طريق ما سلكتموها، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ولم يضيِّعني، يضيّعني وأنا أعرفه؟ ولما كان بعد أيام قيل لي: إنه في الموت. فأتيته، فقلت له: هل من حاجة؟ فقال: قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي.

٨٨٤ - «إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم»

كان بالكوفة فتى جميل الوجه، شديد التعبد والاجتهاد، وكان أحد الزهاد، فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به. فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها. واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك لذلك، مع وجدي بك، فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني

إلى منزلي. فقال للرسول : لا واحدة من هاتين الخصلتين ؛ ﴿**إني أخاف إن عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم**﴾ [سورة الزمر: ١٣] ، أخاف ناراً لا يخبو سعيرها ، ولا يخمد لهبها ، فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال، قالت : وأراه مع هذا زاهدًا يخاف الله تعالى؟ والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون[١] ثم تابت إلى الله عز وجل.

٨٨٥ - «كيف بكِ لو نزل ملك الموت بكِ؟!»

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خيثم لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده. فنظر إليها، فراعه أمرها. فأقبلت عليه وهي سافرة ، فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك فغيّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين[٢] ؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيّاً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جِذْع محترق.

٨٨٦ - «وأي شيء رأيت»

عن جعفر الصائغ :

كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكان أحمد لم يرد عليه ردًا تامًا وانقبض منه. فقال له : يا أبا عبد الله، لِمَ تنقبض مني؟ فإني قد انتقلت عما كنت تعهدني

---

(١) أي: أكثرهم يفعله.

(٢) **حبل الوتين**: الشريان الرئيسي الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

برؤيا رأيتهـا. قال: وأي شيء رأيت؟ قال: رأيت النبي ﷺ في النـوم، كأنه على علو من الأرض، وناس كثير أسفل جلوس، قال : فيـقوم رجل رجل منهم إليه، فيقول : ادع لي، فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري، قال: فأردت أن أقوم فاستحيت من قبيح ما كنت عليه. قال لي : يا فلان، لِمَ لا تقوم إليّ فتسألني أدعو لك ؟ قال: قلت : يا رسول الله، يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه، فقـال : إن كان يقطعك الحياء فقم فسلني أدع لك، فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي. قال: فقمت فـدعا لي ، فانتبهت وقد بغّض الله إليّ ما كنت عليه. قال: فقال لنا أبو عبد الله : يا جعفر، يا فلان، حدّثوا بهذا واحفظوه؛ فإنه ينفع.

٨٨٧ - «لا خير في لذة بعدها النار»

وقال عباس الدوري : كان بعض أصحابنا يقول: كان سفيان الثوري كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

تفـنى اللذاذة ممـن نال صـفـوتهـا ... من الحـرام ويبـقى الوزر والعـارُ

تبـقى عـواقب سوء في مـغبـتـهـا ... لا خـيـر في لذة بعـدها النـارُ

٨٨٨ - « ما لك؟ »

وقال محـمـد بن إسحاق : نزل السـريُّ بن دينار في درب بمصر وكانت فـيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها ، فعلمت به المرأة فقالت : لأفتننه، فلما دخلت من باب الدار تكشفت وأظهرت نفسها، فقـال: ما لك ؟ فقالت: هل لك في فراش وطي وعيش رخي؟ فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي مـعـاص نـال منهـن لذةً ... ومـات فـخـلاها وذاق الدواهـيـا

تصـرّمُ لذات المعـاصي وتنقـضي ... وتبـقى تباعـات المعـاصي كـمـا هيـا

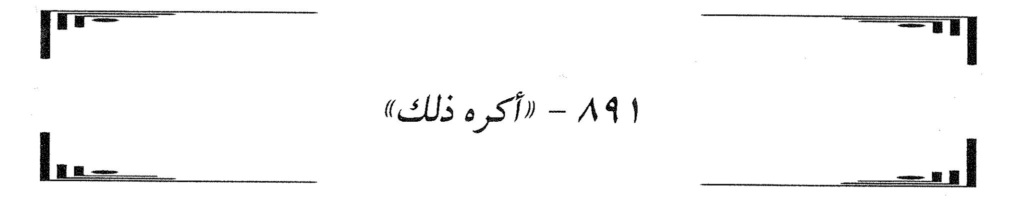
فيا سوءتا والله راء وسامع لعبد بعين الله يغشى المعاصيا

٨٨٩ - «أسامة بن زيد وبره بأمه»

عن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة من عهد عثمان بن عفان ألف درهم. قال: فعمد أسامة إلى نخلة فعقرها فأخرج جُمّارها[1] فأطعمه أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا، وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتنيه ولا تسألني شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها.

٨٩٠ - «لا أغرر بها»

وقال حميد بن هلال: أتت الحرورية مُطرّف بن عبد الله يدعونه إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفسان بايعتكم بإحداهما، وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هُدى أتبعتها الأخرى، وإن كان ضلالة هلكتْ نفس وبقيت لي نفس، ولكن هي نفس واحدة لا أغرر بها.



٨٩١ - «أكره ذلك»

عن عبد الرحمن بن يزيد، قلنا لعلقمة: لو صليت في المسجد وجلسنا معك فتُسأل، قال: أكره أن يقال: هذا علقمة، قالوا: لو دخلت على الأمراء، قال: أخاف أن ينقصوا مني أكثر مما أنتقص منهم.

---

(١) **جُمّار النخلة**: قبها وشحمتها التي في قمة رأس النخلة، وهي بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة، تؤكل بالعسل.

٨٩٢ - «عزة صفوان بن سليم»

وروى كثير بن يحيى، عن أبيه، قال : قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وعمر بن عبد العزيز عامل عليها، قال: فصلى بالناس بالظهر، ثم فتح باب المقصورة، واستند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم، فقال لعمر : من هذا ؟ ما رأيت أحسن سمتًا منه. قال : صفوان، قال : يا غلام كيس فيه خمس مائة دينار، فأتاه به، فقال لخادمه: اذهب بها إلى ذلك القائم، فأتى حتى جلس إلى صفوان وهو يصلي، ثم سلم، فأقبل عليه، فقال: ما حاجتك؟ قال : يقول أمير المؤمنين: استعن بهذه على زمانك وعيالك، فقال صفوان: لستُ الذي أرسلت إليه، قال: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى. قال: فإليك أرسلت، قال: اذهب فاستثبت، فولّى الغلام، وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم يُر بها حتى خرج سليمان من المدينة.

٨٩٣ - «قبلت جوائزهم؟»

وقال ابن شوذب : قسم أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع: قبلت جوائزهم؟ قال: سل جلسائي. قالوا: يا أبا بكر ، اشترى بها رقيقًا فأعتقهم. قال: أنشدك الله، أقلبك الساعة على ما كان عليه؟ قال : اللهم لا، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

٨٩٤ - «اللهم قني الفتنة»

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : لما طعنوا على عثمان، صلّى أبي في الليل، ودعا، فقال : اللهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك، فما أخرج ولا أصبح

إلا بجنازته.

٨٩٥ - «الخوف من الولاية»

عن ابن عمر قال: بعث إليّ عليّ، فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسِر فقد أمّرتك عليهم. فقلت: أذكِّرك الله، وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبتي إياه، إلا ما أعفيتني، فأبى عليّ، فاستعنت عليه بحفصة، فأبى. فخرجتُ ليلاً إلى مكة، فقيل له: إنه قد خرج إلى الشام. فبعث في أثري. فجعل الرجل يأتي المربد، فيخطم بعيره بعمامته ليدركني، قال: فأرسلت حفصة: إنه لم يخرج إلى الشام، إنما خرج إلى مكة فسكن.

٨٩٦ - «أطعموه وخوفوه»

وعن سلام بن مسكين: سمعت الحسن يُحدِّث قال: لما قُتِل عثمان، قالوا لابن عمر: إنك سيد الناس، وابن سيدهم، فاخرج يبايع لك الناس. فقال: لئن استطعت لا يُهراق فيّ محجمة. قالوا: لتخرجن أو لتُقتلن على فراشك. فأعاد قوله. قال الحسن: أطعموه وخوفوه، فما قدروا على شيء منه.

٨٩٧ - «نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم»

وعن عمرو بن مرة: عن الشعبي، قال: كان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن عليّ وعن مشاهده، فيقول: أرأيتم، لو أنه حين صُفّ بعضكم لبعض فنزل بينكم ملك فقال: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيمًا**﴾ [سورة النساء: ٢٩] أكان ذلك حاجزًا لكم؟

قالوا: نعم. قال: فوالله لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم، وإنها لُمحكمة ما نسخها شيء.

٨٩٨ - «أرجو أن يكون ختم له بخير»

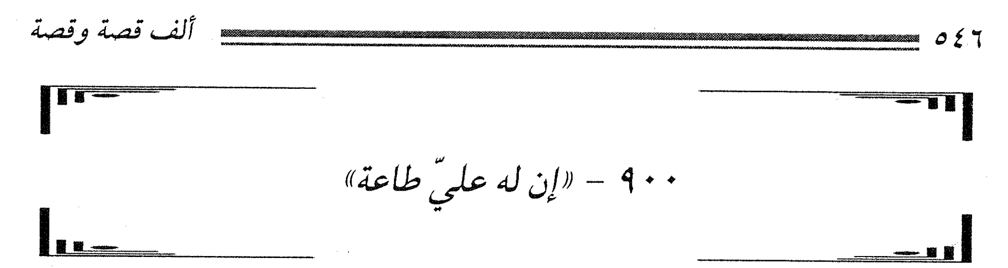
وقال حنبل: قال أبو عبد الله: ما رأيت أحدًا على حداثة سنه، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير. قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي. أنت رجل يُقتدى بك. قد مدّ الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا. فمات، وصليتُ عليه، ودفنته، أظن قال: بعانة[1].

٨٩٩ - «اجتنب الفتن»

عن حسين بن خارجة الأشجعي قال: لما قتل عثمان أشكلت عليّ الفتنة، فقلت: اللهم أرني من الحق أمرًا أتمسك به، فرأيت في النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط، فهبطت الحائط، فإذا بنفر، فقالوا: نحن الملائكة، قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: اصعد الدرجات، فصعدتُ درجة ثم أخرى، فإذا محمد وإبراهيم، صلى الله عليهما، وإذا محمد يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي، قال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم أهراقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد؟ قال: قلت: لقد رأيت رؤيا، فأتيت سعدًا، فقصصتها عليه، فما أكثر بها فرحًا، وقال: قد خاب من لم يكن إبراهيم -عليه السلام- خليله، قلت: مع أي الطائفتين أنت؟ قال: ما أنا مع واحد منهما، قلت: فما تأمرني؟ قال: هل لك من غنم؟ قلت: لا، قال: فاشتر غنمًا، فكن فيها حتى تنجلي.

---

(١) **عانة:** بلد مشهور بين الرقة وهديت، مشرفة على الفرات وبها قلعة حصينة.



٩٠٠ - «إن له عليّ طاعة»

وقـال أبو معـاوية عن الأعمش ، عن زيد بن وهب قـال: لما بعث عثـمان إلى ابن مسعود يأمره بالمجيء إلى المدينة، اجتمع إليه الناس، فقالوا: أقم فلا تخرج، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه. فقال : إن له علي طاعة، وإنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها، فرد الناس وخرج إليه.

٩٠١ - «هذه هي الذرية الصالحة»

وعن الهـيثم بن خلف الدوري أن مـحمد بـن سويد الطحان حـدثه قال : كنا عند عـاصم بن علي ومعنـا أبو عبـيد، وإبراهيـم بن أبي الليث وجمـاعـة، وأحمـد بن حنبل يُضرَب، فجعل عاصم يقول : ألا رجل يقوم معي، فنأتي هذا الرجل ، فنكلّمه؟ قال: فما يُجيبه أحد، ثم قال ابن أبي الليث : أنا أقوم معك يا أبا الحسين، فقال : يا غلام، خُفي. فـقال ابن أبي الليث : يـا أبا الحسين أبلغُ إلى بنـاتي، فأوصـيهم، فظـننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط، ثم جاء، فـقال : إني ذهبت إليهن، فبكين، قال : وجاء كـتاب ابنتي عاصم من واسط: يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه على أن يقول : القرآن مخلوق، فاتق الله، ولا تُجِبْهُ فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت.

٩٠٢ - «إن لم يقتلك فإنك ميت»

وعن أبي جعفر الألباني قال : لما حُمِل أحمد إلى المأمون، أُخبرت، فعبَرْت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمتُ عليه ، فقال : يا أبا جعفر ، تعنَّيْت. فقلت : يا هذا ،

أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيبن خلق، وإن أنت لم تُجِب، ليمتنعن خلق من الناس كثير. ومع هذا، فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لابد من الموت، فاتق الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله. ثم قال : يا أبا جعفر ، أعِد عليّ فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله.

٩٠٣ - «أيكم أحمد بن حنبل؟!»

وقال صالح بن أحمد : حُمِل أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيَّدَيْن، فصِرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي : يا أبا عبد الله، إن عُرِضت على السيف، تجيب؟ قال: لا . ثم سُيِّرا، فسمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة[1] ورحلنا منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل، فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هذا، فقال للجمال: على رِسْلك، ثم قال : يا هذا، ما عليك أن تُقتل ها هنا، وتدخل الجنة؟ ثم قال : أستودعك الله، ومضى. فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعَر في البادية ، يقال له : جابر بن عامر يُذكَر بخير.

٩٠٤ - «احذروا صاحب الكساء»

وقال صفوان بن صالح ، حدثنا عبد الله بن كثير الدمشقي القاري حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال : كنا مع رجاء بن حَيْوَة، فتذاكرنا شكر النِّعَم، فقال : ما أحد يقوم بشكر نعمة -وخلفنا رجل على رأسه كساء- فقال : ولا أمير المؤمنين؟ فقلنا : وما ذِكْرُ أمير المؤمنين هنا؟! وإنما هو رجل من الناس. قال: فغفلنا عنه، فالتفت رجاء فلم يره، فقال : أتيتم من صاحب الكساء، فإن دعيتم فاستُحلِفتُم فاحلفوا، قال: فما علمنا إلا

---

(١) هي رحبة مالك بن طوق تقع بين بغداد والرقة.

بحَرَسي قد أقبل عليه، قال: هيه يا رجاء، يُذْكَر أمير المؤمنين، فلا تحتج له ؟ قال : فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال: ذكرتم شكر النعم، فقلتم : ما أحد يقوم بشكر نعمة، قيل لكم : ولا أمير المؤمنين، فقلت : أمير المؤمنين رجل من الناس، فقلت : لم يكن ذلك، قال : آلله؟ قلت : آلله . قال : فأمر بذلك الرجل الساعي، فضُرب سبعين سوطًا، فخرجت وهو متلوِّث بدمه فقال : ها وأنت رجاء بن حَيْوَة؟ قلت: سبعين سوطًا في ظهرك خير من دم مؤمن. قال ابن جابر: فكان رجاء بن حيوة بعد ذلك إذا جلس في مجلس يقول ويتلفت : احذروا صاحب الكساء.

٩٠٥ - «وفي السماء رزقكم وما توعدون»

وقال حنبل : حضرت أبا عبد الله وابن معين عند عفان بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم للمحنة، وكان أول من امتحن من الناس عفان ، فسأله يحيى من الغد بعد ما امتُحن، وأبو عبد الله حاضر ونحن معه، فقال : أخبرنا بما قال لك إسحاق ؟ قال: يا أبا زكريا لم اسَوِّد وجهك ولا وجوه أصحابك، إني لم أجب، فقال له : فكيف كان ؟ قال: دعاني ، وقرأ عليّ الكتاب الذي كتب به المأمون من الجزيرة، فإذا فيه : امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبت به إليك فاقطع عنه الذي يجرى عليه -وكان المأمون يجري على عفان كل شهر خمس مائة درهم- .

فلما قرأ عليّ الكتاب قال لي إسحاق : ما تقول ؟ فقرأت عليه : ﴿**قل هو الله أحد**﴾ حتى ختمتها، فقلت : أمخلوق هذا ؟ .

فقال : يا شيخ، إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك.

فقلت : ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾ [سورة الذاريات: ٢٢] فسكت عني، وانصرفت ، فسُر بذلك أبو عبد الله ويحيى.

٩٠٦ - «كرم عامر بن عبد الله التميمي»

وروى بلال بن سعد عمن رأى عامر بن عبد الله التميمي بأرض الروم وله بغلة يركبها عقبة[١] ويحمل المهاجرين عقبة، قال بلال: كان إذا فصل غازيًا يتوشم من يرافقه، فإذا رأى رفقة تعجبه اشترط عليهم أن يخدمهم، وأن يؤذن، وأن ينفق عليهم طاقته.

٩٠٧ - «إن العلم كثير»

وقال الليث بن سعد وغيره: كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إليّ بالعلم كله. فكتب إليه : إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم ، فافعل.

٩٠٨ - «عياض بن غنم والولاية»

وعن موسى بن عقبة قال : لما ولي عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته فلقيهم بالبشر وأنزلهم، وأكرمهم، فأقاموا أيامًا ثم كلموه في الصلة وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة فردوها وتسخطوا ونالوا منه. فقال : أي بني ، عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم، ولا بُعد شقتكم، ولكن والله ما حصلت إلى ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وببيع ما لا غنى بي عنه فاعذروني، قالوا: والله ما عذرك الله، فإنك والي نصف الشام، وتعطي الرجل منا ما

(١) عقبة: نوبة أو مرة .

جهده أن يبلغه إلى أهله ؟ قال: فتأمرونني أسرق مال الله ؟ فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلي من أن أخون فلسًا أو أتعدى. قالوا: قد عذرناك في ذات يدك، فولنا أعمالاً نؤدي ما يؤدي الناس إليك ونصيب من المنفعة ما يصيبون، وأنت تعرف حالنا وإنا ليس نعدو ما جعلت لنا. قال : والله إني لأعرفكم بالفضل والخير ، ولكن يبلغ عمر أني وليت نفرًا من قومي فيلومني. قالوا: فقد ولاك أبو عبيدة وأنت منه في القرابة بحيث أنت فأنفذ ذلك عمر، فلو وليتنا لأنفذه قال: إني لست عند عمر كأبي عبيدة . فمضوا لائمين له.

٩٠٩ - «تواضع عمر بن الخطاب»

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال ابن عمر : يا أبا خالد[1] إني أرى أمير المؤمنين يلزمك لزومًا لا يلزمه أحدًا من أصحابك، لا يخرج سفرًا إلا وأنت معه، فأخبرني عنه . قال : لم يكن أولى القوم بالظل، وكان يُرحِّل رواحلنا، ويرحل رحله وحده، ولقد فرغنا ذات ليلة وقد رحّل رحالنا، وهو يُرحّل رحله ويرتجز:

لا يأخذ الليل عليك بالهم والبَسَنْ له القميص واعتمْ
وكن شريك نافع وأسلم واخدم الأقوام حتى تُخدمْ

٩١٠ - «كرم أبي محمد المروزي»

وعن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة، وكنت أحب أن أصحبه، فأتيته واستأذنته في الصحبة فلم يأذن لي في تلك السنة. ثم قدم سنة ثانية وثالثة فأتيته فسلمت عليه، وسألته فقال : اعزم على شرط، يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر. فقلت : أنت الأمير، فقال : لا ، بل أنت. فقلت : أنت أسن

(١) أبو خالد هو أسلم مولى عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-.

وأولى. فقال : فلا تعصني. فقلت : نعم. فخرجت معه وكان إذا حضر الطعام يؤثرني فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط عليك أن لا تخالفني ؟ فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته لما يُلحق نفسه من الضرر. فأصابنا في بعض الأيام مطر شديد ونحن نسير فقال لي: يا أبا أحمد اطلب الميل[1] ثم قال لي: اقعد في أصله فأقعدني في أصله وجعل يديه على الميل وهو قائم قد حنا عليّ، وعليه كساء قد تجلل به يظلني من المطر حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة -رحمة الله عليه-.

٩١١ - «قد أطلقك الله»

وذكر عبد الرحمن بن أحمد، عن أبيه : أن امرأة جاءت إلى بقي، فقالت : إن ابني في الأسر، ولا حيلة لي، فلو أشرت إلى من يفديه، فإنني والهة، قال : نعم، انصرفي حتى أنظر في أمره ثم أطرق، وحرك شفتيه، ثم بعد مدة جاءت المرأة بابنها ، فقال : كنت في يد ملك ، فبينا أنا في العمل، سقط قيدي، قال : فذكر اليوم والساعة، فوافق وقت دعاء الشيخ. قال : فصاح على المُرَسَّم بنا، ثم نظر وتحير، ثم أحضر الحداد وقيدني، فلما فرغه ومشيت سقط القيد، فبُهتوا، ودعوا رهبانهم، فقالوا: ألك والدة؟ قلت: نعم قالوا: فوافق دعاءها الإجابة. هذه الواقعة حدث بها الحافظ حمزة السهمي ، عن أبي الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك، قال: سمعت عبد الرحمن بن أحمد، حدثنا أبي. . . فذكرها، وفيها : ثم قالوا: قد أطلقك الله، فلا يمكننا أن نقيِّدك . فزودوني وبعثوا بي.

٩١٢ - «كرم عبد الله بن المبارك»

كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوته من أهل مرو، فيقولون:

(١) **اطلب الميل**: اذهب إلى أقرب ميل. والميل هو : حجر قائم يبنى للمسافر ، ولا سيما في طريق مكة؛ للاهتداء به وإدراك المسافة ، وبين كل ميل وآخر مقدار مدى البصر.

نصحبك ، فيقول : هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فيقول لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرَفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضَوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق ، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته، عليها اسمه.

٩١٣ - «عبيد بن عمير والمرأة الجميلة»

وذكر أبو الفرج وغيره أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال: نعم. قالت: مَن؟ قال: عبيد بن عمير، قالت : فائذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لكِ.

قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها : يا أمة الله ، استتري، فقالت : إني قد فتنت بك، قال: إني سائلك عن شيء ، فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك، قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا ، قال : صدقت.

قال: فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة ، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان

يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو أردت المر على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: اتقي الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك، قال: فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي ولعبيد بن عمير، أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة.

٩١٤ - «سفيان الثوري والمهدي»

عن عطاء بن مسلم قال: لما استُخلف المهدي، بعث إلى سفيان، فلما دخل عليه، خلع خاتمه، فرمى به إليه، وقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده، وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ -قلت لعطاء- قال له: يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم- قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم. قال: لا تبعث إليّ حتى آتيك. ولا تعطني حتى أسألك. قال: فغضب. وهَمَّ به. فقال له كاتبه: أليس قد أمنته؟ قال: بلى، فلما خرج حف به أصحابه، فقالوا: ما منعك، وقد أمرك، أن تعمل في الأمة بالكتاب والسنة، فاستصغر عقولهم، وخرج هاربًا إلى البصرة.



٩١٥ - «ورع ابن المبارك»

وقال الحسن بن الربيع : لما احتُضر ابن المبارك في السفر قال: أشتهي سويقًا، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا في السفينة ، فذكرنا ذلك لعبد الله، فقال : دعوه، فمات ولم يشربه.

٩١٦ - «من آداب حملة العلم»

وعن أحمد بن جميل المروزي قال: قيل لعبد الله بن المبارك : إن إسماعيل بن علية قد ولي الصدقات. فكتب إليه ابن المبارك:

يا جاعل العلم له بازيًا[1] ... يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدِّين
فصِرْتَ مجنونًا بها بعدما ... كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها ... عن ابن عون وابن سيرينِ؟
أين رواياتك والقول في ... لزوم أبواب السلاطينِ؟
إن قلت أُكرهتُ فماذا كذا ... زلّ حمار العلم في الطينِ

فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى.

***

(١) البازي: نوع من أنواع الصقور.

٩١٧ - «تلك الأصبع أحب إلي من مائة ألف سيف»

وقال الأصمعي : لما صاف قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، فقيل : هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يُبصبص بأصبعه نحو السماء، قال : تلك الأصبع أحبُّ إليّ من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير(١) .

٩١٨ - «لما تشكو الحاجة؟»

وقال غسان بن المفضل الغلابي، حدثني بعض أصحابنا قال: جاء رجل إلى يونس ابن عبيد فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه واغتمامًا بذلك، فقال : أيسرك ببصرك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبسمعك؟ قال: لا. قال: فبلسانك؟ قال: لا. قال : فبعقلك؟ قال: لا. في خلال. وذكره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة.

٩١٩ - «كيف تجد قلبك؟!»

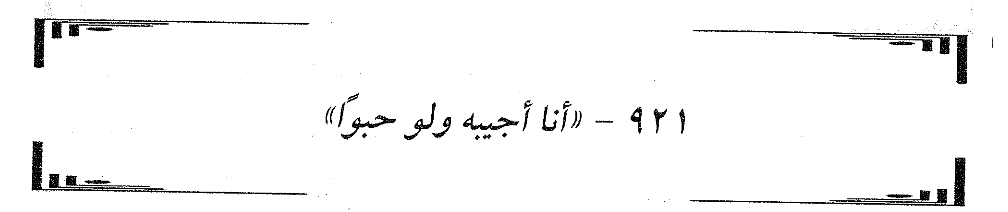
روى عبد الكريم الجزري : عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمارًا ، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ ، قال :«**ما وراءك؟**» قال: شر يا رسول الله، والله ما تُرِكتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير. قال: «**فكيف تجد قلبَك؟**» قال: مطمئن بالإيمان. قال : «**فإن عادوا فعُد**».

---

(١) **غلام طرير**: حديث البلوغ. -وأراد بذلك الشاب القوي-.

٩٢٠ - «أخشى أن تكونوا غدًا مطلوبين»

وقال الأصمعي: عن معتمر بن حيان، عن هشام بن عقبة أخي ذي الرُّمَّة، قال: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دم، فتكلم فيه، وقال : احتكموا . قالوا: نحتكم ديتين. قال: ذاك لكم. فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم، فاسمعوا، إن الله قضى بدية واحدة، وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة، وأنتم اليوم تطالبون ، وأخشى أن تكونوا غدًا مطلوبين، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم، قالوا: ردها إلى دية.



٩٢١ - «أنا أجيبه ولو حبوًا»

ومن ترجمة أبي عقيل عبد الرحمن بن ثعلبة -وهو بدري شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ - . روى ابن الجوزي عن جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال :

لما كان يوم اليمامة ، واصطف الناس كان أول من جُرح أو عقيل، رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم ووهن له شقه الأيسر في أول النهار وجُر إلى الرحل، فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدي يصيح : يا للأنصار، الله الله والكرة على عدوكم. قال عبد الله بن عمر : فنهض أبو عقيل يريد قومه ، فقلت : ما تريد ؟ ما فيك قتال. قال: قد نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر : فقلت له : إنما يقول: يا للأنصار، ولا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ، ولو حبوًا ، قال ابن عمر : فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي : يا للأنصار ! كرة كيوم حنين فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم، قال ابن عمر : فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده

المجروحة من المنكب فوقعت إلى الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا كلها قد خلصت إلى مقتل وقُتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر : فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت : يا أبا عقيل، قال: لبيك -بلسان ملتاث[1] - لمن الدبرة[2] ؟ قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله. ومات يرحمه الله.

قال ابن عمر : فأخبرت عمر، بعد أن قدمت، خبره كله. فقال : رحمه الله، ما زال يسعى للشهادة ويطلبها، وإن كان -ما علمت- من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلامهم -رضي الله عنه-.

٩١٢ - «لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله»

وعن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه، قال : بعثني النبي ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي : «**إن رأيته فأقره مني السلام، وقل له : يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟** » فطفت بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ، فأخبرته، فقال : على رسول الله السلام وعليك، قل له : يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله ، إن خُلِصَ إلى رسول الله ﷺ ، وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه -رضي الله عنه-.

٩٢٣ - «كرامة الشهيد»

وعن حماد بن سلمة، عن ثابت وعلي بن زيد، عن أنس ، أن أبا طلحة قرأ ﴿**انفروا خفافًا وثقالاً**﴾ [سورة التوبة :٤٢] فقال : استنفرنا الله، وأمرنا شيوخنا وشبابنا، جهزوني. فقال بنوه: يرحمك الله، إنك قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ ، وأبي

---

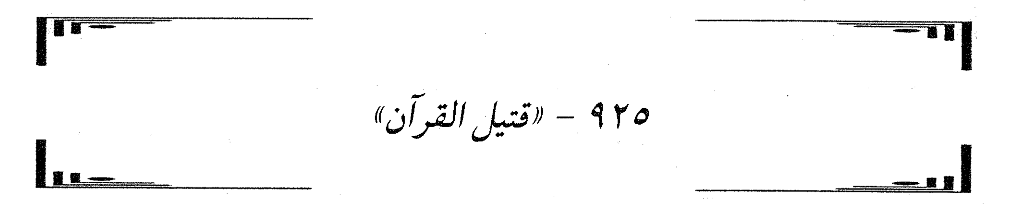
(١) **بلسان ملتاث:** ثقيل بطيء في الكلام.

(٢) **الدبَرة:** النصر والغلبة.

بكر، وعمـر، ونحن نغزو عنك الآن، قال: فـغزا البحـر. فمات، فلم يجـدوا له جزيرة يدفنونه فيها، إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغير.

٩٢٤ - «لا يخرج إليه غيره»

وعن خالد بن عبـد الله، عن محمد بن عـمرو، عن أبيه، عن جده قـال: قال عمـرو بن العاص: خرج جـيش من المسلمين أنا أميـرهم حتى نزلنا الإسكندرية، فـقال عظيم منهم: أخرِجوا إليّ رجـلاً أكلمه ويكلمني. فقلت: لا يخرج إليه غـيري، فخرجت معي ترجـماني، ومـعه ترجمـان، حتى وُضع لنا منبـران. فقال: مـا أنتم؟ قلت: نحن العرب، ومن أهـل الشوك والقرظ، ونحن أهل بـيت الله، كنا أضيق الناس أرضًـا وشره عيشًا، نأكل الميتة، ويغير بعضنا على بعض، كنا بشر عيش عاش به الناس، حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئـذ شرفًا ولا أكثـرنا مالاً، قال: أنا رسـول الله إليكم، يأمرنا بما لا نعرف، وينهانا عمـا كنا عليه، فشنِفْنا له، وكذبناه، ورددنا عليه، حـتى خرج إليه قوم من غيرنا، فقـالوا: نحن نصدقك، ونقاتل من قاتلك، فخرج إليـهم، وخرجنا إليه، وقاتلناه، فظهر علينا، وقاتل من يـليه من العرب، فظهر عليهم، فلو تعلم مـا ورائي من العرب ما أنتم فيـه من العيش لم يبق أحد إلا جاءكم، فـضحك، ثم قال: إن رسولكـم قد صدق وقد جـاءتنا رسل بمثل ذلك، وكنا عليه حـتى ظهرت فـينا ملوك، فعملوا فـينا بأهوائهم، وتركوا أمر الأنبـياء، فإن أنتم أخذتم بأمر نبـيكم لم يقاتلكم أحد إلا غلبتـموه، وإذا فعلتم مثل الذي فعلنا، فتركتم أمر نبيكم، لم تكونوا أكثر عددًا منا ولا أشد منا قوة.



٩٢٥ - «قتيل القرآن»

عن منصور بن عمار قال: حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة. فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ فـي جوف الليل وهو يقول: إلهي، وعزتك وجلالك

ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك[1] جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي أعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخي علي، وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه! قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله: ﴿**نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد**﴾ [سورة التحريم: ٦].. الآية. فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حسًّا، فمضيت. فلما كان من الغد رجعت إلى نفس الطريق وإذا أنا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه مر بابني البارحة، وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني تفطرت مرارته فوقع ميتًا.

٩٢٦ - «لا تحبسي منه شيئًا»

وعن أنس -رضي الله عنه- أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو، وليس معي ما أتجهز به؟ قال: «**ائت فلانًا، قد كان تجهز فمرض**» فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به، فقال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي منه شيئًا، فوالله لا تحبسين منه شيئًا فيبارك لنا فيه. رواه مسلم.

٩٢٧ - «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»

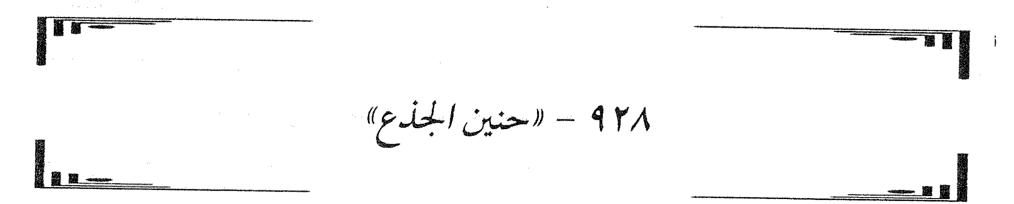
وعن همام بن الحارث عن المقداد -رضي الله عنه- أن رجلاً جعل يمدح عثمان -رضي الله عنه- فعمد المقداد فجثا[2] على ركبتيه فجعل يحثوا في وجهه الحصباء[3] فقال له

(١) أي: بعقابك.

(٢) أي: جلس.

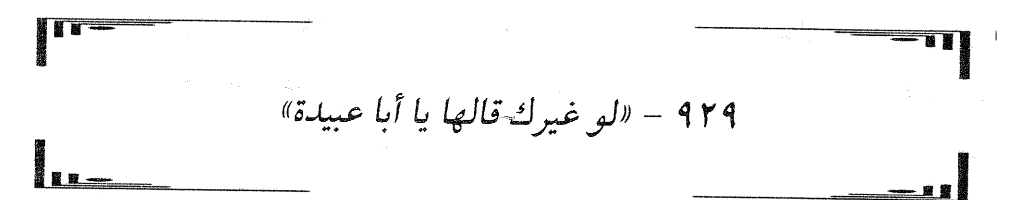
(٣) الحصباء: صغار الحصى.

عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**» . رواه مسلم.



٩٢٨ - «حنين الجذع»

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ ، يعني في الخطبة، فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل صوت العشار[١] حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن وفي رواية: فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، وفي رواية: فصاحت صياح الصبي، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكَّتُ حتى استقرت ، قال: «**بكت على ما كانت تسمع من الذكر**» . رواه البخاري.



٩٢٩ - «لو غيرك قالها يا أبا عبيدة»

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[٢] لقيه أمراء الأجناد[٣] -أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه- فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال لي عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم: خرجتَ لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال: ارتفعوا عني.

(١) **الإبل**: في حملها إلى عشرة أشهر.

(٢) منزل من منازل حاج الشام على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة .

(٣) **المراد بالأجناد**: مدن أهل الشام، فلسطين ، والأردن ، ودمشق وقنسرين.

ثم قال : ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر -رضي الله عنه- في الناس : إني مُصَبِّح على ظهر فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه-: أفرارًا من قدر الله ؟ فقال عمر -رضي الله عنه-: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، وكان عمر يكره خلافه، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديًا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله. قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- وكان متغيبًا في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**» . فحمد الله تعالى عمرُ -رضي الله عنه- وانصرف. متفق عليه.

٩٣٠ - «أعط كل ذي حق حقه»

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: آخَى[١] النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتبذِّلة[٢] فقال : ما شأنك؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا[٣] فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له : كل؛ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نم ، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له : نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان : قم الآن. فصليا جميعًا، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**» . رواه البخاري .

---

(١) من المؤاخاة والمعاهدة على التناصر والقيام بحقوق الدين.

(٢) لابسة ثياب المهنة تاركة الزينة.

(٣) أي: في النساء.

٩٣١ - «لو ظللتم على ذلك لصافحتكم الملائكة»

وعن أبي ربعي حنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر -رضي الله عنه- فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله، ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذَكِّرُنا بالجنة والنار، كأنا رأيَ عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا، قال أبو بكر -رضي الله عنه-: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ. فقلت: نافق حنظلة، يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **«وما ذاك؟!»** قلت: يا رسول الله، نكون عندك تُذَكِّرُنا بالنار والجنة كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا[١] الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر لصافحتكم الملائكة على فرُشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»** ثلاث مرات. رواه مسلم.

٩٣٢ - «كذلك إذا وضعها في الحلال»

عن أبي ذر أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور يُصَلُّون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم[٢] قال: **«أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؛ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة[٣]»** قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: **«أرأيتم لو وضعها**

---

(١) أي: خالطنا ولعبنا.

(٢) أي: الفاضلة عن كفايتهم.

(٣) أي: الجماع.

في حرام أكان عيه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» . رواه مسلم. والدثور بالثاء المثلثة : الأموال واحدها : دثر.

٩٣٣ - «من رغب عن سنتي فليس مني»

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها[1] وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدًا ولا أفطر، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**. متفق عليه.

٩٣٤ - «الذين يلمزون المطوعين»

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري -رضي الله عنه - قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا : مُراء[2] وجاء رجل آخر فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت : **﴿الذين يلمزون الْمُطَّوِّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾** [سورة التوبة : ٧٩] الآية. متفق عليه.

ونحامل : أي يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة ويتصدق بها.

---

(١) أي: استقلوها.

(٢) أي: عمل هذا العمل ليراه الناس فيحمدوه.

٩٣٥ - «ما أعلم منها إلا ما تقول»

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان عمر -رضي الله عنه- يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لِم يدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ ! فقال عمر : إنه من حيث علمتم[1] فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريَهم . قال: ما تقولون في قول الله : ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا. فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ وذلك علامة أجلك ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا**﴾ فقال عمر -رضي الله عنه-: ما أعلم منها إلا ما تقول. رواه البخاري.

٩٣٦ - «من يأخذه بحقه»

عن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال : «**من يأخذ مني هذا؟**» فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة -رضي الله عنه- : أنا آخذه بحقه، ففلق به هام المشركين. رواه مسلم.

قوله : «أحجم القوم » أي: توقفوا . وفلق به : أي شق . هام المشركين : أي: رؤوسهم.

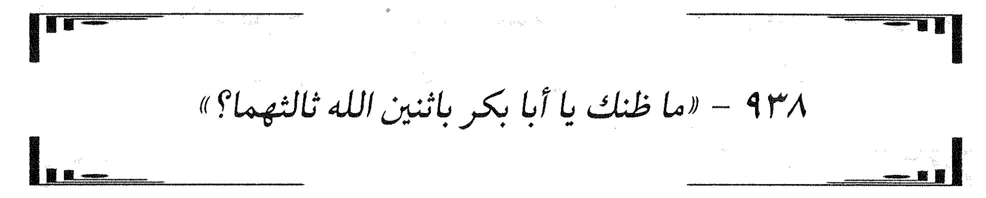
---

(١) أي: من بيت النبوة.

٩٣٧ - «أنس بن النضر يوم أحد»

عن أنس -رضي الله عنه- قال: غاب عمي أنس بن النضر -رضي الله عنه- عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ، غِبْتُ عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين- ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال : يا سعد بن معاذ، الجنة ورب الكعبة إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل ومثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه[1] . قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] إلى آخرها. متفق عليه.

قوله : «ليرين الله» روي بضم الياء وكسر الراء ، أي: ليظهرن الله ذلك للناس، ورُوي بفتحهما ومعناه ظاهر، والله أعلم.



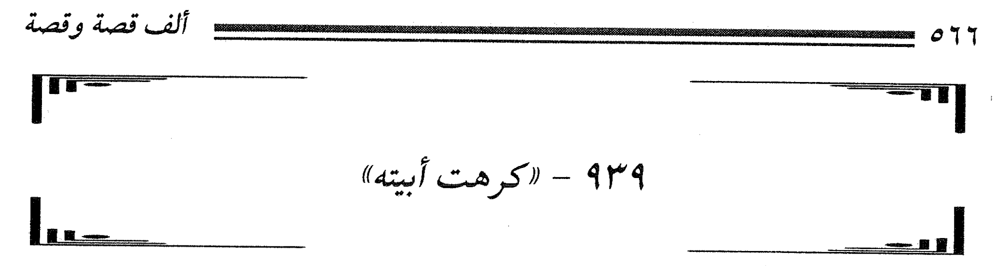
٩٣٨ - «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: نظرتُ إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال : «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[2] متفق عليه.

---

(١) أي: بأطراف أصابعه.

(٢) أي: بالنصر والمعونة والحفظ.



٩٣٩ - «كرهت أبيته»

عن أبي سِرْوَعة عقبة بن الحارث -رضي الله عنه- قال: صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجَر نسائه، ففزع الناس من سرعته فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته قال: «**ذكرت شيئًا من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته**» . رواه البخاري.

وفي رواية له : «**كنت خلَّفْتُ في البيت تبرًا من الصدقة فكرهت أن أبيته**».

التبر: قطع ذهب أو فضة.

٩٤٠ - «أن تصدق وأنت صحيح»

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ . قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمْهِل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان**». متفق عليه. **الحلقوم**: مجرى النفس. **والمريء**: مجرى الطعام والشراب.

٩٤١ - «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»

أراد سعد بن هشام أن يخرج للجهاد في سبيل الله تعالى، فطلّق امرأته، ثم قدم المدينة ليبيع عقارًا له بها، فيجعله في السلاح والكراع[١] وأتى أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وذكر لها ما أراد، فنهته عن ذلك. فقد روى الإمام أحمد عن الحسن عن سعد بن

(١) اسم للخيل.

هشام قال: أتيت عائشة -رضي الله عنها- فقلت : يا أم المؤمنين ، إني أريد أن أتبتل، فقالت : «لا تفعل ألم تقرأ : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾ [سورة الأحزاب: ٢١] قد تزوج رسول الله ﷺ ووُلد له .

٩٤٢ - «أمر عائشة أبا سلمة بن عبد الرحمن بترك المخاصمة في الأرض»

أخبر أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن خصومة كانت بينه وبين قومه فحذرته عن المخاصمة في الأرض، مبيّنة سوء عاقبة من ظلم قدر شبر من الأرض .

فقد روى الإمام البخاري عن محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدّثه أنه كانت بينه وبين أناس خصومة ، فذكر لعائشة -رضي الله عنها- فقالت: يا أبا سلمة ، اجتنب الأرض ؛ فإن النبي ﷺ قال : «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين**»[1] .

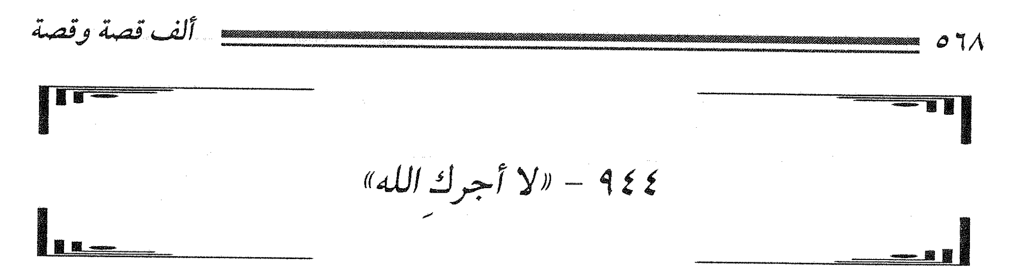
٩٤٣ - «أمر معاذة العدوية من أرضعتها باجتناب أكل الحرام»

أمرت معاذة العدوية البصرية -رحمها الله تعالى- من كانت قد أرضعتها باجتناب أكل الحرام، فقد ذكر الإمام ابن الجوزي عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أم الأسود: قالت لي معاذة العدوية : لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام ؛ فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال، فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالاً لعلكِ أن توفقي لخدمة سيدكِ والرضا بقضائه.



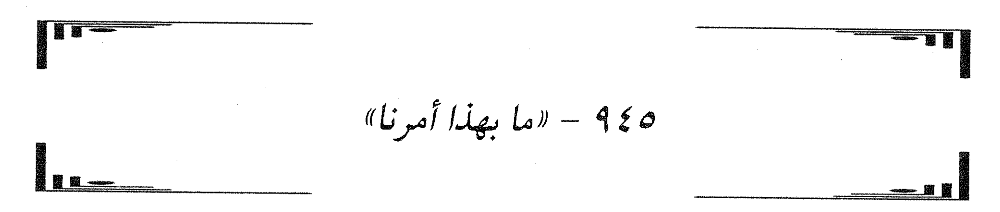
---

(١) رواه البخاري.



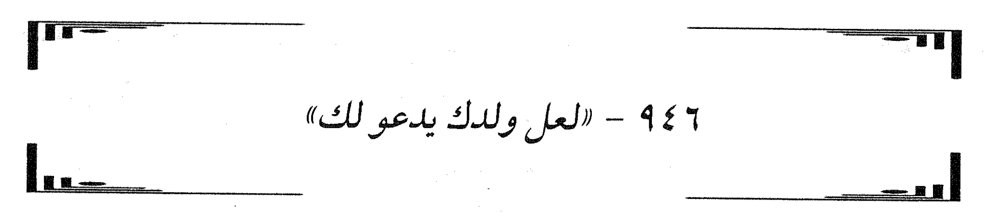
٩٤٤ - «لا أجركِ الله»

ذكرت مولاة لعائشة الصديقة -رضي الله عنها- أنها قد استلمت الحجر الأسود مرتين أو ثلاثًا أثناء الطواف، فأنكرت -رضي الله عنها- عليها مزاحمتها الرجال. فقد روى الإمام البيهقي عن منبوذ بن أبي سليمان عن أمه أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ أم المؤمنين -رضي الله عنها- فدخلت عليها مولاة لها فقالت لها : يا أم المؤمنين ، طفتُ بالبيت سبعًا، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثًا. فقالت لها عائشة -رضي الله عنها-: لا أجرك الله ، لا أجرك الله، تدافعين الرجال، ألا كبّرت ومررت؟.



٩٤٥ - «ما بهذا أمرنا»

أتى مساكين بيت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- فسألوا وألحّوا في السؤال، وأمرهم بعض من كان في البيت بالخروج منه. فنهت أم المؤمنين -رضي الله عنها- عن ردّهم صفر اليدين، وأمرت بإعطائهم ولو كان شيئًا يسيرًا. فقد روى الحافظ ابن عبد البر عن أم الحسين أنها كانت عند أم سلمة -رضي الله عنها- ، فأتى مساكين، فجعلوا يلحّون. وفيهم نساء. فقلت : اخرجوا -أو اخرجن- فقالت أم سلمة -رضي الله عنها- : ما بهذا أمرنا يا جارية، ردي كل واحد -أو واحدة- ولو بتمرة تضعيها في يدها.



٩٤٦ - «لعل ولدك يدعو لك»

أراد عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن لا يتزوج فأمرته أخته أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- بالزواج مبينة ما يُرجى من وراء الزواج من دعوة الأولاد لأبيهم إذا

عاشوا بعده . فقد روى الإمام الشافعي عن عمرو بن دينار أن ابن عمر -رضي الله عنهما- أراد أن لا ينكح. فقالت له حفصة -رضي الله عنها- : تزوج؛ فإن وُلِد لك ولد فعاش من بعدك دعا لك.

٩٤٧ - «لا صلاة بحضرة طعام»

تحدث ابن أخ لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عندها فأكثر اللحن في كلامه، فأنكرت عليه، فغضب، ثم لما رأى مائدة عائشة -رضي الله عنها- قد أتي بها قام بحجة رغبته في الصلاة فاحتسبت عليه مبينة أنه لا صلاة بحضرة الطعام. فقد روى الإمام مسلم عن ابن أبي عتيق قال : تحدثت أنا والقاسم عند عائشة -رضي الله عنها- ، وكان القاسم رجلاً لحانة، وكان لأم ولد، فقالت عائشة -رضي الله عنها- : ما لك لا تحدّث كما يتحدث ابن أخي هذا ؟ أما إني قد علمتُ من أين أتيت. هذا أدّبته أمه، وأنت أدّبتك أمك. قال: فغضب القاسم وأضبّ عليها[1] فلما رأى مائدة عائشة -رضي الله عنها- قد أتي به قام. قالت : أين؟ قال: أصلي. قالت: اجلس. قال: إني أصلي. قالت : اجلس غُدَر[2] إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان**».

٩٤٨ - «لا للاختلاط»

روى الإمام البخاري عن عطاء قال: كانت عائشة -رضي الله عنها- تطوف حجرة[3] من الرجال لا تخالطهم. فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين، قالت: انطلقي عنك. وأبت.

(١) أي: حقد عليها.
(٢) **غُدَر**: أي: يا غادر ، والغدر هو ترك الوفاء.
(٣) أي: بعيدة عن الاختلاط.

٩٤٩ - «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا لمصلحة شرعية»

وعن عوف بن مالك بن الطفيل أن عائشة -رضي الله عنها- حُدِّثت أن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة -رضي الله تعالى عنها- : والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها ، قالت : أهو قال هذا ؟ قالوا : نعم. قالت : هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة. فقالت : لا والله لا أشفع فيه أبدًا، ولا أتحنث إلى نذري[١] فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المِسْوَر بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وقال لهما : أنشدكما الله[٢] لما أدخلتماني على عائشة -رضي الله عنها- فإنها لا يحل لها أن تنذر قطعيتي، فأقبل به المسور، وعبد الرحمن حتى استأذنا على عائشة فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة : ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت : نعم، ادخلوا كلكم ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة -رضي اله عنها- وطفق يناشدها ويبكي، وطفق[٣] المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلمته وقَبِلت منه ويقولان : إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تُذَكِّرُهما وتبكي، وتقول : إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تَبلَّ دموعها خمارها. رواه البخاري.

٩٥٠ - «إنها صفية بنت حيي»

وعن أم المؤمنين صفية بنت حيي -رضي الله عنها- قالت: كان النبي ﷺ معتكفًا

---

(١) أي: لا أخالف نذري.
(٢) أي: أقسم عليكما بالله.
(٣) أي: ظل.

فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب[١] فقام معي ليقلبني، فمر رجلان من الأنصار -رضي الله عنهما- فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا. فقال ﷺ : «**على رسلكما**»[٢] إنها صفية بنت حيي، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، فقال : «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً** -أو قال: شيئًا-». متفق عليه.

٩٥١ - «انهزموا ورب محمد»

وعن أبي الفضيل العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ ، فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والمشركون ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته، قِبَل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «**أي عباس، ناد أصحاب السَّمُرة**»[٣] قال العباس -وكان رجلاً صيِّتًا[٤] -، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة، فوالله لكأن عطبتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا: يا لبيك فاقتتلوا هم والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : «**هذا حين حمي الوطيس**» . ثم أخذ رسول الله ﷺ حصبات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال : «**انهزَموا ورب محمد**» . فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبرًا. رواه مسلم.

الوطيس : النور. ومعناه اشتدت الحرب. وقوله : **حدهم** : هو بالحاء المهملة : أي: بأسهم.

---

(١) أي: لأنصرف.
(٢) أي: انتظرا.
(٣) أي: أصحاب بيعة الرضوان، وكانت سمرا.
(٤) أي: عالي الصوت.

٩٥٢ - «أمر سلمى زوجها بالوضوء عندما أحدث في الصلاة»

أحدث أبو رافع -رضي الله عنه- وكان يصلي، واستمر في صلاته فأمرته زوجه سلمى -رضي الله عنها- بأن يتوضأ. فقد روى الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ قالت : أتت سلمى مولاة رسول الله ﷺ أو امرأة أبي رافع إلى رسول الله ﷺ تستأذنه على أبي رافع قد ضربها.

قالت : قال رسول الله ﷺ لأبي رافع : «**ما لك ولها يا أبا رافع؟**» . قال: تؤذيني يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : **بم آذيتيه يا سلمى؟**» . قالت : ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي ، فقلت له : يا أبا رافع، إن رسول الله ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ. فقام فضربني . فجعل رسول الله ﷺ يضحك. ويقول: «**يا أبا رافع ، إنها لم تأمرك إلا بخير**».

٩٥٣ - «قم يا رجل!»

ذكر الإمام ابن الجوزي أن عمرة امرأة حبيب العجمي انتبهت ليلة وهو نائم فأنبهته في السحرة ، وقالت له : قم يا رجل ، فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قبلنا ونحن قد بقينا.

٩٥٤ - «نهي أم سلمة -رضي الله عنها- نسيبًا لها عن النفخ في الصلاة»

رأت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- نسيبًا لها ينفخ إذا أراد أن يسجد فنهته عن ذلك. فقد روى الإمام الحاكم عن أبي صالح، قال : كنت عند أم سلمة -رضي الله

عنها- فدخل عليها ذو قرابة لها، شاب ذو جمة، فقام يصلي فنفخ. فقالت : يا بني، لا تنفخ ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبد لنا أسود : «**أي رباح، ترّب وجهك**».

٩٥٥ - «ما لك شعثًا؟!»

رأت أم المؤمنين ميمونة ابن أختها عبد الله بن عباس -رضي الله عنهم- شعثًا، فسألته عن ذلك ، فأخبرها أن ذلك بسبب كون مرجّلته حائضًا، فأنكرت عليه مبينة أسوة أتقى خلق الله تعالى ﷺ في ذلك ، فقد روى الإمام أحمد عن منبوذ أن أمّه أخبرته أنها بينا هي جالسة عند ميمونة زوج النبي ﷺ إذ دخل عليها ابن عباس -رضي الله عنهما- فقالت : ما لك شعثًا؟!.

قال: أم عمار مرجّلتي حائض. فقالت : أي بني ، وأين الحيضة من اليد؟ لقد كان النبي ﷺ يدخل على إحدانا وهي متكئة حائض، قد علم أنها حائض فيتكئ عليها، فيتلو القرآن، وهو متكئ عليها، أو يدخل عليها قاعدة، وهي حائض فيتكئ في حجرها، فيتلو القرآن في حجرها، وتقوم وهي حائض فتبسط له الخمرة في مصلاه.

٩٥٦ - «أرغبة عن سنة رسول الله ﷺ؟»

نُقل إلى أم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- أن ابن أختها عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما - اعتزل فراش زوجه الحائض، فأنكرت عليه مبينة أسوة أخشى الخلق لله تعالى وأتقاه له ﷺ في ذلك. فقد روى الإمام أحمد عن عروة عن بُدَيّة قالت : أرسلتني ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- إلى امرأة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ، وكانت بينهما قرابة، فرأيت فراشها معتزلاً فراشه، فظننت أن ذلك لهجران فسألتها فقالت : لا ، ولكني حائض، فإذا حضت لم يقرب فراشي.

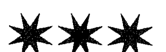
فأتيت ميمونة -رضي الله عنها- فذكرت ذلك لها، فردتني إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- فقالت : أرغبة عن سنة رسول الله ﷺ ؟ لقد كان رسول الله ﷺ ينام مع المرأة من نسائه ، وما بينهما إلا ثوب ما يجاوز الركبتين.

٩٥٧ - «ويل للأعقاب من النار»

دخل عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- على أخته أم المؤمنين عائشة الصديقة -رضي الله عنها- فتوضأ عندها فأمرته بإسباغ الوضوء. فقد روى الإمام مسلم عن سالم مولى شداد قال: دخلت على عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ يوم توفي سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- فتوضأ عندها، فقالت : يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويل للأعقاب من النار**»[١] .

٩٥٨ - «أم سليم تعرض الإسلام على زوجها»

لم تقف أم سليم -رضي الله عنها- عند إسلامها وتلقين ابنها الشهادتين رغم معارضة زوجها مالك بن النضر، بل عرضت عليه الإسلام. فقد قال عنها الحافظ ابن عبد البر : كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك في الجاهلية، فولدتْ له أنس بن مالك، فلما جاء الله بالإسلام أسلمت مع قومها وعرضت الإسلام على زوجها، فغضب عليها، وخرج إلى الشام، فهلك هناك.



(١) **الويل**: الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، والأعقاب جمع عَقِب وهو مؤخر القدم.

٩٥٩ - «حرص المرأة على زوجها»

أسلمت أم حكيم بنت الحارث -رضي الله عنها- زوجة عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح، وفر زوجها إلى اليمن، وكان النبي ﷺ قد أمر بقتله ، لما كان قد فعله ضد الإسلام والمسلمين.

استأمنت أم حكيم -رضي الله عنها- النبي الكريم ﷺ لزوجها فلحقت به، وأمرته بالإتيان إلى رسول الله ﷺ وقبول الإسلام. فلم تزل به حتى تحقق بفضل الله تعالى ما أرادت. فقد ذكر الحافظ ابن عبد البر عنها بقوله : أسلمت يوم الفتح، واستأمنت النبي ﷺ لزوجها عكرمة، وكان عكرمة قد فر إلى اليمن، وخرجت في طلبه فردته حتى أسلم، وثبتا على نكاحهما.

٩٦٠ - «لو رأيتها ما تداوى عندي»

داوت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- صبياً من قرحة فرأت خلخالين في رجليه، فأنكرت على ذلك. فقد روى الإمام الحاكم عن بكير أن أمه حدثته أنها أرسلت إلى عائشة -رضي الله عنها- بأخيه مخرمة، وكانت تداوي من قرحة تكون بالصبيان، فلما داوته عائشة -رضي الله عنها- وفرغت منه رأت في رجليه خلخالين جديدين، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: أظننتم أن هذين الخلخالين يدفعان عنه شيئًا كتبه الله عليه؟ لو رأيتها ما تُداوى عندي، وما مس عندي، لعمري لخلخالان من فضة أطهر من هذين.

ويبدو من النص -والله تعالى أعلم- أن أهل الصبي ظنوا أن الخلخالين يدفعان عن المريض شيئًا ، فأنكرت -رضي الله عنها- عليهم بسبب اعتقادهم هذا، وأبدت شدة في الإنكار حيث أخبرت أنها لو رأت الخلخالين قبل لما داوت الصبي، وفي هذا يتجلى اهتمام أم المؤمنين -رضي الله عنها- بنقاء العقيدة.

٩٦١ - «والله ما لي بالطيب من حاجة»

عن زينب بنت أبي سلمة -رضي الله عنهما- قالت : دخلتُ على أم حبيبة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب -رضي الله عنه- فدعت بطيب فيه صفرة خلوق[١] أو غيره، فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت : والله ما لي بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تَحِدَّ على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا**» قالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش -رضي الله عنها- حين توفي أخوها فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت : أما والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تَحِدَّ على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا**». متفق عليه.

٩٦٢ - «أما هذا فقد عصى أبا القاسم»

عن أبي الشعثاء قال: كنا قعودًا مع أبي هريرة -رضي الله عنه- في المسجد فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم. رواه مسلم.

٩٦٣ - «كان ينفخ على إبراهيم النار»

وعن أم شريك -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ وقال:

---

(١) **الخلوق**: طيب مركب من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

«كان ينفخ على إبراهيم» . متفق عليه .

٩٦٤ - «لا تسبِّي الحمى ؛ فإنها تذهب الخطايا»

عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال : «**ما لكِ يا أم السائب** -أو : يا أم المسيب- **تُزَفْزِفين؟**» قالت : الحمى ، لا بارك الله فيها ، فقال : «**لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد** » رواه مسلم .

تزفزفين ، أي : تتحركين حركة سريعة ، ومعناه : ترتعد . وهو بضم التاء وبالزاي المكررة ، وروي أيضًا بالراء المكررة والقافين .

٩٦٥ - «أتشفع في حد من حدود الله»

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد -حِبُّ[1] رسول الله ﷺ - . فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : «**أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟** » ثم قام فاختطب ثم قال : «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**» . متفق عليه .

وفي رواية : فتلوّن[2] وجه رسول الله ﷺ فقال : «**أتشفع في حد من حدود الله؟!**» فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ، قال : ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها .



(١) أي : محبوبه . (٢) تغير غيظًا .

٩٦٦ - «ما قلت شيئًا إلا قيل لي : أنت كذلك؟»

وعن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: أُغْمِي على عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- ، فجعلت أخته تبكي: واجبلاه، واكذا واكذا، تُعَدِّد عليه. فقال حين أفاق: ما قلت شيئًا إلا قيل لي: أنت كذلك ؟ . رواه البخاري.

٩٦٧ - «أشد الناس عذابًا يوم القيامة»

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : «**يا عائشة أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله** »قالت: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين. متفق عليه.

القرام بكسر القاف هو الستر. **والسهوة**: بفتح السين المهملة وهي الصفة تكون بين يدي البيت. وقيل: هي الطاق النافذ في الحائط.

٩٦٨ - «إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : واعد رسول الله ﷺ جبريل -عليه السلام- في ساعة أن يأتيه فجاءت تلك الساعة ، ولم يأته، قالت : وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول: «**ما يخلف الله وعده ولا رسله**» ثم التفت فإذا جرو كلب تحت سريره. فقال : «**متى دخل هذا الكلب؟**» . فقلت : والله ما دريت به، فأمر به فأخرج فجاءه جبريل -عليه السلام- ، فقال رسول الله ﷺ : «**وعدتني فجلستُ لك ولم تأتني؟!**» .

فقـال : منعني الكلب الذي كان في بيـتك، إنا لا ندخل بيتًـا فيـه كلب ولا صورة. رواه مسلم.

٩٦٩ - «أدوا حقوق الطريق»

وعن أبي طلحة زيد بن سـهل -رضي الله عنه- قال : كنا قعودًا بالأفنية[1] نتحدث فيها فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال : «**ما لكم ولمجالس الصُّعُدات** » فقلنا : إنما قعدنا لغيـر ما بأس، قعدنـا نتذاكر ونتحـدث . قال : «**إما لا فـأدوا حقـها : غض البـصر، ورد السلام، وحسن الكلام**» . رواه مسلم. **الصعدات** بضم الصاد والعين : أي الطرقات.

٩٧٠ - «لعن الله الواصلة والمستوصلة»

وعن أسماء -رضي الله عنها- أن امرأة سألت النبي ﷺ فقـالت : يا رسول الله ، إن ابنتي أصابتـها الحصبـة فتمرّق شـعرها، وإني زوجتهـا أفأصل فيه ؟ فـقال : «**لعن الله الواصلة والموصولة**» . متفق عليه. وفي رواية : « **الواصلة والمستوصلة**» . قولها: فتمرق هو بالراء ومعناه انتثر وسقط.

والواصلة: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر.

والموصولة: التي يوصل شعرها.

والمستوصلة: التي تسأل من يفعل لها ذلك.



---

(١) جمع فناء، المتسع أمام البيت.

٩٧١ - «أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ»

وعن أبي بردة قال : وجع أبو موسى فـغُشي عليـه ورأسه في حجـر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة[١] فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا . فلما أفاق قال : أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة ، والحالقة، والشاقة . متفق عليه .

الصالقة : التي ترفع صوتها بالنياحة والندب .

والحالقة : التي تحلق رأسها عند المصيبة .

والشاقة : التي تشق ثوبها .

٩٧٢ - «لا يعذب بالنار إلا الله»

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قـال: بعثنا رسـول الله ﷺ في بعث فقـال : «**إن وجدتم فلانًا وفلانًا** -لرجلين من قريش سماهما- **فأحرقوهما بالنار**» ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: «**إني كنت أمرتـكم أن تحرقوا فـلانًا وفلانًا، وإن النار لا يُعَـذِّب بها إلا الله، فإن وجدتوهما فاقتلوهما**» . رواه البخاري .

٩٧٣ - «من فجع هذه بولدها؟»

وعن ابن مسعـود -رضي الله عنه- قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سـفر فانطلق لحاجته فـرأينا حمرة معها فـرخان، فأخذنا فرخيـها فجاءت الحُمَّرَة تعـرش فجاء النبي ﷺ

---

(١) برنة أي بصوت مرتفع تعبيراً عن حزنها .

فقال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها**» . ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : «**من حرق هذه؟**» قلنا : نحن . قال : «**إنه لا ينبغي أن يُعَذِّب بالنار إلا رب النار**» . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

قوله : «قرية نمل» معناه موضع النمل مع النمل.

٩٧٤ - «عذبت امرأة في هرة»

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال : «**عُذِّبَت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**» . متفق عليه.

خشاش الأرض : هوامها وحشراتها.

٩٧٥ - «لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك»

وعنه أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا. متفق عليه.

الغرض : هو الهدف والشيء الذي يُرمَى إليه.

٩٧٦ - «لو لم تفعل ذلك للفحتك النار»

وعن ابن مسعود البدري -رضي الله عنه- قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط

فسمعت صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسعود**» ، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» فقلت : لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا، وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيبته. وفي رواية : فقلت : يا رسول الله، هو حر لوجه الله، فقال : «**أما لو لم تفعل للفحتك النار، أو لمستك النار**» . رواه مسلم بهذه الروايات.

٩٧٧ - «أمر أم سعد بن معاذ -رضي الله عنها- ابنها بسرعة اللحوق بالجيش الإسلامي»

روى الإمام ابن إسحاق عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة ، وكانت أم سعد بن معاذ -رضي الله عنهما- في الحصن. فقالت عائشة -رضي الله عنها- وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب فمر سعد، وعليه درع له مقلِّصة[١] وقد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربة، يرفل بها[٢] ويقول:

لبِّث قليلاً يشهد الهيجاء[٣] جمل[٤]   لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت أمه : الحق أي بني فقد والله أخرت.

٩٧٨ - «لقد تابت توبة لو وزعت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم»

وعن أبي نُجَيد عمران بن الحصين الخزاعي -رضي الله عنهما- أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حُبلى من الزنا فقالت : يا رسول الله ، أصبت حداً فأقمه عليّ،

---

(١) **مقلصة**: مجتمعة منضمة.
(٢) **يرفل بها**: أي: يتبختر بها.
(٣) **الهيجاء**: الحرب.
(٤) **جمل**: اسم رجل.

فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال : «**أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني**» ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشُدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرُجمت ثم صلى عليها. فقال له عمر : تُصَلِّي عليها يا رسول الله ، وقد زنت ؟! قال: «**لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدتَ أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل**» رواه مسلم.

٩٧٩ - «بين أسماء وابنها ابن الزبير»

وروى الإمام الطبري عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال : دخل ابن الزبير -رضي الله عنه- على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال : يا أمه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما رأيك؟ .

فقالت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قُتل عليه أصحابك، ولا تمكِّن من رقبتك يتلعب بها غلمان أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت من قُتِل معك.

وإن قلت : كنت على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا، القتل أحسن.

فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها، وقال : هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنتُ إلى الدنيا[1] ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تُستحل حُرَمه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتيني بصيرة مع بصيرتي.

فانظري يا أمه، فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلِّمي الأمر لله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عملاً بفاحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي. اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت

(١) أي: مالت إليها وسكنت.

أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني.

فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا ، إن تقدمتني، وإن تقدمتُ ففي نفسي، أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك.

قال: جزاكِ الله يا أمه خيرًا، فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد.

فقالت : لا أدعه أبدًا، فمن قُتِل على باطل فقد قُتِلت على حق.

ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب[١] والظمأ[٢] في هواجر[٣] المدينة ومكة، وبرّه بأبيه وبي. اللهم قد سلّمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت ، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

٩٨٠ - «نهي زينب بنت أبي سلمة -رضي الله عنها- عن تسمية البنت برّة»

روى الإمام مسلم عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سمّيت ابنتي برة. فقالت لي زينب بنت أبي سلمة -رضي الله عنهما-: إن رسول الله نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيتُ برة، فقال رسول الله ﷺ : «**لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم**» . فقالوا: بم نسميها ؟ قال: «**سموها زينب**».

٩٨١ - «نهي عائشة -رضي الله عنها- عن الضحك على من خرّ على حبل فسطاط»

روى مسلم عن الأسود قال: دخل شباب من قريش على عائشة -رضي الله عنها-

(١) **النحيب**: البكاء بصوت ومد. (٢) **الظمأ**: العطش.

(٣) **الهواجر**: مفردها هاجرة، وهي وقت اشتداد الحر.

وهي بمنى وهم يضحكون ، فقالت : ما يضحككم؟ . قالوا: فلان خر على طُنُب فسطاط[١] فكادت عنقه أو عينه أن تذهب. فقالت : لا تضحكوا ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كُتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة**» .

قال الإمام النووي تعليقًا على الحديث : فيه النهي عن الضحك عن مثل هذا إلا أن يحصل غلبة لا يمكن دفعه، وأما تعمده فمذموم؛ لأن فيه إشماتًا بالمسلم وكسرًا لقلبه.

٩٨٢ - «منع عائشة ابن أختها من سب حسان بن ثابت -رضي الله عنهما-»

روى مسلم عن هشام عن أبيه أن حسان بن ثابت -رضي الله عنه- كان ممن كثر على عائشة -رضي الله عنها- فسببته، فقالت : يا ابن أختي، دعه، فإنه كان ينافح[٢] عن رسول الله ﷺ .

٩٨٣ - «منع عائشة -رضي الله عنها- من إدخال جارية عليها كانت تلبس جلاجل يصوتن»

روى الإمام أبو داود عن بنانة -مولاة عبد الرحمن بن حسان الأنصاري- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : بينما هي عندها إذ دُخل عليها بجارية ، وعليها جلاجل[٣] يصوتن، فقالت : لا تُدخلنها عليّ إلا أن تقطعوا جلاجلها، وقالت : سمعت رسول الله

(١) **طُنب فسطاط**: حبال عمود الخيمة.

(٢) **ينافح**: يدافع ويناضل.

(٣) **الجلاجل**: مفردها جلجل، وهو الجرس.

ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جرس».

٩٨٤ - «إنكار أم سلمة -رضي الله عنها- على غلام كان في يده خاتم من ذهب»

روى الإمام ابن أبي شيبة عن عمر بن سعيد بن حسين قال: أخبرتني أمي عن أبي قال: دخلتُ على أم سلمة -رضي الله عنها- وأنا غلام، وعليّ خاتم من ذهب، فقالت: يا جارية، ناولنيه. فناولتها إياه. فقالت: اذهبي به إلى أهله، واصنعي خاتمًا من ورِق[1]. فقلت: لا حاجة لأهلي فيه. قالت: فتصدقي به، واصنعي خاتمًا من ورِق.

٩٨٥ - «إنكار عائشة -رضي الله عنها- على المرأة المتشبهة بالرجال»

روى الإمام أبو داود عن ابن أبي مليكة قال: قيل لعائشة -رضي الله عنها-: إن امرأة تلبس النعل. فقالت: لعن رسول الله ﷺ الراجلة[2] من النساء.

٩٨٦ - «إنكار عائشة -رضي الله عنها- على لبس ثوب فيه تطيب»

روى الإمام أحمد عن دقرة أم عبد الرحمن أذينة قالت: كنا نطوف بالبيت مع أم المؤمنين -رضي الله عنها- فرأت على امرأة بردًا فيه تصليب[3]، فقالت أم المؤمنين -رضي الله عنها-: اطرحيه اطرحيه، فإن رسول الله ﷺ كان إذا رأى نحو هذا قضبه[4].

---

(١) ورق: فضة.

(٢) المتشبهات بالرجلة.

(٣) أي: انقش أمثال الصلبان.

(٤) قضبه: قطعه.

٩٨٧ - «شق عائشة -رضي الله عنها- خمارًا رقيقًا لابنة أخيها»

روى الإمام ابن سعْد عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه قالت : رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها، فشقته عائشة -رضي الله عنها- وقالت : أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور.

٩٨٨ - «أمر عائشة -رضي الله عنها- باستتار جمة الجارية»

روى الإمام ابن أبي شيبة عن قابوس عن أبيه ، أنه أرسل امرأة إلى عائشة -رضي الله عنها- فرأت جارية لها جمة(١) ، فقالت : لو استترت هذه كان أحرى بها.

٩٨٩ - «لوم عائشة ابن أختها وابن أخت ميمونة بسبب وقوعهما في حائط شخص»

وقع ابن أخت عائشة -رضي الله عنها- وابن أخت ميمونة -رضي الله عنها- في حائط من حيطان المدينة، وأصابا منه، فزجرتهما عائشة الصديقة -رضي الله عنها- ونصحتهما. فقد روى الإمام الحاكم عن يزيد بن الأصم ابن أخت ميمونة -رضي الله عنها- قال: تلقيت عائشة -رضي الله عنها- وهي مقبلة من مكة أنا، وابن لطلحة بن عبيد الله ، وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا في حائط من حيطان المدينة فأصبنا منه، فبلغها ذلك، فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله.

وأقبلت عليّ فوعظتني موعظة بليغة ، ثم قالت : أما علمت أن الله ساقك حتى

(١) الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين .

جعلك في أهل بيت نبيه. ذهبتْ والله ميمونة ورُمِي برسنك على غاربك[١] أما إنها كانت من أتقانا لله عز وجل، وأوصلنا للرحم.

٩٩٠ - «تهديد ميمونة -رضي الله عنها- قريبًا لها وجدت منه رائحة الخمر»

دخل قريب لأم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها- فوجدت منه رائحة الخمر فهدّدته بالمقاطعة إن لم يعرض نفسه لإقامة الحد الشرعي عليه. فقد روى الإمام ابن سعد عن يزيد ابن الأصم أن ذا قرابة لميمونة -رضي الله عنها- دخل عليها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: «لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك -أو قالت: يطهروك- لا تدخل عليّ بيتي أبدًا.

٩٩١ - «ذاك قتيل الله»

روى الإمام عبد الرزاق عن عبيد بن عمير قال: استضاف رجل ناسًا من هذيل، فأرسلوا جارية لهم تحتطب، فأعجبت الضيف فتبعها، فأرادها على نفسها، فامتنعت، فعاركها[٢] ساعة، فانفلتت منه انفلاتة، فرمته بحجر ففضت كبده، فمات.

ثم جاءت إلى أهلها، فأخبرتهم، فذهب أهلها إلى عمر -رضي الله عنه- فأخبروه، فأرسل عمر -رضي الله عنه- فوجد آثارهما، فقال عمر -رضي الله عنه-: قتيل الله، لا يودى أبدًا.

وفي رواية أخرى: قال عمر -رضي الله عنه-: ذاك قتيل الله، والله لا يودى

(١) أي: خلِّي سبيلك. (٢) أي: قاتلها.

أبدًا.

٩٩٢ - «كان وقافًا عند كتاب الله»

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحُر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر -رضي الله عنه- وكان القراء أصحاب مجلس عمر -رضي الله عنه- ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له عمر. فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل[1] ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر -رضي الله عنه- حتى هم أن يوقع به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف**[2] **وأعرض عن الجاهلين**﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافًا عند كتاب الله تعالى. رواه البخاري.

٩٩٣ - «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**». فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فيوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله**» قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**». متفق عليه.

وفقهوا: أي علموا أحكام الشرع.



(١) أي: الشيء الكثير.
(٢) أي: المعروف.

٩٩٤ - «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. متفق عليه.

٩٩٥ - «والله ليتمن الله هذا الأمر»

عن أبي عبد الله خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**. رواه البخاري.

وفي رواية: وهو متوسد بردة وقد لقينا من المشركين شدة.

٩٩٦ - «يرحم الله موسى؛ قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، فأتيته

فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصِّرف . ثم قال : «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟** »ثم قال : «**يرحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**» . فقلت : لا جرم، لا أرفع إليه بعدها حديثًا. متفق عليه.

وقوله : كالصرف هو بكسر الصاد المهملة وهو صبغ أحمر.

٩٩٧ - «من يستعفف يعفه الله»

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري -رضي الله عنهما- أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده : «**ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**» . متفق عليه.

٩٩٨ - «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»

عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحبه وابن حبه -رضي الله عنهما- قال: أرسلت بنت النبي ﷺ إن ابني قد احتُضر فاشهدنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب**»[١] . فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها.

فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال -رضي الله عنهم- ، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، فأقعده في حجره، ونفسه تقعقع ، ففاضت عيناه، فقال سعد : يا رسول الله ، ما هذا ؟ فقال : «**هذه رحمة جعلها**

(١) أي: تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها.

الله تعالى في قلوب عباده». وفي رواية : «**في قلوب من شاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» . متفق عليه .

ومعنى **تقعقع**: تتحرك وتضطرب.

٩٩٩ - «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال : «**اتقي الله واصبري** » فقالت : إليك عني، فإنك لم تُصَب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك ، فقال : «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» . متفق عليه. وفي رواية لمسلم : تبكي على صبي لها .

١٠٠٠ - «أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها»

عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ خرج إلى قتلى أحد فصلى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء، والأموات ، ثم طلع إلى المنبر فقال : «**إني بين أيديكم فرط**[1] **وأنا شهيد عليكم ، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها**» . قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ . متفق عليه.

وفي رواية : «**ولكني أخشى عليكم الدنيا، أن تنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم**» . قال عقبة : فكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.

وفي رواية قال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم**

---

(١) أي: متقدم بين أيديكم.

أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».

والمراد بالصلاة على قتلى أحد: الدعاء لهم، لا الصلاة المعروفة.

١٠٠١ - «مسك الختام»

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي -رحمه الله- : قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسبقت إليه، فبينا أنا قائم أصلي إذ وضع رجل يده على ظهري، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان -رحمة الله عليه- وهو خليفة ، فتنحيت عنه، فقام فما برح قائمًا حتى فرغ من القرآن في ركعة ، لم يزد عليها.

فلما انصرفت قلت: يا أمير المؤمنين ، إنما صليت ركعة؟.

قال: أجل ، هي وِتْرِي.

وأخيرًا ..

قال رسول الله ﷺ : **«مَن ضَنَّ بِالْمَالِ أن يُنفقَهُ ، وبالليلِ أن يكابدَهُ فعليه بـ: «سبحان الله وبحمده»**[1] .



(١) انظر «صحيح الجامع» رقم (٦٣٧٧).

فهرس
كتاب ألف قصة وقصة من قصص الصالحين